

٦٤٢٩

المعهد الخيفي للأبحاث المغربية
بيت المغرب

ازكاء الناض في اجبا عريك

تأليف

شهاب الدين محمد بن محمد المقرئ التلمساني

الجزء الثاني

صنعه وحققه وعلق عليه

عبد الحفيظ شلبي

المدرس بالمدارس الأميرية

أبراهيم الأبياري

المدرس بالمدارس الأميرية

مصطفى السقا

المدرس بجامعة فؤاد الأول

الطبعة

مطبعة لؤي الأليف ولترمزولستر

١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م



الأصول المعتمدة لأزهار الرياض

ذكرنا في مقدمة الجزء الأول من أزهار الرياض بعض الأصول التي اعتمدنا عليها في تحقيق الكتاب ، ونذكرها في مفتتح هذا الجزء ، نذكيراً للقراء مع ما وقع إلينا من أصول جديدة ؛ وقد استعملنا في الدلالة على هذه الأصول الحروف الآتية :

(ط)

للدلالة على النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية (برقم ٢٠١٣ تاريخ) . وقد وصفناها في مقدمة الجزء الأول من هذه الطبعة .

(ت)

للدلالة على القطعة المطبوعة من هذا الكتاب في تونس سنة ١٣٣٢ هجرية ، وقد انتهت بانتهاء ترجمة لسان الدين بن الخطيب ، حيث انتهى الجزء الأول من طبعتنا هذه .

(م)

للدلالة على النسخة المخطوطة المحفوظة بالخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية (برقم ٧٩٤ تاريخ) ، وقد وصفناها في مقدمة الجزء الأول .

(ص)

للدلالة على نسخة عثرنا عليها بعد الفراغ من طبع الجزء الأول ، وهي بخط مغربي واضح ، في ٥٩٣ صفحة من القطع الكبير ، وبها عدة سقطات ، ونرجح أنها كتبت قبل سنة ١١٤١ لوجود هذا التاريخ على آخر صفحة منها بخط بعض مالكيها .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجزء الثاني

من كتاب

أزهار الرياض، في أخبار عياض

[القاضي النباهي]

أما القاضي النباهي فهو علي بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن الحسن^(١) التبريزي، فاضل الجماعة بقرنائة، الإمام العالم العلامة. كان رحمه الله من أكابر المشهورين بها، ممن له الصحابة والبلاغة والجلالة، إلى الانصاف بالعلم والعرفه، والتفتن في العلوم متعقوها ومنقولها. ذكره ابن الخطيب في الإحاطة وأثنى عليه، وذكر أن ولادته عام ثلاثة عشر وسبع مئة، على ما ذكره بعضهم، وتأخرت وفاته عن ابن الخطيب، بحيث إنه كان حيًا عام اثنين وتسعين وسبع مئة.

وقال ابن الخطيب في ترجمة السلطان ابن الأحمر ما نصه^(٢) :

ثم قدّم للقضاء الفقيه الحبيب أبا الحسن، وهو عين الأعيان بمآلة، المخصوص [٢٣٣] برسم النجدة، والقيام بالعقد والحل، فسدّد وقارب، وحمل السكّل، وأحسن

(١) في «مع الطيب طعة الأهرمية والمخطوطتين المحفوظتين بدار الكتب المصرية» (برقمي ٣٥٩ و ٣٦٠ تاريخ) : «علي بن عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن الحسن»

(٢) انظر كتاب الإحاطة (ج ٢ ص ١٩، ٢٠ طبعة الموسوعات سنة ١٣١٩).

مصاحبة الخطبة والخطبة^(١)، وأكرم الشريحة، مع النزاهة. ولم يقف في حسن التأني عند^(٢) غاية؛ فاتفق على رجاحتها، ولم يقف في التصحیح عند غاية؛ أعانه الله. انتهى ملخصا.

وكم بين ما قال فيه هنا وبين ما في «الكتيبة الكاسية» من تلقيبه بـ«جَمُوس»^(٣)، ووَضَمِه بما لا يليق سماعه. وعلى كل حال فقد انتصف كل واحد منهما من صاحبه بلسانه، وعفوا الله وراء الجميع.

وقال في حق الشيخ أبو زكرياء يحيى السراج في فهرسته:

من كلام السراج عنه

الشيخ الفقيه الراوية، قاضي الجماعة بالأندلس وخطيبها، أبو الحسن؛ أخذ عن أبي محمد عبد الله بن أحمد الشَّجْبِي المَوْطَأ والشَّافِ وَأَكْثَرُ الصَّحِيحِينَ؛ وعن الخطيب أبي جعفر الطَّنْجَالِي، والقاضي العارف أبي القاسم بن سعيد الحميدى، والوزير أبي بكر بن الحكيم، والقاضي أبي جعفر أحمد بن عبد الحق، والحاج الراوية أبي القاسم بن المهني^(٤)؛ وقرأ على الفقيه الحاج أبي القاسم بن أحمد^(٥) بن محمد بن عمران الحضرمي بعض مختصر ابن الحاجب، والتسميل البديع في اختصار التفریع؛ والحاج أبي عبد الله محمد بن علي السَّكُونِي، والخطيب أبي عبد الله الساحلي، والقاضي أبي الحاجب المُتَشَاغِرِي. قَدِمَ رسولاً لقاس عام سبعة وستين، ثم عام ثمانية وثمانين. انتهى.

(١) يريد أنه تولى الخطابة وحطة القضاء، وأحسن العمل فيهما.

(٢) كذا في الإحاطة. وفي الأصول «على». وهو تحريف.

(٣) الجَمُوس (كجَمُور) : الثَّيْم الحَلْفَة والحَق؛ وبذلك : الثَّيْم الفَيْح؛ وبذلك :

رجل جَمُوس، إذا كان قصيرا دُميا. (عن لسان العرب).

(٤) ورد هذا الاسم مضطربا في الأصول ونفع الخطيب بين «المهني» و«المسا»

و«البتا». وقد أورد لسان الدين بن الخطيب في حلة مشيخته ذكر الحاج أبي القاسم

ابن المهني اللاتني، فلهذا المراد هنا.

(٥) في (س) : «أبي القاسم بن محمد بن أحمد... الخ».

قلت : تقدم من كلام ابن خلدون أنه جاء رسولا في شأن ابن الخطيب^(١) ، وذلك خلاف هذين التاريخين معاً ، فتأمل .

من تأليفه

وله رحمه الله بحث في مسألة الدعاء بعد الصلاة ، راجع فيه الرد على الشيخ الإمام أبي إسحاق الشاطبي ، حسناً نقله صاحب المقيار . ومن تأليفه رحمه الله : « كتاب الرقبة^(٢) الثلبيا ، في مسائل القضا والفتيا » في جزأين ، وهو كتاب ممتع إلى الغاية ، وقفت على الجزء الأول منه ، وقد ذكر في أثناءه أخباراً سلفه رحمه الله ، ولم أظف من أمره على غير ما ذكرته في هذا الموضوع . وقد قدّمنا أنه كان مع السلطان أبي عبد الله بن الأحمر المخلوع حين رجع إلى طلب ملكه من المغرب ؛ ورأيت لبعض المتأخرين وصفه بالقاضي الأجل ذي الوزارتين . والله أعلم .

[ابن زمرك]

سببه

وأما ابن زمرك فهو محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الصريحي ، أبو عبد الله ، ويعرف بابن زمرك . هكذا ذكر غير واحد من الحققين ، وسيأتى في كلام ابن الأحمر حذف « محمد » فيما بين « أحمد » و « يوسف » ، ولعله من باب النسبة إلى الجد ، والله أعلم .

قال ابن الخطيب في الإحاطة^(٣) : ولله هذا الفاضل بفرناطه ، ونشأ بها ،

(١) قدم لسان الدين بن الخطيب على السلطان عبد العزيز سنة ٧٧٣ ، وتوفي السلطان عبد العزيز سنة ٧٧٤ فيكون قدوم القاضي النباه على السلطان عبد العزيز في شأن ابن الخطيب فيما بين سنتي ٧٧٣ و ٧٧٤ (انظر أزهار الرياض ج ١ ص ٢١١ والاستقصا للسلاوي ص ١٣٢ ج ٢) .

(٢) كذا في الأصول . وفي بعض الفهارس : « للربة » .

(٣) ترجمة ابن زمرك في الإحاطة في الصفحات (٢٢١ — ٢٤٠) من الجزء الثاني . وقد عارضنا ما نقله القرى هنا على ترجمة الإحاطة ، فوجدناه قد تصرف في النقل بعض التصرف .

بعض ما كتبه
ابن الخطيب عنه
في الإحاطة

وهو من مفاخرها ، وكان صدراً من صدور طلبة الأندلس ، وأفراد نُجَبائِها ،
 مخفياً مقبولا ، هُشّاً خلوا ، عذب الفكاهة ، حُلوا المحالسة ، حسن التوقيع ،
 خفيف الروح ، عظيم الانطباع ، شَرِهَ المذاكرة ، فطناً بالمعاريض ، حاضر
 الجواب ، شَعْلَةٌ من شعل الذكاء ، تكاد تستخدم جوانبه ، كثير الرقة ، فكها
 غَزْلاً ، مع حياء وحشمة ، جواداً بما في يده ، مشاركاً لإخوانه ؛ نشأ عَمّاً
 طاهراً ، كلفاً بالقراءة ، عظيم الذُءُوب ، نقيب الذهن ، أصيل الحفظ ، ظاهر
 النبل ، بعيد مدى الإدراك ، جيد القهم ؛ اشهر فضله ، وذاع أَرْجِه ، وفشا
 خبره ، واضطلع بكثير من الأغراض ، وشارك في جملة من الفنون ، فأصبح
 متلقف كُرَّةِ البحث ، وصار يَخِ الحَقِيقَة ، وسابقَ الحَلِيقَة ، ومُطِلَّةَ السَّكَّال ؛ ثم
 ترقى في درج المعرفة والاطلاع ^(١) ، وخاض أُجَّةَ الحفظ ، وركضَ قَلَمَ ^(٢) التَّسْوِيدِ [٢٣٠]
 والتقييد والتعليق ، ونصب نفسه للناس متكلماً فوق الكرسي [المصوب] ^(٣) ،
 وبين الحَقْلِ المجموع ، مستظهِراً بالفنون التي بَعُدَ فيها شَأُوهُ ، من عَرَبِيَّةٍ وبيان ،
 وما تَقَدَّفَ به لُجَّةُ النُّقْلِ من أخبار وتفسير ، مُتَشَوِّفاً مع ذلك ^(٤) إلى السلوك ، مصاحباً
 للصوفية ، أخذاً نفسه بارتياض ومجاهدة ؛ ثم عانى الأدب ، فكان أَمَلِكَ به .
 ورحل في طلب العلم والازدياد ، فترقى إلى الكتابة عن ولد السلطان أمير السليين
 بالمغرب أبي سالم بن أبي الحسن ، وعُرف في بابهِ بالإجادة . ثم رجع مع السلطان
 ابن الأحمر في طلب ملكه ، فأنطى محلّه مه ، وخَصَّه بكتابة سرّه ، [وثابت

(١) كذا في الإحاطة . وفي الأصلين ونفع الطيب : « الاضطلاع » . وما أثبتناه
 أولاً بالسياق .

(٢) في الأصلين : « ركض في التَّسْوِيدِ » . وما أثبتناه عن الإحاطة ونفع الطيب .

(٣) هذه الكلمة عن نفع الطيب .

(٤) كذا في نفع الطيب والإحاطة . وفي الأصلين : « معها » .

الحلال ، ودالت الدولة ، وكانت له الطائفة ، فأقرمه على رسمه ^(١) ، معروف الانقطاع والصاغية ، كثير الدالة ، معطلما بالخطبة : خطأ ، وإنشاء ، ولسنا ، ونقدًا ؛ فحسن منابه ، واشتهر فضله ، وظهرت مشاركته ، وحسنت وساطته ، ووسيع الناس تحلقه ، وامتد في ميدان العظم والنثر ناعه ، فمدر عنه من المنظوم قصائد ^(٢) بعيدة الشأو في مدى الإجابة ، من الأغراض المتعددة ، من ميلاديات وغيرها ، وهو بحاله الموصوفة إلى الآن ، أعانه الله وسدده .

وأخذ العربية عن رُحَلَة الوقت ^(٣) في فنّها ، أبي عبد الله [بن الفخّار ؛ ثم على إمامها القاضي الشريف ، إمام القنون اللسانية ، أبي القاسم محمد بن أحمد الحسنّ ؛ والفقه والعربية على الأستاذ المفتي أبي سعيد بن أتب ؛ واختص بالفقيه المحدث الصدر أبي عبد الله] ^(٤) بن سرزوق ، روى عنه كثيرًا ؛ ولقي الحافظ القاضي أبا عبد الله المقرئ لما قدّم الأندلس رسولاً ، وذاكره ؛ وقرأ الأصول على أبي منصور الزّواوي ؛ وروى عن القاضي أبي البركات بن الحاج ، والمحدث أبي الحسين بن التلمساني ، والحطّيب ابن اللّوشى ، والمقرئ أبي عبد الله بن بيش ؛ وقرأ بعض القنون العقلية بفاش على الشريف الرُّحَلَة أبي عبد الله العاكبي ، [٢٣٦] التلمساني ، واحتص به اختصاصاً لم يخل فيه من استفادة ، وحسنه في الصناعة . وأما شعره فتراجم إلى نَمَط ^(٥) الإجابة ، خَفَاجِي ^(٦) البرّعة . كلف بالمعاني البديعة ، والأتماظ الصّغيرة . غرير السادسة

(١) ما بين القوسين زيادة عن مع الطيب والإضافة .

(٢) في الأساس : (تصديده) . وما أتداه عن فتح الطيب والإضافة

(٣) في الإضافة ومع الطيب : « العرب » .

(٤) ما بين القوسين ساقط في (ط) .

(٥) في الإضافة وفتح الطيب : « مدف »

(٦) نسبة إلى شاعر عربي الأندلس أبي إسحاق إبراهيم بن خفاجة أشهر وصافي الظبيعة

في الأدب العربي (٤٥٠ — ٥٣٣) هـ .

مولده في رابع عشر شوال عام ثلاثة وثلاثين وسبع مئة .

انتهى كلام ابن الخطيب

وأورد له ابن الخطيب فيما يرجع إلى الفخر قوله — قال ابن الخطيب :
ولقد صدق — :

شعره أورده
ابن الخطيب

ولا يمتنى في الجود والجودُ شيمتي^(١) جُبِيتَ على إيثارها^(٢) يومَ مَوْلَدِي
ذَرِينِي فلو أُنِي أَخْلَدَ بالغي لَكْتَ ضَيْقًا بالذي ملكْتَ يَدِي
وأورد له أيضًا قوله :

لقد عَلِمَ اللهُ أَنِّي أَمْرُو أَجْرُ ثَوْبٍ^(٣) الْعَافُ التَّشْيِيبُ
فَكَمْ غَمُّضُ الدَّهْرِ أَجْمَانُهُ وَفَازَتْ قِدَاحِي بِوَصْلِ الْحَبِيبِ
وَقِيلَ رَقِيبُكَ فِي غَفْلَةٍ قَلَّتْ أَخَافُ الْإِلَهَ الرَّقِيبِ
وله أيضًا رحمه الله :

مَالِي بِحَسْلِ الْمَسْوَى يَدَانِ مِنْ بَعْدِ مَا أَعُوَزَ التَّدَانِي
أَصْبَحْتُ أَشْكُو إِلَى^(٤) زَمَانٍ مَا بَثَّ مِنْهُ عَلَى أَمَانٍ
مَا بَالُ عَيْنِيكَ تَسْجُنَانِ وَالْذَمُّعُ يَرْفُضُ كَالْجُمَانِ
مَا ذَاكَ وَالْإِلْفُ عَمَكَ وَإِنْ وَالْبَعْدُ مِنْ بَعْدِهِ كَوَانِي ؟
يَا شِقْوَةَ النَّفْسِ ، مِنْ هَوَانٍ لَجَجْتُ^(٥) فِي أَعْمُرِ الْهَوَانِ

(١) في مع الطيب : « الأئمة » ... « شيعة » .

(٢) في ط والإسالة : « آثارها » .

(٣) في الإسالة ونفع الطيب : « ذيل » .

(٤) في رواية : « أشكوك من زمان » .

(٥) في الأصلين : « لجم » ، والتصويب عن « ليل الانتهاج بطرير الدباج » لأحد
ملا المتبكي .

لَمْ يَبْدُنِي عَنْ هَوَاكَ ثَانٍ يَا بُعِيَّةَ الْقَلْبِ قَدْ كَفَانِي
انتهى .

ثم أظلم الجو بينه وبين ابن الخطيب ، وتولى مكانه بعد فراره كما قدمناه ، وحظي عند ابن الأحرر حدا ، وبقي على ذلك مدة .

قلت : وقد رأيت بلسان كفاً موكباً^(١) من تأليف بعض سلاطينها بنى الأحرر ، وهو حفيد ابن الأحرر المخلوع ، سلطان الأندلس ، الذي كتب له ابن زسرك المذكور بعد ابن الخطيب ، أورد فيه كلام ابن زسرك ، وسماه : « التَّيْمَةُ وَالْمَذْكُورُ » ، من كلام ابن زسرك ، وهو سِرٌّ ضخم ، ليس فيه إلا نظمه فقط ؛ وذكر فيه أن ابن زسرك مات قتيلاً بعد التسعين وسبع مئة ، فكان ذلك الواقع له مساوياً لما وقع لابن الخطيب شيخه ، حسبما قدمناه .

ونصراً ما قُيِّدَتْ مِنْ ذَلِكَ الْكِتَابِ مِنْ أَوَّلِهِ :

«أما بعد ما يجب من حمد الله تعالى في كل حال ، وشكره على ما أُوِّلَ ويسر من صلاح الأحوال ؛ والصلوة والسلام على سيدنا محمد صفوة الأنبياء ، وسيد الأرسال^(٢) ، والرضا بتمن له من تحب وأنصار وآل ؛ فإن من المعلوم أن الأدب له بالنفس علاقة تؤديه إلى الاستحسان ، وتؤثر من أشهر به بالملاحظة بلحظ الخط مع تعاقب الأحيان ؛ ولا حفاء أن أيام مولانا الجدل المقدس ، الثقي بالله ، تولاه الله برضوانه ، كانت غرراً في وجوه الأيام ، ومواسم تجمع العلم والزم^(٣)»

(١) النسبة إلى الملوك : « ملوكي » ينتج اليتم واللام ، وشاع على أقلام بعض الفصحاء كالجاحظ « ملوكي » ، وأمله لفرق بين النسبة إلى الملك (بكسر اللام) والملك (بضمها) .

(٢) نهياً في الجزء الأول في أكثر من موضع على أن العبارة يستعملون « الأرسال » هما لرسول ، ولم يرد السماع بذلك .

(٣) العلم والزم : كناية عن العدد الكثير .

من الرؤساء الأعلام ؛ الآخذين بأعنة الكلام ، السابقين في حلبة النثار والنظام ؛ وأن القتيه الرئيس المذكر ، الناظم النائر أبا عبد الله محمد بن يوسف ابن زمرك ؛ عفا الله عنه — وحسبك عن ارتضاء مولانا [الجلد]^(١) رحمه الله لكتابته ، وصرفه في الوجوه المتعددة من رسالته وحجابه ؛ فكان بذلك خليقاً ، لما جمع فيه من أدوات السكال علماً وتحقيقاً ؛ وإدراكاً ونملاً ، وقها^(٢) وأصولاً ، وفروعاً وأدباً وتحصيلاً ، وبياناً وتفسيراً ونظماً وترسيلاً — إماماً^(٣) كان قد أحقت الأيام سنى صبحه^(٤) ، وخات رسائل نصحه ، وعادت يبدوانها بعد فوز قدحه ؛ وعتر بين أقدام أقوام لا يعرفون أى ذكر فقدوا ، ولا أى مطلق من تصرفاته الجيلة قيّدا ؛ مستبصرين لالجل في دياجي غيهم ، مُعجّبين بما ارتكبه من جياذ كبهم ؛ جميعهم يلحظه عقل داميه ، وأفاظ حاميه ؛ يصاحبونه بأوجه خلّت عن الإجابة ، سبها احسد ، وضيرها السخط عما قدره الواحد الصمد .

[^(٥) فخر على الألاء لم يُرشد كأن حبيته سيف صليل^(٦)
 فيألفه من أشلاء هنالك صائفة ، وأعلاق غير مصوبة ، ووسائل مخفورة ؛
 وأذمة قطعت أرحامها ، ولم يُرع دمامها ؛ وعانت الأبدى الفاتكة حينئذ على
 بفيه ، وارتكبوها شتاء في أهله وذويه]^(٥)

(١) هذه السكبة عن نفع الطيب .

(٢) كذا في (س ، م) ، ونفع الطيب . والذي في (ط) : « وهما » .

(٣) خير لفوله : « وأن القتيه الرئيس المذكر ... » .

(٤) كذا في س ونفع الطيب . وفي ت : « من » .

(٥) ما بين التوسين زيادة عن نفع الطيب و (س) .

(٦) البيت لآل عتبة الشبي ، من مقطوعة له في رثاء نظام بن قيس . قال التبريزي في شرح الحماسة : « خير : سقط . والألاء : شجرة . لم يوسد ، يستعملونه كثيراً في القتيل ، وليس بعيد ، لأن القتلى يحضهم يوسد . وشبه حبيته ، لصفاته وانحسار الشعر عنه ، سيف مصقول ، أى لم يكن أغم ؛ والقدم عدم مضموم » .

هل كان إلا حياءَ تحيا العبادُ به
هل كان إلا قَدَى في عين ذى عَوْدِ
إن قال قولا تَرَى الأَصَارَ خاشعَةً
لِمَا يُخَفِّرُ مِنْ وَخِي وَمِنْ أَثَرِ
يَا لَهْفٍ نَفْسِي لَوْ قَدْ كُنْتُ حَاضِرَهُ
غَدَاةَ جُرْعِهِ أَدْهَى مِنَ الصَّيْرِ
أَمَّا تَرَكْتُ لَهُ شَيْئاً لَوْ عَضِيغُهُ
وَلَا تَوْنِي صَرِيحَ النَّسَابِ وَالظُّفْرِ
«وكان ما كان مما لست أذكره فظن حياءً ولا تسأل عن الخير»^(١)

وإن سأل سائل عن الخير الذي ألعنا بذكره، وصَفْنَا هذا البيت ذَرَوًا^(٢) من
فطِيع أَمْرٍ ؛ فذلك عند ما نَسَبَ صاحب الأَمْرِ إليه ما راب ، وتَلَهَّ وأبنيه^(٣)

للجبن مَعْفَرِينَ بالتراب : وصَدَمَهُ في جُنْحِ اللَّيْلِ والصَّحْفِ بين يديه بتوسَّل
بآبائه ، وبشَمْعِ بَعْظِمِ بَرَكَاتِهِ : فأَخَذَهُ السَّيْفُ ، وتعاوَرَتِ العُتُوفُ ؛ وأَذْهَبَهُ
سَلْبِيًا قَتِيلًا ، مُصَيِّرًا مِصْرَاعَ مَنْزِلِهِ كَثِيبًا مَهِيلًا ، وكنا على بُعْدٍ من هذه الآزفة
التي أَوْرَثَتِ القُلُوبَ شَجَنًا طَوِيلًا ؛ وَذَكَرْنَا بِعُنَايَةِ مَوْلَانَا [الجذ] ^(٤) النَّفْيَ بِاللَّهِ
بِحِجَابِهِ أَعْظَمَ ذِكْرِي ، فَأَعْرَضْنَا رِثَاءَهُ خَلَاً وَفَكْرًا ؛ وَارْتَجَلْنَا عِنْدَ ذِكْرِهِ الْآنَ
هذه الأبيات إشارة مُقْنَعَةٍ ، وَكُنَايَةً فِي السَّلْوَانِ مُطْمَئِنَةٍ ؛ وَأَرْضَيْنَا بِالشَّفَقَةِ أَوْدَانَهُ ،
وَأَرْغَمْنَا تَابِئَتَهُ أَعْدَاءَهُ . ولَمَّا تَبَلَّغَ الصَّبِيحُ لَنِي عَيْنِينَ ، وَتَلَقَيْنَا رَايَةَ الْقَرَجِ
بِالرَّاحَتَيْنِ ؛ عَطَلْنَاهُ عَلَى أَهْنَائِهِ عَوَاطِفَ الشَّفَقَةِ ، وَأَطْلَقْنَاهُ لِمَا عَالَتْ الْأَيْدِي
عَلَيْهِ ^(٥) صَلَوةً لِرَحْمِ طَالِمِ أَضَاعَهَا مِنْ جَهْلِ الْأَذْمَةِ ، وَأَخْمَرَعَهُ دَنَاحُهُ ^(٦) لِمَنْ سَلَفَ
مِنَ الْأَنْعَمِ ؛ وَصَرَفْنَا لِلْبَحْثِ وَالتَّفَتُّيشِ وَجْوهَ آمَالِنَا ، وَجَعَلْنَا ضَرْبَ مَانِثَرَةٍ الْحَوَادِثِ

(١) هذا البيت من مطرعة لعبد الله بن المعتز .

(٢) ذروا : طرفا من القول . وفي الأصلين ومع الطيب : «درا» . وظاهر أنه
عمرى عما أهنأناه .

(٣) هذه السكامة عن (م) ونجح الطيب .

(٤) هذه السكامة عن ومع الطيب .

(٥) السموع : عالت به .

(٦) يريد يتقدمه : خدمته . والسموع من هذا : تخدمت خادماً : إذ أخذته .

من منظوماته من أكيد أعمالنا ؛ وكان تعلقاً محظوظاً جملة وافرة من كلامه ، مشتملة على مارق وحسن من ثثاره ونظامه ؛ فأضفنا ذلك إلى ما وقع عليه اجتهدنا من رقاعه ، الحائلة المنتهية بأيدي الثواب ، الدائرة للسئلة بتعدى الثواب ؛ فنخلص من الجملة قلاند عقيان ، وعقود دُرٍّ ومرجان ؛ تراج النفوس [٢٣٩] النفيسة لإنشادها ، ونحسد الأبصار الأسماع عند إيرادها ؛ إلى ما يتخللها من تخليد مآثر سلفنا ، والإنشاده بعظيم مثلكنا ؛ فشرعنا في تقييد أوابدها الشاردة ، وإحياء رسومها البائدة ؛ كلّفنا بالأدب : لوضوح فصله . وتأدية لما يجب من رعاية أهله . ولنبداً بالتعريف بحال هذا الرئيس المنبّه عليه ، ونظهر ما كنا نضمّره من الليل إليه ، في كل ماله أو عليه ، فنقول :

هو الفقيه الكاتب ، الفذّ الأوحد . أبو عبد الله ، محمد بن يوسف بن محمد ابن أحمد بن يوسف الصريحي ، ويعرف بابن زمرك ؛ أصله من شرق الأندلس ، وسكن سلفه بالبيّازين من غرناطة ، وسها ولد ؛ فنشأ ضئيلاً كاشّهاب يتوقّد ، مختصر الحرم والأعين باطالة فواضله تشهد ، ومُكْتَبٌ ^(١) الفضة القرآنية يؤثّره بالجناب المهدّ ، فاشتغل أول نشأته بطلب العلم ، والدأب على القراءة ، وأخذ نفسه بتلازمة حَلَقَاتِ التدريس ، ولم يبلغ حد وجوب المترضات إلا وهو متحمل الرواية ، وملتمس لعوائد الدراية ؛ مُصَابِحٌ كل يوم أعلام العلوم ، ومستهد بمصابيح الحدود العلمية والرُسُوم . فافتتح أبواب الكتب النحوية بالإمام أبي عبد الله ابن القفّار ، الآية الكبرى في فن العربية ، وتردّد الأعوام العديدة إلى قاضي الجماعة أبي القاسم الشريف ؛ فأحسن الإصفا ، وبَدَّ الشّجاعة البُلغا ، بما أوجب رئاه عند الوقوف على ضريحه بالقصيدة الفريدة ، التي أولها :

(١) للكتب التي يعلم الصبيان الكتابة . قال الحسن البصري : وكان الحجاج سكباً بالطلب ، أي معلماً . (عن تاج العروس) .

« أغرى سرة الحى بالإطراق »

[٢٤٠] حسبما تأتى مستوعدة إن شاء الله تعالى . واحتدى في طريق الخطبة ومناهج الصوفية ، بالخطيب المعظم أبى عبد الله بن مرزوق ، الوافد على مولانا الجد أبى الحجاج رضى الله تعالى عنه فى عام ثلاثة وخمسين وسبع مئة ، وإليه جنح ، وإياه قصد ، عند تفرغه إلى المغرب ، فى دولة السلطان أبى سالم ، فتوجه بالعمامة التى ارتجل بين يديه فيها :

تَوَجَّهْتُ تَاجَ الْكِرَامَةِ

وَرَوَّضَ حَمْدَكَ بِرُحَى مَنَى بِسَجِّ الْحَمَامَةِ .

وأخذ علمُ الأصليون عن الحافظ الناقد أبى على منصور الزواوى ، وبرع فى الأدب ، أثناء الانقطاع وأول الطلب لأبى عبد الله بن الخطيب ، ولكن لم يُحمد بينهما المسأل . واقتدى فى العلوم العقلية بالشرىف أبى عبد الله التلّسانى ، فُدوة الزمان : وحصلت له الإجازة والتحديث بقاضى الجماعة ، وشيخ الجملة ، أبى البركات بن الحاج ، وبالخطيب البليغ أبى عبد الله اللوشى ، وبالخطيب الورع أبى عبد الله بن بيش العبدى ، رضى الله عن جميعهم . وبواجب محافظتنا على عهدهم ، إذ نحن واردون بالإجازة التامة عذب وزدحم ، وصل سبينا بهم الكثير من شيوخنا ، مثل الإمام المعظم أبى محمد عبد الله بن جُرَئى ، ومعقنا الثقة المحدث أبى عبد الله الشرىشى ، والقاضى الإمام أبى عبد الله محمد بن على بن عَلاقى ، وغيرهم رحمة الله عليهم . لذلك صار صدرا فى وادى طلبة الأندلس ، وأفراد نجيباتها ؛ فاشاء المحاسير بمجده فى خضله ^(١) ، ويتلقاه من باهر فضله ؛ فكاهة ومجالسة أنيقة بمنمه ، ومحادثة أريضة مزهره . وجوامعا مُطعِّقا المُفَصِّل ^(٢) ، وذمنا

(١) الحقل : الدر واللؤلؤ ، يشبه بها كلامه .

(٢) فى تلح الطيب : « شائبا لمفصل » .

سابقاً لإيضاح المشكل ؛ مع اتقياد الطبع ، وإرسال الدفعة ، في سبيل الحشوع [٢٤٩] والرقه ، ورشح الجبين عند تلقى الموعظة ، وصون الوجه مجلباب الحياء ، ومقاومة الناظر إليه بالاحتشام ، والمداورة الاستدعاء ، على طهارة ، وبذل وسع ، وكرم نفس ، لم يمهّد أجمل مشاركة منه لإخوانه ، ولا أمتع منه بحاهه ، إلى مبالغة في الهشّة والمبرّة والإيثار بما مُنح ، وجُمُوح إلى حبّ الصالحين ، ذلك بالانضواء إلى شيخ الترقّ الصوفية ، الوليّ أبي جعفر بن الزيّات ، وأخيه الفاضل الناسك سيّده أبي مهدى ، قدس الله مقناه ، وسواهما من أهل الأندلس والمقدّوة ، وتحمّله أشدّ الجمل على كل مُتقلّب^(١) كأبي زكرياء البرغوثيّ وسواه .

ومن تنديداته — زعموا — على أبي الحسن الخروقي لمثله عنه :
وَلَدُ الْفَقْرِ^(٢) وَالزَّهْلُ وَلَسَكُنْ نَفْسُهُ لِلدَّيْكَ ذَاتُ الْفَقْرِ
وَحَطَبُ الْأَدَبِ يَأْخُذُ كِبَالَهُ ، وَحَازَ عِلْمَهُ إِدْرَاكَاً وَنَبِيلاً .

ولما كانت الحادثة على مولانا الجد رحمه الله ، واجتاز إلى المغرب ، كما نقرر في غير هذا ، كلّف به ، وأُنس إليه ، لحسلاوة منطلق ، ورفّع استيحاء ، وسُراوطة خُلِقَ ؛ ثم كَرَّ في حمية رُكابه . فعلت منزلة ، وتُظف بحله .

وقعنا على رقعة من رقاعه وهو يبدئ فيها ويعيد ، ويقول : « خدمته سبعا وثلاثين سنة ، ثلاثة بالمغرب ، وباقيها بالأندلس ، أنشدته فيها ستا وستين قصيدة ، في ستة وستين عيداً ، وكل ما في منازل السعيدة ، من القصور والرياض والدمشاق^(٣) والسبيكة ، من نظم رائق ، ومدح فائق ، في القباب والطاقت والطُرز^(٤) وغير

(١) القنيس : الذي يظهر الشك والعبادة . ويطن المش والساد (عن مع الطيب ج ٣ ص ٢٨٧ — أزهري) .

(٢) في المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية (رقم ٣٦٠) : « ولد الثمر » .

(٣) الدمشاق : يريد به الدسكرة ، وهي في معنى الضيقة .

(٤) الطُرز : جمع طراز ، وهي الثياب تسمى لسلطان ، أو من الدور تصنع فيها الثياب .

[٢١٢] ذلك [فهو] ^(١)، وكنت أؤاكله وأؤاكل ابنه مولاي أبا الحجاج وها كبيراً
ملوك أهل الأرض، وهنأته بكنا وكذا قصيدة، وفوض لي في عقد الصلح بين
الملوك بالعدوتين، وصلح النصارى عقدته تسع مرات، الخسنة ^(٢) فوض إلى ذلك ؟
قلنا : صدق في جميع ما ذكره ، والعقود بذلك شاهدة له .

وخصه عام ثلاثة وسبعين بكتابة سره ، واستعمله بعد أعوام في السفارة بينه
وبين ملوك عصره ؛ فحُيد منابه ، ونمت أحواله . وزعد جنابه . وكان هنالك
بعض نقولات تشين وجه اجتهاده ، وثمى بما احتقيه من سوء مقاصده ، وما صرفه
من قبيح أغراضه ، وهاجت الفتنة ، فكانت سفارته أعظم أسبابها . وعند
الاشتد من محرمه عرضت لأفكاره تقلبات ، وأقعدته عن قِداح السياسة آفات
مختلفات ، وأشقرته حدة ذهنه أنه متخبط في أشراك وتقات ^(٣) ؛ فعمد بجامع مائة ،
ثم بسجد الحمراء ، ملقياً على السكينة قلوبنا جملة ، وعلوما لم يزل يطلقها عن
أولياء التنظيم والتجدة ؛ فأنحاز إلى مادة أم بمالقة طامتهم البحر ، وتراوى لأبصارهم
وبصائرهم الفخر ؛ وكان التفسير أغلب عليه لقرط ذكائه ، وما [كان] قيده
وحصله أيام قراءته [وإقراءه] ؛ فاشتت من بيان ، وإحراز قرآن ؛ وآيات توحيد
وإخلاص ، ومناهج صوفية تؤذن بالإخلاص ، يوم الأخذ بالنواص . ومراراً
عدة سمع ما يليقه وفي الأمر ، وباشدة البلوى التي أذاقه مرزها ، وأعطاه إلى
طية الهلاك ظهرها ؛ وبأقرب ما كان القوت ، والخسام الصلت ، من تباعد
هذه القرب التي ألفت ^(٤) .

(١) هذه التلمحة عن نفع الطيب .

(٢) في الأصلين : « الحنة » والنصوب عن مع الطيب .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « توقات » . ومؤدى المارين مختلف .

(٤) في س ، و مع الطيب : « من تباعد هذه القرب التي ألفت » . وفي العبارة غموض .

قلنا : لقد سمع جواد القلم ، فأطلقنا ^(١) ونحن نشير إلى هذا الرئيس وتبذل طباعه ، بعد انقضاء أعوام شاهدة باضطلاعهم ؛ وإحراز شيم أدت إلى علو مقداره ، واستقامة مداره ؛ فأل تحرمولانا جدينا إلى النفاذ ، ورمت رئيس كتابه هذا أسهم ^[٢٤٣] الحشاد ؛ فظهر الخفي ، وسقط به الليل على سرحان ^(٢) قد طلما جرب الرقى والحقى .

وكان من شأنه الاستخفاف بأولياء الأمر من حُجَّاب الدولة ، والاسترسال في الرد عليهم بالطبع والجله ^(٣) مع الاستغراق في غمار القتن أندلساً وغرباً ، وسراعاة حظوظ نفسه استيلاء وغصباً ؛ أما الجرامة فانتضى سيوفها ، وأما إكفاه السماء على الأرض فتواصم نوع صنوفها ^(٤) ، وأما المجاهدة فوقف بميدان الاعتراض صفوفها ، وأما الجمالة فنسكر معروفها . أذاه هذا السبا العظيم إلى سكتى العتقل بقضية الترية ، وعلى الأثر كان الفرج قريباً ، وسطور اللوادة قد أوسمها العموم تضريراً . ونالته هذه الحنة عند وفاة مولانا الجلد المعنى بالله — وكانت وفاته غرة شهر صفر عام ثلاثة وتسعين مئة ^(٥) — لأسباب يطول شرحها ، أظهرها شراسة ^(٦) في لسانه ، واعتزاز ^(٧) بمكانه ، وتضريب بين خذاء السلطان وأعوانه ، فكسا ^(٨)

(١) كذا في الأصول ونهج الطيب المطبوع والمخطوط ، ولعله يريد : « ما ملنا » . أو : « فأطلقنا له الدنان » .

(٢) هذا مثل ، قال المبدائي : « سقط به العشاء على سرحان » قال أبو عبيد : وأصله أن رجلاً خرج يتكلس العشاء ، فوقع على دلبه أسكبه — يصرب في طلب الحاجة يؤدي صاحبها إلى التلب .

(٣) كذا في من نهج الطيب . والذي في ط : « الجله » . وهو تحريف .

(٤) كذا في ط ، ونهج الطيب . وفي من : « فرع جنومها »

(٥) إلى هنا ينتهي ما أورده نسخة (س) من الروضة الأولى ، وسقطت منها بقيتها . (٦) في ط : « شواعة » . وما أثبتناه عن النسخة المخطوطة من نهج الطيب الموهوطة بدار الكتب المصرية (برقم ٣٦٠ تاريخ) .

(٧) في نهج الطيب : « والاعتزاز » .

(٨) في ط : « فكسا » . وما أثبتناه عن نهج الطيب .

للدين وللم ، إلى أن من الله بسرائحه ، وأعادته إلى الحضرة في أول شهر رمضان
المعظم عام أربعة وتسعين وسبع مئة ، فكان ما كان من وفاة مولانا عبد الله رحمه الله ،
وقيام^(١) أخينا [محمد] مقامه الأمر ، فاستمر الحال أياماً قلائل ، وقدم للكتابة العتيقة
ابن عاصم لمدة من عام ، ثم أعاد الذكور إلى خطه ، وقد دمت^(٢) بعض أحلافه ،
ومحدث سراسته^(٣) . وحلا بعض مذاقه ، فما كان إلا كلاً ولأيت^(٤) ، وإذاه قدسا ،
مشهداً وغيباً ، وأوسع الضائير شكاً وريراً : وغلبت الإحن عليه . وتغلت مراجعها
لهبه^(٥) : وحار ينقلب على^(٦) بحر الغنى ، ويتبرم بالقصا : ويظهر النصح وفي
طيه التشفي^(٧) ، ويبرم نفسه بالصالح ، ويعلم بالخشوع ، ويشير بأنه الناصح
الأمين ، ويتلو قول الله سبحانه : « ولكن لا تحبون الناصحين » . ورثب على [٢٤٤]
المشتغلين كبيرهم وصغيرهم ذنباً لم يقر فوها ، ونسب إليهم نسباً من التصنيع
لم يعرفوها : وأنهم احتجوا الأموال ، وأساءوا الأعمال^(٨) ، والأقوال : فلم يقر
من ذلك بكبير طائل ، ولا حصل — على تفاوت أعداده — على حاصل : هذا على قلة
معرفة بذلك الطريقة الاستغالية ، وعدم اصطلاحه^(٩) بالأمور [الجبائية]^(١٠) ؛
فن نفس يروّج ميربها ، ويكدر^(١١) بالامتحان والامتحان ميربها : ومن صارعة

(١) كذا في نسخ الطيب . وفي ط : « مقام » .

(٢) في ط : « صيت » . وما أثبتناه عن نسخ الطيب .

(٣) كذا في نسخ الطيب . وفي ط : « سراسته » .

(٤) كذا في الأصل . ويقال : ما كان إلا كلاً ولا : كتابة عن الرمز القليل .

(انظر لسان العرب)

(٥) في ط : « وغلبت من أحلافها عليه » . والنصوب عن نسخ الطيب .

(٦) في ط : « إلى » . وما أثبتناه عن نسخ الطيب .

(٧) في ط : « في طية التشفي » . والنصوب عن نسخ الطيب .

(٨) في ط : « الأجل » . والنصوب عن نسخ الطيب .

(٩) في ط : « اصطلاحه » . وما أثبتناه عن نسخ الطيب .

(١٠) التكلفة عن نسخ الطيب .

(١١) في ط : « ولا يكر » . والنصوب عن نسخ الطيب .

خاشعة لله سَلَّيْتُ، وطُوْلَيْتُ بغير ما اكتسبت، وتعدت الأيدي إلى أقوام جَلَّة سَعِدُوا بِشِقَائِهِ، وامْتَحِنُوا وهم المُتَبَرِّحُونَ من تزويره واعتدائه، وسَبَّأَلُون، يوم لا يُغْنِي مال ولا بنون؛ وصار يصرف أغراضه، ويظهر أحقادَه، بين إفصاح بما كان الإحجام خيراً من إلقائه، وأن عُرُ المسكين المستضعف لا حاجة في طول بقاءه؛ إلى مجاهرة عهد منه أيام شَبِيهَتَه نَقِيضُهَا، وانعكس في شاخته ^(١) نصر بها المُتَنَفِّص وتبريضا؛ لا يريح نفسه من جهد، ولا يقف من اللجاجة عند حد. وقد كان ثقل سمعه، فسادت إجابته ^(٢)، وطلعت أخلاقه، فسم الناس وساطته، وربما استخلف؛ فلم يكن بين اللازمة واللازمة ^(٣) إلا الحث عن فصد وغير قصد، ودعا على نفسه وأبنائه بأنجاز وعد، وأن يُقَيِّض ^(٤) الله له ولم قاتل عُمد. فسبحان القاهر فوق عباده، الرحيم بهذا الشخص وبالأموال من شيعته وأولاده.

فاستمر على ذلك إلى إحدى الليالي، فهلك [في جَنَح الليل] ^(٥) في جوف داره، على يدي مخدومه؛ تلقاه — زعموا — عند الدخول عليه، وهو بالمصحف رافع به يديه؛ فَجَدَلَتْهُ ^(٦) السيوف، وتناولته العُتُوف؛ فَنُقِضَ عليه، وعلى من وُجِد من خدامه وابنيه؛ كل ذلك بمرأى عين من أهله وبناته، ولم يتقوا الله فيه حتى نَزَّتْ؛ فكانت أنكى الفجائع، وأفظع الوقائع؛ وسادت القالة، وعظُم ^(٧) المصائب، وكل شيء إلى أجل نافذ وكتاب ^(٨).

- (١) كذا بالأصل ونفع الطيب، ولا معنى لها. ولعله يريد شيفوخته.
- (٢) أخذ من المثل العربي: «أساء سمعا فأساء جابة». والحاية: اسم بمعنى الإجابة.
- (٣) اللازمة: المراد بها هنا اليقين التي يمنع انعكاسها عما عقدت عليه. وفي ط: «اللازمة». وما أثبتناه عن نفع الطيب.
- (٤) في ط: «يكيف»، والتصويب عن نفع الطيب.
- (٥) التكهة عن نفع الطيب.
- (٦) في ط: «جندله». والتصويب عن نفع الطيب وكتب الفة.
- (٧) قال المؤلف في النعم: «وقد فهم من مضمون ما سبق أن قتل ابن زمرك بعد طم حجة وتعمين وسبع مئة».

ولما تلخّصت هذه المقدمة بين يدي نظامه ، وتم جميع ما أبرزه البحث والاجتهاد من خير كلامه ؛ احتزنا له اسماً يوافقه ، ويوضح مشارفه ، وهو « البَيِّنَةُ والدَّرَكُ » ، من شعر ابن زمرَك^(١) . أما البقية فلما بقي بعد هلاكه ، وتخطته الحوادث وشَحَّ الدهر بإسساكه ؛ والدَّرَكُ : لأجل ما تَرَكَ في مُبَيَّناته ، ولم يخرج به في حياته . وها نحنُ نُنظِّمُ^(٢) درره الرائقة ، ونطلع في مراتب التأليف كل شارقة . فمن ذلك قوله في ذكر الحُفْرَةِ^(٣) العلية ، وتهنئة مولاه الجدرحة الله عليه

ببعض المواسم العيديه ؛ ووصف كرامته من جباهه ، وآثار ملكه وجهاده :

يا من يَحْنُ إلى نجد وناديهَا غَرَاطَةُ قَدْ ثَوَّتْ نَجْدُ بَوَادِيهَا
قِفْ بِالسَّيِّكَةِ وانظُرْ ما بِساحتِهَا عَقِيلَةُ وَالسَّكَّيْبُ الْقَرْدُ جَالِيهَا
تَقَلَّبْتَ بِوِشَاحِ النَّهْرِ وابْتَسَمْتَ أَزْهَارُهَا وَفِي حَتْلَى فِي تَرَاقِيهَا
وَأَعْيَبَ التَّرْجَسَ لِلطَّلُولِ يَانِعَةً تَرَفَّرَقَ الطَّلُّ دَمْعاً فِي مَا قِيهَا
وَاغْتَرَّ نَفَرٌ أَفْلَحَ مِنْ أَزْهَارِهَا مُتَبَلِّلاً حَسَدٌ وَرَدَّ مِنْ نَوَاحِيهَا
[كَأَنَّمَا الزَّمَرُ فِي حَافَاتِهَا سَحَرًا دَرَاهِمُ وَالنَّسِيمُ اللَّذْنُ يَجْبِيهَا]^(٤)
وانظر إلى الدُّوْحِ وَالْأَنْهَارُ تَسْكُنُهَا [مِثْلُ النَّدَايِ سَوَاقِيهَا]^(٥) سَوَاقِيهَا
كَمْ حَوْلَهَا مِنْ بُدُورٍ تَجْتَنِي زَهْرًا^(٦) فَتَحْسِبُ الزَّمَرَ قَدْ قَبِلْنَ أَيْدِيهَا
حَصْبَاؤُهَا أَثْلُو قَدْ شَفَّ جَوْهَرُهَا وَالتَّهَرُّ قَدْ سَالَ دَوْبًا مِنْ لَأْبِيهَا

(١) في بعض مواضع من ط : « البقية والدرك الظاهر من شعر ابن زمرَك » . ولعل

كلمة : « الظاهر » زيادة من التاسع .

(٢) كذا في م ، وفي ط : « سأتحف بنظم »

(٣) يريد غرناطة .

(٤) هذا البيت عن نفع الطيب .

(٥) التكهلة عن نفع الطيب .

(٦) في ط : « وحولها من رهور تجتنى نهراً » والتصويب عن نفع الطيب .

[نهر المنجم^(١)] والزهر الطيف به
يزيد حسناً على نهر^(٢) المجرة قد
بدعى المنجم رائيه وناظره^(٣)
إن الحجاز مغانيه^(٤) بأدلس
فتلك نجد سقاها كل منجم
[وبارق وعذيب كل ملتئم^(٥)]
وإن أردت ترى وادي العقيق فرد
ولست بكة تاج فوق مفرقا
كان حراءها والله يسكوها
إن البذور انيجان مسكاة
لكم حسدت تاج السبيكة إذ
بروجها لبروج الأفق مخجلة
تلك القصور التي اراقت مظاهرها
لله عيننا من رأى سحرا
والصبح في الشرق قد لاحت بشاره
تهوى إلى الغرب لما هالما^(٦) سحر
زهر النجوم إذا ما شئت تشبها
أغناه ذو حباب عن درارها
مسميات أنانتها أسامها
أماؤها طابقت منها معانها
[من الغمام يعيها فيحيها^(٧)]
من الثغور يحلبها محلبها
دموع غشاقها حمر جوارها
ورد ذو الدارى لو تحلبها
ياقوتة فوق ذلك التاج يعلبها
جواهر الشهب في أبيى مجالها^(٨) [٢١٦]
رأت أزاهره زهراً يحلبها
فشهبها في جمال لانضائها
تهوى النجوم قصوراً عن معالمها
تلك المارة قد رقت حواشها
والشهب تستن^(٩) سقاً وتحاربها
وغصن العنبر من أشعان واشبها

(١) التكلة عن نبع الطيب .

(٢) في ط : « زهر » . والنصبوب عن نبع الطيب

(٣) في ط : « نظر » . وما أنشأه عن نبع الطيب .

(٤) في ط : « معاليه » . والنصبوب عن نبع الطيب .

(٥) في ط : « حواهر الشهب تحلى من مجالها » . والنصبوب عن نبع الطيب .

(٦) في ط : « يستر » والنصبوب عن نبع الطيب . و « تستن » : تعدو .

(٧) في نبع الطيب : « عافا » .

وساجعُ العودِ في كفِّ التَّدِيمِ إذا ما استوقفتُ^(١) ساجعاتُ الطيرِ بغيرِها
 يُبْدِي أَفَانِينَ^(٢) سِجَرٍ في تَرْنَمِهِ يُضِيّ العقولَ بها حسناً وَيَسْبِيها
 يَجْشُهُ نَاعَمُ الْأَطْرَافِ تحسبها لَأَنَّا وَهِيَ نُورٌ في تَلَالِيها^(٣)
 مُقَاتِلٌ يِلْحَظُ قَوْسُ حَاجِبِها تَرى القلوبَ بها عِمداً فَتُصَمِّمها
 فباكَرَ الرُّوضِ والأَغصَانِ مائِلةً يَنْثُنِي النِّفَوسَ لها شَوْقاً تَنْفِثها
 لم يَرْفُصْ الدَّوْحُ بالأَكْلامِ من طَرَفٍ حَتَّى شَدَّ من قِيَانِ الطَّيْرِ شَادِبِها
 وَأَمْسَمَتْ فُنُونُ السَّحَرِ مُبَدِّعةً وَرُقُ الحِمَامِ وَغَنَّاها مَغْنِيا
 غَرَاطِلُ آتَسِ الرِّجَنِ سَاكِمها بَاحَتْ بِسَرِّ مَعَانِها أَغْنِيا
 أَعْدَى نَسِيمُهُمْ أَطْفَا نَفْسَهُمْ فَرَقَّةَ الطَّيْعِ طَبِيعَ مَنْهٍ يُعْدِبها
 عِلْدَ اللَّهِ أَيَّامَ العَمُورِ بها صُفْراً عَشِيَّتُها بَيْضاً لِيَالِها
 وَرَوْسُ الحُلِّ مِهَا كُلُّ مَنْجِسٍ إِذَا اشْتَكَّتْ بَغْلِيلُ الجَدْبِ^(٤) يَرْوِها
 يَحْكِي^(٥) الخَلِيقَةَ كَفّاً وَكَلَاماً كَفَتْ تَالِجُودَ فَوْقَ مَوَاتِ الأَرْضِ يُحْيِها
 تُغْنِي الفَنَاءَ وَقَدْ أُمْتُ مَكَارِمَ عَنِ السُّؤَالِ وبِالإِحْسَانِ تُغْنِها
 لها نَدَانٌ مَا غِيثٌ بِسَاجِلِها جُرْداً وَلَا سَخْبُهُ يَوْمَا تَدَانِها
 فَإِنْ نَصَبَ سَخْبُهُ بِالسَّاءِ حِينَ نَحَتْ بِمُسْجَدٍ وَلُجْبٍ صَابِ هَامِها
 بِأَيِّهَا العَيْثُ أَنْتِ العَوْثُ في زَمَنِ مَلُوكِهِ تَلْتَلِثُ لَوْلَا تَلَاظِمُها
 إِنْ الرِّعَايَا جَزَاكَ اللَّهُ صَالِحَةً مَلَكْتَ شَرْقاً وَغَرْباً مِنْ بَرَايِها

(١) في نفع الطيب : « ما استوقفت الطير يديها وبغيرها »

(٢) في ط : « بين الأفانين » . وما أفتتناه عن نفع الطيب .

(٣) في ط : « يحسبها » ... « في تجليها » وما أفتتناه عن نفع الطيب .

(٤) في ط : « بغليل الحري » . والنصوب عن نفع الطيب .

(٥) في ط : « على » . والنصوب عن نفع الطيب .

إن الخلاق في الأقطار أجمعها سوامهم أنت في التحقيق راعيا^(١)
 فكل مصلحة للخلق تحككها وكل صالحة في الدين تنويها
 إذا تيمت أرضاً وهي مجدية فرحة الله بالشفيا تحيها
 يارحمة بقت الزمعي باندلس لولاك زلزلت الدنيا بمن فيها [٢١٧]
 في فضل جودك قد عاشت مشيختها في ظل أمئك قد نامت ذرارها
 في طول عرك يرجو الله أملها بنصر ملكك يدعو الله داعها
 عوائد الله قد عودت أفنلها لتبلغ الخلق ما شاءت أمانها
 سلّ السعد وخلّ البيض مغمدة واضرب بها غربة^(٢) التلث تقرها
 لله أيامك القرّ التي اطردت فيها السعد بما رضى ورضها
 لله دولتك الغراء إن لها لكافلاً من إله العرش يكتنها
 هبات أن تبلغ الأعداء مأزبة في جبرها وجنود الله تحمها
 هذى سيوفك في الأجفان نائمة^(٣) والمشركون سيوف الله تقنها
 سريرة لك في الإخلاص قد عرفت خسن عواقبها حتى أعادها
 لم تحتجب شهب الأفاق عن بصر^(٤) إلا وهديك للأبصار يهديها
 يابن الملوك وأبناء الملوك إذا تدعو الملوك إلى طوع تكليها
 أبناها نصر ملوك عز نصرهم وأوسعوا الخلق تنويها^(٥) وترفيها

(١) في ط : « نائم » واعيا . والتصويب عن نفع الطيب للخطوط .

(٢) في ط : « فرقة » . وما أثبتناه عن نفع الطيب .

(٣) في ط : « لائمة » . وما أثبتناه عن نفع الطيب .

(٤) في نفع الطيب : « لم يحجب الصبح شهب الأفق عن بصر »

(٥) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « تنزيها » .

مُمُّ المصاييح نور الله مُوقِذُهَا
 مُمُّ النجوم وأفق الهدى مَطْلَعُهَا
 مُمُّ البسود كاللَّيْلِ ما يَافِقُهَا
 قَصَّتْ قَوَاضِيهَا أَنْ لَا انْقِصَاءَ لَهَا
 وَخَلَّدَتْ فِي صِفَاحِ الْهِنْدِ سِيرَتَهَا
 وَأَوْرَثَتْكَ جِهَادًا أَنْتَ نَاصِرُهُ
 كَمْ مَوْقِفٍ تَرْهَبُ الْأَعْدَاءُ مَوْقِفَهُ ^(١)
 ثَارَتْ تَحَاكُفُهُ وَالْيَوْمُ مُحْتَجِبٌ
 وَلِلْأَسِنَّةِ شُهْبٌ كُلُّهُ غَرِيبٌ
 وَلِلسُّيُوفِ رُوقٌ كُلُّهُ لَمَعٌ
 أَطْلَعَتْ وَجْهًا تَرِيكَ الشَّمْسُ غُرُوبَهُ
 مِنْ أَيْنَ لِلشَّمْسِ نُطْقٌ كُلُّهُ حِكْمٌ
 لَكَ الْجِيَادُ إِذَا تَجَرَّى سَوَاقِهَا
 إِذَا انْبَرَتْ يَوْمَ سَبَقٍ فِي أَعْنَانِهَا
 مِنْ أَشْهَبٍ قَدْ بَدَأَ صُبْحًا تَرَاغُلُهُ ^[٢٤٨]
 إِلَّا الَّتِي فِي لِحْظَانِهِ مِنْهُ قَيْدُهَا
 أَوْ أَشْفَرُ مُرْعِبٍ شُفْرُ ^(٢) الْهُرُوقِ وَقَدْ
 أَوْ أَحْمَرُ جَمْرُهُ فِي الْحَرْبِ مَتَقْدٌ
 نَضَى لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا مَشْكَبُهَا
 فَوْرًا لَمْ يَهْدِيهَا عِزًّا لَهَا دِيهَا
 مُمُّ الشَّمْسِ ظِلَامٌ لَا يَوَارِيهَا
 وَأَمَصَتْ الْحُكْمَ فِي الْأَعْدَاءِ نَوَاضِيهَا
 وَأَسْنَدَتْ عَنْ عَوَالِيهَا مَقَالِيهَا
 وَالْأَجْرُ مِنْكَ بُرْصِيهَا وَنَحْطِيهَا
 وَالْخَيْلُ تَرْدِي وَوَقَعَ السُّمُّ ^(٣) بُرْدِيهَا
 وَالتَّقِيعُ يَوْرُ غَيْمًا مِنْ دِيَابِجِهَا
 فِي الدَّارِ عَيْنٌ تَجَلَّتْ مِنْ عَوَالِيهَا
 تَرْجَى الدَّمَاءَ وَرَجَّحَ النِّصْرَ بُرْجِيهَا
 تَبَارَكَ اللَّهُ مَا شَمْسُ نَسَامِيهَا
 يُعِيدُهَا كُلَّ حِينٍ مِنْكَ مُتْدِيهَا
 فَلْيَرِيحَ جِيَادَ مَا تَجَارِيهَا
 تَرَى الْهُرُوقَ طِلَاحًا لَا تَبَارِيهَا
 شُهْبُ السَّمَاءِ فَإِنَّ الصَّبْحَ يَخْفِيهَا
 فَإِنَّهُ سَائِمًا عِزًّا وَتَنْوِيهَا
 أَتَيْتُ لَهَا شَفَقًا فِي الْجَوِّ تَنْفِيهَا
 يَعْلُو لَهَا شَرْرٌ مِنْ بَأْسٍ مُذَكِّبُهَا

(١) فِي نَفْعِ الطَّيِّبِ : « مَوْقِفُهُ » .

(٢) فِي نَفْعِ الطَّيِّبِ : « السِّيفُ » .

(٣) كَذَلِكَ فِي النُّسخَةِ الْمَطْبُوعَةِ مِنْ نَفْعِ الطَّيِّبِ . وَفِي الْمَخْطُومَةِ الْمَحْفُوظَةِ بِدَارِ السَّكَنِ

(بِرْدِيهَا ٣٥٩ تَارِيخُ) : « أَوْ أَشْفَرُ مَرَّعٍ شُفْرُ الْهُرُوقِ وَقَدْ » . وَالَّذِي فِي (ط) :

« أَوْ أَشْفَرُ ضَامِرٌ سَبَقَ الْهُرُوقِ وَقَدْ » .

لَوْ العقيق وقد سال العقيق دما
 أو أدمر مِثْل^(٢) صدر الليل تَنَعَلَهُ
 إن حارت الشُّبُّ ليلاً في مُقَلِّدِهِ
 أو أَصْفَرُ بالعشيَّات ارتدى مَرَحًا
 نَمُوًّا بِفَضَارِ تَاةٍ مِنْ عَجَبِ
 وربِّ نَهْرٍ حُسَامٍ رَاقٍ^(٣) رَائِقُهُ
 تجرى الرووس حَبَابًا فوق صَمْعَتِهِ
 وذابل من دم الكُكُمَارِ مَشْرَبُهُ
 وكلَّ حلالِ القوسِ كُلًّا نَصَبَتْ
 أَمَّةُ الكُفْرِ مَا يَمُوتُ سَاحَتِهَا
 بِأَدْوَلَةِ النَّصْرِ هَلْ مِنْ مُنَاغٍ دَوْلًا
 [أُرْمِلُغَرِ سَافٍ لَأَنْصَارٍ مَأْلُكَةً
 أَنَّ الخِلافةَ — أَعْلَى اللهُ مَظْهَرَهَا —
 يَأْتِي الذِّينَ لَمْ فِي كُلِّ مَكْرُمَةٍ
 أَنْصَارُ^(٤) حَيْرِ الْوَرَى يُخْتَارُ هَجْرَتُهُ
 أَسْمَتُهُمُ لِلَّهِ السَّمْعَةُ^(٥) تَكْرِمَةُ
 بِيْطْفِهِ مِنْ سَكْبَةِ كَرٍّ يُدْمِيهَا^(٦)
 أَهْلَةٌ فَوْقَ وَجْهِ الْأَرْضِ يُبْدِيهَا
 فَصْبَحَ غُرَّتُهُ بِالنُّورِ يَهْدِيهَا
 وَغُرَّتُهُ بِتِمَادَى اللَّيْلِ يُنْبِيهَا
 فَلَيْسَ يَبْعُدُ تَمَوُّيَهَا وَلَا تَيْهَا
 مَتَى تَرِدُهُ تَقُوسُ الْكُفْرِ يُرْدِيهَا
 وَمَا حَرَى غَيْرَ أَنَّ الْبَاسَ يُجْزِيهَا
 يُجْزِي الْقَتْلَ وَكَفَّ النَّصْرَ تَجْنِيهَا
 تَرَى النُّجُومَ رُجُومًا فِي مَرَامِيهَا
 إِلَّا وَقَدْ زُلْزَلَتْ قَسْرًا صَيَاصِيهَا
 مَضَيْنَ أَنَّكَ تُحْيِيهَا وَتُنْسِيهَا
 وَاللَّهُ بِالْخُلْدِ فِي الْفَرْدُوسِ يُجْزِيهَا^(٧)
 أَقَتْنَا لَنَا شَرَّةً وَاللَّهُ يُبْقِيهَا
 مَقَاحٍ وَلِسَانُ الدَّهْرِ يُبْلِيهَا
 جِيرَانُ رَوْضَتِهِ أَكْرَمُ بِأَهْلِيهَا
 أَنْصَارُهَا وَبِهِمْ عَزَّتْ أَوَالِيهَا^(٨)

(١) في ط : « كي يربها » وما أثبتناه من نفع الطيب المختص (رقم ٣٠٩ تاريخ) .

وفي الطوبوع : « كاد يدميها » .

(٢) في نفع الطيب : « مل » .

(٣) في نفع الطيب : « رقي » .

(٤) هذا البيت عن نفع الطيب .

(٥) في ط : « أصحاب » وما أثبتناه من نفع الطيب .

(٦) السمع : « السعة » .

(٧) أوالها : أوائلها ، جمع أول . قدم اللام على الهمزة ، ثم سهل الهمزة .

ففي حنين وفي بذر وفي أخذ
ولتسأل السَّيرَ المرفوعَ مُسْنَدُهَا
مَا تَرَى خَلَدَ الرحمنِ أَثَرَهَا
مَاذَا يُجِيدُ بليغٍ أَوْ يُنَمِّقُهُ
له الجهاد به تَسْرَى الرِّيحُ إِلَى
تُعَدِّي الرِّكْبُ إِلَى البيتِ العتيق به
بشار تُشْمِعُ الدنيا وساكنتها
كفى خلافتك الفراء مُنْقَمَةً
وقد أفاد تنبيه الدهر تَجَرَّةً (٢٤٩)
إِذَا رَمَيْتَ سِهَامَ العِزِّ (٢) صَائِسَةً
شَكَرًا لِمَنْ عَظَّمَتْ مَنَّا مَوَاهِدُهُ
عَمَّا قَرِيبَ تَرَى الأعياد مُقْبِلَةً
وتبلغ الغاية النَّدْوَى بِشَارُهَا
فَاهْأَمَا شِئْتَ مِنْ ضَعْفِ تَسْمَرِهِ
مولاي خُذْهَا كَمَا شِئْتَ بِإِغْنَاهَا
أَرْسَلْتُهَا حَيْثُمَا الأرواحُ مُرْتَلَّةً (٣)
جاءت تَهْنِئَتُكَ عِيدَ العِزِّ (٤) مُعْجَمَةً
البشرى في وجهها والبُشَى في بَدَنِهَا
تُلْفِي مفاخرهم مشهورة فيها
فمن مواقفهم تَرَوِي مَعَارِيزَهَا
[يُنْطِئُهَا (١)] مِنْ كِتَابِ اللَّهِ قَارِيهَا
من الكلام وَوَحَى اللَّهُ تَالِيهَا
بِمَلِكِ الأَرْضِ مِنْ شَقَى أَقْصَاهَا
مُسْكَةً عَمَّزَتْ مَسَّهُ نَوَادِيهَا
إِذَا دَعَا بِاسْمِكَ الأَعْلَى مُنَادِيهَا
أَنَّ الإِلَهَ يُرَالِي مِنْ يُوَالِيهَا
أَنْ الشُّعُودَ تَمَادَى مِنْ يَعَادِيهَا
فَمَا رَمَيْتَ بِلِ التَّوْفِيقِ رَامِيهَا
وإن تَعَدَّ فَلَيْسَ الْعَدَّ يُغْنِيهَا
من التَّقْوِيعِ وَوَقَدْ النَّصْرُ حَادِيهَا
فَقَدْ أَظْلَمْتَ مَا تَرَوِي مَبَادِيهَا
وَأَوَّ الأَمَانِي فَأَلْأَقْدَارُ تُذْنِيهَا
ولو تَبَاعَ لَكَانَ الْحَسَنُ يَشْرِيهَا
نَوَادِرَا تَنْفُشُ الْبُشْرَى أَمَالِيهَا
تَحْسِنُهَا وَاسَانُ الصَّدَقِ يُطْرِئُهَا (٥)
وَالصَّحْرَى لَهَا وَالْقَدْرُ (٦) فِي فِيهَا

(١) هذه الكلمة عن معن الغلب وعن م .

(٢) كَذَا فِي «مَجِ الطَّبِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ ط . م . : « الْعِزِّ » .

(٣) الْأَرْوَاحُ : نَرِيحٌ ؛ يَرِيدُ أَنَّهُ أَطْلَقَهَا مَعَ الرِّيحِ سَبِيحًا فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ .

(٤) فِي نَجْمِ الطَّبِ : « النَّحْرِ » .

(٥) كَذَا فِي «مَجِ الطَّبِ . وَفِي الْأَصْلِ : « يَفْرِئُهَا » .

(٦) كَذَا فِي «مَجِ الطَّبِ . وَفِي الْأَصْلِ : « الصَّهْدِ » .

لو رَصَّعَ البدرُ منها تاجَ مَفْرِقِهِ لم يَرْضَ دُرُّ الدَّرَارِي أَنْ تَحْلِبَهَا
فَإِنْ تَكُنْ بَنَتْ فِكْرِي وَهُوَ أَوْجَدَهَا نُعْمَاكَ فِي حَبِيزِهِ كَانَتْ تُرَبِّهَا
فِي رَوْضِ جُودِكَ قَدْ طَوَّقْتَنِي مِثْقَا طَوَّقَ الْحَمَامَ فَمَا سَجَّيَ مُوقِهَا
وَلَوْ أَعْرَضْتُ لِسَانَ الدَّهْرِ يَشْكُرُهَا لَكُنَّ يَفْضُرُ عَنْ شُكْرِ يُوقِهَا
بَقِيَّتَ لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا إِمَامٌ هَدَى سُبُلَ النَّفْسِ مَا تَرَجُّوْا أَمَانِهَا
وَالسَّعْدَ يَجْرِي أَعَالِيَاتُ^(١) تَوَمَّلَهَا مَا دَامَتِ الشَّمْسُ تَجْرِي فِي مَجَارِهَا

ومن ذلك أيضاً قوله ههنا لمولانا العبد رحمه الله بالفتح المغربي للسلطان
أبي العباس بن السلطان أبي سالم التبريني :

هِيَ نَفْعَةٌ هَبَّتْ مِنَ الْأَنْصَارِ أَهْدَتْكَ فَتَحَ مَمَالِكِ الْأَنْصَارِ
فِي بِشْرِهَا وَبِشَارَةِ الدُّنْيَا بِهَا مُسْتَمْتَعٌ الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ
هَبَّتْ عَلَى قَطْرِ الْجِهَادِ فَرَوَّحَتْ^(٢) أَرْجَاءَهُ بِالْفَتْحَةِ الْمِعْطَارِ
وَسَرَتْ وَأَمَرَ اللَّهُ طَيَّ بِرُودِهَا يَهْدِي الْبَرِيَّةَ ضِلَعَ لُطْفِ الْبَارِي
مَرَّتْ بِأَذْوَاخِ النَّابِرِ فَأَنْبَرَتْ خُطْبَاؤُهَا [مُتَمَتِّةٌ]^(٣) الْأَطْيَارِ

(١) كذا في نفع الطيب . وفي (ط) : « لآيات » .

(٢) في نفع الطيب : « ما دامت العيب ... إلخ » .

(٣) يريد أن فتح المغرب كان على يد السلطان أبي العباس أحمد بن أبي سالم المربى ، وكان السلطان ابن الأحرر يند أزره في ذلك .

(٤) في ط : « الملهات » . وفي نفع الطيب : « الجهاد » . والمعنى غير واضح على الروايتين ، وفي م : « الجهاد » . ويريد « فطر الجهاد » الأندلس ، لما كان عليه أهله من استمرار الجهاد مع أعدائهم .

(٥) روي أن أرمه . أي جعلتها مطرة بالرأفة العلية . وفي الأصول : « رويحت » . وظاهر أنها محرفة عما أبتناه .

(٦) هذه السكنة عن نفع الطيب .

حَنَّتْ مَعَارِجُهَا^(١) إِلَى أَعْشَارِهَا^(٢) لَمَّا سَمِعَتْ بِهَا حَيْنِ عِشَارِ^(٣)
 لَوْ أَنْصَعَتْكَ لَكَلَّتْ أَدْوَاهَا فَتَنَحَّ الْفُتُوحُ أَنْتَاكَ فِي حُلَلِ الرِّضَا
 بَمَجَانِبِ الْأَرْمَانِ وَالْأَعْصَارِ فَتَحَ الْفُتُوحُ جَنَّتِ مِنْ أَفْنَانِهِ
 مَا شَتَّ مِنْ نَصْرٍ وَمِنْ أَنْصَارٍ كَمْ آيَةٌ لَكَ فِي السُّمُودِ جَلِيلَةٍ
 خَلَلَتْ مِنْهَا عِبْرَةٌ اسْتِصَارَ كَمْ حِكْمَةٌ لَكَ فِي النُّفُوسِ جَلِيلَةٍ
 حَفِيَّتْ مَدَارِكُهَا عَنِ الْأَفْكَارِ كَمْ مِنْ أَمِيرٍ أُمٌّ بَابِكَ فَاشْتَى
 يُدْعَى الْخَلِيفَةَ دَعْوَةَ الْإِكْبَارِ أَعْطَيْتَ أَحْمَدَ رَايَةَ^(٤) مَنصُورَةَ
 بِرُكَّائِهَا تَسْرَى^(٥) مِنَ الْأَنْصَارِ أَرْكَبْتَهُ فِي الْمُنَشَّاتِ كَأَنَّمَا
 جَهَّزْتَهُ فِي وَجْهِهِ لِقَارِ مِنْ كُلِّ خَافَتَةِ الشَّرَاحِ مُصْطَقٍ
 مِنْهَا الْبَحْنَاجُ تَطِيرُ كُلُّ مَطَارٍ أَقْبَتَ بِأَيْدِي الرِّيحِ فَضْلَ عِنَانِهَا
 فَتَكَادُ تَسْبِقُ أَمَحَّةَ الْأَبْصَارِ مِثْلَ الْجِيَادِ تَدَاقَمَتْ وَتَسَابَقَتْ
 مِنْ طَافِحِ الْأَمْوَاجِ فِي مِضَارٍ اللَّهُ مِنْهَا فِي التَّجَارِ سَسْوَاجٍ
 وَقَفَتْ عَلَيْكَ الْفَخْرُ وَهِيَ جَوَارِي لَمَّا قَصَدَتْهَا مَرَامِي سَيْبَتِهِ
 عَطَفَتْ عَلَى الْأَسْوَارِ عَطْفَ سِوَارٍ لَمَّا رَأَتْ مِنْ صُحْبِكَ عُرَّةَ
 مَحْفُوفَةٍ بِأَشْمَعَةِ الْأَنْوَارِ وَرَأَتْ جَبِينًا دُونَهُ شَمْسُ^(٦) الصُّبْحِ
 لَمَّتْكَ بِالْإِجْلَالِ وَالْإِكْبَارِ

[٢٠٠]

- (١) كذا في نفع الطبيب . والمعراج : جمع معراج ، وهو الدرج والمصعد ؛ يريد أن الأغصان في نفعها وركوب بعضها بعضاً كالدرج . وفي الأصول : « معانيرها » .
 (٢) الأعشار : جمع عسر ، ولعله يريد بها أجزاء الألحان التي ترددها الأمطار .
 (٣) العتار : جمع عتراء ، وهي الناقة الحديثة العهد بالنتاج .
 (٤) المراد بأحمد : السلطان أحمد بن أبي سالم القريني الذي فتح المغرب ببصرة ابن الأحرار ، وأزال منه دولة أبي زياد بن عبد العزيز بن أبي الحسن القريني .
 (٥) في نفع الطبيب : « تسرى عن » مكان : « تسرى من » .
 (٦) في الأصول : « صبح » . وما اقتبناه عن نفع الطبيب .

فَأَفَضْتُ فِيهَا مِنْ نَدَاكَ مَوَاهِبًا^(١) حَسُنَتْ مَوَاقِعُهَا عَلَى التَّكَرُّارِ
وَأَزَيْتُ أَهْلَ الْقَرْبِ^(٢) عَزَمَ مُعَرَّبٌ قَدْ سَاعَدَتْهُ غَرَائِبُ الْأَقْدَارِ
وَحَفَّطْتُ مِنْ فَاثِنِ الْجَدِيدِ عَقِيلَةً كَبْنِكَ طَوْنُ تَسْرُوعٍ وَبِدَارِ
مَاصِدِّقُوا مَتْنِ الْحَدِيثِ بِقَتْنِهَا حَتَّى رَأَوْهُ فِي مُتَوَنِّفٍ شِفَارِ
وَتَسَمَّعُوا الْأَحْبَارَ بِاسْتِفْطَاحِهَا وَالْخَيْرُ قَدْ يَغْنَى عَنِ الْأَخْبَارِ
قُولُوا الْقِرْدَ^(٣) فِي الْوِزَارَةِ عَرَّهَ حِلْبٌ مَنَنْتَ بِهِ عَلَى مِقْدَارِ
أَسَكَّتَهُ مِنْ فَاثِنَ حَنَّةٍ مُلْكُهَا مُتَنَقِّمًا مَهْمَا بَدَارَ قَرَارِ
حَتَّى إِذَا كَفَرَ الصَّنِيعَةَ وَازْدَرَى بِحَقْقِهَا أَلْحَقْتَهُ بِالْإِسْكَارِ
جَزَعَتْ نَجْلُ الْكَاسِ كَأَسْ^(٤) مَرْوَةٍ دَسَّتْ إِلَيْهِ الْحَتَفَ فِي الْإِسْكَارِ
كَفَرَ الَّذِي أَوْلَيْتَهُ مِنْ نَعْمَةٍ لَا تَأْتِسُ الْمَعَاةَ بِالْكَفَّارِ
فَطَرَحْتَهُ طَرَحَ الْمَوَاةِ فَلَمْ يَفُزْ مِنْ عِزَّةٍ مُغَرِّبَةٍ بَغِيرِ قَرَارِ
لَمْ يَنْفِقْ خَلِيفَةُ مِثْلُ الَّذِي أَعْطَى الْإِمَامُ خَلِيفَةَ الْأَنْصَارِ

(١) في الأصول : « ما سما » . وما أثبتناه عن نصح الطيب .

(٢) كذا في نصح الطيب . والذي في الأصلين ط م : « الفرق » .

(٣) يريد به الوزير لسان الدين بن الخطيب ، وكان ابن الأحرار « الذي يلقبه » قد صرح له
بشكل فاس بغير حياته . إلا أنه لا يلقبه عنه أنه يقرى سلطان بن صريه بملك غرناطة
أرسل في طلبه ، إلى أن كان ما كان من محبة ابن الخطيب التي سرحت في الجزء الأول من
هذا الكتاب ، في حديث مفصل . (انظر صفحة ٢٢ وما بعدها ، من الجزء الأول) .

(٤) نجل السكاس : هو أبو بكر بن عازي بن السكاس ، وزير السلطان عبد العزيز
ابن أبي الحسن المريني والقائم بدولة ابنه أبي زيان من بعده ، وقد كان ابن الأحرار
الذي يلقبه طالب من السلطان ووزيره أن يسلما إليه لسان الدين بن الخطيب ، لا يلقبه
أنه يحرص السلطان عبد العزيز على تملك غرناطة ، فادتنع السلطان ، وأمنه وزيره
من تسليم ابن الخطيب ، فكان ذلك سبباً في مساعدة ابن الأحرار أبا العباس أحمد بن
أبي سالم بن أبي الحسن المريني على إقامة دولة بالقرب الأقصى ، وانتماع لذلك من ابن
عمه أبي زيان بن عبد العزيز الذي تولى بعد أبيه وكان طفلاً ، فكان في وزيره أبي بكر
ابن السكاس . (انظر تفصيل الموضوع في تاريخ ابن خلدون وفي الاستقصا للسلاوي) .

لم أذُرِ والأيام ذاتُ محائب
ألواء ضُيِّعَ في ثَنِيَّةٍ مُشْرِقِ
وشهابُ أوقِ أُمِّ سِنَانٍ لَامِعِ
ومناقبُ المولى الإبراهيمِ مُحَمَّدِ
فاقِ الملوكَ بهيمةَ غُلُوبَةٍ
لوصافحِ الكفِّ الخصبِ^(١) بَكَمِ
والشُّبَّ طلعَ في مطالعِ أَفْهَمِ
سَلِّ بالمُشَارِقِ ضُيِّعَها عن وجْهِهِ
سَلِّ بالناثِمِ صَوَّهَها عن كَفِّهِ
[سَلِّ بالزُّروقِ صَفَّاحَها عن عِزِّهِ^(٢)] |
قد أحرزَ الشَّيْمُ الغُفَّاطِيَّةَ عندَ ما
إن يَلْقَ ذوا الإِجْرامِ صَمْعَةً صَمْعِهِ
يا مَنْ إذا هَبَّتْ نواهِمُ سَحَابِهِ
[يا مَنْ إذا افْتَرَقَتْ مَبَاكِمُ بَشَرِهِ
يا مَنْ إذا طَلَعَتْ شَمْسُ سَعُودِهِ
قَسِياً بِوَجْهِكَ في الضِّياءِ وإِنَّهُ
تَرَدَّادُها يَحُلُو على التَّنْذِكارِ
أَمْ رَاةٌ في جَحْمَلِ جَوَّارِ
يَنْقَضُ نَجْمًا^(٣) في سَما غُبَّارِ
قَدْ أَشْرَقَتْ أَمُّ مَنْ زُفَّرَ دَرَّارِ
مِنْ دَوْنِها نَجْمُ السَّما السَّارِ
فَعَرَّتْ بِهَرِّ المَجْرَةِ جَارِ
لو أَحْرَزْتَ مِنْهُ مَنَيعَ جِوَّارِ
يَعْتَرِ سَمَهُ عن جَمِيعِ نَهَّارِ
[نُفَيْيكَ عن بَحْرِها زُخَّارِ]^(٤)
تُعْزِيكَ عن أَمْضَى شَيْءٍ وَغَرَّارِ
أُطْفِئِ المَرَامِ صَهْوَةَ الأَخْطَارِ^(٥)
فَسَحِّ القَمَلِ لَه خُطَا الأَعْمَارِ
أَزْرَتْ بِعَرَفِ الرُّوضَةِ المَعَارِ
وَهَبَّ النُّفُوسَ دَعَا في الإِقْتَارِ^(٦)
تُعْشِي أَشْعَثَها قَوَى الأَبْصارِ
شَمْسُ نُسَيْدِ الشَّمْسِ بالأَمْوارِ

[٢٠١]

(١) كذا في فتح الطيب . وفي الأصول : « نارا » .

(٢) الكلب الحَضْبُ : الحَضْبُورَةُ . ويطلق الكلب الحَضْبُورَةُ على نَجم في السَّما ، تشبُّهاً له بالكلب .

(٣) هذا الشعر عن مع الطيب .

(٤) يريد الشعر الثاني من هذا البيت أنه جعل ظهر الأخطار مقلية لمرآته . وروايته في الأصول ونفع الطيب : « أمسى .. الخ . وما أُمْنيتنا أشبه بالمرآة »

(٥) هذا البيت عن مع الطيب وم . وروايته : « عات في الإقتار » وفيها محمض ، وفي م : « عات في الإقتار » . يريد أنه إذا سئل يعود بأمر ما يملك ويمش معنياً على نفسه .

قَسَا بَرَزْكَ فِي الْقَضَاءِ وَإِنَّهُ ^(١) سَيْفٌ تَجَرَّدَ يَدُ الْأَقْدَارِ
 لَسَاحُ كَفَكَ كَلِمَا اسْتَوْهَبْتَهُ بُرْزَى بَغِيثِ الدَّيْمَةِ الدَّرَارِ
 اللَّهُ خَضْرَتُكَ الْعَلِيَّةُ لَمْ تَزَلْ يُبْلِقِ الْغَرِيبُ بِهَا عَصَا التَّسْيَارِ
 كَمِ مِنْ طَرِيدٍ نَازِحٍ قَذَفَتْ بِهِ أَيْدَى النَّوَى فِي الْقَفَرِ زَهْنُ سِفَارِ
 بَلَّغْتَهُ مَا شَاءَ مِنْ أَمَالِهِ فَتَلَا عَنْ الْأَوَّلَاتِ بِالْأَوَّلَارِ
 صَبَرْتَ بِالْإِحْسَانِ دَارَكَ دَارَهُ مُثَمَّتَ بِالْحُسْنَى وَعُقْبَى الدَّارِ
 وَالْخُلُقِ تَعْلَمُ أَنَّكَ الْغَوْثُ الَّذِي يُضْفِي عَلَيْهَا وَاقِيَ الْأَسْتَارِ
 كَمْ دَعْوَةٍ لَكَ فِي الشُّحُولِ مُجَابِرٍ أَعْرَبَتْ جُفُونُ الْوَرْنِ بِاسْتِمَارِ
 جَارَتْ بِمَحَارِي الدَّمْعِ مِنْ قَطَرِ النَّدَى فَرَسَى الرَّبِيعُ لَهَا | حَقُوقَ الْجَارِ ^(٢)
 فَأَعَادَ وَجْهَ الْأَرْضِ طَلَقًا مُشْرِقًا مُتَدَحِّكًا بِمَجَاسِمِ النَّوَارِ
 يَا مَنَ مَآثِرِهِ وَفَضْلَ جِهَادِهِ نَحْدَى الْفِطَارُ بِهَا إِلَى الْأَقْفَارِ
 حُطَّتِ الْبِلَادُ وَمِنْ حَوْنِهِ تُغَوَّرُهَا وَصَفَى بِسَمْدِكَ حَامِيًا لِلْدَّمَارِ ^(٣)
 فَلَزِمَتْ بِكُفْرِ الْفَتْوحِ خَطْبَتُهَا بِالشَّرَفِيسَةِ وَالْقَنَا الْخَطَارِ
 وَعَقِيلَةٍ لِلْكُفْرِ لَمَّا رُغِنَا أَخْرَسَتْ مِنْ نَاقُوسِهَا الْمُهَذَّارِ ^[٢٠٢]
 أَذْهَبَتْ مِنْ صَفْعِ الْوُجُودِ كِيَانَهَا وَتَحَوَّنَهَا إِلَّا مِنْ التَّنْذَارِ
 عَمَرُوا بِهَا حَنَاتِ عَدْنٍ زُخْرُفَتْ نَحْمُ انْتَنُوا عَنْهَا دِيَارَ بَرَارِ
 صَبَّحَتْ مَعَهَا رَوْضَةُ مَطْلُولَةٍ فَأَعْدَتْهَا لِلْعَيْنِ مَوْقَدَ نَارِ
 وَأَسْوَدَ وَجْهَ الْكُفْرِ مِنْ خَيْرِي مَتَى مَا أُجْبِرَ وَجْهَ الْأَبْيَضِ ^(٤) الْبَيَّارِ

(١) في الأصول : « قسا وجهك في القضاء وإنه » . والتصويب عن فتح الطيب .

(٢) التكملة عن فتح الطيب .

(٣) جاء هذا البيت في الأصول متندما على موضعه هنا بعد قوله : « صبرت بالإحسان » . وقد راعينا الترتيب الذي ورد في فتح الطيب .

(٤) في الأصول : « الرعب » . وما آتينا عن فتح الطيب .

وَلَرَّبُّ رَوْضٍ لِلْفَنَاءِ^(١) مَتَاوَدٍ نَابَ الصَّبِيلُ بِهِ عَنِ الْأَطْيَارِ
مَهَا حَكَتْ زَهْرُ الْأَسْنَةِ زَهْرَهُ حَكَتِ السَّيْفُ مَعَاطِفَ الْأَمْهَارِ
مَتَوَقَّدَ كَهَبِ الْحَدِيدِ نَحْوَهُ^(٢) تَنَلَّى بِهِ الْأَعْدَاءُ أَمْجَ الْأَوَارِ
فَمَكَّلَ^(٣) مُلْتَفَتَ صُقَالٍ مُشْبَرٍ قَدَّاحَ زَنْدٍ لِلْحَفِيفَةِ وَارِي
فِي كَفِّ أَرْوَعٍ فَوْقَ نَهْدٍ سَابِجٍ مُتَوَجِّحِ الْأَعْطَافِ فِي الْإِخْضَارِ
مِنْ كَلِّ مُنْحَفِرٍ بِلَمْعَةٍ بَارِقٍ لِحْلِ السَّلَاحِ بِهِ عَلَى طَيَّارِ
مِنْ أَشْبَهٍ كَالصَّبِيحِ بَطْلَعِ غُرَّةٍ فِي مَسْتَهْلِ الْعَسْكَرِ الْجَوَّارِ
أَوْ أَدْمٍ كَاللَّيْلِ إِلَّا أَنَّهُ بِرِضَ الْجَوَّازِ حَتَّى عِذَارِ
أَوْ أَحْمَرٍ كَالْجَمْرِ يُدْكِ شُعْلَةً وَقَدِ ارْتَمَى مِنْ بَاسِهِ بَشِيرِ
أَوْ أَشْقَرٍ حَتَّى الْحَالِ أَدْمَهُ وَكَأَنَّهُ مِنْ زَهْوٍ جَلَالٍ نَضَارِ
أَوْ أَشْعَلٍ^(٤) رَاقِ الْعَيُونِ كَأَنَّهُ غَلَسَ بِخَالِطِ سُدُفَةٍ بَنَارِ
شُهْبٍ وَشُقْرِ فِي الطَّرَادِ كَأَنهَا رَوْضٌ تَفْتَحُ عَنْ شَقِيقِ بَهَارِ
عَوْدُهَا أَنْ لَبَسَ تَقَرَّبَ مَهْلًا حَتَّى يُجَالِطَ [بِالْهَمِ الْعَوَارِ]^(٥)
يَأْتِيهَا الْمَلَكُ الَّذِي أَيَّامُهُ غُرَّرَ نُلُوحَ بَاقِجِ الْأَعْصَارِ
يَهْنِي لَوَاءَهُ أَنْ جَدَّكَ زَاحِفٍ بَلَوَاءِ حَيْرِ الْخَلْقِ لِلْكَفَّارِ^(٦)
لَا غَرَوْ أَنْ قُتِلَ لِلْمُلُوكِ سِيَادَةً إِذْ كَانَ جَدَّكَ سَيِّدَ الْأَنْصَارِ
السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ إِلَى الْهُدَى وَالْمُسْتَظْفُونَ لِنُصْرَةِ الْمُخْتَارِ

(١) الفناء، أي الفناء (بالمد) ففصره للشعر .

(٢) كففا في نفع الطيب . والذي في الأصل « بخده » . وما أبتناه أولى بالسياق .

(٣) الأشعل : من القملة (بالضم) ، ومن البيضاء في ديل العرس والباسية والفقار .

(٤) التكملة عن نفع الطيب .

(٥) يريد سعد بن عبادة الأنصاري سيد المروج ، وهو الأحمر من سلالة . وبشر

إلى حال سعد لرأية الرسول يوم فتح مكة .

مُتَلَوِّينَ إِذَا التَّزِيلُ عَرَاهُمُ
 مِنْ كُلِّ وَضَاحٍ الْجِدِينَ إِذَا اخْتَبَى
 قَدْ لَاحَ صُحَّاحٌ فَوْقَ بَيْدَرٍ بَعْدَمَا
 فَاسْأَلْ بَيْدَرَ عَنْ مَوَاقِفِ بَأْسِهِمْ
 لَهُمُ الْعَوَالِي عَنْ مَعَالَى فَخْرِهَا
 وَإِذَا كَتَابَ اللَّهُ يَتْلُو حَمْدَهُمْ
 يَا بَنَى الَّذِينَ إِذَا تَذَكَّرَ نَفْرَهُمْ
 حَقًّا لَقَدْ أَوْصَحَتْ مِنْ آثَارِهِمْ (١)
 أَصْبَحَتْ وَارِثَ تَجْدُمٍ وَفَخَارِهِمْ
 يَا صَادِرًا فِي الْفَتْحِ عَنْ وَرْدِ الثَّقَى
 وَهَذَا بِفَتْحٍ جَاءَ يَسْتَدِيلُ الرِّضَا
 وَإِلَيْكُمَا مِلْءُ الْعِيُونَ وَسَامَةَ
 تُجَرِّى حُدَاةَ الْعَيْسِ طَيْبَ حَدِيثِهَا
 إِنْ مَتَّعَهُمْ لَفَجَّ الْهَجِيرَ أَبَاهُمْ
 وَتُبِيلَ مَنْ أَصْفَى لَهَا فَكُنْ أُنَى
 قَدَفَتْ بِمَجُورِ الْقَسْرِ مِنْهَا جَوْهَرًا
 لَا زَلَّ لِلْإِسْلَامِ سِتْرًا كُفْلًا
 وَبَقِيَتْ يَا بَيْدَرَ الْهَدَى تُجَرِّى بِهَا

سَرَّوْا لَهُ عَنْ أَوْجِهَ الْأَفْقَارِ
 تَلْقَاهُ مَمْصُوبًا بِتَسَاجِ فَخَّارٍ (٢)
 نَيْسَ الْمَكَارِمِ وَارْتَدَى بِوَقَارٍ
 هُمْ تَلَاوُفًا أَمْرَهُ بِبِسْدارِ [٢٠٢]
 تَقَلَّ الرِّوَاةُ عَوَالِي الْأَخْبَارِ
 [أَوْدَى الْقُصُورُ عِنْنَةَ الْأَشْمَارِ
 فَخَرُّوا بِطَيْبِ أَرْوَمَةٍ وَبِحَارِ
 لَنَا أَخَذَتْ لَدَيْنِهِمْ بِالْأَنَارِ
 وَمُسَرَّفَ الْأَعْصَارِ وَالْأَمْصَارِ
 رَدَّ نَاجِحَ الْإِبْرَادِ وَالْإِصْدَارِ
 جَذَلَانِ بَرَفُلٍ فِي حِلَى اسْتِبْشَارِ
 حَيْثُكَ بِالْأَبْكَارِ مِنْ أَفْكَارِ
 يَنْتَعَلُونَ بِهِ عَلَى الْأَكْشَارِ
 مِنْهُ نَسِيمُ ثَنَائِكَ الْمِعْطَارِ
 عَاطِيَتُهُ مِنْهَا كَكُورِ عَقَارِ
 لَنَا وَصَفْتُ أَمَامًا بِبِخَارِ
 أُمِّ الْعَجَبِيجِ الْبَيْتَ ذَا الْأَسْتَارِ
 شَامَتْ عَلَاكَ سَوَابِقُ الْأَقْدَارِ

انتهى ما يتعلق به الغرض من هذا التأليف الشلوكي ، وقد أنبت به بحروفه

شعر اختاره
 المؤلف أيضاً من
 كتاب ابن الأحرر

(١) يريد إذا جلس في مدى قومه محبياً على عادة العرب ، كان على رأسه تاج النصار
 والرياسة والصفوف .
 (٢) التكلية عن فتح الطيب .

من أوله إلى هذا الموضع ، وتليقه بطول ، ولكي أتقي منه نبذة زائدة على ما سبق . من مواضع شتى ، فنقول :

قال المؤلف رحمه الله : ومن ذلك ^(١) أننا ، ونحبه مولانا الجذ رحمه الله في مدح النبي ﷺ وتعديد الدولة الأحمدية ^(٢) ، صدر عام تسعة وثمانين وسبع مئة :

هَبَّ النسيمُ على الرياض مع السَّحَرِ فاستيقظتُ في الدُّوْحِ أجفانُ الزُّهَرِ
ورى القصبُ دراهمًا من نوره فاعتاض من ظلِّ الغمام بها دُرُ
نَشَرَ الأزاهرَ بعد ما نظم الندى يا حَسَنُ ما نظمَ النسيمُ وما تَنَرُ
قَمَ هاتِها والجوُّ أزهرُ باسمُ شَمْسًا نَحَلْتُ من الزجاجة في قَمَرِ
إن شَجَّها للماء كَفَتْ مُدِيرِها ترميه من شُهْبِ الحَبَابِ بها شَرَرِ
نارِية نُورِية من طُـلُـوبِها يَدُ ^(٣) السَّراجِ لنا إذا المليلُ اعتَكِرِ
لم يُبَيِّنْ منها الدهرُ إلا صِبْغَةً قد أَرَعِشتُ في الكأسِ من ضَعْفِ الكِبَرِ
من عهد كِشْرَى لم يُبْقِضْ خِتامُها إذ كان يَذْخَرُ كَنْزَها فيا ذَخِرِ
كانت مُذابِ الشُّبْرِ فيا قد مضى فأحالها ذَوْبُ اللَّجَيْنِ لِمَنْ نَظَرِ
جَدَّدَ بها عُرْسَ الصَّبُوحِ ^(٤) فإنها بِكْرُ نُحْيِها الكرامُ مع البُكْرِ
والبُلُّ بها ريقٌ ^(٥) الأصيلِ عَشِيَّةَ والشمسِ من وَعَدِ الغروبِ على خَطَرِ

[٢٠٠٤]

(١) يريد : من شعر ابن زمرك في سُلْطانه التي بالله .
(٢) تولى أبو العباس أحمد بن أبي سالم المروني سلطنة المغرب الأقصى مرتين ، بمساعدة التي بالله بن الأعرم ملك غرناطة ، الأولى من سنة ٧٧٦ إلى سنة ٧٨٦ ؛ والثانية من سنة ٧٨٩ إلى سنة ٧٩٦ وهذه هي المشار إليها هنا . (انظر الاستقصا للسلوى) .

(٣) في نفع الطيب : « قَدَح » .
(٤) كَذَا في نفع الطيب . وفي الأصل : « العروس » .
(٥) في نفع الطيب : « ريق » . وهو تحريف .

مُحَرَّةٌ مُصَفَّرَةٌ قَدْ أَظْهَرْتُ حَجَلُ الْمَرْيَبِ يَشُوْبُهُ وَجَلُّ الْعَذِيرِ
 مِنْ كَفِّ شَفَافٍ تَجَسَّدَ نُورُهُ مِنْ جَوْهَرٍ لَأَلَاءِ بِهِجَتِهِ ^(١) بِهِرٍ
 تَهْوَى الْبُذُورُ كَالَّهِ وَتَوَدُّ أَنْ لَوْ أُوتِيَتْ مِنْهُ الْحَاسِنُ وَالْقَرَرُ
 قَدْ خَطَّ تُونَ عِذَارِهِ فِي خَذِهِ فَلَمَّا مِنْ آتَى هُنَاكَ وَمِنْ شَعَرٍ
 وَآلَى عَلَيْكَ بِهَا الْكَتُوسُ وَرَبَّمَا يَسْتَقِيكَ مِنْ كَأْسِ الْفُتُورِ إِذَا قَدَّرَ
 سَكْرُ الشَّدَايِ مِنْ يَدَيْهِ وَلُحْظِهِ مُتَعَاقِبٌ مِمَّا سَقَى وَإِذَا نَظَرَ
 حَيْثُ الْهَدِيدُ مَعَ الْمَذْبَرِ تَنَاقَبَا فَالطَّيْرُ تَشْدُو فِي التَّصُونِ بِلَا وَتَرٍ
 وَالْقُسْبُ مَاتَ تَلَمِيقًا كَأَنَّهَا وَقَدْ الْأَحْبَسَةُ قَادِمِينَ مِنَ السَّيْرِ
 مُتَلَاعِبَاتٍ فِي الْعُجْلِ يَنْوِبُ فِي وَجَنَاتِهِنِ الْوَزْدُ خُسْنًا عَنْ خَبَرٍ
 وَالتَّرَجْسُ التَّطَلُّوْ يُرَوُّ بِحَبْوِهِ بِلَوَاحِظٍ دُمِعُ الْقَسْدِ مِنْهَا أَهْمَرِ
 وَالتَّهَرُّ مَصْقُولُ الْخَضَمِ مَتَى يَرِدُ دِرْعُ الْغَدِيرِ مُصَفَّقًا فِيهِ [صَدَّر] ^(٢)
 يَجْرَى عَلَى الْحَصْبَاءِ وَهِيَ جَوَاهِرُ مُتَكَسِّرًا مِنْ فَوْقِهَا مِمَّا عَثَرَ
 هَلْ هَذِهِ أَمْ رَوْضَةُ الْبُشْرَى الَّتِي فِيهَا لِأَرْبَابِ الْبَصَائِرِ مُعْتَصِرُ
 لَمْ أَدْرِ مِنْ شَفَفٍ بِهَا وَبِهْذِهِ مَنْ مِنْهَا قَتَنَ الْقُلُوبَ وَمَنْ سَحَرُ
 جَاءَتْ بِهَا الْأَجْمَانُ ^(٣) مِلْءُ ضُلُوعِهَا مِلْءُ الْخَوَاطِرِ وَالْتِسَامِ وَالْبَصَرِ
 وَمُسَافِرٍ فِي الْبَحْرِ مِلْءُ عِثَانِهِ وَاقَى مَعَ الْفَتْحِ الْمُبِينِ عَلَى قَدَرِ
 قَادَتِهِ نَحْوُكَ بِالْخَطَامِ كَأَنَّهُ تَجَلَّ يُسَاقُ إِلَى الْقِيَادِ وَقَدْ نَفَرَ
 وَأَرَاهُ دَيْنُ اللَّهِ رِعْزَةً أَهْلُهُ بِكَ يَا أَعَفَّ الْقَادِرِينَ إِذَا قَدَّرَ

(١) في نفع الطيب : « بهجته » .

(٢) التَّكَلُّفُ عَنْ نَفْعِ الطَّيْبِ .

(٣) يريد بالأجفان : الراكب ؟ الواحد : جلس . وهي كلمة ألدسة ، ذكرها دوزي

بهذا المعنى في تنكئة المعاجم العربية .

(٢٠٠)

يا غرَّ أندلس وعصمة أهلها
 كم مُتَّعِلٍ من دائها عالجته
 فشفيت منه بالبدار وبالبدَر
 والله ما أياؤه إلا عُرر
 عن كل من آوى النبي ومن نصر
 فليتل وحى الله فيهم والسير
 بسببهم دين الإله قد انتصر
 وكلاهما في الخافقين قد اشتهر
 لم يُنْفِ غيرك في الشدائد من وُرر^(١)
 والله قد حتم المذاب لمن كفر
 وحسب سعيك للتأسف والبكر^(٢)
 فبخرت به حتى استقر على سقر
 قد حتم وهو من الحياة على غرر^(٣)
 ما شاء من وطن يعز ومن وطَّر
 لم تنق منه الحادثات ولم تدر
 لله عبيد في القضاء قد اعتبر
 إن العواقب في الأمور لمن صبر
 فإله حيث شئت مسوِّعا ورد العنى
 ركب الفرار مقلبة بنحو بها
 وكذا أبو حمز وكان حمامه
 تلتفه - والله أكبر شاهد -
 حتى إذا حصد الذي أوليته
 في حاله والله أعظم عبرة
 فاضرب تنل أمثالها في مثله
 رد حيث شئت مسوِّعا ورد العنى

(١) يريد : الوزير لسان الدين بن الخطيب .

(٢) يشير إلى ما جرى على الوزير ابن الخطيب من الحق ثم الخرق .

(٣) هو : أبو حو موسى بن يوسف الرهاى سلطات المغرب الأوسط ، من بني عيد

الواد ، وكان بينه وبين ملوك المغرب الأقصى من المرينيين محاذات وحروب كثيرة فصلها ابن خلدون في تاريخه . والسلاوى في الاستقصا .

لَا زِلْتُ عَرُوساً بِعَيْنِ كَلَامَةٍ مَادَامَ عَيْنُ الشَّمْسِ تُعْثِي مَن نَظَرُ
ومنها، وقد أضاف إلى ذلك من التفرُّل طَوْعَ بَدَارِهِ، وَحُجَّةَ اقْتِدَارِهِ، فَقَالَ:
وَالْعُودُ فِي كَفِّ النَّدِيمِ بِسِرِّ مَا تُنَاقِي مَا مَسَّهُ الْأَنَامِلُ قَدْ جَهَرَ
غَنَى عَلَيْهِ الطَّيْرُ وَهُوَ يَدْوَحِيهِ وَالْآنَ غَنَى قَوْفَهُ ظَلَقُ أَغْرِ
عُودُ تَوَكَّى جِجَرَ التَّصِيبِ رَغَى لَهُ أَيَّامَ كَانَا فِي الرِّيَاضِ مَعَ الشَّجَرِ
لَا سَبَا لِمَا رَأَى مِنْ نَعْرِهِ زَهْرًا وَأَيْنَ الزَّهْرِ مِنْ تِلْكَ الدَّرَرِ !
وَيُظَنُّ أَنَّ عِذَارَهُ مِنْ آسِهِ وَيُظَنُّ تَفَاحَ الْخُدُودِ مِنَ الثَّمَرِ
يَسْتَبِي الْقُلُوبَ بِلَفْظِهِ وَبِأَحْظِهِ [رَأَيْتُنِي] ^(١) بَيْنَ التَّكَلُّمِ وَالنَّظَرِ
قَدْ قَيَّدَتْهُ لَأَنَسْنَا أَوْتَارَهُ كَالظُّلَى قَيَّدَ فِي السَّكْنَانِ إِذَا تَفَرَّ
لَمْ يُبَلِّ قَلِي قَبْلَ سَمْعِ غِنَائِهِ تَعَذَّرَ سَلَبَ الْعُقُولِ وَمَا اعْتَذَرُ
حَسَّ الْقُلُوبَ بِجَسِّهِ أَوْتَارَهُ حَتَّى كَأَنَّ قُلُوبَنَا بَيْنَ الزَّمَرِ
نَمَتْ لَنَا أَلْحَانُهُ بِجَمِيعِ مَا قَدْ أَوْدَعَتْ فِيهِ الْقُلُوبُ مِنَ الْبَيَّكْرِ ^(٢)
يَا صَامِتًا وَالْعُودُ تَحْتَ بَنَانِهِ بُغْنِيكَ تُطَلِّقُ الْخُبْرَ فِيهِ عَنِ الْخَبَرِ
أَغْنَى غِنَاؤُكَ عَنْ مَدَامِكَ يَا تَرَسَى هَلْ مِنْ لِحَاطِكَ أَمْ بِنَانِكَ ذَا السُّكْرِ
بَاحَتْ أُنَامِلُكَ اللَّذَانَ بِكُلِّ مَا كَانَ الثُّنَيْمُ فِي هَوَاهُ قَدْ سَفَرِ
وَمُقَاتِلِي مَا سَلَّ غَيْرَ بِحَاطِلِهِ وَالرَّمَحُ هَزَّ مِنَ التَّوَامِ إِذَا حَطَرَ
دَانَتْ لَهُ مَنَا الْقُلُوبَ بِطَاعَةٍ وَالسَّيْفُ يَمْلِكُ رَبَّهُ فِيمَنْ قَهَرَ ^(٣)

ثم قال بعد إيراد جملة من كلامه :

وَقَالَ شَاكِرًا لِنِعْمَةِ وَصَلْتِهِ مِنْ مَوْلَانَا رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي عَاشُورَاءَ :

في شكر السلطان
لنعمته وصلته في
عاشوراء

(١) بكلمة عن نفع الطب .

(٢) ورد هذا البيت في الأصل محرراً وعدوفاً من الكلمات . وقد ابتدأه من مع الطب .

(٣) في مع الطب : • بها فهر • .

مولائى يابن السابقين إلى العلا
 إن لوحقوا^(١) في المعلوات^(٢) فإنهم
 أو فوخرُوا في المسكرُمات فإنهم
 أبناء أنصار النبي وصبيه
 والمؤثرين وربنا أنى بهما
 فاضت علينا من نَدَاكَ غمامٌ
 من كَفِّ سَمَافِ الضياءِ تحالُه
 نيمٌ مُنوعَةٌ تَمُدُّ وَفَرها
 في مَوَسِمِ اللَّذِينَ قد جَدَدته
 أضعافٌ ما أهدبنا^(٣) من مِنَّةٍ
 وعلى الطريقِ بِشائرٍ محوذة
 والرافعين لواءها التَشْـوَرَا
 طامَوا بآفاقِ السَّلاهِ بُدُورا
 نَظَلُوا بِأَسلاكِ الفَخَّارِ شُدُورا
 في الذِّكرِ أصبحَ غُرُومٌ مذكُورا
 في الحِشْرِ خَلَدَ وَصَفُهُمْ مَسْطُورا^(٤)
 وَتَجَرَّتْ مِنْ راحَتِكَ مُحُورا
 اصفاءِ جِوهرِهِ تَجَسَّدَ نُورا
 أَهْجَرَتْ عَنا شُكْرَى الموفُورا
 وَأَقَّتْ فِنا عِيسِدَه المَشهورا
 تُهْدِي إِلَيْكَ تَوايِها عاشُورا
 أَتَقاكِ جَدَلانًا بِها مَسرُورا

نم قال : ومن أنفذه في وصف الترفل الصب الاجتناء بحمل الفتح ، وقد وقع له مولانا القى بالله بذلك ، فارتحل قطعاً ، منها :

أَتَوَى مَنوَارَ يَرُوقِ نَضَارَة
 وكجاوا به من شاهرٍ مُتَمَنِّعٍ
 كَحَدِ الذِّى أَهْوَى وَطِيبِ نَشِيشِ
 رعى الله مِنى عاشقاً مُتَقَنَّعاً
 تَمَنِّعُ ذاكِ القَلْبِ في ظِلِّ مَكْنَسِهِ
 بَرَّهْرٍ حَكَمَى في الحُصْنِ خَدْمُؤُنِسِهِ

[٢٠٧]

(١) كذا في (ط) وفي فتح الطيب : « لوحقوا » .

(٢) المعلوات : جمع معلوة (كسرية) . يريد بها العالي ، ولم نجد المعلوة (بوزن كسرية) في المعاجم التي بين أيدينا .

(٣) يشير إلى قوله تعالى في سورة الحشر في مدح أنصار النبي : (والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحكون من حاجر إليهم ، ولا يمدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) .

(٤) في النسخة المطبوعة من فتح الطيب المحفوظة بدار الكتب (برقم ٣٦٠) : « حلتنا »

وإن هبَّ خَفَّاقُ النسيمِ بِمَحَجَّةٍ حَسَكَتْ عَرَفَهُ طَيْبًا قَصَى بِأَنْفُسِهِ
ومنها :

رَعَى اللَّهُ زَهْرًا يَنْتَمِي الْقَرْنُفُلُ حَكِي عَرَفَ مَنْ أَهْوَى وَإِشْرَاقَ حَدِّهِ
وَمَنْبَتُهُ فِي شَاهِقٍ مُتَمَنِّعٍ كَمَا امْتَنَعَ الْمَحْمُودُ فِي نِيهِ صَدْدُهُ
أَمِيلُ إِذَا الْأَغْصَانُ مَاتَ تَرَوْضَةً أَعَانِقُ مِنْهَا الْقَدَسُ شَوْقًا يَفْدُهُ
وَأَهْوَى خَفَّاقُ النسيمِ إِذَا سَرَى وَهُوَ أَرِيحَ الطَّيِّبِ مَنْ عَرَفَ نَدَّهُ
ومنها :

يَقَرُّ بَعِيٌّ أَنْ أَرَى الزَّهْرَ يَانِعًا وَقَدْ نَازَعَ الْحُبُوبَ فِي الْحَسَنِ وَصَدَّهُ
وَمَا أَبْصَرْتُ عَيْنِي كَزَهْرِ قَرْنُفُلٍ حَكِي حَدَّ مَنْ يَسْنَى الْفَوَادَ وَعَرَفَهُ
تَمَنَّعَ فِي أَعْلَى الْهَضَابِ الْجَنَّتِ تَمَنَّعَهُ مَتَى إِذَا رُمْتُ لِمَعَهُ
وَفِي جَبَلِ الْفَتَحِ اجْتَنَوْهُ نَفَاوِلًا بَمَنْعِهِ لِمَا يَبِ الرِّصْلِ يَمْنَعُ عَطْلَهُ
إِذَا مَا تَنَى نَحْوَ النَّبْتِ عَطْلَهُ (١) إِذَا مَا تَنَى نَحْوَ النَّبْتِ عَطْلَهُ

في نهضة مولاه
بوصول القائد
خالد من تلمسان

تم قال : ومن قصائده التي يرد الشباح سناها ، والنسيم اللدن رقة معناها ،
بهي مولانا الجد رضى الله عنه ، عند وصول خالصة مقامه ، وكبير خدامه ،
القائد خالد ، رحمه الله تعالى ، من تلمسان بالهدية ، وتجديد المقاصد الودية ، ووافق
استئناف راحة من الذات العلية ، ومن بعض فروع دوحها الزكية :

أَدْرِهَا ثَلَاثًا مِنْ لِحَافِكَ وَاحِسِي فَقَدْ عَالَ مِنْهَا الشُّكْرُ أَبْنَاءَ تَحْلِسِ
إِذَا مَا نَهَانِي الشَّيْبُ عَنْ أَكْوَسِ الطَّلَا تُدِيرُ عَلَيَّ الْحَزْنَ مِنْهَا بِأَكْوَسِ
عَذِيرِي مِنْ لِحَافٍ ضَعِيفٍ وَقَدْ غَدَا يُحْكِمُ مِنَّا فِي جُسُومِ وَأَنْفُسِ

(١) هذا البيت من نفع الطيب .

وروض شبابٍ ماسٍ غُصْنُ قَوامِهِ
وما زالَ وَرْدُ الخَدِّ وهو مُصَمِّفٌ
وكم جالِ طَرْفِ الطرفِ في روضِ حُسنِهِ
أما وليالي الوَضَلِ في رَوْضَةِ الصَّبَا
لئن نَسِيتُ تلكَ العهودَ أَحَقَّتْ
وحاشا لِنَفْسِي بعدَ ما أَفْتَرَّ قَوْدُها [٢٠٨]
وَأَلَمَها ثوبَ الوَفَارِ خَلِيفَةُ
وجَدَدٌ لَمُتَّحِ المِيعَتِ مَواسِمَا
وأَوْرَثَها القَلْبَاءَ كُلَّ حَلِيفَةٍ
فيا زاجرَ الأَطْلَافِ وهي صَوامِرُ
إذا حَثَّ من دارِ النَّعْيِ رِبَّةً
فإن شئتَ من بحرِ السَّحَابَةِ فاعْتَرِفْ
أُمُولايَ وَأَلِي السَّعْدِ مَنكَ وَلَايَةً (١)
إذا شئتَ أَنْ تَرِمِي القَهْقَرَى مِنَ النِّمَى
فَقَرِمِي بِهِمْ من سُدُودِكَ صَانِبِ
أَهْثِيكَ بِالْإِبْلَالِ مِمَّنْ شَفَاؤُهُ
وَدَعْنِي أُرْدَ يُنْصَلِّكَ هِيَ عَمَامَةٌ
وفَتَحَ فِيهِ اللَّحْظُ أَزْهَارَ تَرْجِسٍ
يُغِيرُ أَفْجَحَ الثَّغْرِ طِيبَ نَفْسٍ
بُغْيَدُهُ فِيهِ الْعِدَارُ بِسُنْدُسٍ
وَمَأْنِي أَحْبَابِي وَعَهْدِي نَأْسِي
فَقَلْبِي عَهْدَ العاصِمَةِ ما نَسِي
من الشَّيْبِ عَنْ صُبْحٍ بِهِ مُتَنَفِّسٍ
[بِهِ لَيْسَ الْإِسْلَامُ أَشْرَفَ مَلْبَسٍ] (٢)
أَقَامَ بِهَا الْإِيمَانُ أَفْرَاحَ مُعْرِسٍ
نَمَادُ إِلَى الْأَنْصَارِ كُلُّ مُقَدَّسٍ
بَغِيرِ الْقَلَا وَالْوَحْشِ لَمْ تَنَأَسِ
مُنَاجِ الْمَلَا وَالْعَزَّ فَانْزِلْ (٣) وَعَمْرِسٍ
وإن شئتَ من نُورِ الهَدَايَةِ فَاقْبِسْ
أَنَارَتْ بِهَا الْأَكْوَانُ جَدْوَةَ مُقْبِسٍ
تَدُورُ لَكَ الْأَفْلاكُ مَرْفُوعَةَ النَّسَى
سَدِيدٍ لِأَعْرَاضِ الْأُمَامِي مَمْرُطِسٍ (٤)
شَفَاؤُكَ فَاسْكِرْ مَن ثَلَاثِي وَفَدَّسٍ
تُبْحَلُ صَوْبَ الْعَارِضِ الْمُتَنَبِّحِ (٥)

(١) التَّكَلُّفُ عَنْ رَجْعِ الطَّيْبِ .

(٢) فِي رَجْعِ الطَّيْبِ : « فاعقل » .

(٣) رَوَاةُ هَذَا الشَّطْرِ فِي رَجْعِ الطَّيْبِ : « أُمُولَايَ إِنْ السَّعْدَ مَنَكَ لَأَيَّةٌ » .

(٤) بِقَوْلِهِ : رَمَى قَهْرُطِسَ ، إِذَا أَصَابَ الْفَرَسَ .

(٥) الْعَارِضُ : السَّحَابُ الْمُرْتَمِسُ فِي الْأَفْقِ . وَالتَّنْبِيحُ : السَّحَابُ الْمُنْتَهَرِ .

أَقْلُ مِنْهَا رَاحَةً إِنْ رَاحَةً أَنْتَ بِهَا الرُّخْبَانِ مِنْ بَيْتٍ مَقْدَسٍ
وَمَنْ نَسَبَ الْفَتْحَ الشُّبَيْنَ وَلَادَةً إِلَيْهِ بِغَيْرِ الْفَخْرِ لَمْ يَنْتَهِسْ^(١)
فِيَابَهُمَا الْمَوْلَى الَّذِي بَكَاهُ خَلِيفَةُ هَذَا الْعَصْرِ فِي الْفَخْرِ تَأْتِي
[لَأَمَنْتَ^(٢)] مُوسَى^(٣) مِنْ عَوَادِي سَمِيَةٍ وَلَوْلَاكَ لَمْ يَرْحَ بِخَفِيفَةٍ مُوجِسٍ
بَعَثَ بِجَمِيعِ النَّفِيقَةِ ، فِي اسْمِهِ خُلُودٌ لِعَزٍّ ثَابِتٍ مُتَأَسِّسٍ
لِجَاهِكَ لِمَالِ الْعَرِضِ هَدْبَةٌ بِهَا الدِّينُ أَثْوَابُ الْمُسْرَةِ يَكْتَسِي
وَشَفَعَهَا بِالْإِصْفَاتِ كُلِّهَا وَقَدْ رَاقَ مَرَّهَا جَاذِرُ مَكْنَسٍ
تَنْصَحُ مِنَ الْإِشْرَافِ جِيدَ غَزَالَةٍ وَتَرْتَوِي مِنَ الْإِبْجَاسِ عَنْ لَحْظِ أَشْوَاسٍ
لَكَ الْخَيْرُ ، مُوسَى مِثْلُ مُوسَى كَلَامَهَا بِغَيْرِ شِعَارِ الْوُدِّ لَمْ يَنْتَهِسْ
فَلَا زِلْتُ فِي ظِلِّ النِّعَمِ وَكُلُّ مَنْ بِعَادِيكَ لَا يَنْفَكُ يَشْقَى بِأَيُّوسٍ
عَلَيْكَ سَلَامٌ مِثْلَ حَمْدِكَ عَاطِرٌ تَنْفُسُ وَجْهَ الصُّبْحِ عَنْهُ مَعْطِيسُ

ثم قال بعد ذكر كثير من نظمه وبعض ميلادياته :

وَأُنْشِدُ فِي مَوْلِدِ عَامِ خَمْسَةِ وَسِتِّينَ :

لَعَلَّ الشَّمَا إِنْ صَالَحَتْ رَوْضَ نَعَانٍ تَوَدَّى مَانَ الْقَلْبِ عَنْ ظَلِيَةِ الْبَانِ
وَمَاذَا عَلَى الْأَرْوَاحِ وَهِيَ ظَلِيْقَةٌ لَوْ احْتَمَلَتْ أَنْفَاسُهَا حَاجَةَ الْعَالِي
وَمَا حَالُ مَنْ يَسْتَوْدِعُ الرِّيحَ سِرَّهُ وَبَطْلُهَا وَهِيَ النَّوْمُ بِكَيْتَانِ
وَكَاظِلِيفٍ أَسْتَقْرِيه فِي سِنَةِ الْكُرَى وَهَلْ تَنْفَعُ الْأَحْلَامُ غُلَّةَ ظَلَمَانِ

[٢٠٩]

(١) أَي لَمْ يَمِمْ دَعَاوَاهُ عَلَى أَسَاسٍ .

(٢) التَّنَكُّلُ عَنْ بَيْعِ الطَّيِّبِ .

(٣) مُوسَى : هُوَ مُوسَى بْنُ أَبِي عَنَانَ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ الْمَرْيَمِيِّ ، قَامَتْ لَهُ دَوْلَةٌ بِالْعَرَبِ الْأَفْصَى
بِمُعَاوَدَةِ ابْنِ الْأَخَرِ مِنْ سَنَةِ ٧٨٦ إِلَى سَنَةِ ٧٨٨ هـ . أَمَّا سَمِيَّةُ فَلَمَّا لَمْ يَفْصَدْ
أَبَا هُرَيْرَةَ مُوسَى بْنُ يُوْسُفَ الرَّبَاطِيِّ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْوَادِ ، سُلْطَانِ الْعَرَبِ الْأَوْسَطِ ،
وَكَانَ كَثِيرَ الشُّعْبِ عَلَى مَمْلُوكِ الْعَرَبِ الْأَفْصَى .

في مولد عام
خمس وستين

أَسْأَلُ عَنْ نَجْدٍ وَسَرَى صَبَابِي
وَأُبْدِي إِذَا رَجَحَ الشَّمَالُ تَنَفَّسْتِ
عُرِفْتُ بِهَذَا الْحُبِّ لَمْ أَدْرِ سَلَوَةٌ
فِيَا صَاحِبِي تَجَوَّاهِ وَالْحُبُّ غَايَةٌ
وَرَاءَكَ مَا اللُّومُ يَنْثِي مَقَادِنِي
وَأَيْ وَإِنْ كُنْتُ الْأَبَى قِيَادُهُ
وَلَا زِلْتُ أَرْضِي الْعَهْدَ فِيمَنْ يُصِيعُهُ
فَلَا تَنْكُرَا مَا سَمِعْتَنِي تَضَعُ الْهُدَى
لِي اللَّهُ إِنَّمَا أَوْمَضَ الْعُرْقُ فِي الدُّجَى
وَأِنْ سُلِّتُ مِنْ غَيْدِ الْعِلَامِ حُسَامُهُ
نَرَأَى بِأَعْلَامِ التَّيْسَةِ بِاسْمِهَا
أَسَامِرُ نَجْمِ الْأَفْقِ حَتَّى كَأَنَّا
وَمِمَّا أَنَا فِي الْأَفْقِ عَدِيهِ بِالْجَوَى
وَرُسُلُ صَوْبِ الْقَطْرِ مِنْ فَيْضِ أَدْمَعِي
وَضَاعَفَ وَجْدِي زَمْزَمُ دَارِ عَهْدَتِهَا
عَلَى حِينِ شِرْبِ الْوَصْلِ غَيْرِ مُصَرَّدِ
لَنْ كَذَّرْتُ عَيْفَى الطَّلُولِ فَالِهَا
وَلَمْ أَرِ مِثْلَ الدَّمْعِ فِي عَمْرَ صَاتِهَا
وَمِمَّا شَجَانِي أَنْ مَرَى الرِّكْبُ مَوْهِنًا
غَوَارِبُ فِي بَحْرِ الشَّرَابِ تَغَالُهَا

مَلَاعِبَ غَزْلَانِ الصَّرِيمِ بَنَعَانِ
شِمَائِلَ مُرْتَاحِ الْمَعَاطِفِ نَشْوَانِ
وَأَنْ لِمُسْلُوبِ الْقَوَادِ بَسْلُوفِ
فَرَنْ سَابِقِ جَلِّي مَدَاهِ وَمَنْ وَانِي
فَأَنْتِ عَنْ شَانِ التَّلَامَةِ فِي شَانِ
لِيَا مُرْنِي حُبِّ الْحَسَنِ وَبَيْنَاهِي
وَأَذْكَرُ إِلَنِي مَا حَيَّيْتُ وَيُنْسَانِي
فَرَنْ قَبْلُ قَدْ أَوْدَى بَقِيصَ وَغِيلَانِ^(١)
أَقْلَبَ نَحْتِ اللَّيْلِ مُقَالَةَ وَسَنَانِ
بَرَسَى كَبْدِي الشَّوْقُ الْعُلِيمُ وَأَضْنَانِي
فَأَذْكَرُنِي الْعَهْدَ الْقَدِيمَ وَأَبْكَانِي
وَقَدْ سَدَلَ اللَّيْلِ الزَّوْاقِ حَلِيفَانِ
فَارَعَى لَهُ مَرْحَ النُّجُومِ وَبَرَّعَانِي
وَيَقْدَحُ زَنْدَ الْبَرَقِ مِنْ نَارِ أَشْجَانِي
مَطَالَعِ شَهْبِ أَيْمَرَانِ غَزْلَانِ
وَصَنُوءِ اللَّيَالِي لَمْ يُسْكَدِرْ يَهْجِرَانِ
تَمَتَّتْ إِلَى قَلْبِي بِذِكْرِ وَعِرْفَانِ
سَقَى تَرْبَتَهَا حِينَ اسْتَهْلَ وَأَطْلَانِي
تُقَادُ بِهِ هُوجَ الرِّيَّاحِ أَبَارِسَانِ
وَقَدْ سَبَّحَتْ فِيهِ مَوَازِيرَ غِرْبَانِ

(١) فيس : المراد به فيس بن اللوح محنون بن عامر . وغيلان : ذو الرمة العامر .

على كل نضو مثله فكأنما
ومن زاجر كؤماء مخطفة الخشي
نشاوى غرام يستميل رءوسهم
أجابوا نداء البين طوع غرامهم
يؤمنون من غير الشيعر متابة
إذا نزلوا من طيبة بحواره
[بحيث علا الإيمان وامتد ظله
مطالع آيات تنانة رحمة
هنالك تصفو للقبول موارد
هناك تؤدى للسلام أمانة
يناجون عن قرب شفيعهم الذي
لئن بلغوا دُرِّي وخُلَّتْ إله
وكم عزيمة منبتت نفسى صرورها
إلى الله نشكوها نفوساً آتية^(١)
ألا ليت شعري هل تُساعدنى المني
وأقضى لبانات الفؤاد بأن أرى
إليك رسول الله دعوة نازح
غريب بأقصى القرب قيد خطوه

رعى منها صدر المغارة مهبان
توسد منها فوق عوجاه سران
من النوم والشوق للبرح سُكران
وقد تلبَّح الأوطار فرقة أوطان
تطلع منها جنة ذات أفتان
فأكرم مولى ضم أكرم صيفان [٢٦٠]

وزان حلى التوحيد تعطيل أوثان^(٢)
مهاد أملك مظاهر إيمان
يسقون منها فضل عمو وعوران
يُحييهم عنها برّوح وزحان
بؤمله القاصي من الخلق والذاني
قضاء جرى من مالك الأمر ديان
وقد عرفت منى مواعد ليگان^(٣)
نحيد عن الباقي وتغتر بالفاقي
فأترك أهلى فى رضاء وجيرانى
أعقر خدّى فى تراء وأجفانى
خفوق العشى رهن المطامع هبان
شباب تقفى فى سمرار وخشمران

(١) هذا البيت عن جمع الطيب (ج ٣ ص ٢٥ دلة الأثرية).

(٢) القيان (بكسر اللام وفتحها) : اللؤلؤ.

(٣) كذا فى جمع الطيب . بعض النفوس بالروح والانشاء . والذي فى الأصل :
أئمة . ولا معنى لها .

يُحِبُّ اشتياقاً للتفريق وبأنه
وإن أومض التزق الحجازي موهباً^(١)
فيامولي الزنعي ويا مذهب العمي
بسلط يد المحتاج يا خير راح
وسيلتي العظمى شماعتي التي
فأنت حبيب الله خاتم رسله
وحسبك أن تتكأ أسماء العلاء
وأنت لهذا الكون علة كونه
ولولاك الأفلاك لم تجل كبراً
خلاصة صفو المسجد^(٢) من آل هاشم
وسيد هذا الخلق من نسل آدم
وكأية أطلعت في أفق الهدى
وما الشمس تجلوهل النهار لبصر
وأكرم بآيات تحذقنا بها
وماذا عسى يُثني البليغ وقد أتى
فصل عليك الله ما اسكب^(٣) الحيا

ويصبر إليها ما استجد الجديدان
بردد في الظلما أنه لهفان
ويامجد الفرق ويامقد العاني
وذني ألباني^(٤) إلى موقف الجاني
يلوذ بها عيسى وموسى بن عمران
وأكرم مخلص برزقي ورضوان
وذاك كمال لا يشاب بنقصان
ولولاك ما امتاز الوجود بأكون
ولا قلدت^(٥) أنباهن بشهين^(٦)
وسكنة سير المعمر من آل عدنان
وأكرم مبعوث إلى الإنس والجان
يبين صباح الرشد فيها ليقظان
بأجلى ظهوراً أو بأوضح برهان
ولا مثل آيات لحكم رفان
ثناؤك في وحى قديم^(٧) وقرآن
وما سجدت وزقاء في غصن البان

[٢٦١]

(١) للوهن : نحو من نصف الليل ، أو بعد ساعة منه .

(٢) ألباني : يريد : « ألباني » بالهمز ، فسهل قشعر .

(٣) التكلفة عن نفع الطيب .

(٤) كذا في نفع الطيب . وفي الأصل : « الخلق » ، ويستقيم المعنى بهذا أيضاً ، غير أن ما أوجنتاه يلزم الشطر الثاني من البيت .

(٥) في نفع الطيب : « كرم » .

(٦) كذا في نفع الطيب . والذي في الأصل : « انسبك » ، ولعله تبديل من التاسع .

وأبَد مولانا ابنَ نَفَرٍ فَنَاهُ أَهْلَهُمْ - كَأَبْرَضِيكَ - مَوْلَاكَ الَّذِي سَمِيَّ رَسُولَ اللَّهِ نَاصِرَ دِينِهِ وَوَارِثَ سِرِّ الْمَجْدِ مِنْ آلِ حَزْرَجٍ وَمُرْسِلَهَا مِلَّةَ النَّصَاءِ كَتَائِبًا حَدَائِقَ خُضْرٍ وَالْمَذْرُوعِ^(١) غَدَائِرَ تَجَارِبُ فِيهَا الصَّاهِلَاتُ وَتَرْتَمِي فَنَ كُلِّ خَوَّارِ الْعَنَانِ قَدْ ارْتَمَى وَمُورِدِهَا ظِلْمَايَ الْكُمُوبِ ذَوَابِلًا وَلَقَدْ مِنْهَا وَالزَّبُوعِ مَوَاحِلُ إِذَا أَخْلَفَ النَّاسُ الْعِلْمُ وَأُخْطِئُوا إِمَامٌ أَعَادَ الشُّلُوكَ بِمَسَدِ ذَهَابِهِ فَغَادَرَ أَطْلَالَ الضَّلَالِ دَوَارِسًا وَشَيْدَهَا وَالْحَدُ يُشْهَدُ دَوْلَةً وَرَاقَ مِنَ الثَّنْرِ الْغَرِيبِ ابْتِسَامُهُ لَكَ الْخَيْرُ مَا أَسْنَى شِمَاكَ الَّذِي ذَكَرَا، إِيَّاسَ فِي سَمَاحَةِ حَاتِمِهِ أُمُولَايَ مَا أَسْنَى مَنَاقِبِكَ الَّذِي فَلَا زِلْتَ يَا غَوِثَ الْبِلَادِ وَأَهْلَهَا

ثم قال بعد سرود ميلاديه، وأنشد ذلك في مولد سنة سبع وستين وسبع مئة وألم في آخرياتها بوصف التشور الأسنى، الرفيع التبئى :

(١) كذا في نسخ الطيب . وفي الأصل : « والدموع » . وهو تحريف .

في مولد سنة
سبع وستين
وسبع مئة

زار الخيال [بأَيَّسِ الزَّوْرَاءِ] ^(١) جلا سنده غياهب انظلماء
وسرى مع النسبات يسحب ذيله فأنث قزيم تقدير وكتبه ^(٢)
هذا وما شئ: أَلَدَّ من المني إلا زيارته مع الإغناء
بتنا خيالن التبعنا بالذنى والشتم ما نخشى من الرقباء
حتى أفاق الصبح من غمراته وتجاذبت أيدى النسم ردائى
ياسألى عن سر من أحبته السر عنى ميث الأحياء
تلقه ما أشكو الحمة والهوى لسوى الأحية أو أموت بدائى
يا زين ^(٣) قلبي لست أبرح عانيا أرضى بسفى فى الهوى وعنائى
أبكى وما غير التجميع مدايعى أذكى ولا صرمت سوى أحشائى
أهفو إذا تنهو البروق وأثنى لرسمى النواصم من ربا تيماء
بالله يا نفس الجمى ^(٤) رفقا بن أغربته بنفس الشعداء
عجبا له بقدى على كبدى أذكى بقلبي جمرة البرحاء
ياسأكنى البطحاء أى لبيانى لى عندك ياسأكنى البطحاء
أنزى النوى يوما تخبى قداحها ويفوز قدحى منكم بقاء
فى حيك قر فزادى أفقه تفديه فعى من قريب نائى
لم نفسى الأيام يوم وداعه والركب قد أوفى على الزوراء
أبكى ويثير والحاسن تجتلى فعلت بين تبسم وبكاء
يا نظرة جادت بها أيدى النوى حتى استهلت أدمى بدما

[٢٦٢]

(١) التكة عن نفع الطيب .

(٢) السكاه (بالكسر) : عود البخور ، أو ضرب منه .

(٣) فى النسخين المخطوطين من نفع الطيب : « يدين » .

(٤) كذا فى نفع الطيب . مطبعة الأزهرية ، أى ياربى الحى . وفى ط : « يا ناساندم الحى » .

مَن لِي بِثَانِيَةِ تُسَادَى بِالْأَسَى : «فَذَكَ اتَّيَدُ اسْرَفَتْ فِي الْفُلُوَا»^(١)
 وَلَرَبِّ لَيْسَلٍ بِالْوَحَالِ قَطْعُهُ أَجَلُو دُجَاءَ بِأَوْجُو النَّدْمَا
 أَنْسَبْتُ فِيهِ الْقَلْبَ عَادَةً جِلْمُهُ وَخَتَّنْتُ فِيهِ أَكْثُلُسَ السَّرْمَا
 وَجَرَيْتُ فِي طَلَقِ التَّصَانِي جَاهَا لَا أَنْتِي لِمَقَادَةِ النُّصَحَا
 أَطْوَى شَبَابِي لِلشَّيْبِ مَرَّاحِلًا بِرَوَاحِلِ الْإِصْبَاحِ وَالْإِمْسَا
 يَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ أَرَى أَطْوَى إِلَى قَبْرِ الرُّسُولِ صَحَافَتِ الْيَدَا
 فَطَلِبَ فِي تِلْكَ الرُّبُوعِ مَدَاحِي وَيَطْوِلُ فِي ذَلِكَ التَّقْسَامِ ثَوَانِي
 حَيْثُ النُّبُوءَةُ نَوْرُهَا مَتَاقٌ كَالشَّمْسِ تَرْقِي فِي سَنَى وَسَنَاءِ
 حَيْثُ الرِّسَالَةُ فِي نَيْفَةِ قُدْسِهَا زَهَمْتُ لَمَذَى الْخَلْقِ خَيْرَ لَوَا
 حَيْثُ الضَّرْبَةُ ضَرْبُهُ أَكْرَمُ مُرْسَلٍ فَخَرِ الْوُجُودِ وَصَافِعِ الشُّغَا
 الْمُتَطَلِّقِ وَالْمُرْتَقَى وَالْمَحْتَضَى وَالشُّنْقُ مِنْ غُنْصَرِ الْقَلْبَا
 خَيْرِ الْبَرِيَةِ مَحْتَبَاهَا ذُخْرُهَا ظِلُّ الْإِلَهِ الْوَافِرِ الْأَفْيَا
 تَاجِ الرِّسَالَةِ خَتْمُهَا وَقَوَائِمَا وَعَادِهَا السَّائِي عَلَى الثُّنْطَرَا
 لَوْلَا الْإِفْلَاقُ مَا لَاحَتْ بِهَا شُهْبُ نُسَيْرِ دِيَاخِي الظُّلْمَا
 ذُو الْمَجْزَاتِ الْفَرِّ وَالْآيِ الْتَى أَكْثَرْنَ عَنْ عَدْرِ وَعَنْ إِحْصَا
 وَكَفَاكَ رَدُّ الشَّمْسِ بِقُدْرَتِهَا وَكَفَاكَ مَا قَدْ جَاءَ فِي الْإِسْرَا
 وَالْبَدْرِ شَوْهُ لَهْ وَكَمْ مِنْ آيَةٍ كَأَنَّمَا لِي جَادَتْ^(٢) يَنْفَعُ الْمَا
 وَبَلْبِلَةُ اللَّيْلَادِ كَمْ مِنْ رَحْمَةٍ نَشَرَ الْإِلَهِ بِهَا وَمِنْ نَمَا
 قَدْ بَشَّرَ الرُّسُلُ الْكِرَامُ يَمَثُ وَتَقَدَّمَ الْكُفَّانُ بِالْأَنْبَا

(١) هذا صدر بيت لأبي تمام ، وقامه : « كم تغفلون وأثم سجراني » . وفي الديوان

« انشب أربيت » مكان : « اتند اسرفت » . وهو بمضارع .

(٢) في نفع الطيب : « جادت » .

أَكْرَمَ بِهَا بُشْرَى عَلَى قَدَرٍ سَرَتْ فِي السَّكُونِ كَالْأَرْوَاحِ فِي الْأَعْضَاءِ
 أَمْسَى بِهَا الْإِسْلَامُ يُشْرِقُ نُورُهُ وَالْكَفَرُ أَصْبَحَ هَاسِمَ الْأَرْجَاءِ
 هُوَ آيَةُ اللَّهِ الَّتِي أَنْوَارُهَا تَجْلُو ظِلَامَ الشُّكِّ أَيْ جِلْدَاءِ
 وَالشَّمْسُ لَا تَخْفَى مَرِيئَةً فَضْلَهَا إِلَّا عَلَى ذِي الْمُقْسَلَةِ الْعِمْيَاءِ
 يَا مُصْطَفَى وَالسَّكُونُ لَمْ تَغْلُقْ بِهِ مِنْ بَعْدِ أَيْدِي الْخَلْقِ وَالْإِنْشَاءِ
 يَا تَطَهَّرَ الْحَقُّ الْخَلْقُ وَمَطْلَعُ الشُّبُورِ السَّيِّئِ السَّافِرِ ^(١) الْأَضْوَاءِ
 يَا تَأَجَّأَ الْخَلْقُ لِلشَّمْعِ فِيهِمْ يَا رَحِمَةَ الْأَمْوَاتِ وَالْأَحْيَاءِ
 يَا آسَى الرَّضَى وَمُنْتَجِعَ الرِّضَا وَمَوَاسِي الْأَيْتَامِ وَالضُّفَّاءِ
 أَشْكُو إِلَيْكَ وَأَنْتَ خَيْرُ مُؤَمِّلٍ دَاءِ الدُّنُوبِ وَفِي يَدَيْكَ دَوَائِي
 إِنِّي مَدَدْتُ يَدِي إِلَيْكَ تَقَرُّعًا حَاشَى وَكَلَّا أَنْ يَخْجِبَ رَجَائِي
 إِنْ كُنْتُ لَمْ أَخْلُصْ إِلَيْكَ فَأَنَا خَلَصْتُ إِلَيْكَ مَحَبَّتِي وَنِدَائِي
 وَبَعْدُ مَوْلَايَ الْإِمَامَ مُحَمَّدٍ [تَعِدُ] الْأَمَانِي أَنْ يَتَنَحَّاهُ
 ظِلُّ الْإِلَهِ عَلَى الْبِلَادِ وَأَهْلِهَا نَفَرِ الْمُلُوكِ السَّادَةِ الْخُلَفَاءِ
 غَوَّثِ ^(٢) الْعِبَادَ وَأَبْنِ مُشْتَجِرِ الْقَنَا يَوْمَ الطَّلَاعِ وَفَارِجِ الْغَمَاءِ
 كَالْدَهْرِ فِي سَطَوَاتِهِ وَسَمَاحِهِ تَجْرَى صَبَاحَ بَرْقَعِ وَرُخَاءِ
 رَفَّتْ سَجَايَاهُ وَرَاقَتْ مُجْتَلَى كَالْتَهْرِ وَشَطِ الرُّوضَةِ الْقِيَحَاءِ ^(٣)
 كَالزُّهْرِ فِي إِبْرَاقِهِ وَالْبَسْدَرِ فِي إِشْرَاقِهِ وَالزُّهْرِ فِي اللَّأْلَاءِ
 يَا بَنَ الْأَلَى إِجْمَالِهِ ^(٤) وَحَمَلِهِ فَلَقَى الصَّبَاحَ وَوَاكَفَ الْأَنْوَاءِ

[٢٦٤]

(١) فِي نَجْعِ الطَّيِّبِ : « السَّاطِعِ » .

(٢) فِي نَجْعِ الطَّيِّبِ : « غَيْثٌ » .

(٣) فِي مَوْجِ الطَّيِّبِ : « الْغَمَاءُ » .

(٤) إِجْمَالُهُ ، أَيْ تَوْسِعُهُمْ فِي الْمُرُوفِ وَالْإِنْعَامِ . وَفِي الْبَيْتِ لَفٌّ وَتَعْرِيفٌ غَيْرُ مَرْتَبِينَ .

أنصار دين الله حِزْبَ رسوله
يا بن الخلائف من بنى نصرٍ ومن
من كل من تنفد الملوك ببابه
قوم إذا قاذوا الجيوش إلى الزغى
والعز مجلوب بكل كتيبة
يا وارثا عنها مناقبها التي
يا غفر أذلس وعصمة أهلها
كم خضت طوع صلاحها من مهتر
تهدى بها حادى الشرى بعزائم
فارفع لواء الفخر غير مذافع
واهنأ بمبتكك السعيد فإنه
لله منه هالة قد أصبحت
تفتابها طير الرجاء فتجتني
لله منه قوة رفوعة
راقت بدائع وشيها فكأنها
عظمت ميلاد النبي محمد
أحييت ليلك ساهرا فأفدتنا
يا أيها الملك الهمام للجبتي
من لي بأن أحصى منأربك التي^(٣)

والتابقين بعتبة القلياء
حاطوا ذمار المسلة السحاء
يستطرون سحاب السماء
فالزعب رأيدهم إلى الأعداء
والنصر معقود بكل لواء
تسمو سراقها على الجوزاء
يجزيك عنها الله خير جزاء
لا تهتدى فيه القطا للساء
تهدى نجوم الأفق فضل ضياء
واشحب ذبول العزة النفساء
كلفت ليوم مشورة وعطاء
حرّم الغفاة ومضرع الأعداء
تمرّ التي من قوحة الآلاء
دون السماء تقوت لحظ الزاقي^(١)
وشئ الربيع بشقطة الأنداء^(٢)
وشفمنه باليسلة الغراء
قوت القلوب بذلك الإحياء^(٣)
فانت غلاك مدارك الغفلاء
ضاقت بين مذاهب الفصحاء^(٤)

(١) م : • الأواء • .

(٢) و هذا البيت ثورية بكتاني : • قوت القلوب لأبي طالب المكي • و • الإحياء
لغزالي • . وكلاهما في التصوف .

(٣) كذا في م ونجح الطيب . وفي ط : • ... أحصى مدامك التي • .

(٤) كذا في م ونجح الطيب . وفي ط : • طرفت بين مذاهب الفضلاء • .

وإليك منى روضة مظلولة أُرِجَتْ أَزْهَارُهَا بِطَيْبِ ثَنَاءٍ
فَانْفُحْ لَهَا أَكْنَافَ صَفْحِكَ إِنِّهَا يَكْرَهُ أَنْتَ تَمْشِي عَلَى اسْتِجْيَاءِ

قال : وأُتِيتُ من ذلك في مولد عام ثمانية وستين ، وقد كان مولانا رضى الله عنه أبى أن يرسل العنان في مدح مقامه ، مباينة في توقير جانب الصعاني صلى الله عليه وسلم وإعظامه ؛ فلهذا التصد الأدبى الكريم أنى من المدح ^(١) الساعطانى [٢٦٥] في آخرها للمتعمم القريب ، واكتفى من القلادة بما أحاط بالتريب ^(٢) ؛ ومدّ القول في ذكر الرسول وعجايب مجده ، حسبما اقتضاه الاختيار من مولانا كافاً الله بحيل قصده ، آمين :

هذا الصَّباحُ صَبَّاحُ الشَّيْبِ قَدْ وَضَحَا
لِلدَّهْرِ لَوْنَانِ مِنْ نُورٍ وَمِنْ غَسَقٍ
وَتِلْكَ صِبْغَتُهُ أَعْدَى ^(٣) بَذِيهِ بِهَاسَا
مَا يَنْكَرُ لِلرَّءِىِّ مِنْ نُورٍ جَلَّاهُ غَسَقًا ^(٤)
إِذَا رَأَيْتَ بَرَقَ الشَّيْبُ قَدْ بَسَمَتْ ^(٥)
يَلْقَى الشَّيْبُ بِاجْلَالٍ وَنَكْرَمَةٍ
أَمَّا وَمِشْلَى لَمْ يَبْرَحْ بَعْلَلُهُ
وَالْبَرَقُ مَا لَاحَ فِي الظُّلُمَاءِ مُبْتَسِمًا
فَسَا لِهَ بَرَقِيبِ الشَّيْبِ مِنْ قَبْلِ
سَرَّ عَانَ مَا كَانَ لَيْلًا فَاسْتَنَارَ ضُحَى
هَذَا يُعَاقِبُ هَذَا كُلُّمَا بَرَحَا
إِذَا تَرَاخَى بِحَالِ الْعُمَرِ وَانْقَسَا
مَا لَمْ يَكُنْ لِأَمَانِي النَّفْسُ مُطَرِّحَا
بِمُفَرِّقٍ فَفَحِيتَا الْعَيْشَ قَدْ كَلَحَا
مَنْ قَدْ أَعَدَّ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا صَلَحَا
مِنْ النَّسِيمِ عَابِلٌ كُلُّمَا نَفَحَا
مِنْ جَانِبِ الدَّمْعِ إِلَّا دَمَعَهُ سَقَحَا
مِنْ بَعْدِ مَا لَمْ فِي شَأْنِ الْهَوَى وَلَحَا

(١) كذا في م . وفي ط : « بالمدح » .

(٢) التريب واحد الترائب . وهى ما يلبى الترفوتين من مقام الصدر ؛ يشير إلى المثل المعروف :

« يكفى من القلادة ما أحاط بالحق » . والذى فى الأصلين : « بالتريب » وهو تحريف .

(٣) كذا في م . وفي ط : « أهدى » .

(٤) الغسق : ملة أول الليل .

(٥) كذا في م . وفي ط : « لعت » .

ما أنشده في مولد
عام ثمانية وستين

يَأْتِي وَفَائِي أَنْ أَصْنِي لِلْأَمَّةِ
يَأْهَلُ نَجْدٍ سَقَى الرَّسْمِيَّ رَقَسَكُمْ
مَا لِلْفُؤَادِ إِذَا هَمَّتْ بِمَارِئِيَّةٍ
يَا حَبْدًا نَسَمَةً مِنْ أَرْضِكُمْ تَفَعَّتْ
يَا جَوْدَةً تَعْرِفُ الْأَحْيَاءَ جُودَهُمْ
مَا رَمَتْ بَارِقَةً مِنْ جَوْدِ كَاطِمَةٍ (١)
فِي ذِمَّةِ اللَّهِ قَلْبِي مَا أَغْلَلَهُ
كَمْ لَيْلَةٍ وَالذُّجَى رَاعَتْ جَوَانِبَهَا
سَرَبَتْهَا وَنَحْوَمُ الْأَفْقَ فِيهِ طَلَعَتْ
بِاسْمِ أَهْنَدِي لَيْسَ بِفَرْقَةٍ
وَالسَّعْبُ تَنْشُرُ دُرَّ الدَّمْعِ مِنْ فَرْقٍ
مَا طَالَبَتْ هَمَّتِي دَهْرِي بِمَعْلُومَةٍ (٢)
وَلَا أَذْرَتْ كُثُوسَ الْعَزَمِ مُغْتَبِقًا
هَذَا وَكُلُّ الَّذِي قَدْ نَلْتُ مِنْ أَمَلٍ
كَمْ بِكَدْحِ الْمَرْءِ لَا يَدْرِي مَنِبَتَهُ
وَارْتَحَمًا لَشَبَابِي ضَاعَ أَطْيَبُهُ
أَلَيْسَ يَا أَمْنًا اللَّائِي سَلَفُنَا لَنَا
وَأَنْ أَطْيَعَ غَدُولِي غَشَّ أَوْ نَصَحًا
غَيْشًا يُبَالِ غَلِيلُ الْقُرْبِ مَا اقْتَرَحَا (٣)
تَهْدِيهِ أَفْصَاهَا الْأَشْجَانُ وَالْبَرَحَا
وَحَبْدًا زُرْتُ مِنْ جَوْدِكُمْ سَحَا
مَا ضَرَّ مِنْ ضَنْ بِالْإِحْسَانِ لَوْ سَمَحَا
إِلَّا وَبَيْتٌ لَزُنْدِ الشَّوْقِ مُقْنَدَحَا
بِالْقُرْبِ إِلَّا وَعَادَ الْقُرْبُ مُفْتَرَحَا
قَلْبَ الْجَانِ فَمَا يَنْفَكُ مَطْرَحَا
جَوَاهِرًا وَعُجَابِ اللَّيْلِ قَدْ طَفَحَا
وَالْبِدْرِ فِي أَجْرِ الظُّلُمَاءِ قَدْ سَبَحَا
وَالْجَوْدُ يَخْلَعُ مِنْ بَرَقِ الدُّجَى وَشُحَا
إِلَّا بَلَقْتُ مِنْ الْأَيَّامِ مُسْتَقَرَحَا
إِلَّا أَذْرَتْ كُثُوسَ الْعِزِّ مُضْطَلَحَا
مِثْلَ الْخِيَالِ تَرَاءَى ثُمْتُ انْتَرَحَا (٤)

[٢٦٦]

(١) كذا في م . وفي ط : « عيشًا يمل غليل الثوب ما اقترحا » وهو تحريف .
(٢) كاطمة : موضع على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة ، بينها وبين البصرة
مراحلتان . وفيها ركاب كثيرة وماؤها شروب . وقد أكثر الفراءة من ذكرها .
(٣) انظر الحاشية (رقم ٢ ص ٣٩) من هذا الجزء .
(٤) كذا في م . وفي ط :

هذا وكل الذي أملت من أمل مثل الخيال تراءى ثمت انتزعا

إِنَّا إِلَى اللَّهِ، مَا أَوْلَى لِلنَّاسِ بِنَا^(١) لَوْ أَنَّ قُلُوبَنَا إِلَى التَّوْفِيقِ قَدْ جَنَحَا
الْحَقُّ أَبْلِغْ وَالْتِمَاجَةُ عَنْ كَسْبِ وَالْأَمْرُ لِلَّهِ وَالْمُعْتَبَى لِمَنْ صَلَحَا
يَا وَبِحَجِّ نَفْسٍ تَوَانَتْ عَنْ مَرَاثِدِهَا وَطَرَفُهَا فِي عَيْنِ النَّفْسِ قَدْ سَمَحَا
نُجُوجِ الْخِلَاصِ وَلَمْ تَنْهَجْ مَسَالِكَهَا مِنْ بَاعِ رُشْدًا بَغَى قَلْبًا رَجَحَا
يَا رَبِّ صَفْحَكَ بَرِّجْ كُلُّهُ مُقَرِّفٍ فَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ يَعْبُو وَمَنْ صَفَحَا
يَا رَبِّ لَا سَبَبَ أَرْجُو الْخِلَاصَ بِهِ إِلَّا الرِّسُولَ وَاطْلُقْنَا مِنْكَ إِنْ نَفَحَا
فَمَا جَاءَتْ لَهُ فِي دَفْعِهِ مُعْضِلَةٌ إِلَّا وَجَدْتُ جَذَابَ اللَّطْفِ مُنْتَسِحَا
وَلَا تَضَائِقَ أَمْرٍ فَاسْتَجَرْتُ بِهِ إِلَّا تَفَرَّجَ بَابُ الضِّيقِ وَانْفَتَحَا
يَا هَلْ تَبْلُغُنِي مَتَوَاهُ نَاجِيَةً تَطْلُوِي بَيْنَ الْقَفَرِ مِمَّا امْتَدَّ وَانْفَسَحَا
حَيْثُ الرُّبُوعُ بِنُورِ الْوَحْيِ أَهْلَةٌ مِنْ حَلْمَا احْتَسَبَ الْآمَلُ مُقَرَّرَا
حَيْثُ الرِّسَالَةُ تَجَلُّو مِنْ عِبَائِهَا مِنْ الْعِبَالِ بِنُورِ اللَّهِ مُنْقَضَا^(٢)
حَيْثُ الْبُيُوتُ تَسْلُو مِنْ غَرَائِبِهَا ذِكْرًا يَفَادِرُ صَدْرَ الدِّينِ مُنْشَرَحَا
حَيْثُ الْفَرَجُ بِمَا قَدْ دَنِمَ مِنْ كَرَمٍ قَدْ بَدَأَ^(٣) فِي الْفَخْرِ مَنْ سَادَوْهُ مِنْ فَجَحَا
يَا حَبِذَا بَلَدَةً كَانَ النَّسَبُ بِهَا يَلْقَى الْمَلَائِكَةَ فِيهَا آيَةٌ مَرَحَا
يَا دَارَ هَجْرَتِهِ يَا أَفْقَ مَطْلَعِهِ لِي فِيكَ بَدْرٌ بَغِيرِ الْبَكْرِ مَا لَمَحَا
مِنْ هَائِثِهِ فِي سَمَاءِ الْعِزِّ مَطْلَعُهُ أَكْرَمُ بِهِ نَسَبًا بِالْعِزِّ مُنْشَحَا
مِنْ آلِ عَدْنَانَ فِي الْأَشْرَافِ مِنْ مُضَرٍ مِنْ تَحْنِيتِ تَطْلُجِ الْعَالِيَاءِ إِنْ طَمَحَا
مِنْ عَهْدِ آدَمَ مَا زَالَتْ أَوَامِرُهُ^(٤) نُسَامُ بِالْحَجْدِ^(٥) مِنْ أَبَانِهِ الصَّرَحَا

(١) في ط : « بنا » وفي م : « لنا » . والظاهر أن كلاهما حرف عما أثبتناه .
(٢) كذا في م . وفي ط : « ترين إحال نور الله متضعا » . ولعل « ترين » محرفة
عن : « تربك » أو كلة بهذا المعنى .
(٣) كذا في م . وفي ط : « مر » وهو تحريف .
(٤) كذا في الأصلين . ولدها محرمة عن : « أوامره » أو كلة بهذا المعنى .
(٥) نسام بالحجد : تعرف وتشتهر . من السومة وهي العلامة .

عنايةً سبقت قبيل الوجود له
يا مصطفَى وكلام السكون ما مُنِيتُ
لولاكَ ما أشرقت شمسٌ ولا قمرٌ
صدَّعتْ بالنور نجاو كلِّ داجيةٍ
يا فاتحَ الرُّشُلِ أوْ يا خَمَمَها شَرَفًا
دنوتَ للخلقِ ^(١) بالألطفِ تَمَنُّعُها
كالشمسِ في الأفقِ الأعلى يَجْرُها
حَكْمُ آيَةِ رِسْوَ اللَّهِ مُعْجِزَةً
إِنْ رُدَّتْ الشَّمْسُ مِنْ بَعْدِ الْغُرُوبِ لَهُ
يا نِعْمَةَ عَطَمْتَ فِي الْخَلْقِ مِثْلُها
اللَّهُ أَعْطَاكَ مَا لَمْ يُؤْنِهِ أَحَدًا
حَبِيبُهُ مُصْطَفَاهُ بِحَبَابَةٍ وَفِي
أُنْتَى عَلَيْكَ كِتَابُ اللَّهِ مُتَمِّدًا
قَدْ أَمَدَّتْنِي دُعَايُ عَنْكَ يَا أَمَلِي
لَعَلَّ رُحْمَاكَ وَالْأَقْدَارُ سَابِقَةً
نَفْسُ شَعَائِعِ وَقَلْبُ خَانَ أَضْلَفَهُ
إِذَا الْبُرُوقُ أَضَاءَتْ وَالْقَامُ هَمَّتْ
لَمْ لَا أَجِثْ وَهَذَا الْخِذْعُ حَنْ لَهْ
كَمْ ذَا التَّمَاثُلِ وَالْأَيَّامِ تَهْمَلُنِي
مَا أَتَدَّرُّ اللَّهُ أَنْ يُدَيِّنِي عَلَى شَحَطَةٍ

(١) في م : « لخلق » .

(٢) الروح (بحريك الوار) : الراحون . الواحد : رائج .

يا سيّد الرُّسُل يا نِقَمَ الشَّيْعِ إِذَا طَالَ الْوَقُوفُ وَحَرُّ الشَّمْسِ قَدْ لَفَحَتْ
أَنْتَ لَشَّعْمٍ وَالْأَبْصَارُ شَاخِصَةٌ أَنْتَ الْغِيَاثُ وَهَوْلُ الْخُلَاطِ قَدْ فَذَحَا
حَاشَى الْعُلَا - وَجِيلُ الْغَاثِ يَشْفَعُ لِي - أَنْ يُغْفِقَ السَّعْيُ مِنِّي بَعْدَ مَا نَجَّحَا
عَسَاكَ يَا خَيْرَ مَنْ تُرْجَى وَسَائِلُهُ تُنْجِي عَرِيقًا بِمَحَرِّ الذَّنْبِ قَدْ سَبَحَا
مَا زَالَ مَعْرِفًا بِالذَّنْبِ مُتَذَكِّرًا لَدَلَّ حَبْلُكَ بِتَجَوُّ كُلِّ مَا اجْتَرَحَا
عَسَى الْبَشِيرُ غَدَاةَ الرُّوْعِ يُسْمِعُنِي بِشَرِّ تَعَوُّدُ لِي الْبُؤْسَى بِهَا فَرَحَا
لَا تَيَأَسَنَّ بِنِّ الْإِلَهِ ذُو كَرَمٍ وَحُبُّكَ الْعَاقِبَ الْمَآخِي ^(١) الذَّنُوبُ نَحَا
صَلَّى الْإِلَهَ عَلَى الْخُتَّارِ صَفْوَتِهِ مَا الْعَارِضُ أَنْهَلَ نَوْمًا الْبَارِقُ التَّصَحُّا
وَأَيْدِ الْإِلَهِ مَوْلَانَا بِوَعْدَتِهِ بِأَيِّ بَابٍ إِلَى الْقَلْبِاءِ قَدْ فَتَحَا
وَهَذَا الدِّينَ وَالْدُنْيَا عَلَى سَبِيلِكَ لَسَعْدِهِ الطَّائِرُ الْمَيْمُونُ قَدْ سَنَحَا
أَنَا الضَّمِينُ لِمَكْحُولٍ بَقَرَّتْهُ أَلَّا تَرَى عَيْنُهُ بُؤْسًا وَلَا تَرَحَا
مَوْلَايَ خُذْهَا كَمَا شِئْتَ بِإِلَافِهَا عَرَاءُ لَمْ تَعُدِّمِ الْأَحْجَالَ وَالْقَرَحَا
كَأَنَّ مِرْثَبَ قَوَافِيهَا إِذَا سَنَحَتْ طَيْرٌ عَلَى قَنْنِ الْإِحْسَانِ قَدْ صَدَحَا

[٢٦٨]

قال : ومن إعذارياته المحككة نسقاً ورصفاً ، المتناهية في كل فنٍّ حُسْنُ
تَخْلِيْقٍ غَرِيبَةٍ وَوَصْفًا — حسبما اقتضته ملاحظة النسبة الرفيعة لصنائع مولانا راحمة
الله عليه ، واحتفاله المناسب لمرّة ملكه ، من تعميم الخلق بالجنّة في دَعَوَاهِ ،
واستدعاء أشراف الأم من أهل الغرب وسواهم ؛ تفصيلاً في مكارم مُتَعَدِّدَةٍ ، آياها
عن أصالة الجِدِّ مُغْرِبَةٍ ، وإغراء لِهَمِّ الْمَلِكِ بما يَتِمُّ الْأَمْنُ من أوضاع مُغْرِبَةٍ ؛
ومباهاة بَقَرَضِ الْجِيُوشِ وَالْكَتَائِبِ لِلْعَدُوِّ الْكَافِرِ ، ومكاشرة من ممالك دولته

(١) العاقب والمآخى : من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم ، وصي عاقبا لجهته آخر الرسل ؛
ومآخيا لأن الله يحويه الكبر .

بالعدد الوافر ؛ مما ألهم اللسن الذكي عينا ، وغادر الإعذار الذنوبي ^(١) منسيا ؛
 كافا الله أبوانه المولوية عنا وعن آبائنا ، وتلقى بالقبول الكميلي بتجديد الرضوان
 ما نصّل إليه من خالص دعائنا ؛ إنه مُنعم جواد — قوله في الصنيع المختص من
 ذلك بجلال الوالد قدس الله روحه ، وذلك سنة أربع وستين وسميع ومئة :

مَعَاذَ الْهَوَى أَنْ أَصْحَبَ الْقَلْبَ سَالِبًا وَأَنْ يَشْغَلَ الْأَوَامُّ بِالْمَذَلِّ بَارِبًا
 دَعَانِي أَعْطِ الْحُبَّ فَضْلَ مَتَادَنِي وَيَقْضِي عَلَيَّ الْوَجْدَ مَا كَانَ قَاضِيَا
 وَدُونَ الَّذِي رَامَ الْعَوَاضِلُ صَبِيحَةً رَمَتْ فِي فِي شَيْبِ الْغَرَامِ الْإِرَامِيَا
 وَقَلْبٌ إِذَا مَا الْبَرَقَ أَوْ مَضَى مَوْهِنًا قَدَحْتُ بِهِ زَنْدًا مِنَ الشَّقِيقِ وَارِيَا
 حَلِيلِي إِلَى إِنْ يَوْمَ طَارِقَةِ النَّوَى شَفِيتُ بَيْنَ لَوْ شَاءَ أَنْتُمْ بَالِيَا
 وَبِالْخَيْفِ يَوْمَ الثُّغْرِيَا أَمَّ مَالِك تَخَلَّفْتُ قَلْبِي فِي حَبَالِكِ عَانِيَا
 وَذِي أَشْرٍ عَذَبَ الثَّنَائِيَا مُخَصِّرٍ يُسْقِي بِهِ مَاءَ النِّعَمِ الْأَقَانِيَا
 أَحُومُ عَلَيْهِ مَادَجًا لِلَّيْلِ سَاهِرَا وَأُضِيحُ دُونَ الْوَرْدِ ظَمَانًا صَادِيَا
 يُضِي، ظِلَامُ اللَّيْلِ مَا بَيْنَ أَضْلَعِي إِذَا الْبَارِقُ النَّجْدِيُّ وَهَنَا بَدَا لِيَا
 أَجِيرَتَنَا بِالرَّمْلِ وَالرَّمْلِ مَنَزَلُ مَضَى الْعَيْشُ فِيهِ بِالشَّبِيبَةِ حَالِيَا
 وَلَمْ أَرَبَقًا مِنْهُ أَقْصَى لُبَانَةٍ وَأَشْجَى سَحَابَاتٍ وَأَحْلَى مَحَانِيَا
 سَقَتْ ظِلَّهُ الْفَرْغَ الْغَوَادِي وَنَظَّمَتْ مِنَ الْقَطْرِ فِي جِيدِ الْفُصُونِ لَالِيَا
 أَبْسُكُمُ أُنَى عَلَى النَّأْيِ حَافِظُ ذِمَامَ الْهَوَى لَوْ تَحْفَظُونَ ذِمَامِيَا
 أَنَا شِدْكُمْ وَالْعُزْرُ أَوْفَى بِمُودَةٍ وَلَنْ يَعْذَمَ الْإِحْسَانُ وَالْخَيْرُ جَازِيَا

[٢٦٩]

(١) الذنوبي : نسبة إلى ابن ذنون (ابن ذنون) وهو المؤمن أحمد مارك الغواص في
 طليطلة من بني ذي النون، وقد بلغوا في البلخ والترب النابية ، ولهم الإعذار
 المشهور التي يقال له الإعذار الذنوبي ، وبه يضرب المثل عند أهل الغرب ، وهو
 عندهم بمثابة حرس بوران عند أهل الشرق .

هَلِ الْوَدَّ إِلَّا مَا تَحَامَاهُ كاشِح
 وَأَخْفَقَ فِي مَسَاعَاهُ مَنْ جَاءَ وَاشِيَا
 وَأَوْبَى وَالْأَيْلُ يُذَكِّي غِيَوَنَهُ
 وَيَسْحَبُ مِنْ ذَيْلِ الدُّجْنَةِ ضَافِيَا
 وَقَدْ مَذَلَّتْ زُهُرُ النُّجُومِ بِأَفْقِهِ
 حَبَابًا عَلَى نَهْرِ الْمَجْرَةِ طَافِيَا
 خِيَالٌ عَلَى بَعْدِ التَّرَارِ أَلَمْ يَ
 فَادْكَرْنِي مَنْ لَمْ أَكُنْ عَنْهُ سَالِيَا
 عَجِبْتُ لَهُ كَيْفَ اهْتَدَى نَحْوَ مَضْطَعِي
 وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ الشَّفْعُ وَالشُّوقُ بَاقِيَا
 رَفَعْتُ لَهُ نَارَ الصَّبَابَةِ فَاهْتَدَى
 وَبِمَا أَجَدَ الْوَجْدَ سَرَّبَ عَلَى النَّقَى
 تَزَعَّنَ عَنِ الْأَخْلَاطِ كُلِّ مُسَدِّدٍ
 وَلَمَّا تَرَأَى الْمَرْبَ قَلْتُ لِصَاحِبِي
 حَذَارِكَ مِنْ سَهْمِ الْجُنُونِ فَإِنَّهُ
 وَإِنْ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ مُحَمَّدًا
 تَضَى النُّجُومَ الزَّاهِرَاتِ خِلَالَهُ
 مَعَالٍ إِذَا مَا التَّجَمُّعَ صَوَّبَ طَالِبًا
 وَسَابَقَ غُلُوبَى الرِّيَاحِ إِلَى النَّدَى
 وَيُغْفِي عَنِ الْقَوَارِءِ إِبْغَاءً قَادِرٍ
 مُهَامٌ يَرْوِعُ الْأُسْدَ فِي حَوْمَةِ الْوَقْفَى
 مَنَاقِبُ تَسْمُو لِلْفَخَارِ كَأَنَّمَا
 إِذَا اسْتَبَقَى الْأَمْلَاقُ بَوْمًا لَغَايَةً
 بِهِرَّتْ فَأَخْفِيَتْ لَلْوَلَكِ وَذِكْرَهَا
 جَوَارَتْ ظِلَامَ الظُّلُمِ مِنْ كُلِّ مُهْتَدٍ
 وَأَخْفَقَ فِي مَسَاعَاهُ مَنْ جَاءَ وَاشِيَا
 وَيَسْحَبُ مِنْ ذَيْلِ الدُّجْنَةِ ضَافِيَا
 فَادْكَرْنِي مَنْ لَمْ أَكُنْ عَنْهُ سَالِيَا
 وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ الشَّفْعُ وَالشُّوقُ بَاقِيَا
 رَفَعْتُ لَهُ نَارَ الصَّبَابَةِ فَاهْتَدَى
 وَبِمَا أَجَدَ الْوَجْدَ سَرَّبَ عَلَى النَّقَى
 تَزَعَّنَ عَنِ الْأَخْلَاطِ كُلِّ مُسَدِّدٍ
 وَلَمَّا تَرَأَى الْمَرْبَ قَلْتُ لِصَاحِبِي
 حَذَارِكَ مِنْ سَهْمِ الْجُنُونِ فَإِنَّهُ
 وَإِنْ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ مُحَمَّدًا
 تَضَى النُّجُومَ الزَّاهِرَاتِ خِلَالَهُ
 مَعَالٍ إِذَا مَا التَّجَمُّعَ صَوَّبَ طَالِبًا
 وَسَابَقَ غُلُوبَى الرِّيَاحِ إِلَى النَّدَى
 وَيُغْفِي عَنِ الْقَوَارِءِ إِبْغَاءً قَادِرٍ
 مُهَامٌ يَرْوِعُ الْأُسْدَ فِي حَوْمَةِ الْوَقْفَى
 مَنَاقِبُ تَسْمُو لِلْفَخَارِ كَأَنَّمَا
 إِذَا اسْتَبَقَى الْأَمْلَاقُ بَوْمًا لَغَايَةً
 بِهِرَّتْ فَأَخْفِيَتْ لَلْوَلَكِ وَذِكْرَهَا
 جَوَارَتْ ظِلَامَ الظُّلُمِ مِنْ كُلِّ مُهْتَدٍ

(١) فِي تَلْعِ الطَّيْلِ : « حَالٌ » .

(٢) الْجَوَارِي أَسْلَهُ : الْجَوَارِي (بِالْمَعْرِز) ، وَسَهْلٌ لِلشَّمْرِ ؛ وَالْمَوَازِي : مِنَ الطَّيْلِ الَّتِي تَهْتَزُّ بِالرَّمْبِ عَنِ الْمَاءِ .

هَدَيْتَ سَبِيلَ اللَّهِ مَنْ صَلَّى رُشْدَهُ
 أَفْذَتْ وَحَقِّي الْمَلَكُ مِمَّا أَفْذَنَهُ
 وَقَدْ عَرَفْتُ مِنْهَا مَرِيئًا^(١) سَوَابِقًا
 وَكَانَتْ أَبُو رَبَّانٍ جِيدًا مَعْمَلًا
 لَكَ الْخَيْرُ لَمْ تَقْصِدْ بِمَا قَدْ أَفْذَنَهُ
 فَا مُكْبِرُ الْأَمْلَاجِ غَيْرَكَ آسَرًا
 وَلَا تَشْتَكِي الْأَيَّامُ مِنْ دَاءِ فِتْنَةٍ
 وَأَنْدَلَسًا أَوْلَيْتَ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ
 تَلَا فِتْنَتِ هَذَا الثَّرْوُ وَهُوَ عَلَى شَقِي
 وَمِنْ بَعْدِ مَسَامَتْ ظُنُونُ بِأَهْلِهِ
 فَمَا يَأْمُلُونَ الْعَيْشَ إِلَّا تَعْمَلًا
 عَطَلَتْ عَلَى الْأَيَّامِ عَطْفَةً رَاحِمَ
 قَانَسَ مِنْ تِلْقَائِكَ الْمَلَكُ رُشْدَهُ
 وَقَفْتَ عَلَى الْإِسْلَامِ نَفْسًا كَرِيمَةً
 فَرَأَى كَمَا انْشَقَّ الصَّبَاحُ وَعِزَّمَةً
 وَكَانَتْ رِمَاحُ الْخَطِّ خُمْسًا ذَوَابِلًا
 وَأَوْرَدْتَ صَفْحَ السِّيفِ أَيْبُضَ نَاصِمًا
 لَكَ الْعِزُّ أَسْتَجَلَى الْخَطُوبُ بِهَدْيِهِ
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْرِ بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ
 وَبِهِتِكَ دُونَ الْعِيدِ عِيدُ شَرَعَتِهِ

[٢٧٠]

(١) مريئ : قبيلة معروفة ، وهي غرض ذئابة من قبائل البربر .

أَقْتَبَ مِنْ فِطْرَةِ الدِّينِ ^(١) سَنَةً
صَنِيعٌ وَلَّى اللَّهُ تَشْيِيدَ نَفَرِهِ
تَوَدُّ النُّجُومُ الزَّهْرَ لَوْ مَثَلَتْ بِهِ
وَمَا زَالَ وَجْهُ الْيَوْمِ بِالشَّمْسِ مُشْرِقًا
عَلَى مِثْلِهِ فَلَيْعَقَدَ الْفَخْرُ تَاجَهُ
بِهِ بِمَعْمَرِ الْأَنْدَاءِ ^(٢) كُلُّ مُقَوِّمٍ
وَبِرْسَفٍ ^(٣) فِيهِ نَالِجَمَالٍ مُقَنِّعٍ
وَأَقْدَلُ قَدْ شَابَ الْحَيَاءُ مَهَابَةً
وَأَقْدَمَ لَاهِيَابَةَ الْخَلِّ وَاحِمًا
شَمَلُهُ فِيهِ مِنْ أَبِيهِ وَجَدَهُ
فِيَا عَلَقًا ^(٤) أَشْجَى الْقُلُوبِ لَوْ أَنَّنَا
جَرَيْتَ فَأَجْرِبِ الدُّمُوعَ نَعْمَلُفًا
وَكَمْ مِنْ وَلَّى دُونَ نَابِلٍ مُخْلَصٍ
وَصِيدٍ مِنَ الْحَيِّينَ أَمَاءَ قَيْسَلَةٍ ^(٥)
بِهَاتِلٍ عَرٌّ إِنَّ أَعْدَوْا نَعَارَةً
فَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تَوَخَّيْتُ سُنَّةَ
لَكَانَتْ بِهَا الْأَعْرَاجِيَّاتُ ^(٦) جَوَالَةً

(٢٧٨)

(١) ق م : « حطوة الدين » .

(٢) الْأَمَاءُ (عسا) : الْأَذْيَةُ . وَاقْدَى فِي دَجِ الطَّيْبِ : « تَغَمَّرَ الْأَنْوَاءُ » . وَفِيهَا تَحْرِيفٌ طَائِرٌ .

(٣) يَوْسَفُ : هُوَ ابْنُ الْغَنِيِّ مَالِكٌ تَحْرَانُطَةُ الْمَدُوحِ بِهَذِهِ الْقَعِيدَةِ .

(٤) الْعَانِي (التَّحْرِيكُ) : الَّذِي تَتَعَلَّقُ بِهِ الْقَارِبُ .

(٥) فِي الْأَمَانِينَ وَكُلُّ دَجٍّ طَائِرٌ : « تَكَبُّ الْأَمَادَى » وَنَعْلُهُ مَحْرُوفٌ عَمَّا أَمْنَاهُ .

(٦) الْأَهْوَجِيَّاتُ : نَسَبٌ إِلَى أَهْوَجَ . فَرَسٌ كَانَ لِبْنِ حَلَالٍ .

وتترك أوصالَ الوشيح مَقَصِّدًا
ولما قفى من سَنَةِ الله ما قفى
أَفَضْنَا نَهْشَى مِنْكَ أَكْرَمَ مُنْهَمِ
فَيَهْنِي صِفَاحَ المِنْدِ والبَاسِ والنَدَى
ويَهْنِي البُنُودَ الخَلِيقَاتِ فَاثْمَا
كَأَنِّي بِهِ يَشْفِي الصَّوَارِمَ وَالظُّلَى
كَأَنِّي بِهِ قَدْ تَوَجَّعَ الدُّهْنُ يَافَا (١)
وَقَفَى حَقُوقَ الفَخْرِ فِي مَنِيَةِ الصَّبَا
وما هُوَ إِلَّا السُّدُ، إِنْ رُمْتُ مَطْلَعًا
فَلَا زِلْتَ يَا غُرَّ (٢) الْخِلَافَةِ كَافِلًا
وَدُمْتُ قَرِيرَ العَيْنِ مِنْهُ بِغُفْلَةٍ
نَفْطْتُ لَهُ حُرَّ الكَلَامِ تَمَامًا
لَأَلَّ بِهَا بَاهَى الثَّلُوكِ نَفْلَةً
أَرَى الْمَالَ يَرْمِيهِ الْجُلَيْدَانِ بِأَيْدِي
وَبِيضَ العُفَى مُخَرَّ الثُّبُونِ دَوَامِيَا
وَقَدْ حَسَدَتْ مِنْهُ النُّجُومُ السَّاعِيَا
أَبْنَى لَمَسِمِ البُيُودِ إِلَّا تَوَالِيَا
وَتَمَرَّ العَوَالِي وَالْعَتَاقِي الْمَذَاكِيَا
[سَيَقْدِمُهَا فِي ذِمَّةِ النُّصْرِ غَازِيَا
وَيُعْطِي فِي لَأَمِ الضَّلَالِ العَوَالِيَا
وَسَمِعَ أَشْقَاتِ المَكَارِمِ نَاشِيَا
وَأَحْسَنَ مِنْ دَيْنِ السَّكَالِ التَّقَاضِيَا
وَسَدَّدَتْ سَهْمًا كَانَ رَبُّكَ رَامِيَا
وَلَا زِلْتَ يَا خَيْرَ الْأُمَمِ كَافِيَا
وَكَانَ لَهُ رَبُّ البرِّيَّةِ وَاقِيَا
جَعَلْتُ مَكَانَ الدَّرِّ فِيهَا القَوَافِيَا
وَجَلَّتْ لَعْمَرِي أَنْ تَكُونَ لَآلِيَا
وَمَا إِنْ أَرَى إِلَّا المَحَامِدَ بَاقِيَا

من شعره في
لصنيع المختص
لأميرين سعد
ونصر

ثم قال : ومن ذلك ما أُنشِدَ في الصَّنِيعِ الثَّانِي المختصِّ بِمَنِيَةِ السَّيِّدِينَ
الْأَمِيرِينَ سَمْدًا وَنَصْرًا ، رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ، وَأَجَادَ فِي وَصْفِ البُغْدَادِ وَالْجُرُودِ
وَالْعُلَلِيَّةِ (٣) وَغَرَائِبِ الْأَوَاضَاعِ .

أَلِلْحَمَّةُ (٤) مَنْ بَارِقَ مُتَبَسِّمٍ أُرْسَلَتْهُ دَمْعًا تَفْضَرَجُ بِالْهَمِّ (٥)

(١) ما بين العوسج عن م .

(٢) كذا في م وبلغ الطيب وفي ط : « يا كهف » .

(٣) الظنية : يهي بها بعض آلات الحرب . (راجع معجم دوزي) .

(٤) في نفع الطيب : « وللمحة » .

(٥) في ط : « آمن الوميس البارق التيسم » أرسلت دمعاً قد تضرع بالدم »

وما أبتئناه عن نفع الطيب .

وَلِنَفْخَةٍ تَهْوِي بِسَانَاتِ اللَّوْحِي
 هِيَ عَادَةُ عُذْرِيَّةٍ مِنْ بَرْمِ أَنْ
 قَدْ كُنْتُ أَعْدِلُ ذَا الْهَوَى مِنْ قَبْلِ أَنْ
 كَمْ زَفَرٌ بَيْنَ الْجَوَانِحِ مَا ارْتَفَعَتْ
 إِنْ كَانَ وَائِي السَّمْعِ قَدْ كَثَمَ الْهَوَى
 وَلَقَدْ أُجِدَّ هَوَايَ زَمْزَمَ دَارِسُ [٢٧٧]
 وَذَكَرْتُ عَهْدًا فِي حِمَاهِ قَدْ انْقَضَى
 وَلَرُبَّمَا أَشْجَى فُؤَادِي عِنْدَهُ
 لَا أَتُحِبُّ اللَّهَ الطَّلُولَ فَطُلَا
 يَا زَاجِرَ الْأَطْلَامَانِ يَحْفِزُهَا الشَّرَى
 لَرُبَّمَا دُمُوعُ الْعَاشِقِينَ بِرُسْمِهَا
 دِمْنٌ عَوْدَتْ بِهَا الشَّبَابَةُ وَالْهَوَى
 وَكَتَيْبَةُ لَالُوقٍ قَدْ جَهَزَتْهَا
 وَزَفَعَتْ فِيهَا الْقَلْبَ بِنَدَا خَافِقَا
 فَأَنَا الَّذِي شَابَ الْحَاسَةَ بِالْهَوَى
 فَطَعَنْتُ مِنْ قَدِّ الْقَوَامِ بِأَسْمَرِ
 يَا قَاتِلَ اللَّهِ الْجُفُونِ فَإِنْسَا
 ظَلَمْتُ قَتِيلَ الْعُصْبِ نَحْمُ تَبَيَّنَتْ
 يَا ظَلِيمَةً سَنَحْتُ بِأَكْذَابِ الْحَيَى
 يَهْوِي فُؤَادُكَ عَنْ جَوَانِحِ مُفَرِّمِ
 خُلِقَ الْهَوَى تَعْنَادُ كَلِّ مَيْمَنٍ (١)
 أَدْرَى الْهَوَى وَالْيَوْمَ أَعْدِلُ لَوْحِي
 حَذَرَ الرَّقِيبِ وَمَذْمَعٍ لَمْ يَسْجُمِ
 هَيْهَاتَ وَائِي الشَّمِّ لَمَّا يَكْتُمُ (٢)
 قَدْ كَادَ يَخْفَى عَنْ خَفَى تَوَهُمِ
 فَأَطْلَتْ فِيهِ تَرْدَدِي وَتَلَوِي
 وَرَفَاهُ تَنْفُتُ شَجَوَهَا بِرُسْمِ
 أَشْجَى الْفَسِخِ بِهَا بُكَاهِ الْأَبْكَمِ
 قِفْ بِي عَلَيْهَا وَفَقَّةَ الْمَلُومِ
 مُعْرَا كَحَاشِيَةِ الرِّدَاءِ أُنْعَلِمِ
 سَتِيًّا لَهَا وَلَمَهْدَا الْمُتَقَدِّمِ
 أَغْرَوُ بِهَا السُّلُوفَ غَزَوُ مُصْعَمِ
 وَأَرَيْتُ لِلْعُشَاقِ فَضْلَ نَهْمِ
 لَكِنَّ مَنْ أَهْوَى مُضَاقِقَ مَقْدَمِي
 وَرُمِيتُ مِنْ غَنَجِ اللَّحَافِ بِأَسْهُمِ
 مَهْمَا زَمْتُ لَمْ تُخْطِ شَاكِلَةً (٣) الرَّحْمَى
 لَلشَّمِّ فِيهَا فَتْرَةُ الْمُنْغَلَمِ
 سَقَى الْحَيَى صَوْبَ الْقَامِ السُّجَمِ (٤)

(١) في ط : « في قلب » مكان قوله : « تعناد » ، وما أئتمناه عن نفع الطيب .

(٢) كذا في ط ونفع الطيب . وفي م : « هيات وائى الشم لا يكتم » .

(٣) الشاكلة : الباحية .

(٤) السجم : المصبوب .

ما ضرَّ إذْ أُرْسِلَتْ نَفَرَةٌ فَاتَكَ
 فَرَأَيْتَ جَيْشًا قَدْ أَصِيبَ فَوَازُهُ
 وَلَقَدْ خَشِيتُ بَأْنَ يُقَادَ بِجُرُوحِهِ
 كَمْ خُذْتُ دُونَكَ مِنْ غِمَارٍ مَمَارَةٍ
 وَالنَّجْمُ يَسْرِي مِنْ دُحَاهِ بَأْذَمِ^(٢)
 وَالْبِدْرُ فِي صَفْعِ السَّمَاءِ كَأَنَّهُ
 وَالزُّهْرُ زَهْرٌ وَالسَّمَاءُ حَدِيقَةٌ
 وَاللَّيْلُ مَرْبُودٌ الْجَوَانِحُ قَدْ بَدَا
 فَكُنَّا فَلَاقُ الصَّبَاحِ وَقَدْ بَدَا
 مَلِكٌ أَفَاضَ عَلَى الْبَسِيطَةِ عَذَاهُ
 هُوَ مُنْتَهَى آمَالِ كُلِّ مُوقِفٍ
 لَاحَتْ مَنَاقِبُهُ كَوَاكِبَ أَسْمَدٍ
 وَلَقَدْ تَرَامَى بَأْسُهُ وَسَمَاهُ
 مِثْلَ الْقَمَامِ وَقَدْ تَضَاحَكَ بَرْقُهُ
 أَنْتَى سَاحَةِ حَاتِمٍ وَكَذَلِكَ فِي
 سَيْرِ تَسِيرِ النُّسَيْرَاتِ يَهْدِيهَا
 فَالْيَدِ دُونَكَ فِي عِلَالٍ وَإِنَارَةٍ
 وَلَكِ الْقِيَابُ الْحُمْرُ تُرْفَعُ لِلنَّدَى
 أَنْ لَوْ عَطَلَتْ بِنَظَرِهِ الْمَرْجَمُ
 مِنْ مَقْلَنِيكَ وَأَنْتَ لَمْ تَنْتَهِ^(٣)
 فَوَهَبْتَ لِحُظَاكَ مَا أَحْلَاكَ مِنْ دَى^(٤)
 لَا تَهْتَدِي فِيهَا الْأَوْتُ لَتَجْنِمَ
 رَحْبَ اللَّقْلُدِ بِالْثَرِيَا مُلْجِمَ
 مِرْآةٍ هُنْدٍ وَشَطِّ لُجْجٍ تَزْنِي^(٥)
 فُتِفَتْ كَأَنَّمْ جُنْحُهَا عَنْ أَنْجَمِ
 فِيهِ الصَّبَاحُ كَعَرَّةٍ فِي أَدَمِ
 مَرَأَى ابْنِ نَصْرِ لَاحِ الْمُنَوَّسِ
 فَالْشَاةُ لَا تَفْشَى اعْتِدَاءَ الصَّيْفِ
 هُوَ مَوْزِدُ الصَّادِي وَكَنْزُ الْعَمِيدِ
 فَرَأَتْ مَلَامِحَ نَوْرِهِ عَيْنُ الْعَمِي
 فَاتَى الْجِلَالُ مِنَ الْجَمَالِ بَنَوْنِ
 فَأَفَادَ بَيْنَ تَجْهَمٍ وَتَبْشَمِ
 يَوْمَ الْفَقَاءِ رَيْبَعَةَ بَنِ مَكْدَمِ^(٥)
 وَتَعْمُرُ عَرَفَ الرُّوضِ طَلِبَ تَنْشَمِ
 وَالْبَحْرُ دُونَكَ فِي نَدَى وَتَسْكُرُ
 فَتَرَى الْعَامُ تَحْتَهَا كَالْأَنْجَمِ

(١) في بعض نسخ نسخ الطيب : « لم تنأى » .

(٢) يتقاد : من القود ، وهو القصاص . وأحلك : حملك في حل .

(٣) الأدم : الأسود ، وهو من أوصاف الخيل ، كان النجم ركب آدم الليل .

(٤) شبه البدر عرّة هند في الصفاء . والعرب تضرب الثلث في الصفاء بمرآة الغريبة .

(٥) ربيعة بن مكدم : فارس جاهلي معروف .

يُذَكِّرُ السَّيَّاهَ بِهَا كَأَنَّ دُخَانَهُ
وَلَكِ الْعَوَالِي السَّمَاءُ تُشْرِعُ^(٢) لَعْدَا
وَلَكِ الْإِيَادَى الْبَيْضُ قَدْ طَوَّقَتْهَا
شَمْسٌ يُبْرِئُ الْخَاسِدُونَ بِفَضْلِهَا
وَرَثَ السَّمَاءُ عَنْ أَبِيهِ وَجَدَهُ
تَقَلُّوا التَّعَالَى كَابِرًا عَنْ كَابِرِ
وَتَسْتَمُوا رَبَّ الْعَالَمِ بِجَهْمَا
يَا آلَ نَصْرٍ أَنْتُمْ سُرُجُ الْهُدَى
الْفَاعُونَ لِكُلِّ صَعْبٍ مُثْقَلٍ
وَالْبَاسِمُونَ إِذَا الْكِنَاةُ عَوَّاسُ
أَبْنَاهُ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَجِزِيهِ
سَلِّ عَنْهُمْ أَحَدًا وَيَذَرْنَا نَلْفِيهِمْ
وَيَفْتَحُ مَكَّةَ كَمْ لَهُمْ فِي يَوْمِهِ
أَقْسَمْتُ بِالْحَرَمِ الْأَمِينِ وَمَكَّةَ
لَوْلَا مَا تَزَيَّنَّمْ وَفَضْلُ غُلَامُ
مَاذَا عَصَى أَثْنِي وَقَدْ أَثْنَيْتُ عَلَى
يَاوَارِثَاتِهَا مَا تَزَيَّنَّمْ النَّبِيِّ
يَا فَخْرَ أُنْدَاسٍ لَقَدْ مَدَّتْ إِلَى

قَطَعُ السَّحَابِ بِجَوْهَا الْمُتَمَسِّمِ^(١)
فَتَخِرُّ صَرْعَى لِلْيَدَيْنِ وَلَانِمِ
صَيْدُ الْمَوَكِّ ذَوِي التَّلَادِ الْأَقْدَمِ
وَالضُّبْحِ لَيْسَ ضِيَاؤُهُ بِمَكْتَمِ
فَالْأَكْرَمُ ابْنُ الْأَكْرَمِ ابْنُ الْأَكْرَمِ
كَالْزَمْعِ مُطَرِّدُ الْكُعُوبِ مُنَوَّمِ
بَابُ وَجَدَ فِي الْخِلَافَةِ وَابْتِمِ^(٣)
فِي كُلِّ حَظْبٍ قَدْ تَجَهَّمِ مُظْلِمِ
وَالْفَارِجُونَ لِكُلِّ حَظْبٍ مُبْهِمِ
وَالْمُقَدِّمُونَ عَلَى السَّوَادِ الْأَعْظَمِ
وَذَوِي السَّوَابِقِ وَالْجَوَارِ الْأَعْظَمِ^(٤)
أَهْلُ الْغَنَاءِ بِهَا وَأَهْلُ التَّغَنُّمِ
بِلَوَاهِ خَيْرِ الْخَلْقِ مِنْ مُتَقَدِّمِ
وَالرُّكْنِ وَالْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَزَمَرِمِ
مَا كَانَ يُعَزَّى الْقَسْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ
عَلَيَّاسِهِمْ أَيْ السَّكِينِ لِلْعُكْمِ
قَدْ شَيْدَتْ لِلْفَخْرِ أَشْرَفَ مَقْلَمِ
عَلَيْكَ كَفَّ اللَّانِدُ الْمُسْتَعْمَمِ

(١) الكبا. (ككاه) : عود البحور أو صرب منه .

(٢) كذا في م ومع الطيب . وقط : « ترفع » .

(٣) في مع الطيب : « ما بين جد في الخلافة وأنت » .

(٤) الجوار الأعظم ، أي المنيع على من يريد به يادى .

أما سؤدك في الوعى فتكفلت
وافيت هذا النفر وعدي شقى
ورعيت به سياسه دارت على
كم ليسله قد ربت فيها ساهراً
بأظهر الأظان ونهى خفية
ثم دوتك التي آنازها
ما بعد يومك في الواسم بعد ما
وافتك أشراف البلاد بيومه
صرفوا إليك ركايتهم وتيمموا
وتبوا وما منه بدار كرامة
ودت نجوم الأفق لو مثلت به
والروض مختال بحلة سندس
ورايحه نسبت بغير لطيمة^(١)
وأزيتنا فيه عجائب جمّة
أرسلت سرعان الجياد كأنها
من كل منجيز بخطة بارقي

بسلامة الإسلام^(٢) فأخذ واشل
فشقت مغفل دائره المستحكم
مخطه دوز السوار بمعقم
تهدى الأمان إلى الميون النوم
ومهب ربح النصر المتقسم
سير الركب لتجيد أو منهم
أتبت عيد القطر أكرم مؤتم
من كل نذب للسلامة منهم
من بابك للكتاب خير ميم
فالكمل بين مقرب ومنعم
لتفوز فيه برتبة المستخدم
من كل مؤتم الرقوم منهم
وأفاحه بسنت بغير مثل^(٣)
لم تجر في خلد ولم تنوم
أشرب طير في التتوفة حوم^(٤)
قد كاذ يسبق لمتحة التوم^(٥)

(١) في م : « سلامة الأملاك » .

(٢) الطيبة : الطيب ، أو وعاء السك ، وتطلق الطيبة أيضاً على سوق السك والبيع التي تحمله .

(٣) في الأساين وعمل نسخ نفع الطيب « مسلم » . وفي النسخة الخطية (رقم ٣٦٠) من نفع الطيب : « مالم » . وظاهر أن كلا المقلطين عرف مما أفتناه . والتم : الملقح الأسنان .

(٤) مرعان الجياد : أوائلها . والتتوفة : المفازة ، وهي الأرض البعيدة الواسعة الأطراف .

(٥) في ط : « محرف » . ولا معنى له هنا وما أفتناه عن النسخة المطبوعة من نفع الطيب .

طَرَفٍ يَشْكُ الطَّرْفُ فِي امْتِنَانِهِ فَكَأَنَّهُ ظَنٌّ بِصَدْرِ مُرَجِّمٍ
وَمُسَافِرٍ فِي الْجَوِّ تَحْسِبُ أَنَّهُ يَرَقَى إِلَى أَوْجِ السَّمَاءِ بِسُلْمٍ
رَامَ اسْتِرَاقَ السَّمْعِ وَهُوَ مُنْعَمٌ فَأَصِيبَ مِنْ قُضْبِ الْعِصَى بَأْسُهُمْ
رَحْمَتِهِ مِنْ شُهْبِ النَّصَالِ حَوَاصِبٍ^(١) لَوْلَا تَعَرُّضُهُ لَهَا لَمْ يُرَجِّمِ
وَمُدَارَةُ الْأَفْلاكِ أَعْجَزَ كُنْهَهَا إِبْدَاعَ كُلِّ مِهْنَدِسٍ وَمُهَنْدِمِ
يَبْشَى الرِّجَالُ بِحُيُوتِهَا وَجَمِيعِهِمْ عَنْ مُسْتَوَى قَدَمَيْهِ لَمْ يَنْقُدِمِ
وَمُتَوَعِّجِ الْحَرَكَاتِ قَدْ رَكِبَ الْهَوَا يَمْشِي عَلَى خَطِّهِ بِهِ مُتَوَعِّمِ
فَإِذَا هَوَى مِنْ جَوْهٍ نَمَّ اسْتَوَى أَبْصَرَتْ طَائِرًا حَلَّ^(٢) صُورَةَ آدَمِ
يَبْشَى عَلَى فَتَنِ الرَّشَاءِ كَأَنَّهُ فِيهِ مُسَاوِرٌ ذَابِلٌ أَوْ أَرْقَمِ
وَالِيكَ مِنْ صَوْبِ الثُّقُولِ عَقِيلَةٌ وَقَفَتْ بِبَابِكَ وَقِفَةُ السُّتَرِجِمِ
تَرْجُو قَبُولَكَ وَهُوَ أَعْظَمُ مِثْلَةٍ فَاسْتَجَبَ بِهِ خَلَّدَتْ مِنْ مَقَرِّمِ
طَارَدَتْ فِيهَا وَصَفَ كُلَّ غَرِيبَةٍ فَتَنَظَّمَتْ شَارِدُهُ الَّذِي لَمْ يَنْظُمِ
وَدَعَوَتْ أَرْبَابَ الْبَيَانِ أَرْبَابِ^(٣) « كَمَ غَادَرِ الشُّعْرَاءِ مِنْ مُتَرَدِّمِ »^(٤)
مَا ذَاكَ إِلَّا بَعْضُ أَشْمِكِ النَّحْلِ قَدْ عَلَّمْتَنَا كَيْفَ شُكْرِ النَّمْلِ

ثم قال : وَأَشْدَّ مِنْ ذَلِكَ فِي الصَّنِيعِ الْخُصُوصِ بَعْمَا الْأَمِيرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ ، وَأَطْلَبَ فِي وَصْفِ دَارِ الْمُلْكِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ ضَخَامَةِ آثَارِ
مَوْلَانَا الْجَدِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

سَلِ الْأَفْقَ بِالزُّهْرِ الْكَوَاكِبِ حَالِيَا فَبَاقِيَ قَدْ أَوْدَعْتُهُ شَرَحَ حَاكِيَا

(١) كَذَا فِي النُّسخَةِ الْمَطْبُوعَةِ (رَقْمُ ٣٥٩) مِنْ مَجْمَعِ الطَّبِيبِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ وَسَائِرُ نُسَخِ نَجَّ
الطَّبِيبِ : « قَوَاصِبِ » . وَمَا أَهْبَتَاهُ أَوَّلَى بِالسِّيَاقِ .

(٢) فِي مَجْمَعِ الطَّبِيبِ : « حَوْلِ » .

(٣) هَذَا صَدْرُ مَقْطُوعَةٍ عَتَرَةِ الشُّهُورَةِ .

(٤) — أَزْهَارُ الرِّيَاضِ

وَحَلَّتْ مُنْتَلَى النَّسِيمِ أَمَانَةً
فِيَا مَنْ رَأَى الْأَرْوَاحَ وَهِيَ ضَعِيفَةٌ
وَسَاوَسَ كَمْ جَدَّتْ وَجَدَّتْ فِي الْهَوَى
وَمَنْ يُطْعِمُ الْأَلْحَافَ فِي شِرْعَةِ الْهَوَى
عَدَلْتُ بِقَلْبِي عَنْ وَلَايَةِ حُكْمِهِ
وَمَا الْحُبُّ إِلَّا نَظْرَةٌ تَبْعَتْ الْهَوَى
فِيَا عَجَبًا لِلْعَيْنِ تَمْشِي طَلِيقَةً
أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَنْسُ نَفْسُهُ
وَيَارُبَّ عَهْدٍ لِلشَّبَابِ قَضَيْتُهُ
خَلَوْتُ بَيْنَ أَهْوَاءٍ مِنْ غَيْرِ رَقِيبَةٍ
وَبَوْمٍ بِمُسْتَنْتِ الظُّلُمَاءِ شَهِدْتُهُ
وَلَمْ أَصْنَعْ مِنْ تَحَرُّمِ الْأَحْظَاقِ وَقَدْ غَدَا
وَجَرَّدَ مِنْ غَشْدِ الْقَامَةِ صَارِمًا
تَبَسُّمٌ فَاسْتَبَسَّكَ جُفُونِي عِبْرَةً (١)
وَأَذْكُرَنِي تَفَرُّاً ظَلِمْتُ لَوَدِدَهُ
وَرَأَى [خَفُوفٌ] (٢) الْقَلْبِ مِثْلِي كَأَنَّمَا
وَلِيلَةٌ بَاتَ الْبَسْدُ فِيهَا مُضَاجِعِي
كَرَعَتْ بِهَا بَيْنَ الْعَذِيبِ وَبَارِقِ

قَطَعْتُ بِهَا عُمْرَ الزَّمَانِ أَمَانِيَا
أَحْلَاهَا مَا يَسْتَحْفِئُ الرُّوَاسِيَا
فَعَدَّ بِهَا الْقَلْبُ لِلْقَلْبِ هَازِيَا
فَلَا بَدَّ أَنْ يَعْبُدِي نَصِيحًا وَلَا حِيَا
غَدَاةَ ارْتَفَعَى مِنْ جَائِرِ الْإِلْخَافِ وَالِيَا
وَتَغَيَّبَ مَا يُغَيِّبُ الطَّيِّبَ الْمَدَاوِيَا
وَيُضَيِّعُ مِنْ جَرَائِمِهَا الْقَلْبُ عَانِيَا
بُرْخَصُ مِنْهَا الْحُبُّ مَا كَانَ غَالِيَا
وَأَخْسَنْتُ مِنْ دَيْنِ الْوَصَالِ التَّقَاضِيَا
وَلَسَكُنَ عَفَافِي لَمْ أَكُنْ عَنْهُ خَالِيَا
أَجَدُّ وَصَالًا بِأَلْيَا فِيهِ بَارِيَا (٣)
بِهِ الْجَوْ وَضَاحَ الْأَسْرَةِ ضَاحِيَا
مِنْ الْبَرَقِ مَعْقُولَ الصَّفِيحِ يَمَانِيَا (٤)
مَسَلَتْ بُدْرَ الدَّمْعِ مِنْهَا رَدَائِيَا
وَلَا وَالْهَوَى الذُّدْرَى مَا كُنْتُ نَاسِيَا
يَبْرُقُ الْحَيَى مِنْ لَوْعَةِ الْحُبِّ مَايَا
وَبَاتَتْ عُيُونُ الشَّهْبِ تَحْوِي رَوَائِيَا
بِمَوْرَدِ تَفْسِيرِ بَاتٍ بِالذُّرِّ حَالِيَا

(١) مستن الظباء : مكان عدوها . وأجد : أحدث ووجد .

(٢) في تلح الطيب : « مصقول الصفيحة صانفا » . وفي م : « مصقول الصنّاح » .

(٣) كذا في الأسلين . وفي مع الطيب : « حمرة » .

(٤) هذه الكلمة عن فتح الطيب .

رَقَمْتُ بِهَا شَهْدَ الرُّضَابِ سُلَافَةً
وَقَبَّلْتُ فِي مَاءِ النِّعَمِ الْأَفَاحِيَا
فِيَا بَرْدَ ذَلِكَ الثَّغْرِ رَوَيْتُ غُلَّتِي
وَيَا حَرَّ أَنْفَاسِي أَذْبَتُ فَوَادِيَا
وَرَوْضَةَ حُسْنِ الشَّبَابِ نَضِيرَةً
هَمَصَرْتُ بَعْضَ الْبَانِ فِيهَا لِلْجَانِيَا
وَقَدْ بَثُّ أَسْفَى وَرَدَّةَ الْعَذَا دُمُعِي
فَأَصْبَحَ فِيهَا تَرْجِسُ اللَّحْظِ ذَاوِيَا
وَمَالَتْ بَقَايَ مَائِلَاتٍ قُدُورِهَا
فَمَا لِلتَّدُودِ الْمَائِلَاتِ وَمَالِيَا
جَزَى اللَّهُ ذَلِكَ الْعَهْدَ عَوْدًا فَطَلَمَا
أَعَادَ عَلَى رَبِّعِ الظُّبَاهِ الْجَوَازِيَا^(١)
وَقُلْتُ لِلَّيَالِ فِي السَّبَابِ نَعْمَتُهَا
وَقَضَيْتُهَا أَنْسَا سَقِيَّتَ لَيْيَالِيَا
وَيَا وَادِيَا رَقَمْتُ عَلَى ظِلَالِهِ
وَنَحْنُ نُدْبِرُ الْوَصَلَ فَذَبْتُ وَادِيَا
رَمَنْتِي عُيُونُ السَّرْبِ فِيهِ وَإِنَّمَا
رَمْنِي بَقَايَ فِي الْغَرَامِ التَّرَامِيَا^(٢)
فَقُلْ لِلَّذِي يَبْنِي عَلَى الْحُسْنِ شِعْرَهُ
لَمَّا كُنْتُ مِنْ فَنَكِ الْأَوَاحِظِ نَاحِيَا
فَكَمْ مِنْ شَكَاةٍ فِي الْهَوَى قَدْ رَفَأَتْهَا
عَلَيْهِ مَعَ الْإِحْسَانِ لَا زِلَّتْ بَانِيَا
وَكَمْ لَيْلِيَةٍ فِي مَدْحِهِ قَدْ مَسَّهَتْهَا
وَرَقَمْتُهَا بِالْمَدْحِ إِذْ جَاءَ ثَالِيَا
وَلَا حَ عَمُودُ الضُّمُوحِ مِثْلَ انْتِسَابِهِ
أَبَاهِي بِدَرْ النِّعَمِ فِيهِ الدَّرَازِيَا
إِمَامٌ أَفَادَ الْمُسْكِرَاتِ زَمَانَهُ
رَقَمْتُ عَلَيْهِ لِلْمَدْحِ الْمُبَانِيَا
وَجَاوَزَ قَدَرَ الْبَدْرِ نُورًا وَرَفَعَهُ
وَشَادَ لَهُ فَوْقَ النُّجُومِ الْعَالِيَا
هُوَ الشَّمْسُ بَثَّتْ فِي الْبَسِيطَةِ نَفْسُهَا
وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا بِالسَّكَالِ مُوَالِيَا
هُوَ الْبَحْرُ بِالْإِحْسَانِ يَرْخَرُ مَوْجُهُ
وَأَنْوَارُهَا أَبْهَتُ^(٣) قَرِيبَا وَقَاصِيَا
وَلَسَكُنْهُ عَذَابُ رَنْ جَاءَ عَافِيَا

(١) الجوازى : جمع جائزة ، ومن الجزاء ، يريد بها النعمة والسيقا ونحوها .

(٢) في م : « المراسيا » .

(٣) في م : « الإمام عجد » .

(٤) كذا في م . وفي ط : « أمدت » . وفي نفع الطيب : « أمدت » . وكلاما تحريف .

هو الغيث مها^(١) يُسَلِّكُ الْغَيْثُ سُحُبَهُ
شَمَائِلُ لَوْ أَنَّ الرِّيَاضَ بَحَسْنَهَا
فِي بَيْنِ الْمُلُوكِ الصَّيْدَ مِنْ آلِ خَزَرْجٍ
أَلَسْتُ الَّذِي تَرْجُو الْمَغَاةَ نَوَالَهُ
أَلَسْتُ الَّذِي تَخْشَى الْمَغَاةَ صِيَالَهُ
وَعَذْبُكَ مَهْمًا ضَلَّتِ الشَّهْبُ قَصْدَهَا
[وَعَزْمُكَ أَمْضَى مِنْ حُسَامِكَ فِي الْوَعَى
فَكَفَّ قَادِحِي الدِّينِ يَكْفَرُ رَهْ
وَمَا رَاعِيهِ إِلَّا حُسَامٌ وَعَزْمَةٌ
فَلَوْلَاكَ يَا شِمْسَ الْخِلَافَةِ لَمْ يَبْنَ
وَلَوْلَاكَ لَمْ تَرْقَعْ سَمَاءُ نَجَاحِجَةٍ
وَلَوْلَاكَ لَمْ تُهْلِكْ غُصُونُ مِنَ الْقَنَا
فَأَنْعَرَ فِيهَا النَّضْلُ نَصْرًا مَوْزَرًا^(٢)
وَمَهْمًا عَدَا سَفَاحُ سَيْفِكَ عَارِيَا
قَضَى اللَّهُ مِنْ فَوْقِ السَّمَوَاتِ أَنَّهُ
فَكَفَّ مَقْفِلُ الْكُفْرِ^(٣) صَبَحَتْ أَهْلُهُ
رَقِيتَ إِلَيْهِ وَالشُّيُوفُ مُشِيجَةٌ
رُؤْيَى بِسُحُبِ الْجُودِ مِنْ كَانَ صَادِيَا
لَمَّا صَارَ فِيهَا زَهْرُهَا الْقَضُ ذَاوِيَا
وَذَا نَسَبٍ كَالْهَشِيجِ عَزَّ مُسَامِيَا
فَتَخَجَّلَ جِدْوَاهُ السَّحَابُ الْعَوَادِيَا
فَتَنَزَّلَ عَلَيْهِ الصَّعَابُ الْعَوَادِيَا^(٤)
تَوَلَّيْتُ فِي جَنَنِ الدُّجْنَةِ هَادِيَا
وَأِنْ كَانَ مَصْقُولُ الذَّرَارِينَ مَاصِيَا^(٥)
قَدْ حَتَّ لَهُ زَنْدُ الْخَفِيفَةِ وَارِيَا
يُضِيئَانِ فِي لَيْلِ الْخَطُوبِ الدَّوَادِيَا
سَمِيلُ جِهَادٍ كَانَ مِنْ قَبْلُ حَافِيَا
تَلَوَّحَ بِهَا بَيْضُ النَّضُولِ دَرَارِيَا
وَكُنْتُ إِلَى وَرْدِ الدَّمَاءِ صَوَادِيَا
فَأَجَسَنِي قِطَافُ الْفَتَحِ غَضًّا وَدَانِيَا
يُعَادِرُ وَجْهَ الْأَرْضِ بِاللَّيْلِ كَاسِيَا
عَلَى مَنْ أُنِيَ الْإِسْلَامُ فِي الْأَرْضِ قَاضِيَا
بِحَيْشٍ أَعَادَ الصُّبْحُ أَظْلَمَ دَاجِيَا
وَقَدْ بَلَغَتْ فِيهِ النُّفُوسُ التَّرَاقِيَا

(١) في ط وفتح الطيب : « يهيم » وهو تحريف من الناسخ .

(٢) في فتح الطيب : « فتوغل عليه الصعاب »

(٣) هذا البيت من فتح الطيب .

(٤) في م : « موردا » .

(٥) كذلك في فتح الطيب . وفي ط : « فسك مقفل في الأرض » .

وَبَاتَ بِهِ الْفَوْحُ يُدْ بَعْلُو مُنَارِيَا
وَمُنِيرُهُ بِالذِّكْرِ أَصْبَحَ حَالِيَا
ظَفَرْنَا بِهَا عَنْ رِجَّةٍ هِيَ مَاهِيَا
بِيَاهِي بِهَا الْأَمْلاكُ أُخْرَى لِيَالِيَا
تَحْطُّ عَلَى صَنْعِ الزَّمَانِ أُمَالِيَا
يَتَوَقُّ عَلَى حُكْمِ الشُّعُودِ التَّبَانِيَا
تُجَدُّ بِهِ نَفْسُ الْحَلِيمِ الْأُمَانِيَا
وَلَمْ تَكُنْ فِي أَفْتَرِ السَّمَاءِ جَوَارِيَا
إِلَى خِدْمَةِ تَرْضِيكِ مَهَا الْجَوَارِيَا
بِهِ التَّضَرُّ أَقَاتَى السَّمَاءِ مَنَاهِيَا
مِنَ الْوَشْيِ مُنَى السَّابِرِيَا^(٢) التَّيْمَانِيَا
عَلَى عَمَدٍ بِالْأَنْوَارِ بَاتَتْ حَوَالِيَا
يُظَلُّ عَبْدُ الشُّبْحِ إِذْ لَاحَ^(٣) بَادِيَا
فَطَارَتْ بِهَا الْأَمْثَلُ تَجْرِي سَوَارِيَا
فَيَجْلُو مِنَ الظُّلَامِ مَا كَانَ دَاجِيَا
عَلَى عِظَمِ الْأَجْرَامِ مِنْهَا لَالِيَا
إِذَا مَا نَبَزِي وَفَدَ النَّسِيمِ مَبَارِيَا

(١) في م، ط: «بالقس» وهو تحريف من التامع. وما أثناءه عن فتح العليب المخطوط (رقم ٣٥٩).

(٢) في فهم الغليب : « في ساقية » .

(۳) الباری : ثوب رفیق حید .

(٤) في «الطب»: «بأن» .

إذا ما جلت أيدى الصبا صفح مثنه أرثنا ذروها أكسبتنا الأباديا^(١)
 ورأصة في حجر طوع عنانها تراجع ألحان القيان العوانيا^(٢)
 إذا ما عكت في الجوّ ثم تحدّرت تحلى بمرفص الجمان النواحيا
 يذوب لجين سأل بين جواهر غدا مثلها في الحسن أبيض صافيا
 تشابه جار للمسيون بجامد فلم أدر أبا منها كان جاريا
 فإن شئت تشبها له عن حقيقة نصيب بها للرعى وبوركّت راميا
 قلّ أرقصت منها البعيرة بنتها^(٣) كما يرقص الملوذ من كان لاهيا
 أرثنا طباع الجود وهي وليدة ولم ترض في الإحسان إلا تغاليا
 سقت نمر زهر الرّوض عذب برودها وقامت لكي تهدي إلى الزهر^(٤) ساقيا
 كأن قد رأت نهر المجرة ناصبا فرامت بأن تجرى إليه السواقيا
 وقامت بنات الدّوح فيه موائلا فرادى ويتلو بعضهن مثانیا [٢٧٨]
 رّواضع في حجر الغمام ترعرعت وشبت فشبت^(٥) حبها في فؤاديا
 بها كل ملثف الغدائر مسيل تجيل ه أيدى النسيم مكاريا^(٦)
 وأشرف جيد الغصن فيها معطلا فقلدت النّوار منسه التراقيا
 إذا ما تجلّت درّ زهر غروسة^(٧) يبيت لها النّعام بالطيب واشيا

(١) كذا في نفع الطيب . وفي الأصل : « أرثنا الدراري واكتسبتنا ... » الخ .

(٢) في نفع الطيب الطلوع : « الأغاني » . وفي المخطوطتين منه : « الغانيا » .

(٣) في نفع الطيب الطلوع والمخطوطتين : « منها » .

(٤) في نفع الطيب الطلوع : « الدهر » . وهو تحريف .

(٥) شبت : أشعلت وأوقدت .

(٦) للدراري : جمع مدري ، وهو المشط .

(٧) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « إذا ما أملت در نمر بروده »

مُصَارَفَةُ النَّقْدَيْنِ فِيهَا يُمَثِّلُهَا أَجَازَ بِهَا فَاضَى الْجَمَالِ النَّقَاضِيَا^(١)
فَبَانْ مَلَأَتْ كَفَّ النَّسِيمِ مَعَ الضَّحَى^(٢) دَرَاهِمَ نَوَّرَ ظَلَّ عَنْهَا مَكَافِيَا
فَيَمْلَأُ حَجَرَ الرُّوضِ حَوْلَ غُصُونِهَا دَنَائِيرَ تَمْسُ تَتْرُكُ الرُّوضَ حَالِيَا
تُعْرِدُ^(٣) فِي أَفْنَانِهَا الظُّلُورُ كُلَّمَا تَبَجَّسَ بِهِ أَيْدِي الْقِيَانِ لِلَّاهِيَا
تُرَاجِعُهَا سَجَمًا فَتَحْسِبُ أَنْهِيََا بِأَصْوَاتِهَا تُنْمَلِي عَلَيْهَا الْأَغَانِيَا
فَلَمْ تَذَرِ^(٤) رَوْضًا مِنْهُ أَنْتُمْ نَضْرَةَ وَأَعَطَرَ أَرْجَاءَ وَأَخْلَى مَحَانِيَا
وَلَمْ تَرِ قَضْرًا مِنْهُ أَعْلَى مَظَاهِرِهَا وَأَرْفَعَ آفَاقًا^(٥) وَأَفْسَحَ نَادِيَا
مَعَاكِي مِنْ نَفْسِ السَّكَالِ انْتَقَبَتْهَا وَزَيَّنَتْ مِنْهَا بِالْجَمَالِ الْفَافِيَا
وَلَا تَحْتِ مِثْنَاهُ يَبْعِيدُ شَرَعَتُهُ تَبَيَّنَتْ بِهِ فِي الْخَافِقَيْنِ التَّهَانِيَا^(٦)
وَلَمَّا دَعَوْتَ النَّاسَ نَحْوَ صَنِيعِهِ أَجَابُوا لَهُ مِنْ جَانِبِ النُّورِ^(٧) دَاعِيَا
وَأَمْرُهُ مِنْ أَقْصَى الْبِلَادِ تَقَرَّبَا وَمَا زَالَ مِنْكَ السَّعْدُ يَذِي الْأَفَاصِيَا
وَأَذْكَرْتَ يَوْمَ الْعَرْضِ جُودًا وَمَنْعَةً بَعَوَقَيْ عَرْضِ كُنْتَ فِيهِ الْمَجَازِيَا
جَزَيْتَ بِهِ كُلًّا عَلَى حَالِ سَفِيهِ فَمَا غَرَسَتْ يَمِينُهُ أَصْبَحَ جَانِيَا
وَأَعْلَامَتَ مِنْ جَزَلِ الْوَقُودِ هَوَادِجَا تَذَكَّرُ يَوْمَ النَّفْرِ مَنْ كَانَ سَاهِيَا
وَحِينَ غَدَا يُذَكِّي بِبَابِكَ^(٨) لِلْقَرَى فَلَا غُرُو أَنْ أُجْرِيَتْ فِيهِ التَّدَاكِيَا^(٩)

(١) في نفع الطيب : « أجاز بها النقيدين منها كما هيا » .

(٢) في نفع الطيب : « يذنها » مكان قوله : « مع الضحى » .

(٣) في نفع الطيب : « تعود » .

(٤) في ط : « لم تر » وما أبتناه عن نفع الطيب .

(٥) في ط : « وأوضح إباناً » مكان قوله : « وأرفع آفاقاً » ولا معنى له ، والتصويب عن نفع الطيب .

(٦) في الأصلين : « التهانى » . وما أبتناه عن نفع الطيب .

(٧) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « النور » .

(٨) كذا في م . وفي ط : « يذكي المنائر » . وفي نفع الطيب : « يذكي مائر » .

(٩) للذاك من الحيل : إلى أنى عليها بعد اكتهال قوتها سنة أو سنتين .

وطائفة في الجوِّ غير مُطالعة
تُعَدُّ لها الجوزاء كفَّ مصافح^(١)
ولا عجب أن فانت الشهب بالعلل
فبين يدي مَمَوَّك قامت لخدمه
وشاهد ذا أني بياك واقف
وقد أرضعت ندى الغمام^(٢) قبلها
فلما أبينت عن قرارة أصلها
وعدت لقاء السحب عيداً وموسماً
فأشجكت البرق الطروب خلالها
رأت نفسها طالت فطلت بأنها
نغفت إليها الذابلات^(٣) كأنها
حككت شهباً للنعل والنعل حوله
فمن مُنبت منها الرمية مدرك
وحسن منبع في ذراه قد ارتقى
كان بُروج الأفق غارت وقدرأت
فأنشأت بُرجاً صاعداً متسرلاً
تطوّر حالات أني في ضروبها

رَدُّ مَدَّهَا الطَرْفَ أَحْسَرَ عَانِيَا
وَيَدْنُو لَهَا بَدْرُ السَّمَاءِ مُنَاجِيَا
وَأَنْ حَاوَزَتْ مِنْهَا الْمَدَى الْمُتَعَانِيَا
وَمَنْ خَدَمَ الْأَعْلَى اسْتَفَادَ التَّعَالِيَا
وَقَدْ حَصَدَتْ زُهْرُ الْجُجُومِ مَكْنِيَا
بِحَجَرِ رِيَاضٍ كُنْ فِيهِ بَوَاشِيَا
أَزَادَتْ إِلَى مَرْقَى الْغَامِ تَعَالِيَا
لِذَلِكَ اغْتَدَتْ بِالرَّمْيِ تُلْغِي الْقَوَادِيَا [٢٧٩]
وَبَاتَ لَا كَوَاسٍ^(٤) الدَّرَارِي مُطَالِيَا
تَقَوَّتْ عَلَى رَغَمِ الْإِخْفَاقِ التَّعَامِيَا
طُيُورٌ إِلَى وَكْرِ أَطْلَافِهَا
عَصَى إِلَى مَمَوَّاهُ تَهْوِي عَوَالِيَا
وَمِنْ طَائِفٍ فِي الْجَوِّ حَلَقٌ وَأَنِيَا
فَأَبَعَدَ فِي الْجَوِّ الْقَضَاءِ الْمَرَاقِيَا
بُرُوجٌ قُصُورٌ شِدْثُهُنَّ سَوَامِيَا
يَكُونُ رَسُولًا بَيْنَهُنَّ مُدَارِيَا
بِأَنْوَاعٍ حَلَى تَسْتَفِزُّ الْقَوَانِيَا

(١) في نفع الطيب : « مسارع » .

(٢) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « المعاصر » . وما أنبتناه أول بالسباق .

(٣) كذا في نفع الطيب المطبوع والمخطوط . والذي في ط : « بات » . ولم يسمع : « أكراس » . جمالكاس . وإغما السموع : « أكراس وكثوس وكثاس » .

(٤) يربد بالذابلات « التيازك » وهي الرياح . والذي في نفع الطيب : « الراتلات » .

فَجَبَلٌ بِرِجْلِهَا، وَشَاحٌ يَحْضَرُهَا
 وَمَا هُوَ إِلَّا طَلَبٌ سَمَدٌ بِذُرْوَةٍ
 أَمُولَئِي يَا غَفَرَ الْمَلُوكِ وَمَنْ بِهِ
 يَبْنُوكَ عَلَى حَكْمِ السَّعَادَةِ خَمْسَةٌ
 تَبَيَّنَتْ لَهُمْ كَفُّ الثَّرِيَا مُعِيذَةٌ
 أَسَامِرُ عَلَيْهَا لِلْسَّعَادَةِ بِمِيسَمٍ
 جَعَلْتُ أَنَا الْحِجَابَ فَانْجِ طَرِيقَهُمْ
 وَحَسْبُكَ سَمَدٌ تَمَّ نَصْرَ يَدِهِمْ
 أَقْتِ بِهِ مِنْ فِطْرَةِ الدِّينِ سُنَّةٌ
 وَجَاهِدُوا بِهِ مِلَّةَ الْفُجُورِ وَسَامَةٌ
 فِيهَا عَازِلٌ مَا كَانَ أَجْرًا مِثْلَهُ
 وَجَاءَتْكَ مِنْ مِصْرَ النَّحَالِ كَرَامَةٌ
 وَوَأَفْتَكُ مِنْ أَرْضِ الْحِجَابِ تَمِيمَةٌ
 وَنَادَاكَ بِالنُّهُولِ سُلْطَانٌ طَلِبَةٌ
 وَقَامَ وَقَدْ وَاقَى ضَرْحَ مُحَمَّدٍ
 سَرَّكَ الرِّمْحَى جَزَاكَ بِسُحْبَا
 فَوَاللَّهِ لَوْلَا سُنَّةُ قَبُولَةٍ
 وَعُذْرٌ مِنَ الْإِعْذَارِ قَرَّرَ حُكْمَتَهُ
 وَتَاجٌ إِذَا (١) مَا حَلَّ مِنْهَا الْأَعَالِيَا
 غَدَا زَاجِرًا مِنْ أَشْهَبِ الصُّبْحِ بَازِيَا
 سَبِيلُهُ دِينُ اللَّهِ مَا كَانَ رَاجِيَا
 وَذَا عَدَدٌ لِلْعَيْنِ مَا زَالَ وَاقِيَا
 وَيَصْبِيحُ مُعْتَلً النِّسَمِ زَوَاقِيَا (٢)
 تَرَى الْعِزَّ فِيهَا مُسْتَكِنًا وَبَادِيَا
 وَقَدْ عَرَفْتَ مِنْكَ الْفُتُوحَ التَّوَالِيَا
 مُحَمَّدُ الْأَرْضَى مَا زِلْتَ رَاضِيَا
 وَجَدَدْتَ مِنْ رَسْمِ الْهَيْدَاةِ عَافِيَا
 يُقَلِّبُ وَجْهَ الْبَذْرِ أَزْهَرَ بَاهِيَا
 فَيُثَلِّكُ لَا يَذِي الْأَسْوَدَ الصَّوَارِيَا (٣)
 كَمَا فَتَنَتْ أَيْدِي النَّجَّارِ التَّوَالِيَا
 نَقَمُ صُنْعِ اللَّهِ لَا زَالَ بَادِيَا
 فَيَا طَلِبَ مَا أَهْدَى إِلَيْكَ مُنَادِيَا
 لِسُلْطَانِكَ الْأَعْلَى هُنَالِكَ دَاعِيَا
 إِلَهُ يَوْفَى فِي الْجَزَاءِ الْمَسَاعِيَا
 عَهْدَانَاهُ مَهْدِيَا إِلَيْهَا وَهَادِيَا
 مِنَ الشَّرْعِ أَحْبَابُ رُفِعْنَ عَوَالِيَا

(١) كذا في م . وفي ط ومع الطيب : « إلى » .

(٢) في م : « ويصبح معتل النواصم رافيا » .

(٣) في ط : « فبالأمرأ . . . فثلك لا يرمى . . . الخ . وما أنبأه عن نفع الطيب .

لرأيت بها للخرت^(١) أهوال موقوف
 تشيب بمبيض النصول العوالي^(٢)
 لك الحمد فيه من صنع نعمة
 فخاله في الفخر عزز ثانيا
 تشد له الجوزاء عقد نطاقها
 لتخدم فيه كي تنال العاليا
 وهنت بالانداح فيه وقد غدا
 وجودك^(٣) فيه بالإجادة وافيا
 ودونك من بحر البيان جواهر
 كرم من فم بشرى إلا غوالي
 وطاردت فيها وصف كل غريبة
 فأعجزت من يأتي ومن كان ماضيا
 فيا وارث الأنصار لا عن كلاله
 تراث جلال يستخف الزواسيا
 بأمداح جاء الكتاب مفضلا
 يرثه في الذكر من كان تاليا
 لقد عرفت الإسلام بما أفدته^(٤)
 مكارم أنصارية وأيديا
 عليك سلام الله فاسلم محمدا
 نجدد أعيادا وتبلي أعايدا

ثم قال : ومن ذلك أيضا فيما اعتمدنا به نحن وأخوانا التوقي بالأمر بعد مولانا الوالد رحمه الله تعالى على الجميع من تلك الصنائع ، وهي جامعة لجم الأوصاف والبدائع :

في صلبه لحي
 بالله لإعداد
 بمن حوته

نجوم أمدتها بدور كواكب
 لها النور من شمس الخلافة شامل
 وفي الشهب من بدر السماء مثابه
 وفي البدر من شمس النهار محابل
 وتعرف فيها من أبيها شمائل
 كما في أبيها من أبيه شمائل
 مراتب في عدد الحساب ثلاثة
 وهن لأقارب العلاء منازل
 طلعت على حكم الشعوب أهلة
 وسرعان ما تبدو وهن كواكب

(١) في فتح الطب : « لاجز » .

(٢) في الأصل : « وفودك » . وما أئتناه من نفع الطب .

(٣) كذا في نفع الطب المطبوع والمخطوطين وفي الأصابع : « أجدته » .

تَجَلَّتْ إِلَى الْأَبْصَارِ مِنْ أَفْئِ الْهَدَى
فِي أَيَّهَا الْمَوْفَى الَّذِي شَادَ آخِرًا
بَنُوكَ كَأَمْثَالِ الْأَنْمَالِ عَيْدُهُ
غُصُونُ بَرُوضِ الْجَبَرُودِ مِنْكَ تَرَعَّرَعَتْ
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرَى إِذَا مَا تُذَوِّكَرَتْ
غُيُوثُ سَمَاحٍ وَالْعُمَامَةُ مَسَائِلُ
سُيُوفُ مُحَلَاةٍ عَلَى طَائِفِ الْهَدَى
تَخَافُ عِدَاةَ الدِّينِ مِنْهُمْ وَتَنْتَفِي
وَلِإِنَّ أَبَا الصَّجَّاحِ وَهُوَ كَبِيرُهُمْ
مَالِكٌ إِذَا اسْتَقْبَلَتْ غُرَّةَ وَجْهِهِ
إِذَا اسْتَمْطَرَتْ فِي الْحُلِيِّ سَحَابُ بَنَانِهِ
وَلِإِنْ سَالَ مَاءُ الْبَشْرِ فَوْقَ جَبِينِهِ
تَقَلَّدَ مِنْهُ عَاتِقُ الْمَلِكِ صَارِمًا
وَأَبْنَاؤُهُ دُرٌّ تَنَاسَقَ عِقْدُهُ
أَزَاهِرُ فِي رَوْضِ الْخَاسَنِ أَبْنَعَتْ
زَوَاهِرُ فِي أَفْقِ الْعَالِيَةِ تَطَالَعَتْ
فَمَا مِنْهُمْ إِلَّا أَعْرُ حَجَلٍ
أَقْبَتَ لَهَا الْإِعْدَارَ مَوْسَمَ رَحْمَةٍ
وَمَا هُوَ إِلَّا مَوْزِدٌ لِسَعَادَةٍ

وَمُنَّتْ إِلَى الْأَنْفَارِ مِنْهَا وَسَائِلُ
مِنْ الْفَخْرِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الْأَوَائِلُ
فَرَانَتْ بَدَ الْإِسْلَامِ تِلْكَ الْأَنْمَالُ
وَقَدْ جَادَهَا مِنْ دَوْبِ نَعْمَاكَ وَابِلُ
أَخْلَاقِهَا^(١) تُجَلِّي لَنَا أَمْ تَحَايِلُ
لُيُوثُ كِفَاحِ وَالسَّكَامَةُ تُنَازِلُ
إِذَا تَمْتَضَى تَمِضِي وَتَذَوُّو الْقَاصِلُ^(٢)
كَمَا تَتَقَى الْأَشَدَّ الطَّلِبَاءِ الْجَوَافِلُ^(٣)
تَحَلُّ كَثِيرُ دُونِهِ مُتَضَائِلُ
تَحْيَلَتْ أَنْ الشَّمْسَ فِيهَا تُقَابِلُ
فَهُنَّ الْمُسْتَجِدُّ هَوَامِرُ هَوَامِلُ
فَلَيْسَ بِمَذْفُوعٍ عَنِ الْوَرْدِ سَائِلُ
لَهُ الْعَزْمُ نَضَلَّ وَالسُّعُودُ سَمَائِلُ
يُحَلِّي بِهِمْ مِنْ كِبَرِ الْفَخْرِ عَاطِلُ
فَلَا رَوْضُهَا ذَاوٍ وَلَا الزُّهْرُ ذَابِلُ
يُشَابِهُ بَعْضُ بَعْضِهَا وَيُشَاكِلُ
بِوَرْدِ الْعَالِيَةِ فِي الشَّبِيهِ نَاهِلُ
تَسْتَفْتِي بِهِ لَلْعَاقِلِينَ الْمَآمِلُ
تَقِيضُ لَهَا مِنْهُ الْمَقَى وَالْفَوَاضِلُ

[٢٨١]

(١) في الأصلين : « لأخلاقها » ولماها بحرفة عما أفتناه ، ليستقيم الكلام .

(٢) كذا في م . وفي ط : « القاصِل » .

(٣) كذا في م . وفي ط : « الجوازِل » جمع جَوَزَل ، وهو المني من الطباء .

وَأَجْرَيْتَ سَمْعَانَ الْجِيَادَ بِلُغَيْبٍ تَذَكَّرْتُ فِيهِ مَوْقِفَ الْجِدِّ هَازِلُ
نَجْوَمُ وَأَقْفُ الطَّرَادِ مَشَارِقُ عَلَيْهَا بُدُورٌ مِنْ وَجْهِهِ كَوَامِلُ
مَعَاتِيحُ أَبْوَابِ الْفَتْوحِ فَطَالَمَا أُبَيِّحَتْ بِهَا لِلْكَافِرِينَ التَّعَاوِلُ
فَأَشْبَهَبُ كَالْإِصْبَاحِ رَاقٍ أَدِيمُهُ وَغَالَتْ بِهِ شَهَبُ السَّمَاءِ الْفَوَائِلُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّهْبَ فِي الْأَفْقِ كَلَامُ تَجَلَّى لَهُ الْإِصْبَاحُ مَعَى أَوَائِلِ
وَأَحْمَرُ زَانَ الْوَرْدِ مِنْهُ حَمِيلَةُ يَخْفُ بِهَرَّهِ مِنَ السَّيْفِ سَائِلُ
جَرَتْ لَوْ تَنَهُ مِنْ قَوْفِهِ مَسْجُ الْعِدَا فَلِلَّهِ مِنْهُ الْجَعْدُ الْكُنُتَائِلُ ^(١)
تَلَاقَى بِهِ أَمْثَالُهُ فَكَانَتْهَا حَارٌّ وَقَدْ أَذْكَى بِهَا الْهَاسَ نَاسِلُ
إِذَا قُبِسَتْ بِالرُّكُضِ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى تُبَيِّرُ بِهَا لَيْسِلَ الْقَتَامِ مَسَاعِلُ
وَأَشَقَرُ مَهَيَّا كَأَوَّلِ الْبَرْقِ فِي مَدَى ^(٢) يَفُوتُ حَيَوَادَ الْبَرْقِ مِنْهُ الْمُجَاوِلُ
تَحَلَّى بِمَحَلُولِ ^(٣) النَّصَارِ أَدِيمُهُ فَكَلَّ مُحَلَّى ذُونُهُ فَهُوَ عَاطِلُ
وَأَدَاهُمْ فِي مَسْجِ الدَّجَى مُتَلَتِّعُ وَقَدْ خَاضَ مِنْهُ فِي الصَّبَاحِ الْأَسَافِلُ
يُبْكَالُ بِالْحَوَزَاءِ حَتَّى لُجَامِهِ فَذُرُّ الدَّرَارِي مِنْ حِلَاحِ عَوَاطِلُ
وَلَمْ يُرْضِهِ سَرَجُ الْهَلَالِ مَقْضَضًا فَأَعْرَضَ عَنْهَا الْأَهْلَاءُ نَاعِلُ
وَأَصْفَرُ قِيَتُوبِ الْأَصِيلِ قَدَارْتَدَى وَرَبَّتَمَا وَدَّتْ حِلَاحَ الْأَصَائِلِ
وَقَدْ قَدَّ مِنْ بُرْدِ الْعَمِيِّ جِلَاحُهُ وَفِي ذَيْلِهِ صَيْغٌ مِنَ اللَّيْلِ حَائِلُ

(١) هنا البيت ساقط في ط .

(٢) كذا في م . وفي ط : « إذا القبت بالركن » .

(٣) كذا في م . وفي ط : « جاوز » .

(٤) كذا في م . وفي ط : « بجوال » .

وصاعدة في الجو ملء عنانها ثسامت أغنان السما ونظاويل
طلعت تحيي البدر منها بصمده عليها لواء الصبح في الأفق مائل
وقد أغرست بالرفع عن طيب فخرها متى نصبت في الفضاء القوايل
بمد لها السكت الخضب يساعده ويشكي المنالك الأعزل الزممع عايل
وتنقلها هيف المعى كأنها سهاهم وعاما للرومية نابل
تروغها طورا وطورا تصيفها فسام^(٣) لأعلى مرثها وتنازل
وبالأمس كانت بعض أغصان دوحها فنقلها عنها على الرغم نأقل
خفت إلى أوطانها وتسابقت تعارذ مسراها بها وتواصيل
ورج ميف في ذراها قد ارتقى انرفع منه للبروج الرسايل
تطوّر حالات أنى في جميعها بأوضاع^(١) حلى وصفه متعاقيل
فتاج بأغلاها، وشاح بخصرها وفي الساق منه قد أدبرت خلايل
وما هو إلا قائم مد ملكه إلى الله في البقي لما صد سائل
ولله عينك من رأى القصر حوله منازل فيها للشعور منازل
تروقت فيه للدور مطالع إذا مئت في ساحتيه الأمانل
مظاهر أقيار مراتب أنجم منازل بالنصر العزيز أوائل
وقد كان هول الخلل روع أهله وأشرت الإشفاق تلك الحافيل

[٢٨٢]

(١) كذا في م. وفي ط: « بالخر » .

(٢) في م: « جرها » .

(٣) في الأصان: « سام » ولا معنى لها هنا .

(٤) في م: « باتواع » .

فأبدت به أبنائه تَجَلَّكَ أَوْجُهًا
فلا الخفل مرهوب ولا الخطوط أَمِيرُ
ولا القلب متخوب ولا الحلم طَائِفُ
أولئك أبنائه الخلافه بُوكِروا
هنيئًا بها مِنْ سُنْفَرِ نَبِيٍّ
ورحمي له مِنْ عَازِرِ بَاسٍ عَذْرُهُ
فَنَقُصُ هِلَالِ الْأَفْقِ مَا زَالَ مُؤَذِّنًا
وَمِنْ نَقْصِ ظِلِّ الشَّمْسِ تَذَاوُرَةً
وإن تَابِعَ النَّقْصِ الشُّهُورَ فَلَانِهَا
وَنَقْصِ صَلَاةِ الظُّهْرِ يَوْمَ عَرُوبِهِ
وإن نَقْصَ الْبَازِي رِيَاشَ جَنَاحِهِ
وَتَشْتَفِرُغُ الْأَنْعَامُ مَا فِي ضُرُوعِهَا
وَنَقْصُ زَكَاةِ السَّالِ فِيهِمْ وَفُورُهُ
لَكَ الْخَيْرُ مِنْ صُنْعِ جُلُوتَ حَاسِنًا
أَلَا هَكَذَا فَلْيَقْدِرِ الْفَخْرُ نَاجَهُ
بِأَبْلَجِ غَارِ الصَّبْحِ مِنْهُ بَطْلَمَةُ
إِذَا حَطَبَ الْعُلَا تَخَطَّتْ بِرُكْبِهِ
وَلَوْ رَامَ إِدْرَاكَ النُّجُومِ بِحِيلَةٍ
وإن طَلَبْتَ زُهرَ النُّجُومِ أَحَاقَهُ
وَتَخَفُّقُ بِالنَّصْرِ الْعَزِيزِ بَنُو دُهُ
وَلِيلِ جِهَادِ بَاسٍ يَرْغَى نُجُومَهُ

تَبَيَّنَ إِلَى السَّارِينَ مِنْهَا الْمَجَاهِلُ
وَالَا السَّرْبُ مَرْتَانُ وَلَا الرُّوْعُ هَائِلُ
وَالَا الْعَقْلُ مَعْقُولُ وَلَا الْفِكْرُ ذَاهِلُ
وَتَجْرَى عَلَى أَعْدَائِهِمِ الصُّوَاهِلُ
زَهَا الْفَخْرُ مَحْدُولُ لَكَيْبَهَا وَحَاصِلُ
وَأَوْتَمَّ نَقْصًا فَذُلُهُ مُتَعَاوِلُ
لَمَرَّةً آهٌ أَنْ يَبْدُو لَنَا وَهُوَ كَامِلُ
إِلَى أَنْ تُرْسَى وَالظُّلَى فِي الشَّرْقِ مَائِلُ
عَلَى إِثْرِهِ تَأْنِي وَهْنٌ كَوَامِلُ
إِمَعْنَى كَمَالٍ أَوْضَحْتَهُ الدَّلَائِلُ
يَزِيدُ اسْتِثْبَافًا وَهُوَ لَمَّيْدُ خَائِلُ
عَشِيًّا لَتَتَفَدُّو الضَّرُوعُ حَوَائِلُ
وَمَشَقُّ ذِيَابِ السَّيْفِ يَحْشَاهُ صَائِلُ
يُعْذَى بِهَا حَادِي الشَّرَى وَبَنَاقِلُ
وَيَسْمُو إِلَى أَوْجِحِ الْعُلَا وَيَطَاوِلُ
لَهَا الْبَذَرُ تَاجُ وَالنُّجُومُ قَبَائِلُ
عَلَى حَطَرِ السَّمْعَى الْقَنَّا وَالْقَنَائِلُ
لَأَحْرَزَ مِنْ إِدْرَاكِهَا مَا يُحَاوِلُ
فَمِنْ دُونِ مَا تَبْقَى الْقَدَى لِلتَّطَاوِلُ
إِذَا حَقَّقْتَ فِيهَا الصَّبَا وَالشَّيَائِلُ
فَلَا اللَّيْلُ مُنْجَبَابُ وَلَا النَّجْمُ آذِلُ

بُرَاعِي حُصَاةَ الدِّينِ رِفِيدَةً بِمَقْلَةٍ
 إِذَا اشْتَقَى هَرَّ الرَّبِّحِ خَافَقَ بِنَفْسِهِ
 وَفِي اللَّهِ عَن وَصْلِ الْأَحِبَّةِ مَرَّعَبٌ
 مِنَ الْغَزَزِ جَيْشِ الَّذِينَ نَمَتَهُمْ
 تَسَامَى إِلَى مَاءِ السَّمَاءِ (٢) غُبُودُهُ
 أَقُولُ لِمُسْتَنَامِ الرَّبِّيعِ وَقَدْ غَدَا
 أَمَامَكَ دَارُ الْقَسْفَى بِرَبِّهِ
 تَفَجَّرَ مِنْ كَفْيِهِ عَشْرَةُ أَبْحَرٍ
 فَتَجَرَّى بِهَا سَفُنُ الرَّجَاءِ إِلَى مَدَى
 فَرَاجِيهِ تَسْتَجِدِّي الْعُمَاءُ نَوَالَهُ
 أَحَادِيثُ عَنْهُ فِي السَّمَاحِ غَرِيبَةٌ
 لَكَ اللَّهُ مَنْ نُولُ عَصَامُ بَنَانِهِ
 طَلَعَتْ بِأَفْقِ الْقَرَبِ نِيرٌ رَسْمُهُ
 خَعْدُكَ أُخْرَى مَا أَفَادَتْ حَقَائِبُ
 بُرَاعِي بِهَا الْإِسْلَامَ كَافٍ وَكَافِلُ
 وَإِنْ حَنَّ غَنَّتُهُ الْجَبَادُ الصَّوَاهِلُ
 وَفِي الْغَزْوِ عَنْ ذِكْرِ الْمَنَازِلِ (٣) شَاغِلُ
 عَشَائِرُ مِنْ قَحْطَانِيَا وَقَسَائِلُ
 بِمَاءِ سَمَاءِ فِي الْبَسِيطَةِ حَائِلُ (٤)
 يَرُودُ مَصَابِ (٥) الْغَيْثِ وَالْعَامِ مَاجِلُ
 بِأَرْجَانِيَا لُغْنَتَيْنِ مَنَاهِلُ
 يَمُصُّ مِنْهُنَّ الْبَحْرُ (٦) وَهِيَ أَنَامِلُ
 وَلَيْسَ إِلَى الْجُبُودِ مِنَ الْجُبُودِ سَاحِلُ (٧)
 وَسَائِلُهُ تَرْحَى إِلَيْهِ الْوَسَائِلُ
 يَرُودِي عَوَالِيَا عَطَاكَ وَوَاصِلُ
 أَقَامَتْ فُرُوضُ الْبَرِّ مِنْهَا النُّوَاقِلُ
 وَقَدْ شَرُفَتْ مِنْكَ الْمُلَا وَالْفَضَائِلُ
 وَذِكْرُكَ أَسْنَى مَا أَقَلَّتْ زَوَائِلُ

(١) في م : « للمعاد » .

(٢) ماء السماء : لقب عامر بن حارثة الأزدى ، وهو أبو عمرو مزينة ، ويقال لولده :
 بنو ماء السماء ، وهم ملوك النساسنة الذين منهم الأنصار ، قبيلة المدوح . قاله
 بعض الأنصار :أنا ابن مزينة عمرو وجدى
 أبوه عامر ماء السماء

(٣) في م : « جائل » بالهمزة المعجمة .

(٤) كذلك في م . ويرود مصاب الغيث ، أى يتطلب مساقط المطر . والذى في ط :
 « يروم خصاب » .

(٥) في ط : « التهر » .

(٦) في م : « سوى » مكان قوله : « إلى » .

تَرُومُ جَوَارِي الشُّهُبِ شَاوُكَ فِي الْعَلَا وَمِنْ دُونِهِ لِلْمُتَبَرِّاتِ مَرَاحِلُ
 وَفِي الصُّبْحِ مِنْ ذَلِكَ الْجَيْنِ أَشَقَّةٌ وَفِي الشَّمْسِ مِنْ ذَلِكَ لِلْحَيَا دَلَالِلُ
 وَفِي الرُّمُوضِ مِنْ رِيَاكَ عَرَفٌ وَنَفْحَةٌ ^(١) وَفِي النَّيْتِ مِنْ مُجَنَّاكَ جُودٌ وَنَائِلُ
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْجِعِ الْجَنُودَ إِلَى الْعَلَا فَإِنَّ جُودَ اللَّهِ عَنْكَ تَقَائِلُ
 وَإِنْ لَمْ تُقَوِّمْهَا سِهَامًا عَرِيشَةً فَإِنَّ سِهَامَ اللَّهِ عَنْكَ نَفَاضِلُ
 تَرِيشُ لَكَ الْأَقْدَارُ أَسْنَمُهُمْ أَسْعَدُ نَفَاضُ بِهَا لِلذَّارِعِينَ مَقَاتِلُ
 لَكَ الْعَرِشُ تَسْتَجَلِي الْخُطُوبَ سُورُو فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا الصَّبَاحُ مَمَائِلُ
 إِذَا الْعَزْمُ لَمْ يَصْغُلْ حَسَامٌ كَكَيْفٍ شَأْنُ نَافِعٍ مَا قَدْ جَلَّتْهُ الْعَيَّاقِلُ ^(٢)
 فَتَقَبَّلَ مَصَادَ السَّيْفِ نَمَقَى عَرَائِمُ وَتَعَدَّ بِنَاءَ الرَّأْيِ مُبْنَى الْعَاقِلِ
 وَمَا يَسْتَوِي - وَالْعِلْمُ قَلْبٌ وَحْدَهُ - عَلِيمٌ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ وَجِهَلُ
 يُظَلِّلُ سَحْبُ الْعَلَّامِ جَيْشِكَ حِينًا تَمِيلُ بِهِ الرَّايَاتُ وَهِيَ حَوَامِلُ
 فَلَاقَى بِهَا عِقْبَانٌ طَلِيرٍ وَرَايَةٍ تُبِيدُ الْأَعَادَى وَالرَّمَاحُ حَبَائِلُ
 فَقُلْ لَعَمْرِي الرُّومِ دُونَكَ هَارٍ قَبْ حَالَانِعَ فِيهَا لِلنَّايَا رَسَائِلُ
 وَشِمُّ هَارِقِ السَّيْفِ اللَّمُوعِ جُفُوفُهُ سَحَابٌ ^(٣) قَتَامٌ تَعَقَهُ الدَّمُ سَائِلُ
 وَلَا تَرْجُرِ الْفِرْيَانُ فِي الْبَحْرِ إِنِّهَا سَفَاغِينَ وَالْبَعْرُ الْمَذَلُّ حَائِلُ
 وَلَسَكُنَّهَا وَاللَّهُ يُنْجِزُ وَعْدَهُ جَوَارٍ بِأَسَادِ الرِّجَالِ حَوَامِلُ
 وَتُخَضَّرَةُ الْأَرْجَاءِ فِي جَنَابِهَا مَسَارِحَ تَحْمِيهَا الرَّمَاحُ الدَّوَابِلُ
 تَرَى الدُّوْحَ مِنْهَا بِالْأَسْنَةِ مَزْهَرًا إِذَا مَا سَقَتْهُ السُّيُوفُ الْجِدَاوِلُ
 نَبِيلٌ غَلِيلُ الرُّمَحِ مِنْ مُنْجِجِ الْعِدَا إِذَا مَا كَسَتْ مِنْهَا الرَّمَاحُ غَلَاوِلُ

(١) في ط : « سمة » ولا يستقيم بها الكلام هنا ، وما أثبتناه عن م .

(٢) في ط : « حسام » ، وفي م : « سجام » ولعلهما بحر فنان عما أثبتناه .

فَبَاعَجَبًا لِلْمُنْعَرِ رَوَيْتُهُ دَمًا وَقَدْ رَاقَى مِنْهُ الْعَيْنَ رَيَّانُ ذَابِلُ
لَقَدْ كَلَّتْ فِيكَ الْحَاسِنُ كُلُّهَا وَمَا كُلُّ مَنْ يُعْطَى الْخِلَافَةَ كَامِلُ
فَعِنْدَ جَمِيعِ الْخَلْقِ شُكْرُكَ عَاجِلُ وَعِنْدَ الْإِلَهِ الْخَقُّ أَجْرُكَ أَجَلُ
وَدُونَكَ مِنْ نَفْثَى جَوَاهِرِ حِكْمَةٍ يُفَاخِرُ مِنْهَا السَّعْثَرُ بِالشَّعْرِ بَابِلُ^(١)
وَمَا عُمُ إِلَّا ذَكَرُ أَوْصَانِكَ الْعَمَلَا فَتَنْقَلُ^(٢) يَا مَوْلَايَ وَالْعَبْدُ قَاتِلُ
فَقَتَلُ عَلَى الْأَسْمَاعِ مِنْهَا بَدَانُ وَتَجَلَّى عَلَى الْأَبْصَارِ مِنْهَا عَقَاتِلُ
وَلَوْ أَنَّنِي أَدْرَكْتُ أَعْيَانَكُمْ مِنْ مَعْنَى لَمَّا قَالَ فِيهَا الشَّاعِرُ الْمُتَخَابِلُ
« وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْأَخِيرَ زَمَانُهُ لَأَتَّ بِمَا لَا تَسْتَطِيعُهُ الْأَوَائِلُ »^(٣)
وَلَا افْتَخَرْتُ قَدَمًا بِإِيَادِ بَقْسِهَا وَلَا اسْتَفْضَحْتُ سَحَابَانَ فِي الْفَخْرِ وَائِلُ
فَلَا زِلْتُ بِأَمَوَّلَايَ وَتُورِدُ رَحْمَتُهُ عِطَائِي الْأَمَانِي فِي رِضَاكَ^(٤) نَوَاهِلُ
تُقِيمُ رُسُومَ التَّعْلُومَاتِ^(٥) بِمَقَرِّبِ وَذَكَرَكَ فِي أَقْصَى الْبَسِيطَةِ جَائِلُ
وَأَذْرَكْتُ فِي الْأَعْدَاءِ مَا أَنْتَ طَالِبُ وَثَانَّتْ فِي الْأَنْهَاءِ مَا أَنْتَ آمِلُ

ثم قال : ومن ذلك في الصميع المختص بالأمراء الخلة ، أخيونا المرء لدولتنا
[٢٨٥] أبي الحسن ، وأخيونا أبي العباس ، وابن عمنا أبي عبد الله ، وصل الله سعودهم ،
واقعد أبدع في تشييده ونأسيه . وبسط يد الحسن من براعة تخميسه ، وذلك
عام عودة مولانا رحمة الله تعالى عليه من سيرة لما عادت إلى ملكه ، قال :

- (١) كذا في م . وفي ط « نائل » والعر لا يستقيم على هذه الرواية .
(٢) كذا في م . وفي ط : « فتقل » .
(٣) البيت من نصيدة في الفخر لأبي العلاء المري .
(٤) في م : « الأمانى في نوال نواهل » .
(٥) العلوات : جمع معلوة (كسكرمة) من العلو ، يريد معالي الأمور ، ومكاسب
الدرف . وقد عثرنا عليها في اللسان غلا عن ابن برى ، فليصحح ما جاء
بالحاشية الثانية صفحة ٣٩ من هذا الجزء .

أَرَقْتُ لِزَيْقٍ مِثْلُ جَفَى سَاهِرَا بَدَنْتُمْ مِنْ قَطَرٍ ^(١) الْغَامِ جَوَاهِرَا
فَاضْحَكُ زَهْرُ الرُّوضِ مِنْهُ أَزَاهِرَا وَصَبَحَ حِكْيَ وَجْهَ الْخَلِيفَةِ بَاهِرَا
نَجَمٌ مِنْ نُورِ الْهُدَى وَنَجَسٌ دَا شِدَائِي مُنْتَلِ النَّسَمِ إِذَا انْتَبَرَى
وَقَدْ فَتَقَ الْأَرْجَاءَ ^(٢) مَسْكَا وَعَنْبَرَا كَانَ الْعَنَى بِاللَّهِ فِي الرُّوضِ قَدْ سَرَى
فَهَبْتُ بِهِ الْأَرْوَاحُ عَاطِرَةَ الرِّدَا عَذِيرِي مِنْ قَلْبٍ إِلَى الْحُسْنِ قَدْ صَبَا
وَبَجَرِي جِيَادَ الْفُؤَادِ فِي مَلَبِ الصَّبَا وَلَوْلَا إِنْ نَصَرَ مَا أَفَاقَ وَأَغْنَا ^(٣)
رَأَى وَجْهَهُ صَبَحَ الْهَدَايَةِ فَاهْتَدَى
إِلَيْكَ أَمِيرَ السُّلَمِينَ شِكَايَةَ جَنَى الْحُسْنِ فِيهَا لِلْقُلُوبِ جِنَايَةَ
وَأَعْظَمَ فِيهَا بِالْعُيُونِ نِكَابَةَ وَأَطْلَعَ فِي لَيْسَلٍ مِنَ الشَّعْرِ آيَةَ
مُحَيَّا جَمِيلًا بِالصَّبَاحِ قَدْ ارْتَدَى
بِهَذِيكَ تَهْدَى النُّبْرَاتِ وَتَهْتَدَى وَأَنْوَاهَا جَدْوَى يَمِينِكَ تَجْتَدَى
وَعَدْلِكَ لِلْأُمْلَاكِ ^(٤) أَوْضَحَ مَرْشِدٍ بَاتَارِهِ فِي مُشْكِ الْاَمْرِ تَفْقَدَى
فَمَا بِالْ سُلْطَانِ الْجَمَالِ قَدْ اغْتَدَى
نَحْكُمُ مِثًا فِي مُنُوسٍ ضَعِيفَةٍ وَرَسَلٌ سَيُوكَا مِنْ جُنُونٍ عَجِيفَةٍ
أَمْ يَذَرُ أَنَا فِي طَلَالٍ خَلِيفَةٍ وَدَوْلَةٍ أَمِنْ لَا تَرْاعُ مُنِيفَةٍ
بَهَا قَدْ رَسَا دِينَ الْهَدَى وَتَهْدَا

(١) في ط : « نظم » . وما انتهى عن م والمخطوطين من فتح الطيب : وهو أولى السياق .

(٢) فتح الأرجاء : طيبها وخطها بمسك وعنبر .

(٣) كذا في فتح الطيب . وأعجب (ها) . رمى . وفي (ط) : « ما أفاق ولا اجنى » . وفي م : « وما اجنى » .

(٤) كذا في ط . والأملاك : جمع ملك (بكسر اللام) . وفي م : « للأملاك » .

خُدُوا بِذِمِّ الشُّعْبَاقِ لَحْظًا أَرْاقَهُ وَتَرَقَّا مَا عَادَمِ الثَّنِيَّةِ شَاقَهُ
وإن كلفوه فوق ما قد أطاقه يَبْتُ حَدِيثُ مَا أَلَدَّ مَسَاقَهُ (١)
خَلِيفَتَنَا الْمَوْلَى الْإِمَامَ مُحَمَّدًا

تَقَلَّدَ حَكْمَ التَّدْلِيلِ دِينًا وَتَذَهَّبَا وَجُوزَ اللَّيَالِي قَدْ أَزَاحَ وَأَذْهَبَا
فَيَا عَجَبًا لِلشُّوقِ أَذْكَى وَأَلْهَبَا وَسَلَّ صَبَاحَ صَارِمِ الْبَرْقِ مَذْهَبَا
وَقَدْ بَاتَ فِي جَنِّهِ الْقَامَةُ مُفْعَدَا

[٢٨٦]

يَذْكُرُنِي تَفَرًّا لِأَسْمَاءِ أَشْهَبَا إِذَا ابْتَسَمْتَ تَجَلُّوْا مِنَ اللَّيْلِ غَيْهَبَا
كَمَزَمَ أَمِيرَ السُّلَمَيْنِ إِذَا احْتَبَى وَأَجَزَى بِهِ طَرَفًا مِنَ الصُّبْحِ أَشْهَبَا
وَأُضْدَرَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِي وَأُوزِدَا

فَسَبَّحَانَ مَنْ أَجَزَى الرِّيحَ بِنَهْرِهِ وَعَطَّرَ أَنْفَاسَ الرِّيَاضِ بِشُكْرِهِ
فَعَزَّذَ الْعَهْبَا بِهَلْوَى عَلَى طَلَبِ نَهْرِهِ وَهَبَهَا تَجَلَّى وَجْهَهُ وَسَطَّ قَعْرِهِ
تَرَى هَالَةً بِذُرِّ السَّمَاءِ بِهَا يَدَا

إِمَامُ أَفَادَ الْمَمْلُوكَاتِ (٢) زَمَانَهُ فَمَا لَحِقَتْ زَهْرُ النُّجُومِ مَكَانَهُ
وَمَدَّ عَلَى شَرْقٍ وَغَرْبٍ أَمَانَهُ وَلَا عَيْبَ فِيهِ غَيْرَ أَنْ تَبَانَهُ
تَفَرَّقَ مُسْتَجِدِّهِ فِي أَبْجَرِ النَّدَى

هُوَ الْبَحْرُ مَدَّ الْمَارِضَ التُّهْلَالَ هُوَ الْبَذْرُ لَكِنْ لَا يَزَالُ مُكْمَلًا
هُوَ الدَّهْرُ لَا غَشَى الْخُطُوبَ وَلَا وَلَا (٣) هُوَ التَّلَمُّ الْغَفَاقُ فِي هَضْبَةِ الْعُلَا
هُوَ الصَّارِمُ لِلشُّهُورِ فِي نُصْرَةِ الْهَدَى

(١) في م : « مَذَاقَهُ » .

(٢) انظر الحاشية رقم ٥ ص ٨١ من هذا الجزء .

(٣) كما في نصح الطيب . وفي ط : « ولا الولا » .

أَمَّا وَالَّذِي أُعْطِيَ الْوُجُودَ وَحُدُودَهُ وَأَوْسَعَ مِنْ قُوَّةِ الْبَسِيطَةِ جُودَهُ
لَقَدْ أَصْحَبَ النَّصْرَ التَّزْيِيزَ بِنُودِهِ وَمَدَّ بِأَمْسَلِكِ السَّمَاءِ جُنُودَهُ
وَأُنْجَزَ لِلْإِسْلَامِ بِالنَّصْرِ مَوْعِدًا

أَمْرًا لَا يَفُوتُ قَدْ أَنْجَحْتَ رَأْيًا وَرَأْيَةً وَلَمْ تُبْقِ فِي سَبْقِ الْمَكَارِهِ غَايَةً
فَتَهْدِي سَجَايَاكَ إِنْ رُشِدَ^(١) سَبَابَةً وَإِنْ كَانَ هَذَا السَّعْدُ مِنْكَ يَدَايَةً
سَيَبْقَى عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ مُحْسِنًا

سُعُودُكَ تَفْنِي عَنْ قِرَاعِ الْكِتَابِ وَجُودُكَ يَزِي بِالنِّعَامِ السَّوَابِ
وَإِنْ زَاخَمَهَا شُبهًا بِالنَّكَابِ وَوَجَّهَكَ بِدَرْ الشُّنْتَدَى وَالْوَاكِبِ
وَقَدْ فَجَّحَتْ^(٢) فِي الْفَخْرِ أَبْنَاءُكَ لِلدِّي

بَنُوكَ كَأَمْثَالِ الْأَتَائِلِ عِدَّةً أَعَدْتَ لِمَا يَحْتَنِي مِنَ الدَّهْرِ عِدَّةً
وَزَيْدَ يَوْمِ رُؤْدِ الْخِلَافَةِ جِدَّةً أَطَالَ لَهْمٌ فِي ظِلِّ مُلْكِكَ مِدَّةً
إِلَهُ يُعْلِلُ الْعُمَرَ مِنْكَ مَوْيِدًا^(٣)

مَدُورٌ بِأَوْصَافِ الْكَمَالِ اسْتَفْلَتْ عَنَّا بِفِيَاضِ الدَّوَالِ اسْتَهْلَتْ
سُيُوفٌ عَلَى الْأَعْدَاءِ بِالنَّصْرِ سَاتِ نُجُومٌ بِأَفَاقِ الْعِلَافِ تَجَلَّتْ
وَلَا حَتَّ كَمَا شَاءَتْ سُعُودُكَ أَسْعَدَا

وَإِنْ أَبَا الْحَبَّاجِ سَيْفُكَ مُنْتَضَى وَبَدَرْ بِأَفَاقِ الْجَمَالِ تَعَرَّضَا
بَنُورِكَ يَا كَمَنَّ الْخِلَافَةَ قَدْ أَضَا وَزَاقَتْ عَلَى أَعْطَافِهِ حُلُلُ الرِّضَا
فَحَلَّ تَحَلُّلًا مِنْ رِضَاكَ^(٤) مُمَهَّدَا

(١) يريد : إذا كان ابن رشيد قد جاء به « بداية الجهاد » ، فقد جاءت هناك وسعيًا إليك بالنهاية التي لا مطلب وراءها للجهاد .

(٢) في الأصلين : « سبحت » ، ولا يستقيم بها الدنى ، وما أمتهته من فتح الطيب .

(٣) في ط : « مويدا » . بالمتناة الصغية .

(٤) في فتح الطيب : « علاك » .

مَلِكٌ لَهُ تَعَنُّوْا الْوُلُوكَ جَلَالَةً يُجْرُرُ أَذْيَالُ الْفَخَّارِ مُطَالَةً
وَتَقَرُّقُ أَسْدُ الْغَابِ مِنْهُ بَسَالَةً وَرِصَاءُهُ أَنْصَارُ الرُّسُولِ سَلَالَةً
فَأَبْنَاهُ طَائِرًا قُرُوعًا وَتَحْتَدَا

أَزَاهِرُ فِي رَوْضِ الْخِلَافَةِ أَيْبَمَتْ زَوَاهِرُ فِي أَفْقِ الْعَلَا نَطَلَمَتْ
جَوَاهِرُ أُغْيِيتْ فِي الْجَمَالِ وَأَبْدَعَتْ وَعَيْنُ فَيْمَةِ الْأَعْلَاقِ قَدْرًا تَرَفَّتْ
بُسْرُ بِهَا الْإِسْلَامُ غَيْبًا وَمَشْهَدًا

بِعَهْدِ^(١) وَلِيِّ الْعَهْدِ - كَرَّمَ عَهْدُهُ وَأَنْجِزْ فِي تَخْلِيدِ مَلِكِكَ وَعَهْدُهُ -
تَنْظُمُ مِنْهُمْ تَحْتَ تَمَلِّكَ^(٢) عَهْدُهُ وَأَوْزَنَهُمْ فَخْرًا أَبُوهُ وَجَدُهُ
فَأَعْلَى عَلِيًّا حِينَ أَحْمَدَ أَحْمَدًا

تَحُوطُ بِهِمْ مُلْكًا عَزِيزًا وَمِلَّةً وَتَلَحُّظُ عَيْنُ الشُّعْرِ مِنْهُمْ أَهْلَةً
سَقْنَدُو عَلَى أَفْقِ الْعُلَا مُسْتَفْلَةً وَنَسَجْنَا بِقِيَاضِ النَّدَى مُسْهَلَةً
مُجَرَّرًا بِخَرَا لِلْمُسَاحَةِ مَزِيدًا

وَنَجَلْتُ نَصْرًا يَتَقَفَّى نَجَلِ^(٣) رُسْمِهِ أَمِيرُ يَرِينُ الْعَقْلَ رَاجِحُ حُلِيِّ
أَنَّاكَ مَنَجَّلٍ يُسْتَضَاءُ بِنَجْوِهِ أَحَبُّ رُسُولِ اللَّهِ سَمَاءُ بِاسْمِهِ
وَبِاسْمِكَ فِي هَذِي الْمُوَافَقَةِ اقْتَدَى

أَقْسَتْ بِاغْتَارِ الْإِمَارَةِ سُنَّةً وَطَوَّقْنَاهَا مِنْ حَلِي فَخَرِكَ مَنَّةً
وَأَسْكَنْتَهَا فِي ظِلِّ بَرَكِ جَنَّةٍ وَالْحَقْنَاهَا بِرُودِ اغْتِنَائِكَ حُنَّةً
وَعَمَّرْتَ مِنْهَا بِالْقَلَاوَةِ مَسْجِدًا

(١) كندا في «صح الطيب» . والذي في الأصناف : «أبو» . وهو أبو الحجاج يوسف ابن الولي بالله .

(٢) في م : «ظلك» .

(٣) كندا في ط : «وفي م : «عني عمل»

فَلِهَ عَيْنًا مِّنْ رَّأْيِهِمْ تَطَّلَعُوا غُصُونًا بِرُؤُوسِ الْجُبُونِ مِنْكَ تَرْعَوُهَا
وَفِي دَوْحَةِ الْعَلْيَاءِ مِنْكَ تَمْرَعُوا مُلُوكُ بَحْلِيبَابِ الْحَيَاءِ تَنْفَعُوا
أَصْدَاءَهُمْ مِنْ أَفْوِي قُصْرِكَ مُنْتَدِي

وَقَدْ أَشْعَرُوا الصَّبْرَ الْجَمِيلَ نَفْسَهُمْ وَقَدْ أَفْرَعُوا^(١) قَوْقِ الْخُلَى لِمَوْسَمِهِمْ

وَقَدْ زَيَّنُوا بِالْبَشْرِ فِيهِ نَمُوسَهُمْ وَعَاطُوا كَثُوسَ الْأَنْسِ فِيهِ جَلِيلَهُمْ [٢٨٨]

وَأَبْدُوا عَلَى هَوْلِ التَّقَامِ تَجَلَّدَا

تَحَاكُلُ فِيهِمْ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَجَدَّهِمْ تَفَضَّلُ أَيْ الْفَخْرُ فِيهَا بِحَدِّهِمْ
وَتَنْسُبُهَا الْأَنْصَارُ قَدْ مَا لَسَعْدِهِمْ نُفْصِي بِهَا نُورًا مَصَابِيحُ سَعْدِهِمْ

وَأَمَّ لَا وَفِي تَحَبُّبِ الرَّسُولِ تَوْقَدَا

فَوَ اللَّهُ لَوْلَا سُنَّةُ قَدْ أَقَمْتَهَا وَبِزِيَرَةِ هَذِي اللَّحْيِ غَلِيظَتَا
وَأَحْكَامُ عَدْلٍ لِلْجُنُودِ رَسَمْتَهَا أَجَاءَتْ بِهَا الْأَطْفَالُ تَقْصِدُ سَمْتَهَا
وَتَرْكُ الْأَوْصَالِ الْوُشَيْحِ مُنْهَدَا^(٢)

وَبَاعَاذِرَا أَبْدَى لَنَا الشَّرْعُ عُدْرَهُ طَرَقَتْ حَمَى قَدْ عَظُمَ اللَّهُ قَدْرَهُ
وَأَجْرِيَتْ طَلِبًا بِحُسْنِ الطَّلِبِ كُنْزَهُ لَقَدْ جِئْتَ مَا تَسْتَعْلِمُ الصَّيْدُ أَمْرَهُ
وَتَقْدِيرِهِ إِنْ يَفْئِلُ خَلِيقَتَهَا فِدَا

رَعَى اللَّهُ مِنْهَا دَعْوَةَ مُسْتَجَابَةً أَقَادَتْ نَفُوسَ الْمُخَاصِينَ إِنَانَةً
وَأَمَّ تُلَفَّ مِنْ دُونِ التَّكْبُولِ حِجَابَةً وَعَادَرَهَا مِمَّ يَبْدُ عُدْرًا مَبَاةً
فَلَوْ حَبَّ عَنْ نَقْصٍ كَمَا لَا تَرِيدَا

(١) في جمع الطيب : « وأصعوا به » مكان قوله : « وقد أفرعوا »

(٢) في م : « الأمن »

(٣) الوشيح : شعر الرماح ، ويريد به هنا الرماح « بها » والمقصود : السكسر .

فَنَقَصُ زَكَةً^(١) الْمَالِ وَفَرُ نَصَابِهِ وَمَا السَّيْفُ إِلَّا بَعْدَ مَشْقٍ ذُبَابِهِ
وَمَا الزَّهْرُ إِلَّا بَعْدَ شَقٍّ إِهَابِهِ يَقْطَعُ بِزَرَاعِ الْخَطِّ حُسْنَ كِتَابِهِ
وَبِالْقَصْرِ بَرْدَادُ الدَّيَالِ تَوْقَدَا

وَلَمَّا قَصَوْنَا مِنْ سَفَرِ الشَّرْعِ وَاجِبَا وَلَمْ نَلْقَ مِنْ دُونِ الْخِلَافَةِ حَاجِبَا
أَفْضَلْنَا نَهْيَ مِنْكَ جَذْلَانَ وَاهِبَا أَفَاضَ عَلَيْنَا أُنْعَمَا وَمَوَاهِبَا
تَعَوَّدَ بِذَلِكَ الْجُودِ فِيهَا تَعَوَّدَا

هَبْنَا هَذَا^(٢) قَدْ بَلَّغْتَ مَوْئِلَا وَأَطْلَقْتَ نُورًا يَهْزُ الْمُنَاطِلَا
وَأَحْرَزْتَ أَجْرَ الْمُتَعَمِّينَ مُكْتَمَلَا تَبَارَكَ مَنْ أَعْطَى جَزِيلَا وَأَهْمَلَا
وَنَلَّغَ فِيكَ الدِّينَ وَالْمَالُكَ مَفْصِدَا

أَلَا فِي سَبِيلِ الْعِرِّ وَالْفَخْرِ مَوْئِمٌ بَطْلُكَ بِهِ تَفَرُّ الْمَسْرَةِ يَتِيمٌ
وَعَرَفُ الرِّضَا مِنْ جَوْهِ يَتَنَسَّمُ وَأَرْزَاقُ أَرْبَابِ السَّعَادَةِ تَتَسَّمُ
فَقِي وَصْفِهِ ذَهْنُ الدَّسِكِيِّ تَبَلَّدَا

وَجَلَّتْ فِي هَذَا الصَّنِيعِ مَصَانِعَا تَنَى بِدُورِ التَّمِّ مِنْهَا مَطَالِعَا
وَأَبْدَيْتَ فِيهَا لِلْعَمَالِ بَدَائِعَا وَأَجْرَيْتَ^(٣) لِلْإِسْكَانِ فِيهَا مَشَارِعَا [٢٨٩]
يَوَدُّ سَهَا نَهْرُ الْمَجَرَّةِ مَوْدَا

وَأَجْرَيْتَ فِيهَا الْخَلِيلَ وَهِيَ سَوَابِقُ وَإِنْ طَلَسْتَ فِي الرُّوْعِ فَهِيَ لَوَاقِقُ
نُحُومٌ وَأَقْفَى الطَّرَادِ مَشَارِقُ يَنْفُتُ النِّمَاحَ الطَّرْفُ مِنْهَا وَوَارِقُ
إِذَا مَا تَجَارَى الشُّهْبُ تَسْتَبِقُ الْمَدَى

(١) في نفع الطيب : « كَال » .

(٢) في نفع الطيب : « هَبْنَا » مكان قوله : « هَذَا » .

(٣) في م : « وَأَجْرَيْتَ » .

وَتَطْلُعُ فِي لَيْلِ الْقَتَامِ كَوَاكِبًا وَقَدْ وَرَدَتْ نَهْرَ النَّهَارِ مَشَارِبًا
تَقُودُ إِلَى الْأَعْدَاءِ مِنْهَا كَثَاتِيًا فَتَرْمِيهِمْ مِنْ فَوْقِ التُّرَابِ عَاجِرِيًا
تَحْرِئُ رُؤُوسَ الرُّومِ فِيهِمْ سَجْدًا

سَوَاحِجُ بِالنَّصْرِ الْعَزِيزِ سَوَاحِجُ وَهْنُ لَا تُرَابِ الْفَتْوحِ فَوَاحِجُ
تَقُودُ إِلَيْكَ النَّصْرَ وَاللَّهُ مَاخِجُ فَمَا زِلْتَ بَابَ الْحَيْرِ وَاللَّهُ قَاطِحُ
وَمَا تَمَّ شَيْءٌ قَدْ عَدَا بَعْدَ مَا بَدَأَ

رِياحُ لَهَا مَتْنَى الْبُرُوقِ أَعْنَةُ ظِلَابُ فَإِنْ جُنَّ الظَّلَامُ فَجَبَّةُ
تَقِيهَا مِنَ الْبَدْرِ الْقَمَرُ حَنَّةُ وَتُسْرِخُ مِنْ زُحْرِ النُّجُومِ أَسَنَةُ
فَتَقْدِفُ شُهَبَ الرَّجْمِ فِي نَفْرِ الْعِدَا

فَأَشْهَبُ مِنْ نَسْلِ الْوَجِيهِ إِذَا انْتَهَى جَرَى فَشَأَى شُهَبِ الْكَوَاكِبِ فِي السَّمَاءِ
وَحَلَّتْ مِنْهَا فِي الْقَلْبِ أَنْجَبَا تَرْدَى سَمَالًا مَالِ الْمَسْبَاحِ وَرُفَا
يَقُولُ لَهُ الْإِسْبَاحُ تَقْبِضِي لَكَ الْقِدَا

وَأَحْمَرُ قَدْ أَذْكَى يَدِ النَّاسِ حُمْرَةَ وَقَدْ سَلَبَ الْيَاقُوتَ وَالْوَرْدَ حُمْرَةَ
أَدَارِ يَدِ سَاقٍ مِنَ الْحَرْبِ حُمْرَةَ وَأَبْدَى حَبَابًا فَوْقَهَا الْخُسْنُ غُرَّةُ
يَرْبِي بِهَا خَدَا أَسِيلًا مُوَرَّدَا

وَأَشْفَرُ مَهْمَا شَعَنَ الرَّكْضُ بَرْقَهُ أَعَارَ جَوَادِ الْبَرْقِ فِي الْأَفْقِ سَبْقَهُ
بَنَّا شَفَقًا قَدْ جَلَّلَ الْخُسْنُ أَفْقَهُ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَبْدَعَ خَلْقَهُ
فَسَالَ عَلَى أَعْطَافِهِ الْخُسْنُ عَسَجَدَا

وَأَضْمُرُ قَدْ وَدَّ الْأَصِيلُ سَمَالَهُ وَقَدْ قَدَّ مِنْ بُرْدِ الْعَشِيِّ جِلَالَهُ

إِذَا أُسْرِجُوا خُفَّ الظَّلامُ ذُبَالَهُ مُنْزَعُهُ نَجْمٌ تَضِيءُ بِحَالَهُ
وَفِي ذُبَالِهِ ذَيْلُ الظَّلامِ قَدْ ارْتَدَى

وَأَذْمُهُ فِي مَسْجِدٍ^(١) الذَّجْبِي مُتَجَرِّدٌ يَجِيئُ بِهِ نَجْمٌ مِنَ اللَّيْلِ مُزِيدٌ
وَعُسْرَتُهُ نَجْمٌ بِهِ مُتَوَفَّدٌ لَهُ الدُّرُّ سَرَجٌ وَالنُّجُومُ مُقَلَّدٌ [٢٩٠]

وَفِي فَلَقِ الصُّبْحِ الشَّيْبِ تَقِيدَا

وَأَبْيَضُ كَأَقْرَطِ طَاسٍ لَاحَ صَاحُهُ عَلَى الْعُشْرِ مَقْدَاهُ وَفِيهِ مَرَاخُهُ
[وَاللَّطَبِيَّاتِ الْآبِسَاتِ] مَرَاخُهُ تَرَاهُ كَنَشْوَانٍ أَمَالَتَهُ رَاحُهُ

وَنَحْصِيهِ وَسَطَ الْجَمَالِ مُعْرِبَا

وَذَاهِبَةٌ فِي الْجَوِّ مِلْءُ عَيْنَانِهَا وَقَدْ لَمَعَتْهَا الشُّجْبُ بُرْدَ عَيْنَانِهَا
يَقُوتُ ارْتِدَادَ الطَّرْفِ لَمَعُ عَيْنَانِهَا وَخَنَمَتِ الْجُوزَا سَبْطَ سَنَانِهَا

وَصَاعَتْ لَهَا حَلَى النُّجُومِ مُقِيدَا

أَرَاهَا عَمُودَ الصُّبْحِ عَلَوُ الْمَصَاعِدِ وَأَوْقَعَتْ قُرْبَ التَّدْيِ الْمُتَبَاعِدِ
فَقَاتَتْهُ سَنَقًا فِي تَحْوِيلِ الرُّوَاعِدِ وَأَتَخَمَتِ السَّكْفَ الْخَصِيبَ بِسَاعِدِ

مَطْلُوقَتِ الزُّهْرِ النُّجُومِ بِهَا يَدَا

وَقَدْ قَدَّعَتْهَا لِلْمَصَى حَوَاصِبُ قَدْ انْتَشَرَتْ فِي الْجَوِّ مِنْهَا دَوَائِبُ
تَرَاوَرَ مِنْهَا فِي الْفَضَاءِ حَتَائِبُ فَبَيْنَهُمَا مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ مَنَاسِبُ

لَأَنَّهُمَا فِي الرُّوَضِ قَلْبُ تَوَلَّدَا

بَنَاتٌ لِأُمٍّ قَدْ حَيَّيْنِ رَوْحَهَا^(٢) دَعَاها الْهُوَى مِنْ بَعْدِ كَثْمٍ لَبِوَحَا

(١) في م : « مسجد » .

(٢) ما بين القوسين ساقط في ط .

(٣) كذا في م . والذي في ط : « حبلين بدوحها » .

فَأَنفَلَهَا تَهْوِي لِخَطَرٍ يَلُوحِيهَا فِيهَا لَأَمْسٍ كَانَتْ بَعْضُ أَغْصَانِ دَوْحِهَا
فَعَادَتْ إِلَيْهَا الْيَوْمَ مِنْ بَعْدِ عَوْدَا وَأَمَارَتُ بُرُوجِ الْأَفْقِ فِي مَظْهَرِ الْمَلَا
وَأَرَابُ حِصْنٍ فِي ذُرَاهَا قَدْ اعْتَلَى فَأَنشَأَتْ بُرْجَهَا صَاعِدًا مُتَّزِلَا
رُوجُ قُصُورٍ شِدَّتْهَا مُتَعَلُّوَلَا بِكَوْنِ رُسُولَا بَيْنَهَا مُتَزَدَدَا^(١)

وَهَلْ هِيَ إِلَّا هَالَةٌ حَوْلَ بَدْرِهَا يَصُوغُ لَهَا حَلِيًّا بَلِيْقُ بِنَحْرِهَا
تَطْوَرُ أَنْوَاعًا تَشِيدُ بِفَخْرِهَا فَحِجْلُ بِرَحْلِهَا وَشَاخُ بِخَضْرِهَا
وَتَأْجُ بِأَعْلَى رَأْسِهَا قَدْ تَنَصَّدَا فَصَامَ بِأَذْيَالِ الدُّجَى يَتَلَفَعُ
أَرَادَ اسْتِرَاقَ الشَّعْرِ وَهُوَ مُنْتَمِعُ فَانْتَفَعُ مِنْهَا ذَوَابِلُ شُرْعُ
وَأَصْفَى لِأَخْبَارِ الدُّنْيَا يَتَسَمَّعُ لِيَتَنَفَّذَهُ بِالرَّحِمِ مَتْنِي وَمُنَوَّحَا

وَمَا هُوَ إِلَّا قَائِمٌ مَدَّ كَفَّهُ لِيَسْأَلَ مِنْ رَبِّ السَّمَوَاتِ لُطْفَهُ
يَمُوتُ نَوْلَاهُ وَأَحْكَمَ رَضْمَهُ وَكَانَتْ أَبْوَابُ الْبَلَاغَةِ وَضَمَهُ^[٢٩١]
وَأَسْرَمَ مِنْهُ الْقَائِمُ الْمُتَجَدِّدَا

مُلَاقِي رَكْبٍ مِنْ وَفُودِ التَّوَاسِمِ مُقْبِلَ نَفَرٍ لِلْبُرُوقِ الْجَوَاسِمِ
مُحْمٌ كَفَّ بِالْإِنْجُمِ التَّوَاسِمِ مُبْلَغَ قَصْدٍ مِنْ حُصُورِ التَّوَاسِمِ
تُجَدِّدُهُ مَهْمَا صَنِيعٌ تَجَدَّدَا تَقْدَمُ بِمَشْيٍ فِي الْهَوَاءِ كَرَامَةً
وَمُسْطَرِبٍ فِي الْجَوِّ أَثْبَتَ قَامَةً وَتَحْضِبُهُ نَحْتِ الْقِمَامِ عَامَةً
يَسِيلُ عَلَى أَغْطَايِهِ عَرَقُ النَّدَى

هَوَى وَاسْتَوَى فِي حَالِهِ وَتَقَلَّبَا كَخَاطِبِ بَرَقٍ قَدْ تَأَلَّقَ خُطْبَا
وَنَحْسُهُ فُذَذَا فِي الْأُفْقِ كَوَكَا وَنَهْمَا مَشَى وَاسْتَوَفَّ الْعَقْلُ مُنْجَبَا
تَقَلَّبُ فِيهِ الْعَيْنُ لَخَطًّا مَرْدَدَا

لَقَدْ رَامَ بَرَقٌ لِلسَّمَاءِ بِسُلْمٍ فَيَسْبِي عَلَى خَطَرٍ بِرِ مُتَوَقِّمٍ
أَجَلَ فِي الذِّى يُبْذِرُ فِكْرَ تَوَسُّمٍ تَرَى طَائِرًا قَدْ خَلَّ صُورَةَ آدَمِ
وَجِنًا بِهَوَاةٍ الْفَصَاءِ تَمَرَّدَا

وَمُنْتَسِبٍ لِلْحَالِ (١) تَمَوَّهَ مُنْجَبَا لَهُ حِكَايَاتُ خُطْبَاهَا مَا هُ الْجَبَا
تَخَالَفَ جِنْسًا وَالِدَاهُ إِذَا انْتَمَى كَمَا جِنْسُهُ أَيْضًا تَخَالَفَ عَنْهُمَا
عَجِبْتُ لَهُ إِذْ نَمَّ بَلَدٌ وَتَوَلَّدَا

ثَلَاثَتَهَا فِي الذِّكْرِ حَاتٌ مُمِيدَةً مِنْ اللَّاءِ سَاءَهَا لَمَّا اللَّهُ رِينَةً
وَأُنْزِلَ فِيهَا آيَةٌ مُسْتَبِينَةً وَأُودِعَ فِيهَا لِلْجَهُولِ سَكِينَةً
وَأَلَاءَهُ فِيهَا عَلَى الْخَلْقِ عَدَدَا

كَسَوَهُ مِنَ الْوُثْيِ التِّبَانِيَّ هَوْدَجَا يَمْدُ عَلَى مَا فَوْقَهُ الظِّلُّ سَجَسَجَا
(وَكَمْ صُورَةٌ نُجَلَى بِرِ نَهْرٍ الْحِجَا وَجَزَلُ وَفُورٍ نَارُهُ تَشْدَعُ الدُّجَى
وَقَلْبُ حَسُودٍ غَاطَمٌ ذِكِيرٌ (٢) وَوَقْدَا

وَمَا عَمَى إِلَّا مَطْهَرٌ أَحْيَاهُ أَرْتَنَّا (٣) بِهَا الْأَفْرَاحَ قَسَلِ الْجَبَاهُ
تَلَاعِبُهَا هَرَّتْ قُدُودُ صِعَادِهِ وَأَذْكَرَتْ الْأَبْطَالَ يَوْمَ طِرَادِهِ
فَمَا ارْتَبَتْ فِيهِ الْيَوْمَ صَدَقَتُهُ غَدَا

(١) يريد به العزل .

(٢) في م « تذكيره » .

(٣) في الأصلين : « هدى » وما أنشأه عن مع الطيب .

أَلَا جَدَدَ الرَّحْمَنِ صَلَماً حَضَرَتْهُ وَدَوَّحُ الْأَمَانِي فِي ذَرَاةِ هَضَرَتْهُ
بَقَصِرَ طَرِيقُ الْوَصْفِ فِيهِ اخْتَصَرَتْهُ يَقِيدُ طَرَفُ الطَّرْفِ (١) مِمَّا نَظَرَتْهُ
« وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَبِيْلاً تَقَيَّدَا » (٢)

دَعَوَتْ لَهُ الْأَشْرَافَ مِنْ كُلِّ بَلَدَةٍ فَجَاءُوا بِأَمْوَالٍ لَهُ مُسْتَجِدَّةٍ
وَحُصُوا بِالْعُلَافِ لِتَبِيْعِهِ مُسَدَّدَةٍ أَيَادِي بَيْتَاضِ النَّدَى مُسْتَدَّةٍ
فَكَفَّهُمْ مِنْ فَضْلِهِ قَدْ تَرَوُّدَا

وَوَعَاظَكَ مِنَ آلِ النَّبِيِّ عِصَانَهُ لَهَا فِي مَرَايِي التَّكْرُمَاتِ إِضَانَهُ
أَحْبَبْتَ خَبِيْلاً لَيْسَ فِيهِ اسْتِرْهَانَهُ وَلَيْتَ دَوَارِغِي الْخَيْرِ (٣) مِنْهَا إِحَانَهُ
وَنَادَاهُمْ النَّجْمُ بَعِيْضُ قَابَتَدْرُوا النَّدَى

أَجَازُوا إِلَيْكَ الْبَحْرَ وَالْبَحْرَ يَرْخُرُ يَرْخُرُ سَحَابٌ مِنْهُ لَيْسَ يَخْرُرُ
فَرَوَاهُمْ مِنْ عَذْبِ جُودِكَ كَوْنُهُ وَوَالَيْتَ مِنْ نِعْمَاكَ مَا لَيْسَ يُحْصَرُ
وَعَظَّمْتَهُمْ تَرَجُّو النَّبِيَّ مُحَمَّدَا

عَلَيْهِ سَلَامَةُ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ بِرِطَابٍ مِنْ هَذَا النُّظَامِ اخْتِيَامُهُ
وَجَاءَ بِعَمْدِ اللَّهِ خُلُوعًا كَلَامُهُ يَبْعَثُ عَلَى أَهْلِ الْبَيَانِ مَرَامُهُ
وَتُشْمِي لَهُ زَهْرَ الْكُوَاكِيبِ حُسْنَا

أَبَتْ بِرِجَالِي الرَّكْبِ مُشْرِقَا حَدِيثَ جِبَادِ النَّفُوسِ مَشُوقَا
رَمَيْتُ بِهِ مِنْ نَالِ عِرَاقِي مُفَوِّقَا وَأُرْسَلْتُ مِنْهُ نَالِ تَدْيِيعِ مَطُوقَا
نَحَامًا عَلَى دَوَّحِ النَّشَاءِ مُغَرَّدَا

(١) طَرَفُ الطَّرْفِ : تحريك البصر .

(٢) هَذَا عَرَبِيَّةُ الْفَنَنِ . وَسُودَتْ : وَقِيدَتْ غُصْنِي فِي دِرَاكِ عَمَةٍ .

(٣) فِي عِيَالِ الطَّب : الْغُورَى

رَكَعْتُ بِحَيْلِ النَّيِّانِ إِلَى سَدَى فَأَحْرَزْتُ فَضْلَ السُّبْقِ فِي حَلْبَةِ الْهَدَى
وَنَظَّمْتُ مِنْ دُرِّ الدَّرَارِيِّ مَخْلَدًا^(٢) وَطَوَّقْتُ جِيدَ الْفَخْرِ عَقْدًا مُنْتَضِدًا

وَقَتُّ بِرَبِّينِ السَّاطِعِينَ مُنْشِدًا

أَسَفْتُ مِنَ الْإِحْسَانِ فِيهِ فَرَائِدًا وَأُرْسَلْتُ فِي رَوْضِ الْحَاسِنِ زَائِدًا
وَقَلَّدْتُ عِطْفَ الدُّلُوكِ مِنْهُ فَلَائِدًا تَمُوتُ فِيهِ لِلْقَبُولِ عَوَائِدًا

فَلَا زِلْتُ لِلْفَضْلِ الْجَزِيلِ^(٣) مَمُودًا

وَلَا زِلْتُ لِلْمُشْنَعِ الْجَمِيلِ مُجَدَّدًا وَلَا زِلْتُ لِلْفَخْرِ الْعَظِيمِ مُخْلَدًا
وَعَمَّرْتُ عُمْرًا لَا يَزَالُ مُحَدَّدًا وَمُتَّعْتُ بِالْأَنْبَاءِ أَوْحَدًا

وَقَرَّتُ بِهِمْ عَيْنًا كَمَا سَأَلْتُ حَدَا

وَمِنَ الْعِيدِيَّاتِ :

هَذِي التَّعَالِيمُ لَفْظُ أَنْتَ مَعْنَاهُ كُلُّهُ يَقُولُ - إِذَا اسْتَنْطَقْتَهُ - اللَّهُ
بَحْرُ الْوُجُودِ وَفَلَكَ السُّكُونُ حَارِيَّةٌ وَمَا سَمِعَكَ اللَّهُ مُجَرَّاهُ وَمُرْسَاهُ
مِنْ نُورٍ وَجْهَكَ ضَاءُ السُّكُونِ أَجْمَعُهُ حَتَّى تَشْهَدَ بِالْأَفْلَاكِ مَبْنَاهُ [٢٩٣]
عَرُشٌ وَفَرَشٌ وَأَمْلَاكَ مَسْحَرَةٌ وَكَلَّمَهَا سَاجِدٌ فِيهِ مَوْلَاهُ
سُبْحَانَ مَنْ أَوْجَدَ الْأَشْيَاءَ مِنْ عَدَمٍ وَأَوْسَعَ السُّكُونِ قَبْلَ الْكَوْنِ نَعْمَاهُ
مَنْ يَنْسِبُ^(١) النُّورَ بِالْأَفْلَاكِ قُلْتُ لَهُ مِنْ أَبْنِ أَطْلَمَتِ الْأَفْلَاكِ تَوَلَّاهُ
مَوْلَايَ مَوْلَايَ بَحْرُ الْجُودِ أَعَزَّ قَنِي وَالْخَلْقُ أَتَمُّ فِي ذَا الْبَحْرِ قَدْ تَاهُوا
فَأَلْفَلُكَ تَجَرَّى كَمَا الْأَفْلَاكِ جَارِيَةٌ بَحْرُ السَّمَاءِ وَبَحْرُ الْأَرْضِ أَشْبَاهُ

(١) في نفع الطب : « خصل » وما يجمعى :

(٢) في ط : « مغلدا » .

(٣) في م : « للعل الجبل » ونفع الطيب .

(٤) في م : « يثبت » .

وَكُلُّهَا نِعْمٌ لِلْخَلْقِ شَامِلَةٌ
يَا فَاتِحَ الرَّتَقِ مِنْ هَذَا الْوُجُودِ كَمَا
كُنْتُ لِي كَمَا كُنْتُ لِي إِذْ كُنْتُ لَا أَعْمَلًا
وَأَنْتَ فِي حَضْرَاتِ الْقُدُسِ تَنْقُلُنِي
مَا أَفِيحُ الْعَمْدُ أَنْ يَنْدَى وَتَذْكُرُهُ
غُفْرَانِكَ اللَّهُ مِنْ جَهْلِ بِلَيْتٍ بِرِ
مَنْ عَلَى حِجَابٍ لَسْتُ أَرْفَعُهُ
فَعُدَّ عَلَى مَا عَوَّدْتَ مِنْ كَرَمٍ
نَحْمُ الصَّلَاةُ صَلَاةُ اللَّهِ دَائِمَةً
الْمُجْتَبَى وَزَنَادُ النُّورِ مَا قَدَحْتَ
وَالصُّطْفَى وَكِمَامُ السُّكُونِ مَا فَيَقَتْ
وَلَا تَفْجَرُ هَرَبٌ لِلَّهِ هَارٍ عَلَى
يَا فَاتِحَ الرُّسُلِ أَوْ يَا حَتْمَهَا شَرَفًا
لَمْ أَذْخِرْ غَيْرَ حُبِّ فَبِكَ أَرْفَعُهُ
صَلَّى عَلَيْكَ إِلَهَ أَنْتَ صَفْوَتُهُ
وَعِمَّةُ بِالْوُجُوحِ وَالرَّيْحَانِ مُصَبَّهَتْ
وَحَصْنُ أَنْصَارِهِ الْأَعْلَى صَفْوَتُهُ
أَنْصَارٌ مَلَكُهُ أَعْلَامُ بَيْتِهِ
وَأَيْدِ اللَّهِ مِنْ أَحْيَا جِهَادِهِمْ
الْمُنْتَقَى مِنْ صِيَمِ الْفَخْرِ جَوْهَرُهُ
الْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالْإِقْبَالُ شَيْبَتُهُ

تَبَارَكَ اللَّهُ لَا تُخْفَى عَطَايَاهُ
فِي سَائِرِ الْعَالَمِ قَدْ خُطَّتْ قَضَايَاهُ
أَرْجُو وَلَا ذَنْبٌ قَدْ أَذْنَبْتُ أَخْشَاهُ
حَتَّى اسْتَقَرَّ بِهِذَا السُّكُونِ مَثْوَاهُ
وَأَنْتَ بِاللَّطْفِ وَالْإِحْسَانِ تَرْعَاهُ
رَبِّينَ أَفَادَ وَخَوْدَى كَيْفَ أَنْصَاهُ
إِلَّا بِتَوْفِيقِ هَدَى مِنْكَ تَرْضَاهُ
فَأَنْتَ أَسْكُرُ مَنْ أَمَلْتُ رَحْمَاهُ
عَلَى الَّذِي بَانِيهِ فِي الدَّكْرِ سَمَاهُ
وَلَا زَكَا مِنْ نَسِيمِ الرُّؤُوسِ مَسْرَاهُ
عَنْ زَهْرٍ زَهْرٍ يَرْدُقُ الْعَيْنَ سَرَاهُ
دُرُّ الدَّرَارِي قَمَطَاهُ وَأَخْفَاهُ
وَاللَّهُ قَدَسَ فِي الْحَالِغِينَ مَقَامَهُ
وَسَبِيلَهُ لِكَرِيمٍ يَوْمَ أَمَامَهُ
مَا طُمِئْتُ يَلْدِيذِ الدَّكْرِ أَفْوَاهُ
وَحَادَهُمْ مِنْ تَبْيِيرِ الْعَقْرِ أَضْفَاهُ
وَأَسْكِنُوا مِنْ جِوَارِ اللَّهِ أَعْلَاهُ
مَنْابِتٍ شَرُفَتْ أَشْنَى بِهَا اللَّهُ
وَأَوْصَلَ الْفَخْرَ أَوْلَاهُ بِالْخِرَاهُ
مَا بَيْنَ تَعْمِيرٍ وَأَنْصَارٍ تَهْكَاهُ
وَالْبَاسُ وَالْجُودُ بَعْضٌ مِنْ سَجَايَاهُ

وهي طويلة ، سردها هذا الزائف كلها . ومنها :

يَهْنِي زَمَانُكَ أَعْبَادُ مُجَدَّدَةٍ مِنْ الْقَنُوحِ مَدَى الْأَيَّامِ تَقْشَاهُ
عَصَبَتِ لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا بِحَقِّهِمَا بَا حَتِّدَا عَصَبَ فِي اللَّهِ أَرْضَاهُ
فَوَقَّتْ لِلْغُرَبِ سَهْمًا رَاشَةً فَدَرَّ وَسَدَّدَ اللَّهُ الْأَعْدَاءَ سَرْمَاهُ
مَنْهُمْ أَصَابَ وَزَامِيهِ يَذِي سَلَامٍ لَقَدْ رَمَى الْفَرَضَ الْأَقْصَى فَأَصْمَاهُ
مَنْ كَانَ يَنْدُكَ يَا مَوْلَايَ يَتَدُمُّهُ فَلَيْسَ بِخُلْفَةٍ فَتَنْجُ نَرْجَاهُ^(١)
مَنْ كَانَ جُنْدُكَ مُنْدَ اللَّهِ يَنْضَرُهُ أَنَالَهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو وَأُسْنَاهُ
مَلَسَتْهُ غَرْبُهُ خَلَّتْ مِنْ مَلِكٍ لِلْغُرَبِ وَالشَّرْقِ مِنْهُ مَا تَسْنَاهُ
وَسَامَ أَعْدَاءُكَ الْأَشْقَيْنِ مَا كَسَبُوا وَمَنْ تَرَدَّى رَدَاءَ الْقَدْرِ أَرْزَاهُ
قُلْ لِلَّذِي رَمَدَتْ جَهْلًا بِصِيرَتِهِ فَلَمْ تَرَ الشَّمْسَ شَمْسَ الْهَدْيِ عَيْنَاهُ
غَطَّى الْهَوَى عَقْلَهُ حَتَّى إِذَا ظَهَرَتْ لَهُ الدَّرَاشِدُ أَغْشَاهُ وَأَعْمَاهُ
هَلْ عِنْدَهُ وَذُنُوبُ الْعَسْدِ نُوْبُهُ أَنْ الَّذِي قَدْ كَسَاهُ الْعِزُّ أَعْرَاهُ
تَوَكَّنْ يَشْكُرُ مَا أَوْفَيْتَ مِنْ نِعَمٍ مَا زِلْتَ مَلْجَأَهُ الْأَنْحَى وَمَنْجَاهُ
سَلَّ السُّمُودَ وَخَلَّ الْبَيْضَ مُقَمَّدَةً فَالْتَيْفَ مَهْمَا مَضَى فَالْتَقَدُ أَمْضَاهُ
وَأَشْرَعُ مِنَ الْبَرِّقِ نَضَارًا مَضْلَلَةً^(٢) وَارْفَعُ مِنَ الشُّجَرِ بِنْدَارًا تَجَلَّاهُ
فَالْعُدُونَانِ وَمَا قَدْ صَمَّ مَلِكُهُمَا أَنْصَارُ مَلِكِكَ صَانَ اللَّهُ عُلْيَاهُ^(٣)
لَا أَوْحَشَ اللَّهُ قَطْرًا أَنْتَ مَالِكُهُ وَأَنْسَ اللَّهُ بِالْأَطَافِ مَتْنَاهُ
لَا أَظْلَمَ اللَّهُ أَفْأًا أَنْتَ نَبْرُهُ لَا أَهْمَلُ اللَّهُ سَرْمَتَهَا أَنْتَ تَرْجَاهُ

(١) كذا في م . وفي ط : « صر شرحناه » .

(٢) في م : « مقاله » .

(٣) في م : « ملاله » .

وَأَمَّا بِشَهْرِ صِيَامٍ حَاءَ زَائِدُهُ (مُسْتَنْزِلًا) مِنْ إِلَهٍ الْعَرِشِ زَحَاهُ
 أَهْلًا بِالسَّعْدِ فَانْهَلَتْ بِهٍ مِنْ وَأَوْسَعَ السَّمْعِ إِجْمَالًا وَوَقَاهُ
 أَمَا تَرَى بِرَكَاتِ الْأَرْضِ شَامِلَةً وَأَنْعَمَ اللَّهُ قَدْ عَمَّتْ بِرَأْيَاهُ
 وَعَادَكَ الْعَيْدُ تَسْتَحْلِي مَوَارِدَهُ وَيُجْزِلُ الْأَجْرَ وَالْوَهْمَى مُضْلَاهُ
 جَهَزْتَ جَيْشَ دُعَاهُ فِيهِ تَرْفَعُهُ لِيَدِي الْمَتَارِجِ وَالْإِخْلَاصُ رَقَاهُ
 أَفْضَتْ فِيهِ مِنَ النُّعْمَاءِ أَجْزَلَهَا وَأَحْسَنُ الْبِرِّ مَا الْإِحْسَانُ زَكَاهُ
 وَالْيَتِ لِلْخَلْقِ سَمَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ وَالَى لَكَ اللَّهُ مَا أَوْلَى وَوَلَاهُ

[٢٩٠]

عبيدة أخرى ثم قال بعد سرد عِدَّةِ قصائد : ومن يدانعه المنفعة عبيدة ميلادية ، واقفها

وجهته من غزوات مولانا الجدل أيضا :

لَوْ كُنْتُ أُعْطِيَ مِنْ لِنَائِكَ سَوْلًا لَمْ أَتَعَذَّ بِرَقِ الْقَمَامِ رَسْوَلًا
 أَوْ كُنْتُ أَبْلَغُ مِنْ قَبُولِكَ مَانِي لَمْ أُدْرِعِ الشُّكُوى صَبَا وَقَبُولًا
 لَكِنْ مَعْتَلَّ النَّسِيمُ إِذَا مَرَى مَا زَالَ يُوسِعُ ذَا الْهَوَى تَعْمِيلًا
 وَبُلُغْتُ الْأَرْوَاحِ دَوْعَةً أَيْكَفَرُ تَجَادَبَتْهَا عِنْدَ الْهَيُوبِ مِيلًا
 عَهْدِي بِهَا سَدَلْتُ عَلَى ظِلَالِهَا فَسَدَّتْ ظِلَالُ الشَّبَابِ ظَلِيلًا
 رَمَعْتُ بِهٍ حَوْلِي الظُّلُمَاءِ أَوَانِيَا فَتَعَمَّتْ فِيهِ مُعْرَسًا وَتَعْمِيلًا
 وَصَقَلْتُ لِلْحَسَنَاءِ صَفْحَ مَوَدِّي لَمَّا اجْتَلَيْتُ الْقَارِضَ التَّهْمُولَا
 فَمُ اثْنَيْتُ (١) وَقَدْ تَعَامَلَيْتُ الْهَوَى رِمَا أَعْرَى وَجُوذَرَا مُكْهُولَا
 كَمْ فِيهِ مِنْ مُلَحٍّ لِمُرْتَادِ الْهَوَى تَرَكْتُ فَوَادَ مُحِبِّهِ مَثْبُولَا

(١) كذا في م . وفي ط : « زائر » .

(٢) في م : « مهبل » .

(٣) في م : « اثنت » .

لم زُرْ لِي عَيْنَاهُ حِكْمَةً بَابِلَ إِلَّا أَخَذْتُ حَدِيثَهَا مَتَبُولَا
 وَلَقَدْ أَجَدَّ جَوَائِ لَمَّا زُرْتُهُ رَسَمًا كَعَاشِيَةِ الرَّدَاءِ مُحِيلَا
 قَدْ أُنْكَرْتَهُ الْفَيْنُ إِلَّا لَمَحَةً عَرَفْتُ بِهِ آثَارَهُ تَغْيِيْلَا
 وَإِذَا الْعُلُولُ تَعَرَّضَتْ لِمُنْمٍ غَادَرْنَ دَمْعَ جُفُونِهِ مَطْبُولَا
 مَنْ يُنْجِدُ الْعُيُورَ الْجَبِيلُ فَإِنَّهُ بَعْدَ الْأَحْيَاءِ قَدْ أَجَدَّ رَحِيلَا
 كَيْفَ التَّجَبُّلُ^(١) بَعْدَهُمْ وَأَنَا الَّذِي أُنْسَيْتُ قَبْسًا فِي الْهَوَى [و] حِيلَا
 مَنْ عَادِرِي وَالْقَلْبُ أَوَّلُ عَادِلِ رَفِيعٌ أَفْنَدُ^(٢) لَا يَمْنَا وَعَدُولَا
 أَنْبَعْتُ فِي دِينِ الْعَصَابَةِ أَمَّةً مَا بَدَلُوا فِي خُبْرِهِمْ تَبِيدِلَا
 يَا مَوْرِدًا حَامَتَ عَلَيْهِ قُلُوبُنَا لَوْ نَبِلَ لَمْ تَحْجِرْ^(٣) الدَّمَاسِغُ نَبِلَا
 مَا ضَرَّ مَنْ رَفَتْ^(٤) غَلَالُهُ ضَحَى لَوْ بَاتَ بِنَفْعٍ لِلْحَبِّ غَلِيلَا
 كَمْ ذَا أَعْلَلُ بِالْعَدِيدِ وَبِالْفَنَى قَلْبًا كَمَا شَاءَ الْفَرَامُ عَلَيْهِلَا
 أَعْدَيْتُ وَاصِلَةَ الْهَدْبِلِ بِسُخْرَةٍ سَجَّوَا وَبِجَانِحَةِ الْأَصِيلِ نَحُولَا
 وَسَرَيْتُ فِي طَيِّ النَّسِيمِ أَعْلَى أَخْشَلُ حَيًّا بِالْعَفِيقِ حُلُولَا
 هَذَا وَوَجْدِي مِثْلُ وَجْدِي عِنْدَ مَا انْشَعَرْتُ مِنْ رَكْبِ الْحِجَازِ رَحِيلَا
 قَدْ سَدَّدُوا الْأَنْفَ، نَمَّ تَنَابَعُوا يَنْفُلُو رَعِيلُ فِي الْفَلَاةِ رَعِيلَا
 مِثْلُ الْقِسَى صَوَامِرُ قَدْ أُرْسِلَتْ يَذْرَعْنَ عَرْضَ الْبَيْدِ مِيلَا مِيلَا
 مَثَرَتَيْنِ عَلَى الرَّحَالِ كَأَنَّمَا عَاطِلِينَ مِنْ فَرْطِ الْكَلَالِ شَمُولَا
 إِنْ بَلَّتَيْسَ عِلْمُ الطَّرِيقِ عَلَيْهِمْ جَعَلُوا التَّنَشُّوقَ لِلرَّسُولِ دَلِيلَا

[٢٩٦]

(١) كذا في م. و. لى ط : « التحمل » بالخاء المهملة .

(٢) كذا في م. والذي في سائر الأصول : « أقيد » .

(٣) في ط : « وموارد » و « لم ألب » . مكان قوله « يا موريدا » و « لم تحر » .

(٤) كذا في م. وفي ط : « رافت » .

يَارَاحِلِينَ وَمَا تَحَسَّلَ رُكْبُهُمْ إِلَّا قُلُوبَ الْقَاشِيفِينَ حُمُولًا
 نَاشِدُنَاكُمْ عَهْدَ التَّوَدَّةِ بَيْنَنَا وَالْعَهْدَ بَيْنَا لَمْ يَزَلْ مَسْتَوِلًا
 مَهْمًا وَصَلْتُمْ خَيْرَ مَنْ وَطِئَ التُّرَى أَنْ تُوسِعُوا ذَلِكَ التُّرَى تَغْيِيلًا
 يَالَيْتَ شِعْرِي هَلْ أُعْرِسَ لَيْلَةً فَأَنْتُمْ حَوْلِي إِذْخِرًا وَجَلِيلًا^(١)
 أَوْ تَرُونِي^(٢) يَوْمًا مِيَاهُ بَحْنَفَةٍ وَتَسِمُ طَرْفِي شَامَةً وَطَفِيلًا^(٣)
 وَأَحْطُ فِي مَنَوَى الرَّسُولِ رُكَّابِي وَأُبَيْتُ لِلْعَزِيمِ الشَّرِيفِ نَزِيلًا
 بِمَنَازِلِ الْوَحْيِ الَّتِي قَدْ شُرِّفَتْ قَدْ شَافَتْ أَعْلَامُهَا التَّنْزِيلَ
 بِمَعَاهِدِ الْإِيمَانِ وَالَّذِينَ أَلْبَسُوا حَيْثُ صَافَحَتْ عَرِصَتُهَا جَبْرِيلَ
 وَمُهَاجِرِ الدِّينِ الْخَنِيفِ وَأَهْلِهِ حَيْثُ امْتَقَرَّ بِرِ الْأَمَانِ دَخِيلًا
 دَارِ الرَّسُولِ وَمَطْلَعِ الْقَمَرِ^(٤) الَّذِي إِبْدَاؤُهُ مَا فَارَقَ التَّكْمِيلَ
 يَتَحَدَّدُ تِلْكَ الْعَالَمُ وَالْإِنَّمَا كَيْفَ حَدَّدَا تِلْكَ الطَّائِلُ طُلُولًا
 حَيْثُ الثَّمُوءُ قَدْ جَلَّتْ آفَاقُهَا وَجَمَّاهَا مِنَ الْحَقِّ الْمُبِينِ^(٥) جَمِيلًا
 حَيْثُ الرِّسَالَةُ فَصَلَتْ أَحْكَامُهَا لِيُسَيِّئَ التَّعْزِيمَ وَالتَّخْلِيلَ
 حَيْثُ الشَّرِيعَةُ قَدَّرَتْ^(٦) أَرْكَانَهَا فَالْتَمَسَ مِنْهَا يَفْضُدُ التَّأْوِيلَ

(١) الإذخر (بكر المزة والخاء) : حشيش طيب الريح وإذا جفا يبس والجابل : النجم.

(٢) كفا في الأصلين .

(٣) حجة (منج اليم وكسرهما) : موضع قرب مكة . وشامة وعطيل : حلال بمكة .
 وقد أخذ معنى هذا البيت والذي قبله من قول بلال رضى الله عنه :

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة منج وحول إذخر وجابل
 وهل يبدون لي شامة وطميل

(٤) و ط : « الفخر » .

(٥) و ط : « الصبح الجليل » .

(٦) في م : « قدست » .

خَيْثُ الْهُدَى وَالْهُدَى وَاتْلُوْهُ الَّذِي
 خَيْثُ الضَّرِيحِ بَعْضُهُمْ أَكْرَمُ مُرْسَلٍ
 إِنَّ الْإِلَٰهَ اخْتَارَهَا ^(١) مِقَامِهِ
 رَجِمَ الْإِلَٰهُ الْعَالَمِينَ بِيَمِينِهِ
 بِدُعَائِهِ انْقَشَعَ الْعَالَمُ ^(٢) . قِيلَ لَهَا
 وَالشَّمْسُ قَدْ رُوِّتْ لَهُ وَلَطَائِمًا
 لَمْ لَا يَطْلُوْعُهُ الْوُجُوْدُ وَقَدْ غَدَا
 يَا نُكْنَتُهُ الْأَكْوَانُ يَا عِلْمَ الْهُدَى
 لَوْلَاكَ لَمْ يَكْ لِلْكَيَانَ حَقِيْقَةٌ
 لَوْلَاكَ لِلزَّهْرِ السَّكْوَاكِبُ لَمْ تَلْعُجْ
 لَوْلَاكَ لَمْ تَجْعَلِ السَّمَاءَ شُعْبَةً
 لَوْلَاكَ مَا عُيِدَ الْإِلَٰهُ وَمَا غَدَا
 يَا رَحْمَةَ اللَّهِ الَّتِي أَلْفَاظُهَا
 يَا حُجَّةَ اللَّهِ الَّتِي بُرْهَانُهَا
 كَمْ أَبَى لَكَ قَدْ صَدَعْتَ بِنُورِهَا
 أَوْصَحَّتْهَا كَالشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا
 وَأَتَبَّتْ بِالذِّكْرِ الْحَكِيمِ مُبَيَّنًا
 أُنْشَى عَلَيْكَ بِكَثِيرٍ مَنْ أَنْزَلَ السُّفْرَ أَنْ وَالسَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ
 تَحَقَّ الضَّلَالُ وَأَذْمَبَ التَّضَلُّيلَا
 وَأَجَلَّ خَلْقِي اللَّهِ جَيْلًا جَيْلَا
 وَاخْتَارَهُ لِلْعَالَمِينَ رُسُولا
 فِيهِمْ وَقَصَلَ حَنَسَهُ تَقْصِيْلَا
 وَالتَّ بِدُعَائِهِ الْقَامُ غَمُولا
 قَدْ ظَلَمْتُهُ سَجَاهُ تَقْلِيْلَا
 مِنْ نُورِهِ فِي خَلْقِهِ مَقُولَا
 آيَاتُ فَذَلِكَ رُنْتُ تَرْتِيْلَا
 وَلَسَكَانَ بَابُ وَجُوْدِهَا مَقْنُولَا ^(٣)
 يَمَثُلُ الْأَزَاهِرُ مَا عَرَفْنَ ذُبُولَا
 وَلَسَكَانَ سَجَفَ غَلَامُهَا مَسْجُولَا
 رَبُّعُ الْجِنَانِ بِأَهْلِهِ مَأْهُولَا
 سَحَبَتِ عَلَيْنَا لِلْقَبُولِ ذُبُولَا
 مَا كَانَ يَوْمًا حِدْفُهُ مَجْهُولَا
 لَيْلُ الضَّلَالِ وَإِنْكَهَ التَّنْخُولَا
 وَعَقَلْتَ عَنْ إِذْرَاكِينَ غَمُولَا
 قَدْ فَصَلْتَ آيَاتُهُ تَقْصِيْلَا
 أُنْشَى عَلَيْكَ بِكَثِيرٍ مَنْ أَنْزَلَ السُّفْرَ أَنْ وَالسَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ

[٢٩٧]

(١) كَذَا فِي م : « اختاره » .

(٢) فِي م : « الطلوع » .

(٣) وَرَدَ « قُلِ الْبَاب » ثَلَاثًا فِي أَسَاسِ الْبَلَاغَةِ .

فَإِذَا الْبَلِغُ رَدُّهُ مَذْحَكَ جَاهِدًا
تَا شَارَعَ الرُّسُلَ الْكِرَامَ وَمَنْ يَرِ
رِفْقًا بِرَبِّهِ مَلَكَ الْقَضَاءِ زَمَانُهُ
وَاحْسَرْنَا ضَمِيمَتْ عُجْرَى فِي الْهَوَى
وَجَرَّيْتُ فِي طَلْقِ الْبَطَالَةِ جَاهِيهَا
وَعَثَمْتُ فِي طَلَبِ الْمَفَازِ جِهَالَةً
يَا صَفْوَةَ اللَّهِ الْأَمِينِ لِوَحْيِهِ
وَاللَّهِ مَالِي لِلْخُلَاصِ وَسِبْغَةٍ
إِنْ كُنْتُ مَا أَعْدَدْتُ زَادًا نَافِعًا
صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مَا رَكِبَ سَرَى
وَأَعَزَّ مَنْ وَلَاهُ أَمْرَ عِبَادِهِ
وَأَقَامَ مَغْرُوضَ الْجِهَادِ بَعْرَمَتَهُ
وَاللَّهُ مَا أَدْرَى وَقَدْ حَصَرَ الْوَعْيَ
مَلَكَ إِذَا أَمَّ الْوُجُودَ يَمِينُهُ
أَوْ يُخْلِفُ النَّاسَ الْقِسَامَ وَأَحْمَلُوا
مِنْ دَوْحِهِ نَضْرِبَةً يَمْنِيَةً
فَإِذَا سَأَلْتَ الْكُتُبَ نَقَلَ فَضِيلَةً

أَضْحَى حُسَامِ لِسَانِهِ مَقُولًا
بِرُجُوبٍ فِي يَوْمِ الْحِسَابِ قَبُولًا
فَقَدْ أَقْبَلَهُ ذُنُوبُهُ^(١) تَعْمُولًا
وَالْتَوَرُّ أَضْحَى ذَنْبُهُ تَمْلُولًا
حَتَّى انْتَشَى طَرَفُ الشَّبَابِ كَلِيلًا
لَسَكُنَ وَجَدْتُكَ لِلْعِيَارِ مُتَبِيلًا
مَنْ أُمَّ جَهْلِكَ أَحْرَزَ التَّائِيلًا
إِلَّا رِضَاكَ وَعَفْوَكَ الْمَأْمُولًا
أَعْدَدْتُ حَبْلًا شَافِعًا مَقْبُولًا
فَأَجَدْتُ وَخْدًا^(٢) فِي الْمَفَازَةِ مِيلًا^(٣)
فَجَبَّاهُمْ إِحْسَانَهُ الْوَصُولًا^(٤)
تَرَكْتُ بِأَقْدَمَةِ الْغُدَاةِ^(٥) قُلُولًا
أَحْسَامُهُ أَمْ عَزَمَهُ مَقْصُولًا
فَالْبَحْرُ عَذَابًا وَالرِّيَاضُ بَلِيلًا
فَنَدَاهُ لَا يَغْنِي الْعُنَاةَ مُحُولًا
وَشَجَّتْ فُرُوقًا فِي السَّلا وَأُصُولًا
لَمْ تَنْلِ إِلَّا فَخْرَهَا مَقُولًا

[٢٩٨]

(١) في ط : « زمانه » .

(٢) في ط : « وجدنا » .

(٣) في ط : « التأمولا » .

(٤) في ط : « العباد » .

يَا أَيُّهَا الْعَلِيُّ الَّذِي أَبَانِي
وَاللَّهِ مَا آثَارُ هَذِيكَ عِنْدَنَا
لَمْ يُعْرِفِ الْتَرْكِيبَ سَيِّفِكَ فِي الْوَعْيِ
كَمْ صُورَةٌ لَكَ فِي الْفَتْوحِ وَصُورَةٌ
لَمْ تَكُنْ سَارِيَةً الرِّيحَ بِطَلْبِيَّةٍ
وَكَأَنَّ صَنْعَ الْهَرَقِ سَيِّفِكَ ظَلَمَ مِنْ
كَمْ سَلْدَةٍ لِلْكَفَرِ قَدْ عَمَضَتْ مِنْ
صَدَاتٍ مُقَدَّمَةٍ الْجِدُوشِ قَدِيرَتِ
كَسَرُوا تَنَائِيلَ الصَّالِبِ وَتَمَلُّوا
لَمَّا أَحْطَلَتْ بِهَا وَحَانَ ذِمَارُهَا^(١)
تَجَرَّى الدَّمُوعُ وَمَا تَبَلَّ غَلِيلُهُ
سَيِّتَ بَيْنَ الْمُلُكِ مِنْكَ عَلَى الْعِدَا
لَمْ يَرْضَ سَيِّفُكَ أَنْ يُحْلَى جَوْهَرًا
لَمْ يَرْضَ هِمَّتُكَ الْقَلِيلَ مِنَ النَّقَى
فَأَقَمْتَ مِيلَادَ الرَّسُولِ بِأَيْلَةٍ
حَيْثُ الْفِيَاثُ الْبَيْضُ جَالَتْ الرُّبَا
وَسَوَّغْتَ النِّيرَانَ تَدَكَّى حَوَاهَا
وَالْأَمَقُ قَوْفَكَ قُبَّةً مَحْبُوكَةً

وَصَحَّتْ بِأَوَجِهِ دَحْرُ^(٢) مَحُولَا
إِلَّا نَجْمًا مَا عَرَفْنَا أَقُولَا
فَاعْجَبْ لَمْ قَدْ أَسْكَمَ التَّخْلِيلَا
تُحْلَى تُحْلَى بُكَرَةً وَأَصِيلَا
إِلَّا لِيُحْبَلْ ذِكْرَكَ التَّعْشِيلَا
غَمْدُ النَّبَاةِ مُرْهَةً مَسْلُولَا^(٣)
نَافُورِهَا التَّكْبِيرِ وَالْتِهْلِيلَا
مِنْ حِينِهَا مَهْضُوعَهَا مَحْمُولَا
بَيْنَ انْتَهَى لَوْلَا يُؤْ تَعْمِيلَا
أُزْهِرَتْ مُنْزَمًا الْأَعَزَّ ذَلِيلَا
قَدْ صَفَدَ يَبِيحِي هَذَاكَ فَتِيلَا
عَدَسًا مَهِيْبَ الشُّفْرَتَيْنِ صَقِيلَا
حَتَّى يُحْلَى عَسْجَدًا مَحْمُولَا
حَتَّى أَتَتْ بِالصَّالِحَاتِ قَبِيلَا^(٤)
أَوْضَحْتَ فِيهَا لِلْعَهَادِ سَبِيلَا
أَزْهَارَ رَوْضٍ مَا اكْتَسَبِينَ ذُبُولَا
قَيْنِيرُ مُشْتَلَهَا رُبَا وَمُهْمُولَا
مَدَّتْ عَلَيْكَ جِلْدَاقَهَا السُّدُولَا^(٥)

(١) كَذَا فِي الْأَسْلَافِ وَفِيهِ تَحْرِيفٌ ظَاهِرٌ .

(٢) ق م : « مَحُولَا » .

(٣) ق م : « وَحَانَ ذِمَارُهَا » .

(٤) الْآيَاتُ الثَّلَاثَةُ زِيَادَةٌ عَنْ م .

(٥) ق ط : « السُّدُولَا » . وَمَا أَثْبَتَاهُ عَنْ م .

وَرَمَى^(١) إِلَيْكَ بِبَذَرِهِ وَنُجُومِهِ
حِينَ السَّكَاتِ قَدْ تَلَا طَمَّ مَوْجَهَا
زَحَرَتْ بِأَمْوَاجِ الْحَدِيدِ وَزُبَا
يَتَجَاوَبُ الشُّكُورُ فِي جَنَابَاتِهَا
حَلَّتْ مِنْ الْأَبْطَالِ كُلِّ مُشَمَّرٍ
آسَادُ مَلَحَمَةٍ إِذَا اشْتَجَرَ الْوَعَى
إِنْ شَمَرُوا يَوْمَ الْحُرُوبِ ذُبُورَهُمْ
أَوْ قَهَرُوا يَوْمَ الطَّعَامِ رِمَاحَهُمْ
يَأْتِيْلَهُ ظَفَرَتْ بِدَائِ بِأَجْرِهَا
وَاللَّهُ لَوْ غَوَّضْتُ عَنْكَ شَيْئِي
يَا نَاصِرَ الْإِسْلَامِ يَا مَلِكَ الْمَلَا
جَهَرُ جَبُوشِكَ لِاجْتِهَادِ مَوْفَقَا
وَلْتَبْعِدِ^(٢) الْقَارِزَاتِ فِي أَرْضِ الْعِدَا
وَالْإِلَيْكَ مِنْ سُورِ الْجِهَادِ غَرِيبَةً
وَأُطْلُتْ لِسَانِي أَطْبُتْ وَعَادِي
لَا زَالَ نَصْرُكَ كُلَّمَا اسْتَنْجَدْتَهُ
يُهْدِيكَ مِنْهُ النَّجَاحَ وَالْإِكْلِيلَا
وَتَذَقَّتْ فِيهَا الْغُيُورُ سُبُورَا
صَاقَ الْقَصَاةُ قَمًا وَجَدَنَ مَسِيلَا
قَتَعِيدُهُ غُرَّ الْحِيَادِ صَهِيلَا
لَا يَفْتَنِي^(٣) سُورَ الْفَنَّا وَنُصُولَا
كَتَلُوا مِنَ الْأَسَلِ^(٤) الْخُفَّ غِيلَا
سَحَبُوا مِنَ الزُّرْدِ الْمَغَاضِ ذُبُورَا
وَصَلُّوا بِهَا الْخَطُوطَ الْوَسَّاعَ طُولَا
وَسَهَرَتْ فِيهَا بِالرُّمَاحِ مَسْمُورَا
تَمَا كُنْتُ أُرْمَى بِالشَّبَابِ بَدِيلَا
اللَّهُ يُؤَانِيكَ الْجَزَاءُ جَزِيلَا
وَكُنِّي بِرَبِّكَ كَافِيَا وَكَفِيلَا
وَاللَّهُ حَسْبُكَ نَاصِرَا وَوَكِيلَا
جَاءَكَ تَقَرُّصُكَ^(٥) الثَّنَاءُ جَمِيلَا
أَلْفِي مُطِيلَا فِي التَّدِيحِ مُطِيلَا
لَهُمْ دِينُكَ عَائِدَا مَوْصُولَا

(١) في م : « أوى » .

(٢) في الأصول : « الأسد الثف » ، وهو تحريف .

(٣) كذا في م . وفي ط : « لا يفتني » .

(٤) في م : « واستعمل » .

(٥) كذا في م . وفي ط : « جاءت تحركك » .

ثم قال بعد ذكر مجلة من قصائد :

ومن ذلك وقد عاد من وجهه للصيد أهلها ، وأعنته للحياد في ميادين ذلك
الطراد أرسلها ، ما أنشدته :

حياتك بادار الهوى من دار
وأعاد وجهك طلقاً مشرقاً
أمد كرى دار الصباية والهوى
عاطيتني عنها العديت كأنما
يبر وإن أذكيت نار صباي
يا زاجر الأطلان وهي مشوقة
حننت إلى تجدي وليست دارها
لكنها شامت به برق الحمى
هل تبليغ الحجاب إن شمتها
عرض يذكري في الخيام وقل إذا
[عار] بقومك يابنة الحيين أن
أمتعت مبسور السلام أها الهوى
وأن جارى الدمع عذر هيامه
هذا وقومك — ما علمت خلاصه —
نوه^(١) السالك بدبسه مذار
متصاحكاً بميامهم النوار
حيث الشباب يروق^(٢) حسن^(٣) نثار
عاطيتني منها كنوس عفار
وقدحت زند الشوق بالتذكار
أشبهتها في زفرت وأوار
وصبت إلى هندية والقار
واعتادها طيف الكرى بزار^(٤)
إن الوفاء سجي الأحرار
جئت العقيق مبلغ الأوطار
تلقى الذبون وأنت ذات يسار
وبخلت حتى بالخيال الساري ؟
لكن أضقت حقوق^(٥) ذاك الجار
أوفى الكرام يذم وجوار

(١) في م : « موق » .

(٢) في م ومع الطيب : « يرق غص » .

(٣) في مع الطيب والإحاطة :

شامت به برق الحمى واعتادها طيف الكرى بزارها للزوار

(٤) في مع الطيب : « لكن أضقت له حقوق الحار » .

الله في نفس شامع كلفا هب النسيم تطير كل مطار
 بالله يا لعيابه ما منع الصبا ألا تهب بعرفك القطار
 كما بنت من تشدو الحدأة بذكره متعاليين بر على الأكوار
 كما صر نسمه حاجر لو أنها أهدت لنا خبرا من الأخبار [٣٠٠]
 هل ناله من بعدنا متأود متجاوب مترنم الأطيار
 وهل الظباء الآنسات كعددها^(١) يصرعن أشد الغاب ونى صواري
 يفتكن من قلماتها ولحظها بالمشرفية والقنا الخطار
 أشعرت قلبى خبهن صباة فرسيتني من نوعي بحمار
 وعلى السكيب سوانح حمر الحلى بيض الوجوه يصيدن بالأفكار
 أذن الحجاج منازهن ثلاثة يمسى لو أن منى ديار^(٢) قرار
 لكن يوم الفرجن لنا بما عودتنا من جفوة ونفكار
 يابن الألى قد أحرزوا فضل^(٣) الغلا وسموا بطيب أزومر ونجار^(٤)
 وتنب عن صوب القمار أكنهم وتنب أو جههم عن الأقمار
 من آل سعد^(٥) رافعي علم الهدى المصطفين لنصرة المختار
 أصبحت وارت تجدهم وفخارهم ومشرق الأعصار والأمصار
 وجهه كما حصر الصبايح نقابة ويد تيد أناملا يبحار
 جردت دون الدين عزمة أروعر جردت منها سمة الأنصار

(١) في م ونفع الطيب : « كعددها » .

(٢) كذا في م ونفع الطيب . وفي ط : « ديار » .

(٣) في نفع الطيب : « نصل » .

(٤) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « وغار » .

(٥) يريد سعد بن عبادة سيد الخرج ، من كبار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

حطت البلاد ومن حوته مُتورها وكفى بستدك حابيا لدمار
 لله رحلتك^(١) التي نلنا بها أجر الجهاد وثره الأبرار
 أوزدنا فيها ليجودك موزدا مستعذب الإبرار والإصدار
 وأفقت فينا من نذاك مواهبنا حسنت مواقعها على الفكرار
 أضحكت تفر التفر أما حشته وخصصته مختايس الإبتكار
 حتى الفلاة نقيم يوم وزدنا سنن القرى بتلا^(٢) الزنوار
 وسرت عقال الجودك الذي تصطاد من وحش ومن أطيار
 والأرض نعلم أنك القوت الذي تضي علىها وإف^(٣) الأستار
 ولرب تمتد الأباطح موحش عالي الرما متباعد الأقطار
 حمل السارح لأبراع قبيصه إلا إنباف فارس منوار
 سرحت عنان الرجع فيه وربنا ألفت بتاحيه عصا التشار
 بأكرنه والأفق قد خلع الدجى مشحا لبلس خلعة^(٤) الإشتار
 وجرى به نهر النهار كمثل ما سكب النديم سلافة من فار^(٥)
 عرخت به المستفرات كأنها خيل عرب جلن^(٦) في مضمار
 أنبتنا غرر الجياد كواكبنا تنفض رنما في سماء غبار
 والمهاديات يؤمها عبل الشوى متدفق كتدفق القيثار
 أزعجتها شقراء رائقة الحلى فرميتة منها بشعلة نار

(١) كذا في فتح الطيب . والذي في الأصل : « رحلتك » .

(٢) كذا في الإحاطة : والذي في الأصلين : « بتلا » .

(٣) في فتح الطيب المطبوع : « وإف » .

(٤) في م وفتح الطيب : « خلعة » .

(٥) كذا في م وفتح الطيب ، وفي ط : « نار » .

(٦) في م : « جلن » .

أَثَبْتُ فِيهِ الرُّمَحَ ثُمَّ تَرَكَتُهُ خَصَبَ الْجَوَانِحِ بِالْذَّمِّ النُّوَارِ
 حَامَتُ عَلَيْهِ الذَّابِلَاتُ كَأَنَّهَا طَلِيْرٌ أَوْتُ مِنْهُ إِلَى أَوْكَارِ
 طَفَقَتْ أَرَائِيْهِ غَدَاةُ أَزْمَتِهَا^(١) تَنْبِيْهِ الْفِرَارِ وَلَآتِ حِينَ فِرَارِ
 هَلْ يَنْفَعُ الْبَتَّاعُ الطَّوْبُلُ وَقَدْ غَدَّتْ يَوْمَ الطَّرَادِ قَصْبِيْرَةَ الْأَعَارِ
 مِنْ كُلِّ مُنْجِفٍ يُلْمَحُهُ بَارِقِ فَانَّتْ خُطَاهُ مَدَارِكَ الْأَبْصَارِ
 [وَجَوَارِحِ سَبَقَتْ إِلَيْهِ طِلَاسُهَا فَكَانَ طَلَابُتُهُ بِالنَّشَارِ
 سُدٌّ وَبَيْضٌ فِي الطَّرَادِ تَنَابَهَتْ كَاللَّيْلِ طَارِدَةٌ بَيَاضُ نَهَارِ]^(٢)
 تَرْمِيْهَا وَحَى الْعَنَابَا ضَمَرَا مِثْلَ السَّهَامِ تَزَعْنَ عَنْ أَوْتَارِ
 كَلَّتْ بَأْنَ تَنْجُوْهَا^(٣) كَلَا وَلَوْ أَغْرَبَتْهُ بِأَرَانِبِ الْأَفْتَارِ
 وَبِكُلِّ قَضَاءِ الْجَنَاحِ إِذَا ارْتَمَتْ فَكَانَهَا نَجْمُ السَّمَاءِ السَّارِ
 زَجَلُ الْعَنَاجِ مُصْطَقٌ كَمَنْ الرَّدَى فِي يَجْلِبِ مِنْهُ وَفِي مِيقَارِ
 أَجَلِي الطَّرِيدِ مِنَ الْوُحُوشِ وَإِنْ رَمَى طَلِيْرًا أَنْكَ يَرَى عَلَى مِقْدَارِ
 وَأَرْبَقْنَا الْكَسْبَ الَّذِي أَعْدَادُهُ سَلَّاتٌ حَمَالَا أَعْمِنَ الثُّغَارِ
 بَيْضٌ وَصُفْرٌ خَلَّتْ مَطْرَحَ سَرَحِهَا رَوْضًا تَفْتَحُ عَنْ شَفِيقِ بَهَارِ
 مِنْ كُلِّ مَوْزِيٍّ الْأَيْمِ مُفَوِّفٍ رَقَّتْ بِدَائِمَةٍ يَدُ الْأَفْقَارِ
 خُلِطَ الْبَيَاضُ بِصُفْرَةٍ فِي لَوْنِهِ فَتَرَى اللَّجَيْنِ بِشَوْبِ ذَوْبِ نُصَارِ
 أَوْ أَشْعَلِ رَاقِ الْعَيُونِ كَأَنَّهُ غَاسٌ بِخَالِطِ سُذْقَةِ بِنَهَارِ

(١) كذا في نفع الطيب . والذي في الأصل : « تركتها » .

(٢) البيتان من نفع الطيب .

(٣) كذا في الأصلين . وفي نفع الطيب : « ينجلها » والصائر في البيت خفية الدلالة .

(٤) في الأصل : « الطريق » . وما أثبتناه من نفع الطيب .

مَرَحَتْ بِمُخَضَّرِ الْجَوَانِبِ يَارِنِعِ تَنَسَّلُ فِيهِ أَرْاقُهُ الْأَنْهَارِ
 قَدْ أَرْضَمْتُهُ السَّارِبَاتُ لِبَنَاتِهَا وَحَلَّتْ فِيهِ أُرْوَةُ النُّوَارِ
 أَخَذَتْ سَمُودَكَ حِذْرَهَا فَلِحْكَمِهِ أَغْرَتْ جُفُونَ الْعَزَنِ بِاشْتِغَابِ
 لَمَّا أَرْنَكَ^(١) الشَّمْسُ صُفْرَةَ حَمِيدِ لِحَبِيدِكَ الْمُتَأَلِّقِ الْأَنْوَارِ
 تَفَنَّتْ عَلَيْكَ الشُّجُبُ نَفْسَ مَعُودِ^(٢) مِنْ عَيْنِهَا الْمُتَوَقِّعِ الْأَشْرَارِ
 فَاوْزَعِ نِوَاءَ النَّخْرِ غَيْرَ مُدَافِعِ وَاشْحَبِ ذُبُولَ الْمَسْكِرِ الْجَبَرِ
 وَأَهْنَأْ مَقْدِمِكَ السَّعِيدِ مُحَوَّلَا مَا شِئْتَ مِنْ عِزٍّ وَمِنْ أَنْسَارِ
 قَدْ جِئْتَ ذَاكَ مُحْسِنًا وَمُؤَمِّلًا مُمْتَتٍ بِالْخُسْفَى وَغَمَقَى النَّارِ
 وَإِلَيْكُمَا مِنْ رَوْضٍ فِكْرِي تَفَحَّةً شَفَّ الثَّنَاءُ بِهَا عَلَى الْأَزْهَارِ

[٣٠٢]

ثم قال : ومن ذلك ما أنشده ، رضى الله تعالى عنه ، فى رحلة ركاب المجاهد
 إلى المرية بالهجر الشهادى فى حدود عشر سنين وسبع مئة :

يَحْمُولُ نَجْنُ الْأَطْلَالِ وَيَشْفُوهَا ذِكْرُ الزَّيْمَانِ الْخَالِي
 يَبْنِي أَرْسَةً هَيْمَهَا شَوْقِي إِلَى ظِلِّ الْأَزَاكِ وَأَزْرَقِ سَلْسَالِ
 ذَكَرْتُ بِهَا الْحَقَّ الْجَمِيعَ كَقَهْدِهَا وَالرَّيْعُ مِنْهَا أَخْضَرُ السَّيْرِبَالِ
 وَالْدَارُ حَالِيَةُ الْمَدَافِ وَالزُّبَا وَمَرَادَهَا بِالرُّوضَةِ الْمَخْضَالِ
 أَبَانَ مَا لَمِعَتْ بِهَا أَيْدِي النَّوَى وَتَرَكَهْتُ فِي الْحَلِّ وَالْتِرَّخَالِ^(٣)

(١) فى الأصل : « رَأْنِكَ » . والنصبوب عن فتح الطيب .

(٢) فى فتح الطيب : « غنة معوذ » .

(٣) كذا فى م . وفى ط :

« أَيْبَانَ مَا لَمِعَتْ بِهِ أَيْدِي الْمَوَى ذَهَبُ الْفَرَامِ بِحِمَةِ الْخَالِ » .

وَجَرَتْ بِسَدِّهَا^(١) الْعِدَاةُ كَأَنَّهَا
دَعْنَى أَطَارِحِهَا الْحَيْنِ فَأَنْتَى
وَرَمَى النَّازِلُ أَشْبَهَتْ سُكَّانَهَا
بَلَيْتٌ مَحَاسِنُهَا وَخَفَ أُرْدُهَا
وَلَقَدْ أَقُولُ وَمَا يَعْنِفُ ذُو الْمَوَى
أَحْمَى تَذَوُّبُ صَبَابَةٍ وَمَدَامِيعُ
وَوَزَاءُ مُطْلَعِ الْخُدُورِ جَاذِرُ
يَا سَاكِي تَجِدُ وَمَا نَجِدُ سِوَى
مَا لِلظُّلُمَاءِ الْآسَاتِ بِرَبْعِكُمْ
أَوْ لِلرَّيَاحِ نَهَبٌ وَهِيَ بَلِيلَةٌ
هِيَ رِشْمَةٌ عُدْرَةٌ عَوْدُهَا
بَا يَنْتَ مِنْ عَمْرِ الْعَفَا نَوَالُهُ
فَلَسْكُمْ بَعَثَتْ مَعَ النَّسِيمِ تَعِيجِي
بِأَفْعٍ يَا رِيحَ النُّعَامِ جَرَرِي
وَلِإِذَا مَرَزَتْ عَلَى السَّكَنِيبِ رَاكِمَةٌ^(٢)
فِيهَا التَّمَاهِدُ قَدْ طَلَعْنَ بِأَفْعِهَا

فَطَعُ السَّفَائِنِ خُضْنَ بَحْرَ لَيْالٍ
لَا أَنْتَى^(٣) لِمَقَالَةِ الْعُدَالِ
أَعْمَارُهَا تَنْفُضِي إِلَى الْأَجَالِ
وَالشَّوْقُ وَالنَّدَا كَأَنَّ لَيْسَ بِنَالِي
ذَهَبَ الْفَرَامُ بِحِيلَةِ الْمُحْتَالِ
تُعْرِى جُفُونَ الْعُزْنِ بِاسْتِهْلَالِ
تُجَلِّ تُمْدِيدًا فِي غَمَامِ حِجَابِ
نَادَى^(٤) الْهَوَى وَخُجْمِ الْأَمَالِ
عُطَّلًا وَهْنٌ مِنَ الْجَمَالِ حَوَالِي
فَتَهَيَّجُ مِنْ وَجْدِي وَمِنْ بَلْبَالِي
قَلْبًا شَدَاعًا^(٥) تَابِرُسِي بِالسَّالِي
هَلَا تَمَحَّضَ^(٦) دَلُوهُ بِعَلِيفِ خَيَالِي
عَوْدَتْ سَارِي الْهَرَقِ مِنْ أَرْسَالِي
فَوَقَّ الْخُزَامِي عَاطِرَ الْأَذْيَالِ
صَافِحٌ مُحَيَّا الرُّوضَةِ الْخُصَالِ
رَمَا وَلَمْ أَجْمَعْ لَوْفَتِ زَوَالِ

(١) كذا في م . وفي ط : « بشدة » .

(٢) في ط : « فك أنى » .

(٣) في م : « دار » .

(٤) كذا في م . وفي ط : « شغافا » .

(٥) في ط : « سمعت » .

(٦) كذا في م . وروية : موضع الميقن ، أو وراء الفريتين في طريق البصرة إلى مكة . (انظر معجم ما استعجم للبكري) . وفي ط : « زابة » .

أُمِّدْ كَرَى عَهْدَ الشَّيْبَةِ جَادَهُ صَوَّبُ الْبَهَادِ بَوَا كَيْفِ هَطَّالٍ
 عَاطِيَتِي عَنْهُ الْعَدِثُ كَأَنَّمَا عَاطِيَتِي مِنْهُ أَتْنَةً^(١) الْحِرْيَالِ
 هَذَا عَلَى أَقَى تَزَعْتُ عَنِ الصَّبَا وَصَرَمْتُ مِنْ حُبِّ الْحَسَنِ حِبَالِي^(٢)
 حَسْبِي وَقَارًا فِي الدُّنَى إِذَا احْتَبَى وَتَجَاوَلُوا فِي الْفَخْرِ كُلُّ تَجَالٍ
 أَنَّى أَلُوذُ بِدَوْنِهِ نَصْرِيهِ حَلَيْتُ مَحْسِنَهَا يَكُلُّ كَمَالٍ
 حَيْثُ الْوُجُوهُ ضَبِيحَةٌ بِالْمَكْرَمَا تُ صَرِيحَةٌ وَالْعَزَّ غَيْرُ مَرَالٍ^(٣)
 حَيْثُ التَّكَاثُرُ سَنَهَا أَعْلَامُهَا مِنْ كُلِّ فَيَاضِ الدُّنَى مِفْضَالٍ
 يَبِضُّ الْأَيْدَى وَالْوُجُوهُ أَعِزَّةٌ قَدْ شَيْدُوا التَّلْيَا بِشُمْرِ عَوَالٍ
 هُمْ آلُ نَصْرِ نَاصِرُوا دِينَ الْهَدَى وَالْمُسْتَظْعَمُونَ لِيَخِيرَةَ الْأَرْسَالِ
 مَا شُنَّتْ مِنْ تَجْدٍ قَدِيمٍ شَادَهُ أَبْنَاءُ قَبِيلَةٍ أَشْرَفِ الْأَقْبَالِ
 مَا مِنْهُمْ إِلَّا أَعَزُّ مُجْجَلٌ يَلْقَى الْعَظَائِمَ وَهُوَ غَيْرُ مِبَالٍ
 مُبْتَلَسَمٌ وَالْيَوْمُ أَسْكَلَخَ عَابِسٌ وَالْحَرْبُ تَدْعُو بِالْكِمَاةِ نَزَالٍ
 قَدْعُوهُ النَّصْرَ الْعَزِيزَ وَخَوُّوهُ لَا فَتَحَ الْمُبِينِ بِمُلْتَقَى الْأَبْطَالِ
 بِذُلِّهِ^(٤) الْهَيْجَا كَرَامَتِهِ أَنْفُسٍ قَدْ أَرُخِصَتْ فِي اللَّهِ وَهِيَ عَوَالٍ
 يَأْتِيهَا التَّلَاكُ الْهَمَامُ الْمُجْتَبَى وَمُنْتَلَى دِينَ اللَّهِ خَيْرَ مَنَالٍ
 أَصْنَعْتَ وَارِثَ مَجْدِهِمْ وَفَخَارِهِمْ وَمُسْتَرْفِ الْأَمْصَارِ وَالْأَبْطَالِ
 وَطَلَعَتْ فِي أَفْقِ الْخِلَافَةِ تَبَرًّا تَجَلُّوْا ظِلَامَ الظُّلُمِ وَالْإِضْلالِ

(١) في ط : « ابتدا » .

(٢) كذا في م وفي ط : « وصرمت من حب الحنان حبالى » وفيه تحريف ظاهر .

(٣) في ط : « والمدر غير نوال » .

(٤) في ط : « الدما » . والتصويب عن م .

قُتَّتِ الْمُلُوكَ جَلَالَةً وَبَسَالَةً^(١) وَشَأَوْتَهُمْ^(٢) فِي الْحِلْمِ وَالْإِحْجَالِ
 أَعَدَّتْ مَحَاسِنُكَ الْمَعَاسِنَ كُلَّهَا فَجَعَلَهَا يُرْزَى بِكُلِّ جَمَالِ
 فَالْقَسْنُ نَأْخُذُ عَنْ جَبِينِكَ نَوْرَهَا وَالرُّوضُ يَنْفَعُ عَنْ كَرِيمِ خِلَالِ
 وَالرَّيْحُ تَحْمِلُ عَنْ ثَنَائِكَ حَلِيمَهَا فِي مُلْتَقَاهَا مِنْ صَبَا وَفِيَالِ
 وَالْعَيْثُ إِلَّا مِنْ نَدَاكَ مَبْخَلِ فَالْعَيْثُ يُقْلِعُ وَالنَّدَى مُتَوَالِي
 تُعْطَى الذِّي لَا فَوْقَهُ لَوْثُلِ وَتَجُودُ بِالْإِحْسَانِ قَبْلَ سُؤَالِ
 طَلَوَاتِ عَلَوِيِّ النُّجُومِ بِهَيْئَةٍ لَا فَاقِدًا عِزًّا وَلَا مِكْسَالِ^(٣)
 وَبَلَقَتْ مِنْ رَبِّ السَّمَاءِ مَبْلَغًا أَبْعَدَتْ فِيهِ مُرْتَقَاكَ أَعَالِي^(٤)
 وَقِيَّاسُ سَعْدِكَ فِي مَرَامِكَ كُلِّهِ يَقْضَى مُقَدَّمُهُ بِصَدَقِ التَّكَالِي
 لِمَنِ الْحَيَاةُ الصَّافِنَاتُ كَانَتْهَا فِي الْوَرْدِ أَشْرَابُ الْقَطْعِ الْأَرْسَالِ
 مِنْ كُلِّ مَلْعُومِ الْقَوَى عَيْلِ الشَّوَى مُرْخَى الْعَيْنَانِ مُحَقَّرِ^(٥) جَوَالِ
 لِمَنِ الْقِيَابُ الْحُمْرُ تَنْشَرُّ لِلنَّدَى فَتَغِيضُ لِلْعَافِينَ فَيَغِيضُ سَجَالِ
 لِمَنِ الْخِيَامُ الْبَيْضُ تَحْسِبُ أَنَّهَا زَهْرُ الْكَوَاكِبِ أُطْلِقَتْ بِحِيلَالِ^(٦)
 مُنْذَاخَةُ الْأَرْجَاءِ عَاطِيَةُ الذَّرَى فَكَانَتْهَا فِي الْوَهْدِ ثُمَّ جِبَالِ
 هُوَ مَظْهَرُ الْمَلِكِ الْقَلِيِّ وَتَمَطَّلُ النُّجُومِ الْجَلِيِّ بِمَرْقَبِ مُتَعَالِ
 آثَارُ مَوْلَانَا الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ بِذَرِ الْمُنْدَى لَا زَالَ حَافَتْ كُلِ

(١) كذا في م . وفي ط : « ورأسهم » .

(٢) المِكْسَالُ (كما في كتب اللغة) : من صفات الإمات . والوجه في مكسالة النصب .
ولكنه عدل عنه للقافية . وقد وقع منه هذا في غير موضعين من القصيدة .

(٣) كذا في م . وفي ط : « مرتقي أعالي » .

(٤) في ط : « حفص » .

(٥) في ط : « بجلال » .

فَهْ وَجْهَتِكَ الْبَيُّ نِلْنَا بِهَا
مَا شِئْتُ مِنْ حُسْنِ بَقْوَى كَالَهُ
كَ مِنْ عَجَائِبِ حَمْدِ أَظْهَرْتَهَا
أُمْتُ وَفُودُ النَّاسِ مِنْكَ مُمْلَكَا
حَادُوا مَوَاقِيتَ الْإِقْدَاءِ كَأَنَّهُمْ
فِيهِ عَيْنًا مَنْ رَأَى مَلِكَ الْعَلَا
فِي مَوَاسِمِ لَيْسُوا الْخُلُوصِ شِعَارَهُ
بَلَّغُوا بِهِ الْعَدَدَ الْكَثِيرَ وَكَلَمَهُمْ
يَهْنِي الْعَرَبِيَّةَ نِعْمَةً سَوَّعَتْهَا
قَدَسَتْ وَادِيهَا وَزُرَتْ خِلَالَهَا
وَكَسَوَتْهَا رُودُ الشَّبَابِ مَقُوقَا
مَوْلَايَ لَا أَحْصِي قَنَاءَكَ إِنَّهُ
أَعْلَيْتَ فِي أَفْقِ الْعِنَابَةِ مَظْهَرِي
ظَهَرْتَ بِدَائِي بِكُلِّ مَا أَمْلَيْتُهُ
لَمْ تَبْقِ لِي أَمَلًا وَمَا بَلَّغْتُهُ

ثم قال بعد ذكر بعض العيديات : ومن ذلك :

بُشْرَى كَا وَصَحَّ الصَّبَاحُ وَأَجْمَلُ
يُعْشَى سَنَاهَا كُلُّ مَنْ يَتَأَمَّلُ^(١)

(١) رامة : تطابق على أكثر من مكان . (انظر الحاشية رقم ٦ ص ١٠٨ من هذا

الجزء) . وألأل : جبل بمرقات .

(٢) كذا في م . وفي ط : « الأمانال » .

(٣) في فتح الطيب : « يتأمل » .

أبدى لها^(١) وجهَ النهارِ خلافةً
وَمَنَابِرُ الإِسْلَامِ بِأَمْلِكِ الْوَرَى^(٢)
تَجَلُّوْنَا الْأَكُونُ مِنْكَ حَاسِبًا
فَالشَّمْسُ تَأْخُذُ مِنْ جَيْدِكَ نُورَهَا
وَالرُّبُضُ يَنْدَحُ عَنْ ثَنَائِكَ طَيْبُهُ
وَالْبَرْقُ سَيْفٌ مِنْ سَيْفِكَ مَنْتَقِصِي
بِأَيْهَا لِّلَّيْلِ الَّذِي أَوْصَانُهُ
اللَّهُ أَطْلَاكَ الَّتِي لَا فَوْقَهَا
وَجْهٌ كَا حَسَر^(٣) الصَّبَاحِ نَقَابُهُ
تَلْقَاهُ فِي يَوْمِ السَّاعَةِ وَالْوَرَى
كَفَّ أَيْتَ الْأَنْكَفَ عَنْ النَّدَى
وَسَمَائِلُ كَالرُّبُضِ يَا كَرَهُ الْحَيَا
خُلُقُ ابْنِ نَضْرِ فِي الْجَمَالِ كَلْفُهُ
نُورٌ عَلَى نُورٍ نَأْبِي مَمْطَرٍ
فَاقَ الْمُلُوكَ بِسَيْفِهِ وَبِسَيْبِهِ
وَإِذَا تَطَاوَلَ لِلْفَخَارِ^(٤) عَمِيدُهُمْ
وَأَفْتَرَ مِنْ نَفْرِ الْأَقَاحِ مُقَبِّلُ
بُحْلَاكَ أَهْ بِحُلِيِّهَا تَنْكُتُ
تُرْمَى عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ وَتَنْقَلُ
وَالْبُشْرُ مِنْكَ بِوَجْهِهَا يَنْهَالُ
وَالْوَرَى فِيهِ بِالْمَسَاحِ تَهْدِلُ
وَالشَّعْبُ تَهْمِي مِنْ يَدِكَ وَتَهْمَلُ
دُرٌّ عَلَى جَيْدِ الزَّمَانِ مُفْضَلُ
وَحَبَاكَ بِالْفَضْلِ الَّذِي لَا يُحْمَلُ
لِضِيَائِهِ تَعْشُو الْبُدُورُ السَّكَلُ
وَالْبُشْرُ فِي وَجَنَاتِهِ^(٥) يَنْهَلُ
أَبْدًا فَإِنْ صَنَّ الْحَيَا تَسْتَرْسِلُ
وَسَرَتْ بِرِيَّاهُ الصَّبَا وَالشَّمَالُ
مَا بَعْدَهَا مِنْ عَابَةٍ تَنْكُتُ
فِي حُسْنِهِ لِيَوْمِئِذٍ مَا يَأْتِلُ
قَبِيلُهُ وَبِفَعْلِهِ يَتَمَثَّلُ
فَلَهُ عَلَيْهِ تَطَاوُلُ وَتَطَوُّلُ

[٢٠٠]

(١) كذا في م . وفي ط : « لنا » .

(٢) في نفع الطيب طبعة الأهرمية : « الملا » .

(٣) كذا في م . وفي ط : « حسن » . وقد مر هذا التنبيه في قصيدته الرائية حيث

يقول :

وجه كاحسر الصباح نقابه

(٤) في نفع الطيب : « جناته » .

(٥) كذا في م ونفع الطيب . وفي ط : « للعبيد » .

يا آية الله التي أنوارها
 قل للذي التبت معالم رُشدِهِ
 هيات قد وضع الطريق الأمثل
 وحى عربن الملك أغلب مُشيل^(١)
 ما بعده للذي الخلافة مامل
 وعلفت منها عروة لا تفصل
 والعيش إلا من نذاك مُبخل
 والعيش إلا في جنابك مُمحل
 حيث المفاهم للمفاة تنقل
 قد قام^(٢) في أرجائهن اللندل^(٣)
 عز النقي بر وذلك المبطل
 قوراهم ملك يقول ويقبل
 أحكامه مستندرجاً لا يهمل
 أشد العدا^(٤) من حولها تنسل
 لك فيهم النفى التي لا تجبل
 فلانت أكنى والعناية أكمل
 آوى إليك وأنت نعم المولى
 ولجفت من وزر الصنائع منهل
 يا ناصر الإسلام وهو فريسة
 يا فخر أندلس وعصمة أهلها
 لا يهمل الله الدين رعيته
 لا يبعد النضر العزيز فائة
 لولا نذاك لما نفع الندى

[٢٠٦]

(١) ق ط : « مشيل » . وفي نفع الطيب : « أميل » . والنصوب عن م .

(٢) كذلك في الأصلين . وفي نفع الطيب : « عام » .

(٣) اللندل : المود .

(٤) في نفع الطيب المطبوع : « يدفع نومه » . وفي المخطوط : « يرفع رأسه » .

(٥) في نفع الطيب : « الفلا » .

لَوْلَاكَ كَانَ الدِّينُ ^(١) يُفْطَحُ حَقَّهُ
لَسَكُنَ جَنَّةُ النَّفْسِ مِنْ شَجَرِ الْفَنَاءِ
فَلَعَالَمَا ^(٢) اسْتَفْتَحْتَ كُلَّ مُنْعَةٍ
وَمَتَى تَزَلَّتْ بِمَقِيلٍ مُتَأَسِّبٍ
وَإِذَا غَرَوَاتٍ فَإِنَّ سَمْدَكَ ضَامِنٌ
فَمَنْ السُّعُودِ أَمَامَ جَيْشِكَ مَوْكِبٌ
وَكَيْفَ يَفِي أَرْذَقَتَهَا بِكَتِيبَةٍ
مِنْ كُلِّ مَنْخَفِزٍ كَلِمَةٍ بَارِقَةٍ
أَوْفَى بِهَا دِ كَالظُّلُمِ وَخَلْفَهُ
حَتَّى إِذَا مَلَكَ الْكَمِيُّ عَيْنَانَهُ
سَحَلَتْ أَسُودَ كَرِيمَةٍ يَوْمَ الْوَعَى
لَيْسُوا الذُّرُوعَ عَدَاوَرًا مَصْنُوعَةً
مِنْ كُلِّ مُعْتَدِلٍ الْقَوَامِ مُتَقَفٍ
أَذْكَتَ فِيهِ شُعْلَةً مِنْ نَحْلٍ
وَكُرْبَ لَمَاعِ الصَّقَالِ ^(٣) مُتَمَرٍّ
رَفَّتْ مَضَارِبُهُ وَزَاقَ فَرْنُهُ
فَإِذَا الْحُرُوبَ تَسَعَّرَتْ أَجْزَالُهَا
وَلَسَكَانَ دَبْنَ النَّصْرِ فِيهِ مُبْطَلٌ
وَجَنَى الْفُتُوحِ لِمَنْ عَدَاكَ مُمَقَّلٌ ^(٤)
مِنْ دُونِهِ بَابُ اللَّطَائِمِ مُمَقَّلٌ
فَالْمَعْمُومِ مِنْ شَهْمَاتِهِ ^(٥) تُسْتَعْرَكُ
أَلَا تَخِيبَ وَأَنْ قَصْدَكَ يَكْمُلُ
وَمِنْ اللَّذَائِكِ دُونَ جَنْدِكَ جَحْمَلٌ
وَالْخَيْلُ تَمْرَحُ فِي الْحَدِيدِ وَتَرْدُلُ ^(٦)
بِالْبَدْرِ يُسْرِجُ وَالْأَهْلُ يُنْعَلُ
كَفَلْ كَمَا مَاجَ الْكَتِيبُ الْأَهْلُ
يَهْوَى كَمَا يَهْوَى بَحْرُ أَجْسَدَلِ
مَا غَايَهَا إِلَّا الْوَشِيحُ الذَّبَلُ
وَالشُّعْرُ قُضِبُ فَوْقَهَا تَهْدَلُ
لَسَكَنَهُ دُونَ الضَّرِيبَةِ بَعْسِلُ
يُهْدَى بِهَا إِنْ صَلَّ عَنْهُ الْمَقْتَلُ
سَاضٍ وَلَكِنْ رَقْلُهُ مُسْتَقْبَلُ
فَالْحُسْنُ فِيهِ يُجْتَلُ وَمَقْصَلُ
يَنْسَابُ فِي يُنْثَاكَ مِنْهُ جَدُولُ

(١) كَذَا فِي نَفْحِ الطَّيْبِ الْمُطَوِّعِ وَالطَّبِيرِ . وَفِي م : « الطَّيْنِ » .

(٢) فِي نَفْحِ الطَّيْبِ : « مَوْكِبٌ » .

(٣) كَذَا فِي نَفْحِ الطَّيْبِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « وَالْبَيْلُ مَا » .

(٤) الشَّعْمَاتُ : رُءُوسُ الْجِبَالِ ؟ الْوَاحِدَةُ : شُعْلَةٌ (بِالتَّحْرِيكِ) .

(٥) كَذَا فِي نَفْحِ الطَّيْبِ . وَفِي الْأَصْلِ : « تَرْدُلُ » .

(٦) كَذَا فِي نَفْحِ الطَّيْبِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « الْعَصِيلُ » .

وَإِذَا دَجَا لَيْلُ الْقَتَامِ رَأَيْتَهُ وَكَأَنَّهُ فِيهِ دُبَالٌ مُشْقَلٌ
فَانْجَبَ لَهَا مِنْ جَذْوَةٍ لَا تَنْطَلِقُ فِي أَبْحُرٍ زَعَرَتْ وَمِنْ الْأَنْكَلِ
هِيَ سُنَّةٌ أُخْبِنَتْهَا وَفَرِيضَةٌ أَدْبَتَهَا فَرْمُ بَانُهَا تَنْقَبِلُ
فَإِذَا الْمُلُوكُ تَفَاخَرَتْ بِجَاهِدِهَا (١) فَلَأَنْتَ أَحَقُّ بِالْجِهَادِ وَأَحْفَلُ
يَا بَنَ الَّذِينَ جَمَالُهُمْ وَنَوَالُهُمْ تَحْمُسُ الضَّحَى وَالْمَارِضُ التَّهْلُكُ
يَا بَنَ الْأَمَامِ ابْنَ الْإِمَامِ ابْنَ الْإِمَامِ مِ ابْنِ الْإِمَامِ وَتَقْدَرُهَا (٢) لَا يُجْهِلُ
آبَاؤُكَ الْأَنْصَارُ فَتِلْكَ شِعَارُهُمْ فَلَمَّحَتْهُمْ آوَى النَّبِيِّ الرَّسَلُ
كُهُمُ الْأَلَى تَصَرُّوا الْهَدَى بِمَزَامِيرِ مَصْفُوتِهِ وَبَصَائِرِ لَا تُخْذَلُ
مَاذَا يُحْدِثُ شَاعِرٌ فِي مَذْهَبِهِمْ وَبِقَضَائِهِمْ أَشْفَى الْكِتَابِ لِلنَّزَلِ
مَوْلَايَ لَا أُخْفِي تَأْتِرَكَ النَّحْيُ بِحَدِيثِهَا تَحْمِي (٣) الْمَطْلَى الذَّالِ
وَإِذَا الْخَفَائِقُ لَيْسَ يُدْرِكُ كُفْهَهَا سَيِّانٍ فِيهَا مُسَكَّرٌ وَمُتَالِ
كَأَلَيْسَ مِنْ شَوَالِ عُرْمَةٍ وَجِهَةٍ أَهَذَا كَمَا يَوْمٌ أَغْرَى مُحْجَلٌ
عَذْرَاءُ رَاقٍ الْعِيدَ رَوْنَقُ حُسْنِهَا قَدْ بَنَظَمَ (٤) حُلِيِّهَا يَنْجَمِلُ
رَضَعَتْ لِبَانِ الْعِلْمِ فِي حِجْرِ النَّهْيِ فَوَقَّتْ لَهَا مِنْهُ ضُرُوعُ حُمَلِ
سَلَكَ الْبَيَانُ لَهَا سَبِيلَ إِجَادَةٍ لَوْلَا صِفَانُكَ كَانَ عَنْهَا يَعْدِلُ
جَاءَتْ مُهَيَّيَ الْعِيدِ أَيْمَنَ قَادِمِ (٥) وَافِي بِشَهْرِ صِيَامِهِ يَتَوَسَّلُ
وَطَلَوَى الشُّهُورَ مَرَّاحِلًا مَعْدُودَةً كَبَا يَرَى بِنَفَاةٍ جُودُكَ يَنْزِلُ

[٣٠٧]

(١) في نفع الطيب : « بمجدودها » .

(٢) كذا في نفع الطيب . والذي في الأصلين : « ومثلها » .

(٣) في م ونفع الطيب : « تنصى » .

(٤) كذا في م ونفع الطيب . وفي ط : « بحسن » .

(٥) في الأصلين : « فام » . وما أمبتناه عن نفع الطيب .

وَأَتَى وَقَدْ شَفَّ الثُّحُولُ هِلَالَهُ
وَكَشَوْفِهِ لِقَاءَ وَجْهِكَ بَنَحْلَ
عَقَدَتْ بِمَرْقَبِهِ الْعَيْنُ مَسَرَّةً
فَمَكْبَرٍ لِبُلُوعِهِ وَمُهْلَلُ
قَاشِمٍ لِأَلْفٍ مِثْلِهِ فِي غِيْطَةٍ
ظِلُّ الْمُنَى مِنْ فَوْقِهَا بَنَهْدَلُ
فَإِذَا بَقِيَتْ لَنَا فَكْلُ سَمَادَةٍ
فِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا بِهَا تَنَكْفَلُ

ثم قال بعد إيراد جملة قصائد :

ومن أناشيده في
المواسم العفوية

ومن جياذ أناشيده المتميزة بالسبقية ، وبارقات نهائيه في المواسم العفوية ،
قوله بهينه ، رضوان الله تعالى عليه ، بطولع مولانا الولد قدسه الله تعالى :

طَلَعَ الْمِثْلَالُ وَأَفَقَهُ مُهْلَلُ
مَكْبَرٍ لِبُلُوعِهِ وَمُهْلَلُ
أَوْفَى عَلَى وَجْهِ الصَّبَاحِ بِمَرْقَةٍ
فَقَدَا الصَّبَاحُ بِنُورِهَا يَتَجَمَّلُ
شَمْسُ الْخِلَافَةِ قَدْ أَمَدَّتْ نُورَهُ
وَبَسْمَدِهَا يَرْجُو التَّامُ وَيَكْمُلُ
لِللَّهِ مِنْهُ هِلَالُ سَعْدٍ طَالِعُ
لِنِيبَاتِهِ تَعْمُشُ الْبُذُورُ الْكَثْلُ
وَأَلْعَتْ بِأَشْمَسِ الْمَدَائِدِ كَوْكَبُ
يُبْعِثُ سَنَاءَ كُلِّ مَنْ يَتَأَمَّلُ
وَالنَّجَاحُ تَاجُ الْبَذْرِ فِي أَفْقِ الْمَلَا^(١)
مَا زَالَ بِالزُّهْرِ النُّجُومُ بِكَلَالِ
وَلَنْ حَوَى كُلُّ الْجَمَالِ فَإِنَّهُ
بِالشَّهْبِ أَبْهَى مَا يَكُونُ وَأَجْمَلُ
أُطْلَعَتْ يَا بَدْرُ الصَّبَاحِ هِلَالَهُ
وَالدُّلْكُ أَفْقُ الْخِلَافَةِ مَنَزِلُ
يَبْدُو بِهَا كَلَّتِ الشُّرُوحُ وَإِنَّهُ
مِنْ نُورِ وَجْهِكَ فِي الْمَلَا يَسْتَكْمِلُ
قَدَرَتْ عِطْفَ الْمَلِكِ مِنْهُ صَارِمًا
بِقُنَائِهِ وَمَصَانِيهِ يُبْتَمَلُ
خَلِيقَتُهُ بِحُلَى الْكَمَالِ وَتَجُورُ الْخُلُقِ النَّفِيسِ وَكُلِّ خَلْقٍ يَحْمِلُ
يَفْزُو أَمَامَكَ وَالسُّعُودُ أَمَامَهُ وَمَلَانِكُ السَّبْعِ الْمَلَا تَنْتَزِلُ

[٣٠٨]

(١) في الأسلين : « السبا » ، وما أعتناه عن فتح الطيب .

مَنْ مُبْلِغُ الْأَنْصَارِ مِنْهُ بَشَارَةٌ عُرُ الْبَشَائِرِ بَعْدَهَا تَسْقُرِلُ
 أَحْيَا جِهَادَهُمْ وَجَدَّدَ فَخْرَهُمْ بَعْدَ اللَّيْسِينَ فَلَمَّكَهُمْ بَقَاتِلُ
 فِيهِ إِلَى الْأَجْرِ الْجَزِيلِ تَوَصَّلُوا وَبِهِمْ إِلَى رَبِّ السَّمَاءِ يَتَوَسَّلُ
 مَنْ مُبْلِغُ الْأَذْوَاءِ مِنْ بَيْنِ وَهُمْ قَدْ تَوَجَّعُوا وَتَمَلَّكُوا وَتَقَيَّلُوا
 أَنَّ الْحِلَافَةَ فِي بَيْنِهِمْ أَطْلَعَتْ قَرَأَ^(١) بِرِ سَعْدُ الْخَلِيفَةِ يَكْمُلُ
 مَنْ مُبْلِغُ قُحْطَانِ أَسَادِ الشَّرَى مَا غَايَهَا إِلَّا الْوَشِيحُ^(٢) الذَّبِلُ
 أَنَّ الْحَلِيمَةَ وَهُوَ شَيْلُ لُيُونِهِمْ قَدْ حَاطَ مِنْهُ الدَّيْنُ لَيْثُ مُشِيلِ
 يَهْنِي بَنِي الْأَنْصَارِ أَنَّ تَمْلِكُهُمْ^(٣) قَدْ بَلَّغَتْهُ سَعُودُهُ مَا بَأْمَلِ
 يَهْنِي الْبُنُودَ فَأَيُّهَا سَتَطْلُهُ وَجَنَاحُ جِبْرِيلَ الْأَمِينِ يَطْلُلُ
 يَهْنِي الْجِيَادَ الصَّافِيَاتِ فَأَيُّهَا يَفْتُوحِهِ تَحْتَ الْفَوَارِسِ تَهْدِلُ
 يَهْنِي لِلذَّاكِي وَالْعَوَالِي وَالطُّهَى فِيهَا إِلَى نَبِيلِ اللَّيْلِ يَتَوَصَّلُ
 يَهْنِي الْمَعَالَى وَالْمَفَاخِرَ أَنَّهُ فِي مُرْتَفَعِ أَوْجِ الْمَسَالِ يَتَوَقَّلُ
 سَبَقَتْ مُقَدِّمَةُ الْفَتْوحِ قَدُومَهُ وَأُنَاكَ وَهُوَ الْوَادِعُ الْمُتَمَوَّلُ^(٤)
 وَدَنَتْ نُجُومُ السَّعْدِ قَبْلَ طُلُوعِهِ تَجْلُو الْمَطَالِعَ قَبْلَهُ لَا تَأْأَلُ^(٥)
 وَرَوَتْ أَحَادِيثَ الْفَتْوحِ غَرَابِهَا وَالنَّصْرُ بِعِلَى وَالْبَشَارُ تَنْقُلُ
 أَتَقَتِ إِلَيْكَ بِهِ السُّعُودُ زَمَانَهَا فَالسَّعْدُ يُمِضِي مَا تَقُولُ وَيَعْمَلُ
 فَالْفَتْحُ مِنْ مُعْجَلٍ وَمُؤَجَّلٍ يُنْفِيسُكَ مَاضِيَهُ الَّذِي يُسْتَعْمَلُ

(١) في الأصلين : « غرأ » . وما أبتناه عن نفع الطيب .

(٢) في ط : « الشبيح » . والنصبوب عن نفع الطيب .

(٣) في م ونفع الطيب : « إملمهم » .

(٤) في الأصلين : « التمسك » . وما أبتناه عن نفع الطيب .

(٥) كذا في ط . والذي في م ونفع الطيب : « وتؤئل » .

أَوَّلَيْسَ فِي شَأْنِ الْمَسِيرِ دَلَالَةٌ أَنِ الْقَاصِدَ مِنْ طَلَابِكَ تَكَلُّ
 نَادَاهُمْ دَاعِيَ الضَّلَالِ فَأَقْبَلُوا وَدَعَاهُمْ دَاعِيَ الْمَنُونِ فَجَدُّوا
 عَصَوْا الرُّسُولَ إِبَاقَةً وَنَحَكَمَتْ فِيهِمْ سَيُوفُكَ بِمَدَهَا فَاسْتَعْمَلُوا
 كَانُوا جِبَالًا قَدْ عَلَتْ هَضَبَاتُهَا نَسَفَتْهُمْ رِيحُ الْخِلَادِ فَوَزُلُوا
 كَانُوا بِحَارًا مِنْ حُدَيْدٍ زَاخِرٍ أَذْكَتَهُمْ نَارُ الْوَعْيِ فَتَسَيَّلُوا
 رَكِبَتْ أَرْجُلُهَا الْأَدَامَ كُلَّهَا يَتَحَرَّكُونَ إِلَى قِيَامِ تَهْجَلِ
 كَانَ الْحَدِيدُ لِبَاسِهِمْ وَشِعَارِهِمْ وَالْيَوْمَ لَمْ تَلْبَسْهُ إِلَّا الْأَرْجَلِ
 اللَّهُ أَعْطَاكَ الَّتِي لَا فَوْقَهَا فَتَحَا بِرِ دِينِ الْهُدَى يَتَأَنَّلِ
 جَدَّدْتَ لِلْأَنْصَارِ حَتَّى جَوَادِهِمْ فَالِدِينِ وَالْدُنْيَا بِهِ تَنْجَلِ
 مَنْ يَتَّخِذِ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ وَزَمَنًا وَالْوَفْدَ وَفَدُ اللَّهِ فِيهِ يَنْزِلِ
 مُتَسَابِفِينَ إِلَى مَثَابِغِ رَحْمَةٍ مِنْ كُلِّ مَا حَذَّبَ إِلَيْهِ تَنْزِلِ
 هِنًا كَأَفْوَاجِ الْقَطَا قَدْ سَاقَهَا نَظْمًا شَدِيدَ وَاللَّطَافِ التَّنَهَلِ
 مِنْ كُلِّ مَرْفُوعٍ إِلَّا كَفَّ ضَرَاعَةً وَالْقَلْبَ يَخْفِقُ وَالْمَدَامُ تَهْمَلِ
 حَتَّى إِذَا زَوَتْ الْحَدِيثَ مُسَلَّسًا بِيضِ الصَّوَارِمِ وَالرَّمَاحِ الْمُسَلِّ
 عَنْ فَتْحِكَ الْأَشْيَءِ عَنِ الْجَيْشِ الَّذِي بَنِيَاتِهِ أَهْلُ الْوَعْيِ تَتَمَلَّلِ
 أَهْدَتْهُمْ السَّرَاهُ نُصْرَةً دِينَهُمْ وَاسْتَبَشَرُوا بِحُدَيْثِهَا وَهَلَّلُوا
 وَتَنَاقَلُوا عَنْكَ الْحَدِيثَ مَسْرُورَةً بِمَنَاجِعِهِ وَاهْتَزَ ذَلِكَ لِلْخَفَلِ
 وَدَعَوْا بِنَصْرِكَ وَهُوَ أَعْظَمُ مَقْعَرًا إِنْ الْحَاجِجُ بِنَصْرِ مَلِكِكَ يَحْفَلِ
 فَاهْنَأْ عَمَلُكَ وَاعْتَمِدْ شُكْرًا بِهِ لَطْفَ الْإِلَهِ وَصُنْمَهُ تَنْخَوَّلِ
 شُرُفَتْ مِنْهُ بِاسْمِكَ وَالْبُكَ الرِّضَا يَحْبَا بِهِ مِنْهُ السَّكْرِمُ الْمُفْضَلِ

[٣٠٩]

أَبْدَيْتَ مِنْ حَسَنِ الصَّنِيعِ عَجَابًا تُرَوِّى عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ وَتُنْقَلُ
خَفَقَتْ بِهِ أَعْلَامُكَ الْحُرِّ الَّتِي بِخَفَقَتِهَا النُّصْرُ الْعَزِيزُ مُوَكَّلُ
هَدَّرَتْ طَبُولُ الْمَرْحَاحِ ظِلَالُهَا عَنْوَانُ فَتَحَ إِزْرَافُهَا يُسْتَفْجَلُ
وَدَعَوَتْ أَشْرَافَ الْبِلَادِ وَكَأَنَّهُمْ بُنَى الْجَمِيلِ وَصَنَعُ جُودِكَ أَجَلُ
وَرَدُّوا وَرُودَ الْهَيْمِ أَجْهَدَهَا ظَلَمًا فَصَا لَمْ مِنْ وَرْدِ كَفِّكَ مَهْلُ
وَأَثَرَتْ فِيهِ لِلطَّرَادِ فَوَارِسًا مِثْلَ الشَّمْسِ وَجُوهَهُمْ تَهْلَلُ
مِنْ كُلِّ وَضَاحِ الْجَبِينِ كَأَنَّهُ نَجْمٌ وَجَنَحُ النِّقَمِ لَيْلُ مُسْتَبَلُ
يَرِدُ الطَّرَادَ عَلَى أَغْرَ مُجْجَلٍ فِي سَرَجِهِ بَطْلُ أَغْرَ مُجْجَلُ
قَدْ عَوَّدُوا قَنْصَ الْبِكَاءِ كَأَنَّمَا عَقَبَانِهَا يَنْقَضُ مِنْهَا أَجْدَلُ
يَسْتَقْبِعُونَ هَوَادِجًا مَوْشِيَّةً مِنْ كُلِّ بَدْعٍ فَوْقَ مَا يُتَعَجَّلُ
قَدْ صُوِّرَتْ مِنْهَا غَرَائِبُ حَجَّةٍ تُنْبِئُ عَنْ غُفُولِ النَّاسِطِينَ وَتُذْهِلُ
وَتُضْمِنُ جَزَلَ الْوَقُودِ مُحْوَلًا وَالنُّصْرَ فِي التَّحْقِيقِ مَا هِيَ تَحْمِلُ
وَالْعَادِيَاتُ إِذَا تَلَّتْ فُرْسَانُهَا آتَى الْقِتَالِ صُفُوفُهَا تَتَرْتَّلُ
[لِلَّهِ خَيْلُكَ لَهَا لِسَوَاحٍ] بِحَرِّ الْقِتَامِ وَمَوْجِهِ مَهْلَلُ
مِنْ كُلِّ بَرْقٍ بِالْقَرَى مُلْجَمٍ بِالْبَدْرِ يُسْرَجُ وَالْأَهْلَةُ يُنْعَلُ
أَوْ فِي بَهَادٍ كَالْفَلَمِ وَخَلْفَهُ كَقَلِّ كَامَاجٍ ^(١) السَّكَيْبِ الْأَهْلِلُ
هَنْ الْبَوَارِقِ غَيْرَ أَنْ جِيَادَهَا عَنْ سَبْقِ خَيْلِكَ يَا مُؤَيَّدَ نَسْكَالٍ ^(٢)
مِنْ أَشْهَبِ كَالصَّبْحِ يعلو سَرَجُهُ صُبْحٌ بِهِ نَجْمُ الضَّلَالَةِ بَافُلُ
أَوْ أَدْمَهُمْ كَالْأَيْلِ قُلْدٌ يُنْبَهُ خَاضَ الصَّبَاحَ فَأَتْبَقَتْهُ الْأَرْجُلُ

[٢١٠]

(١) في نفع الطيب : «لاح» .

(٢) كفا في ط و نفع الطيب ؟ وفي م : «تشكل» .

أو أَشْفَرُ سَالِ النَّصَارَ يَعْلَفُهُ وكساه حِصْفَةً بِهِجَةً لَا تَنْصُلُ
 أو أَتَحَرَّ كَالْجَرِّ أَضْرَمَ بَأْسُهُ بِالرُّكُضِ فِي يَوْمِ الْخَفِيفَةِ يُشْتَلُ
 كَالْجَرِّ أَثْرَعَ كَأْسَهَا لِنَدَائِهَا وَبِهَا حَبَابَةٌ غُرَّةٌ تَقَسَّلُ
 أو أَصْفَرُ لِبَسِ الْقَيْشِيِّ مَلَامَةٌ وَبَذِيلُهُ لَلَّيْلُ ذَيْلُ مُسْتَلِ
 أَجَلَتْ فِي هَذَا الصَّنِيعِ عَوَالِدَا الْجُودِ فِيهَا مُجْتَمَلٌ وَمَفْعَلُ
 أَنْشَأَتْ فِيهَا مِنْ تَدَاكٍ غَمَامَا بِالْفَضْلِ تَنْشَأُ وَالنَّمَاةُ تَنْهَلُ
 فَجَعَلَتْ مِنْ كَقَيْكِ عَشْرَةُ أَجْرٍ تَرْجِي سَحَابَ الْجُودِ وَهِيَ الْأَخْلُ
 مِنْ قَاسٍ كَمَكٍ بِالْعَامِ قَابَهُ جَهْلُ الْقِيَاسِ وَمِثْلُهُ لَا يَجْهَلُ
 تَسْخُو الْعَامَ وَوَجْهَهَا مَتَجْهَمُ وَالْوَجْهَ مِنْهُ مَعَ النَّدَى يَتَهَلَّلُ
 وَالسَّحْبُ تَسْمَحُ بِالْمِيَاهِ وَجُودِهِ ذَهَبَ بِهِ أَهْلُ الْغَنَى تَتَوَلَّ
 مِنْ قَاسٍ بِالشَّمْسِ الْمَنِيرَةِ وَجْهَهُ أَلْقَيْتُهُ فِي حَكَمِهِ لَا يَمْدُلُ
 مِنْ أَيْنَ لِلشَّمْسِ الْمَنِيرَةِ مَسْطِقُ بَيَانُهُ دُرُّ الْكَلَامِ يُفْصَلُ
 مِنْ أَيْنَ لِلشَّمْسِ الْمَنِيرَةِ رَاحَةٌ تَسْخُو إِذَا بَخَلَ الزَّمَانُ الْمُتَحَلُّ
 مِنْ قَاسٍ بِالْبَسْدَرِ الْمَنِيرِ كَالْهَ فَالْبَدْرُ يَنْقُصُ وَالْخَلِيفَةُ يَكْمُلُ
 مِنْ أَيْنَ لِلْبَسْدَرِ الْمَنِيرِ شِمَائِلُ تَدْرِي بَرِّيَّتَاهَا الصَّبَا وَالشَّهَائِلُ
 مِنْ أَيْنَ لِلْبَسْدَرِ الْمَنِيرِ مَنَاقِبُ بِجَهَادِهَا مُنْذَمَى الْهَطَى الدَّائِلُ
 يَا مَنْ إِذَا نَفَحَتْ نَوَاسِمُ حَمْدِهِ فَلَمَّا لَكَ يَدَبُ طَيْبِهِ وَالْفَنْدِلُ
 يَا مَنْ إِذَا لَمِعَتْ نَحَاسِنُ وَجْهِهِ تَعْشُو الْعَيْرِينَ وَيُيَهِّزُ النَّامِلُ
 يَا مَنْ إِذَا تَلَيْتَ مَغَاخِرَ قَوْمِهِ آتَى الْكِتَابَ بِذِكْرِهِا تَنْتَزِلُ
 كَقَدَّرَ الْخِلَافَةَ مِنْكَ يَا مَلِكَ السَّلَا وَاللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ بِكَ أَكْفَلُ
 مَأْمُونُهَا وَأَمِينُهَا وَرَشِيدُهَا مَنصُورُهَا مَهْدِيَّتُهَا الْمُتَوَكَّلُ

[٣١١]

حَسْبُ الْخِلَافَةِ أَنْ تَكُونَ وَلِيَّهَا وَبِحَبِيرِهَا مِنْ كُلِّ مَنْ يَنْخَبِلُ
 حَسْبُ الزَّمَانِ أَنْ تَكُونَ إِمَامَهُ فَلَهُ بِذَلِكَ عِزَّةٌ لَا يَهْتَلُ
 حَسْبُ الْمُلُوكِ أَنْ تَكُونَ عَمِيدَهَا تَرْجُو التَّدْيَ مِنْ رَاحَتِكَ وَتَأْمَلُ
 حَسْبُ الْمَعَالِي أَنْ تَكُونَ رِعَادَهَا^(١) فَعَلَيْكَ أَطْنَابُ الْمَفَاخِرِ تُسَدِّلُ
 يَا حُجَّةَ اللَّهِ الَّتِي بَرَهَانُهَا عَنْ الْمَحِقِّ بِهِ وَذُلُّ الثُّبُهَالِ
 أَنْتَ الْإِمَامُ ابْنُ الْإِمَامِ ابْنُ الْإِمَامِ مِثْلُ الْإِمَامِ وَفَرَحُهَا لَا يُعَدَّلُ
 عَلِمْتَ حَتَّى لَمْ تَدْعَ مِنْ جَاهِلٍ أُعْطِيتَ حَتَّى لَمْ تَدْعَ مِنْ يَسْأَلُ
 وَعِنَايَةُ اللَّهِ اشْتَمَلَتْ رِذَائَهَا وَعَلِمْتَ^(٢) مِنْهَا عُزُوءٌ لَا تُفْصَلُ

اتصل بهذا البيت جملة أبيات من القصيدة المترجمة^(٣) في العبيدات التي أولها :

بشرى كما وضع الصباح وأجل

وحذفناها من هذه اقتصاراً للتكرار ، وزاد في هذه :

أَخَذْتُ قُلُوبَ الْكَافِرِينَ مَهَابَةً فَعُتُوهُمْ مِنْ حَوْرِيهَا لَا تَنْقَلُ
 حَسِبُوا الْبُرُوقَ صَوَارِمًا مَسْلُوكَةً^(٤) أُرْوَاهُمْ مِنْ بَأْسِهَا تَنْسَلُ^(٥)
 وَتَرَى النُّجُومَ مَنَاصِلًا مَرُوءَةً فَيَقِرُّ مِنْهَا الْخَائِفُ التَّنْقَلُ
 يَا بَنَ الْأَلَى إِبْجَاهُكُمْ وَمَهْلُكُمْ شَمْسُ الضُّحَى وَالْعَارِضُ الْمُتَهَلُّ
 مَوْلَايَ لَا أَخْصِي مَا تَرَكْتُ الَّتِي بِجِهَادِهَا يَتَوَسَّلُ التَّوَسَّلُ

(١) كذا في م وفي ط : « عميدها » . وفي نفع الطيب : « إمامها » .

(٢) في الأصل ها : « ومسكت » .

(٣) كذا في م . وفي ط : « التوجهة بالعبيدات » .

(٤) كذا في ط ونفع الطيب . وفي م : « مسقولة » .

(٥) في م : « تنسيل » .

أَصْبَحْتُ فِي ظِلِّ أَمْتِدَاحِكَ سَاجِدًا ظِلُّكَ ^(١) لَلَّتِي مِنْ قَوْفِهِ يَبْهَدِلُ
 طَوْفُهُ طَوْفُ الْخَلَاءِ أُنْعَمًا فَنَدَا بِشُكْرِكَ فِي الْخَافِلِ يَبْهَدِلُ
 قَالِيكَ مِنْ صَوْنِ ^(٢) الْعُقُولِ عَقِيلَةً أَهْدَا كَهَا صَنَعُ أَغْرُ مُحْجَلُ
 عَذْرَاءَ رَاقِ الصُّنْعِ رَوْنُ حُسْنِهَا فَنَدَا يَنْظُمُ حُلِيِّهَا بِسُكَّالُ
 خَيْرَتَهَا بَيْنَ الْتِي قَوَّجَدْتُهَا أَقْصَى مَنَاهَا أَنَهَا تُنْقَبِلُ
 لَا زِلْتُ نَحْسًا فِي سَمَاءِ خِلَافَةٍ وَهَلَاكَ الْأَمْسَى بَيْنُ وَبِكَلُ

وله في بعض نزه مولاه في شليل
 ثم قال بعد ذكر جملة من نظمه : ومن رقيق منازعه في بعض نزه مولانا
 رضوان الله عليه بالفسر الساطع من شليل قوله :

نَفْسِي الْقِدَاهُ لِشَادِنِ مَهْمَا خَطَرُ فَأَتَقَابُ مِنْ مَهْمِ الْجُؤُولِ عَلَى خَطَرُ
 فَصَحَّ الْغَزَالَةُ وَالْأَفَاحَةُ وَالْقَنَا مَهْمَا تَنَنَّى أَوْ تَبَسَّمَ أَوْ نَظَرُ
 عَجَبًا لِلْبَلِّ دَوَائِبُ مِنْ سَمَرِهِ وَالْوَجْبُ مِنْهُ عَنْ صَبَاحِ قَدْ سَمَرُ
 عَجَبًا لِعَقْدِ الثَّغْرِ مِنْهُ مُنْظَلًا وَالْعَقْدُ مِنْ دَمْعِي عَلَيْهِ قَدْ انْتَرُ
 مَا رُمْتُ أَنْ أَجْنِي الْأَفَاحَ يَنْفَرِهِ إِلَّا وَقَدْ سَلَّ السُّيُوفُ مِنَ الصُّورِ
 لَمْ أَنْتَ لَيْلُ ارْتِقَابِ هَلَالِهِ وَالْقَلْبُ مِنْ شَكِّ الطُّهُورِ عَلَى غَرَرِ
 يَفَنَّا فُرَاقِهِ بِأَوَّلِ آيَاتِهِ فَإِذَا بَرَقَ لَاحُ فِي نِصْفِ الشَّهَرِ
 طَلَعَتْهُ فِي رَوْضَةٍ كَخِلَالِهِ وَالطَّيْبُ مِنْ هَذِي وَتِلْكَ قَدْ أَشْتَرُ
 وَكَلَامَهَا يُبْدِي مَحَاسِنَ جَمَّةَ مِلْءُ التَّشَامِيرِ ^(٣) وَالسَّامِعِ وَالْبَصَرِ
 وَالسَّكَّاسُ نَطَاعُ تَحْسُسِهَا فِي حَذِّهِ فَتَكَادُ تَعْمَى بِالشَّيْءِ مَنْ نَظَرُ

[٣١٢]

(١) في نفع الطيب : « ظل » .

(٢) في نفع الطيب : « صوغ » .

(٣) كذا في موط . وفي نفع الطيب المخطوط والطبوع : « التسم » .

نُورِيَّةٌ كَجَبِينِهِ وَكَلَاهُمَا ^(١) يَجْلُو ظِلَامَ اللَّيْلِ بِالْوَجْهِ الْأَعَزَّ
 هِيَ شَبِيهَةٌ ^(٢) لِلشَّيْخِ فِيهَا نِسْبَةٌ مَا إِنْ يَرَا أَيْرَعَانِ مِنَ الْكَثِيرِ
 أَفْرَغَتْ فِي جِسْمِ الزُّجَاجَةِ رُوحَهَا قَرَأَتْ رُوحَ الْأُنْسِ مِنْهَا قَدْ بَهَرِ
 لَا تَسْقِي غَيْرَ الرُّوحِ فَضْلَةً كَأَمِهَا قَالَتْصُنْ فِي ذَبْلِ الْأَزَاهِرِ قَدْ عَمِرَ ^(٣)
 مَا هَبَّ خَفَاقُ النَّسِيمِ مَعَ السَّحَرِ إِلَّا وَقَدْ شَاقَ الدُّمُوسُ وَقَدْ سَحَرِ
 نَاجِيَ الْقُلُوبِ الْخَافِقَاتِ كَمِثْلِهِ ^(٤) وَرَوَى عَنِ السَّحَّالِكِ مِنْ زَهْرِ الرُّبَا
 وَتَحَلَّلَتْ عَنْهُ صَبِيحٌ حَدِيثُهُ رُسُلُ النَّسِيمِ وَصَدَّقَ الْخُبْرَ الْخُبْرِ
 يَا قَصْرَ شَتِيلٍ وَرَبْعَكَ أَهْلُ وَالرُّوحُ مِنْكَ عَلَى الْجِبَالِ قَدْ اقْتَصَرَ
 لَقَرٍ بِحُورِكَ وَالصَّبَا قَدْ سَرَّوَتْ مِنْهُ دُرُوعًا تَحْتَ أَعْلَامِ الشَّجَرِ
 وَالْآسَ حَنَّةً عِدَارُهُ مِنْ حَوْلِهِ عَنْ كُلِّ مَنْ يَهْوَى الْعِدَارَ قَدْ اعْتَدَرِ
 قَبْلَ بِنْعْرِ الزَّهْرِ كَفَّةً حَلِيفَةً بُغْنِيكَ صَوْبَ الْجُودِ مِنْهُ عَنْ اللَّطَرِ ^(٥)
 وَافْرِشْ خُدُودَ الرَّوْدِ تَحْتَ نِمَالِهِ وَأَجْعَلْ بِهَا لَوْنَ الْمَصَاعِفِ عَنْ خَفَرِ
 وَانْظِلِمِ غِنَاءَ الطَّلِيرِ فِيهِ مَدَانِعًا وَانْتَرُ مِنْ الزَّهْرِ الدَّرَاهِمِ وَالْدُرُ
 الْمُنْتَقَى مِنْ جَوْهَرِ الشَّرَفِ الَّذِي فِي مَدْحِهِ قَدْ أَنْزَلْتَ آيُ السُّورِ
 وَالْمُجْتَنَى مِنْ غُنْصَرِ الثُّورِ الَّذِي فِي مَطْلَعِ الْهَدْيِ الْمُقَدَّسِ قَدْ ظَهَرَ ^(٦)

(١) في نفع الطيب . « وعلاهما » .

(٢) كذا في ط . وفي نفع الطيب : « لسخة » . ولعل كلا اللفظين عرفت عن « شبيخة » .

(٣) كذا في نفع الطيب الطبروع والمخطوط . وفي ط و م : « زهر » .

(٤) في م : كشكته . وفي نفع الطيب : « لثله » .

(٥) في نفع الطيب : « عن » .

(٦) كذا في نفع الطيب . وفي م : « الخفف » . ومكان هذه الكلمة يباس في ط .

ذُو سَطْوَةٍ مِنْهَا كَفَى ذُو رُحْمَةٍ
 كَمْ سَائِلٍ لِلدَّغْرِ أَتَمَّ قَاتِلًا
 مَوْلَايَ سَمْدُكَ كَلْمُهُدٍ فِي الْوَحْيِ
 مَوْلَايَ وَجْهَكَ وَالصَّبَاحُ تَنَابَهَا
 إِنَّ الْمُلُوكَ كَوَاكِبُ أَخْفَيْنَهَا
 فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ زَمَانِكَ مُوسِمٌ
 فَاسْتَقْبِلِ الْأَيَّامَ يَنْدَى رَوْضُهَا
 قَدْ ذَهَبَتْ مِنْهَا الْعَشَايَا ضِعْفَ مَا
 يَأْتِي الدِّينَ إِذَا تَمَدُّ خِلَالُهَا
 إِنَّ أَوْزَدُوا هِمَّ السُّيُوفِ غَدَائِرًا
 سَائِلٌ يَبْدُرُ عَنْهُمْ بَذْرُ الْهُدَى
 وَاسْأَلْ مَوَاقِفَهُمْ بِكُلِّ مَشَاهِدٍ (١)
 تَجِدُ النَّنَاءَ بَيِّنَاتِهِمْ وَبِجُودِهِمْ
 فَيَبْثُلُ هَذِيكَ فَلْتَنْزِ شَمْسُ الضُّعْفَى
 مَاذَا أَقُولُ وَكُلُّ وَصْفٍ مُعْجَزٌ
 تِلْكَ الصَّاقِبُ كَالْتَوَاقِبِ فِي الْفَلَاحِ
 إِنْ غَلَبَ عَبْدُكَ عَنْ حِمَاكَ فَإِنَّهُ
 مِنْهَا عَمَّا ذُو عَيْنِي مِنْهَا قَدَرُ
 وَاللَّهِ مَا أَبْأَمُّهُ إِلَّا عُرُزُ
 لَمْ يَبْقِ مِنْ رَسْمِ الضَّلَالِ وَلَمْ يَذُرْ
 وَكَلَامُهَا فِي الْخَارِقَيْنِ قَدْ اشْتَهَرُ
 وَطَلَمَتْ وَجْهَكَ فِي مَظَاهِرِهَا قَرُ
 فِي مَلِيهِ لِلْعَلَقِي أَغْيَادُ كُفْرُ
 وَرَفَ وَالنَّصْرُ الْقَرِيزُ لَهُ قَمَرُ
 قَدْ قَضَيْتَ مِنْهَا الْحَاسِنُ فِي السُّخْرُ
 نَعْدَ الْحِسَابُ وَأَعْرَضَتْ عَنْهَا الْقُدْرُ
 مَصْقُولَةٌ فَلَطَالَمَا حَمِدُوا الصَّدْرُ
 فِيهِمْ عَلَى حَزْبِ الضَّلَالِ قَدْ انْتَقَصَرُ (٢)
 وَاقْرَ التَّمَازِي فِي الصَّحِيحِ وَفِي السَّيْرِ
 فِي مُصَدِّقِ الْوَحْيِ الثَّرَى مُسْتَطَرُ
 وَبِمِثْلِ قَوْمِكَ فَلْيُنَازِرْ مَنْ فَعَزُ
 وَالْقَوْلُ فَبِكَ مَعَ الْإِطَالَةِ مُحْتَضَرُ
 مِنْ زَامِنَا بِالْخَطْرِ أَدْرَكَهُ الْخَضَرُ
 بِالْقَلْبِ فِي تِلْكَ التَّشَاهِدِ قَدْ حَضَرُ

(١) في نفع الطيب : « وحده » .

(٢) في ط : « في جوانبها » .

(٣) في م : « كل » مكان قوله : « فيهم » .

(٤) في نفع الطيب : « مصهر » .

فَاذْكُرْهُ إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ مِّنْكَ سَادَةٌ
وَرِضَاكَ عَنْهُ غَايَةٌ مَا يَسُدُّهَا
فَاشْكُرْ صَدِيقَ اللَّهِ فِيكَ فَإِنَّهُ
وَعَلَيْكَ مِنْ رُوحِ الْإِلَهِ تَحِيَّةٌ
وَبِهَاءٌ عَلَى كُلِّ الْأَنَامِ قَدْ افْتَحَرَ
إِلَّا رِضَا اللَّهِ الَّذِي ابْتَدَعَ الْبَشَرَ
سُبْحَانَهُ ضَمِنَ التَّزْيِيدَ لِمَنْ شَكَرَ
تَهْنَأُ إِلَيْكَ مَعَ الْأَصَائِلِ وَالْبُكْرُ

ثم قال : ومن أغراضه الوقتية اشتراكا مع الطبع البديهي ، في الشكر على
ضروب من النخف التي يفتن بها ^(١) التحق السلطاني بأولياء خدمته ، مُبْدً
ولهُ في الشكر على
ضروب من
النخف
متعددة فبها يظهر : فنها قوله :

يَا خَيْرُ مَنْ مَلَكَ الْمُلُوكَ بِجُودِهِ
وَاللَّهُ مَا عَرَفَ الزَّمَانَ وَأَفْضَلُهُ
وَأَفَيْتُ ^(٢) أَهْلِي بِالرِّيَاضِ عَشِيَّةً
فَوَجَدْتُهُ قَدْ طَلَعَهُ صَوْبُ النَّدَى
وَسَقَائِنِ مَشْعُونَةٍ أَلْقَى بِهَا
رُطَبٌ مِنَ الطَّلَعِ النَّضِيدِ كَأَنَّهَا
مِنْ كُلِّ مَا كَانَ النَّبِيُّ يُعْجِبُهَا
وَبَدَانِعِ النَّخْفِ الَّتِي قَدْ أُطْلِمَتْ
نُطْفٌ ^(٣) مِنَ النُّورِ الْمُبِينِ تَجَسَّسَتْ
وَبَقَضَلِهِ قَدْ أَشْبَهَ الْأَمْلَاقَا
أَمْنَا وَبِمُنَا دَائِمًا لَوْلَا كَا
فِي رَوْضِ جَاهِلِكَ تَحْتَ ظِلِّ رِضَاكَ ^(٤)
بَسَحَائِبِ تَهْلٍ مِنْ بُمْنَا كَا
بَحَرُ السَّمَاحِ يَجْبِشُ مِنْ نُمْنَا كَا
قَدْ نَظَّمَتْ مِنْ حُسْنِهَا أَسْلَاقَا
وَأَحْبَبْنَا الْأَنْصَارُ مِنْ أَوْلَا كَا
مِثْلَ الْبُدُورِ أَنْارَتْ الْأَخْلَاقَا ^(٥)
حَتَّى حَسَبْنَا أَنَّهُنَّ هُدَا كَا

[٣١٤]

(١) في ط : « يفتن بها » . وفي م : « يفتن بها » . والنصوب عن فتح الطيب .

(٢) في ط : « ولفيت » . وما أثبتناه عن م وفتح الطيب .

(٣) في فتح الطيب « ذراكا » .

(٤) كذا في م وفتح الطيب . وفي ط : « تارت الأفلاك » .

(٥) كذا في فتح الطيب المطبوع والمخطوط . وفي الأسانين : « لطف » .

يَعْلَمُو عَلَى الْأَفْوَاهِ طِيبُ مَذَاقِهَا لَوْلَا التَّجَشُّدُ خِلْمُنْ سَنَاكَ^(١)
 طَافَتْ بِهَا النَّشْأُ الصَّغَارُ كَأَنَّهَا سِرْبُ الْقَطَا لَمَّا وَرَدْنَ نَدَاكَ
 تَجَوَّاهُمْ مَهْنًا سَمِعْتَ كَلَامَهُمْ وَنِدَاهُمْ : مَوْلَايَ أَوْ مَوْلَاكَ
 أَبْلَغْتَ فِي الْأَبْنَاءِ عَبْدَكَ سُؤْلَهُ لَا زِلْتَ تَبْلُغُ فِي سَبِّكَ مَنَاكَ
 بِنْدَارِ سُورٍ مِنَ الدُّنْيَا تَحَاثُّهَا كَيْفَا يُطِيلُ اللَّهُ فِي مُبْتَلَاكَ
 قَبِيحَتِ شَيْءٍ فِي سَمَاءٍ خِلَافَهُ وَهُمْ الْبُدُورُ أَمْدَعُنْ سَنَاكَ

في هدية من حب
الملك

نَمَّ قَالَ : وَمِنْهَا وَقَدْ أَهْدَاهُ — رَحِمَهُ اللَّهُ — أَطْبَاقًا مِنْ حَبِّ الْمُلُوكِ^(٢) :
 كَتَبَ الْإِمَامُ عَلَى الْعِبَادِ مَحَبَّةً لَكَ كَانَ فَرَضُ كِتَابِهَا مَوْفُوتًا
 وَأَنَا الَّذِي شَرَفْتَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ حَتَّى جَعَلْتَ لَهُ السَّحْبَةَ قُوتًا
 مَا زِلْتَ تُنَجِّفُهُ بِكُلِّ ذَخِيرَةٍ حَتَّى لَقَدْ أَنْجَفْتَهُ الْبِقَاوَتَا
 وَإِلَى الْمُلُوكِ قَدْ اغْتَرَى مِنْ عِزِّهِ فَدَا لَهُ بِاقْوُتِهَا تَمَّةً قُوتًا

ومنها في مثل ذلك :

في هدية
أخرى منه

يَا خَيْرَ مَنْ مَلَكَ الْمُلُوكُ أَهْدَيْتَنِي حَبَّ الْمُلُوكِ
 فَكُنَّا يَا قَاوُتُهُمْ نَظَمْتَ لَنَا نَظْمَ الْمُلُوكِ
 إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا لَجَّوْا فَنِيَّائِهِمْ أَنْ أُمْلُوكِ
 وَكَذَا الْعُمَا إِذَا شَكَّوْا فَنِيَّائِهِمْ أَنْ يَسْأَلُوكِ
 فَلَقَهُ بِقَبْلُ مَنْ دَنَا لِعَلَّاكَ مِنْ أَهْلِ الشُّلُوكِ

(١) في ط وضع الطيب : « تناكا » . وما أتينا عن م .

(٢) حب الملك ، ويقال له أهداك حب الزلم ، هو المعروف عند عامة أهل القاهرة بحب العريز ، لأن العريز بن المزمع العاطمي كان مولدا به .

لَا زِلْتَ تَطْلُعُ غُرَّةً كَالشَّمْسِ فِي وَقْتِ الدُّلُوكِ

ومنها وقد أهداه صيداً مما صاده بنوه رضى الله تعالى عنه :

يَا خَيْرَ مَنْ وَرِثَ السَّاحَ عَنْ الْأَيِّ تَهَرَّوْا الْهَدَى وَتَبَوَّءُوا الْإِيمَانَ
فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْكَ نَحْفَةٌ مُنْعِمٍ وَالَى الْجَلِيلِ وَأَجَزَلِ الْإِحْسَانِ
قَدْ أَذْكَرْتَ دَارَ النِّعَمِ غَيْبُهُ وَتَضَعْتِ مِنْ فَضْلِهِ رِضْوَانًا
تَهْدِي مَوَالِيكَ الدِّينَ ^(١) تَهَرَّعُوا عَنْ دَوَّحِ فَخْرِكَ فِي الثَّلَا أَغْنَانَا
لِحَسَنَاتِكَ الْأَعْلَى قَدِصًا أَنْعَبُوا فِي صَنْدِيقِهِ الْأَزْوَاجَ وَالْأَبْدَانَا
فَتَخْضِي مِنْهُ بِأَوْفَرِ قِسْمَةٍ فَسَحَتْ لِحَبْلِكَ فِي الرِّضَا مِيدَانَا
لَهُ مِنْ مَوَالِي كَرِيمٍ بِالَّذِي تَهْدِي الْمَوَالِي يُنْجِفُ الشُّبْدَانَا
تَدْعُو بَنِيَّ إِلَى النَّفْسِ بَرِّهِ يَا رَبَّنَا أَعْنِ الْهَدَى أَغْنَانَا
وَعَلَيْكَ مِنْ قُدْسِ الْإِلَهِ نَحْيَةٌ تَهْدِيكَ مِنْهُ الرُّوحَ وَالرَّيْحَانَا

[٣١٠]

ومنها وقد أهداه رحمه الله تعالى أصنافاً من الفواكه :

يَا مَنْ لَهُ الْوَجْهَ الْجَمِيلُ إِذَا بَدَا قَافَتْ مَحَاسِنُهُ الْبُذُورَ كَتَالَا
وَالْمُنْتَقَى مِنْ جَوْهَرِ الْفَخْرِ الَّذِي قَافَى الْخَلَائِفَ عِرَّةً وَجَلَالَا
مَا أَبْصَرْتَ عَيْنَايَ مِثْلَ هَدِيَّةٍ أَبَدْتُ لَنَا صُنْعَ الْإِلَهِ تَعَالَا
فِيهَا مِنَ الْقَفَاحِ كُلِّ عَجِيْبٍ تَذَكَّرِي رَبَّانَا صَبَا وَشَمَالَا
تَهْدِي لَنَا نَهْدَ الْهَيْبِ وَحَدَّهُ وَتَرِي مِنَ الْوَرْدِ الْبَحْيِ مِثَالَا
وَهَا مِنَ الْأَنْرُجِ شَمْسٌ أَطْلَعَتْ مِنْ كُلِّ شَطْرِ لُغْيُونِ هَلَالَا
وَبَحْفَتِهَا وَرَقٌ يَرُوقُ كَأَنَّهُ وَرَقُ النُّصَارِ وَقَدْ أَحَادَ تَبَالَا ^(٢)

(١) في ط : « تهدي موالى الدين » .

(٢) كذا في الأصلين وفتح الطيب ولم يظهر لنا معنى لهذه الكلمة .

في صيد أحدى
إليه

في أصناف من
الفواكه أهديت
إليه

لَنْ التَّشْيِيعِ ذُهِبَتْ صَمْعَاتُهَا رَفَّتْ وَرَاقَتْ بَهْجَةً وَحَمَالَا
وَبِهَا مِنْ الثَّقَلِ الشَّيْبِ مُذْكَرٌ عَمْدًا تَوَلَّى لَيْتَهُ يَتَوَالَى
لِلَّهِ مِنْهَا خُضْرَةٌ مِنْ خُضْرَةِ تَفْنِي السُّفَاةَ وَتُخَيِّبُ الْآمَالَ
أَذْكَرَتْ نَفْسَ التَّهْدِ الْقَدِيمِ وَمَهْدًا كَانَتْ شُبُوسُ الرَّاحِ فِيهِ تَلَالَا
فَأَرْدَتْ تَجْدِيدَ الْمُهُودِ وَإِنْسَا كَتَبَ التَّشْيِيبُ عَلَى عِذَارِي لَا لَا
فَأَدْرَتْ مِنْ ذِكْرِكَ كَأْسَ مُدَامَةٍ وَشَرِبْتُ مِنْ حُبِّي لَهَا جِرْيَالَا
فَبَقِيَتْ شَمْسًا فِي سَمَاءِ خِلَافَةٍ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا الزَّمَانُ زَوَالَا

وله في يوم
عاشوراء

ثم قال : ومنها يوم عاشوراء :

بِأَيْهَا التَّوَلَّى الَّذِي بَرَّكَ كَانَهُ رَفَعْتَ لِوَاءَ اللَّندَى مَنُشُورَا
لَكَ رَاحَةٌ تَرْجِي النِّعَامَ بِأَنْمُلٍ فَعَجَزَتْ مِنْهَا بِالنُّوَالِ يُحُورَا
وَالْيَوْمَ مَوْسِمُ قُرْبَةٍ وَعِبَادَةٍ وَعَدَا ظَلِمْتَ بِأَجْرِهِ عَاشُورَا
رَاعَيْتَ فِيهِ سُنَّةَ نَبِيِّنَا بَرَوَى الثَّقَاتُ حَدِيثَهَا الْمَشْهُورَا
لَا زِلَّاتَ عَامِكَ كُلِّهِ فِي غِبْطَةٍ لَقِيتَ مِنْهَا نَفْسَةً وَسُرُورَا

[٢١٦]

ومنها في بعض قطعه :

ومن بعض قطعه

وَالَيْتَ مَا أَوَلَيْتَ يَا بَحْرَ اللَّندَى وَوَحَى وَجْهِكَ^(١) مَا رَأَيْتُ كَهَيْذِهِ
فَإِذَا جَهْرٌ لَهَا الْأَسَانُ حَامَهُ قِصَمَاتُ فُخْرِكَ قَدْ قَضَتْ بِنَفَادِهِ
عَلِمْتُ فُرُوسَانَ الْكَلَامِ نِظَامَهَا كَتَعْلَمُ التَّلْيِيزُ مِنْ أَسْتَاذِهِ
وَالْبَحْرُ تَمَنَّاكَ السَّحَابُ مَاءَهُ فَتَجُودُهُ مِنْ غَيْبِهَا بِرَذَائِدِهِ

(١) في م : « شهادة » وما أتينا من ط ونجح الطيب .

(٢) في فتح الطيب : « جودك » .

ومنها وقد أهداه بأكورا :

بَا وَارِثَ الْأَنْصَارِ وَنَحْيَ مَرْيَةَ
أَهْدَيْتَنِي الْبَاكُورَ وَنَحْيَ بَشَارَةَ
وَوِلَادَةَ لِسَلَالِ نَيْمٍ^(١) طَالِعِ
هُوَ أَوَّلُ الْأَنْوَارِ فِي أَفْئِ الْهَدَى
مَوْلَايَ صِدْقُ الْغَالِ قَدْ جَرَّبْتُهُ

نعم قال : ومنها في جفنة تريد :

طَعَامُكَ مِنْ دَارِ النِّعَمِ بَعَثْتُهُ
بِهِضْبَةً نَعْنَى قَدْ سَمَوْنَا لِأَوْجِحَا
وَقَوَّزَاءَ فَنَدَّ دُرْنَا بِهَالَةٍ بِدْرَهَا
وَقَدْ حُلَّتْ فَوْقَ الرُّؤُوسِ لَأَنهَا
فَمَا تَنَلْتُ مِنْ طَعْمٍ زَكَاةً مَهْنًا
فَوَ أَنَهَا قَدْ قُدِّمَتْ لِخَلِيفَةٍ
وَكَمْ لَكَ مِنْ نِعْمَتِي عَلَى عَمِيمٍ
فَلَا زِلْتُ يَا مَوْلَى الْمُلُوكِ مُسْلِقًا

ومنها شكرًا عن كتاب :

مَوْلَايَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ
فَأَنْتُمْ صَبَاةً وَأَغْنَمٌ
وَأَبَشِيرٌ يَصْنَعُ عَاجِلِ

(١) في م وضع الطيب : « سر » .

في باكور أهداه
لأبيه

بَنَحَارَهَا أَنْتِ الْكِتَابُ الْمُنَزَّلُ
بَيَّوَّاكَرَ الْقَتْعِ الَّذِي تَسْتَقْبِلُ
وَجْهَ الزَّمَانِ بَوَجْهِهِ يَتَهَلَّلُ
وَتَرَى الْأَهْلَةَ بَعْدَهُ تَسْتَرْسِلُ
مِنْ لَفْظِ عَبْدِكَ وَالْعَوَاقِبُ أَجَلُ

في جفنة تريد

فَشَرَفْتَنِي مِنْ حَيْثُ أَدْرَى وَلَا أَدْرَى
قَصْدُنَا بِأَعْلَاهَا الشَّهَى مِنَ الطَّيْرِ
كَأَنَّ دَارَتِ الزُّهْرُ الشُّجُومُ عَلَى التَّبَدُّرِ
هَدِيَّةً مَوْلَى حَلٍّ فِي مَفْرَقِ الْفَخْرِ
وَمَا شِئْتُ مِنْ عَرَفٍ ذِكْرِي وَمَنْ نَشَرِ
لَأَعْظَمَهَا قَدْرًا وَبَالِغَ فِي الشُّكْرِ
يَقُولُ لِأَدْنَاهَا الْجَبِيلِ مِنَ الذِّكْرِ
أُمَانِي تَرْجُوها إِلَى سَائِفِ الدَّهْرِ

في الشكر
عن كتاب

سُـمُودُهُ مُجْتَمِعَةٌ
أَوْفَاتُهُ الْمُجْتَمِعَةُ
أَعْلَامُهُ مُرْتَبِعَةٌ

[٢١٧]

وَأَنْتَظِرُ الْفَتْحَ الَّذِي يَا نَبِيكَ بِالنَّصْرِ مَعَهُ
وَبَيِّنُهُ وَتُفَسِّرُهُ إِلَى الْمَدَاةِ مُشْرِعَهُ
وَالْأَلْفُ مَرْجُوٌّ فَرْدُ بِفَضْلِ رَبِّي مُشْرِعَهُ
فَأَتَعْتَنِي شَرْفَتِي بِرُقْمَةٍ مَرْفُوعَةٍ
بَلْ رَوْضَةٍ مَمْطُورَةٍ أَزْهَارُهَا مُنَوَّعَةٍ
حَدِيقَةٍ قَدْ جُذِّتْهَا بِصَوْبِ جُودِ مُثَرَّعَةٍ
وَرَايَةٍ مَنْشُورَةٍ وَآيَةٍ مُسْتَبَدَّعَةٍ
كَمْ حِكْمَةٍ لَطِيفَةٍ فِي طَلْبِهَا مُسْتَوْدَعَةٍ
عَبِيلَةٍ صَوَّرَتْهَا مِنَ الْجِبَالِ مُبْدَعَةٍ
سَقَيْتَنِي بِفَضْلِهَا مِنْ فَضْلِ كَأْسِ مُثَرَّعَةٍ
قَدَّمْتُ وَأَمْلَأَكَ الْوَرَى عَلَى عُلاكَ مُجَيَّمَةٍ

ومنها شكرا على خِلعة :

في الشكر على
خِلعة

يَا بَدْرَ نَجْمٍ فِي سَمَاءِ خِلَافَةٍ حَقَّتْ نَجْوَى السُّودِ هَالَةً قَصْرِهِ
أَلْبَسْتَ عَبْدَكَ مِنْ ثِيَابِكَ مَلْبَسًا قَدْ قَصَّرَتْ عَنْهُ مَدَارِكُ شُكْرِهِ
وَرَضَاكَ عَنْهُ خَيْرُ مَا أَلْبَسْتَهُ فَلَقَدْ أَشَادَ بِجَاهِهِ وَيَبْرَهُ
أَلْبَسْتَنِي، أَوْ كَيْتَنِي، شَرْفَتِي أَهْدَيْتَنِي مَا لَا أَقْدُمُ بِحَصْرِهِ
نَظَرِي لَوَجْهِكَ وَهُوَ أَجْمَلُ نَبَرٍ يُرْزَى عَلَى شَمْسِ الزَّمَانِ وَبَدْرِهِ
أَعْلَى وَأَعْظَمُ مِنَّةً لَا سِيَّامًا وَأَنَا الْمُتَّقِمُ فِي الْعُضُودِ بِبُشْرِهِ
لَا زِلَّاتَ مَوَالٍ لِلْمُلُوكِ مُؤَمَّلًا وَعَلَائِكَ^(١) لِلْإِسْلَامِ مَنَعَرِهِ

(١) في م وقع الطيب : « وحلاك » .

ثم قال : ومنها وقد خلع — رضوان الله عليه — على رسول من أرساله :
 أَبْخَرُ سَمَاحٍ مَدَّ عَشْرَةَ أَبْخَرٍ نَفِيسُ غَمَامِ الْجُودِ وَهِيَ الْأَنَامِلُ
 بِكَفِّكَ غَيْثُ اللَّيْلَادِ وَأَهْلِيهَا يُرَوِّضُ نَحْلَ الْأَرْضِ وَالْهَامُ مَاحِلُ
 لَكَ الْخَيْرُ إِنْ أَصْبَحْتَ بَحْرَ سَمَاحَةٍ يَمُّ نَدَاهُ فَالْتَوَاهِبُ سَاحِلُ
 خَلَعْتَ عَلَى هَذَا الرُّسُولِ مَلَابِسًا يَتَا تَنَسَّى فِي إِعْلَاكَ^(١) التَّامِلُ
 وَبَلَّغْتَهُ آمَانَهُ كَيْفَ شَاءَهَا بُلَّغْتَ يَا مَوْلَايَ مَا أَنْتَ آمِلُ

ثم قال بعد إيراد عدة مقطوعات وقصائد من نخط ما سبق :

وله في السؤال عن
 حاله وقد مرض
 بعض أبنائه

وأنشده وقد مرض بعض أبنائه — رحمة الله عليه وعليهم — سائلا

[٣١٨]

عن حاله :

أَسْأَلُ بِذَرِ التَّمِّ كَيْفَ هِلَالُهُ وَأَدْعُو لَهُ الرِّمْنِ جَلَّ جَلَالُهُ
 وَأَسْأَلُهُ تَعْجِيلَ رَاحَتِهِ الَّتِي وَسِيلَتُنَا فِيهَا النَّجِيُّ وَآلَهُ
 سَتَلْبُغُ فِيهِ مَا تُؤْمَلُ مِنْ مَنَى قَرُّ ضَيْكٍ يَا بَذَرَ السَّكَالِ كَالَهُ

وفي مثله يقول رحمه الله :

أَقُولُ لِتَذْرِ التَّمِّ كَيْفَ هِلَالُكَ نَعِمْتَ صَبَاحًا بِالسُّرُورِ^(٢) وَأَلُكَ
 وَبُلَّغْتَ فِي التَّجْلِ السَّعِيدِ^(٣) سَادَةَ نَقَرُ بِهَا عَيْنًا وَيَنْتَمُ بِأَلُكَ
 وَخَصَصْتَ بِالْبُشْرَى مِنْ اللَّهِ رَبَّنَا كَمَا عَمَّ أَقْفَارَ الْجِبَاهِ نَوَالُكَ

(١) فَم وَتَع الطيب : « في عداك » .

(٢) فَم وَتَع الطيب : « بالحدود » .

(٣) فَم وَتَع الطيب : « الكريم » .

في مثل ذلك

في التوراة
باسم قائد

وفي التوراة باسم قائد ولأه مولانا — رضى الله عنه — على جماعة
من الجند .

يَا أَيُّهَا التَّوَلَّى^(١) الَّذِي أَبَاؤُهُ تَهْمِي بِسُخْبِ الْجُودِ مِنْ آلَانِي
أُبَشِّرُ بِجَنَّتِكَ بِالسَّعَادَةِ كُلَّمَا يَفْرُو فَتَصْرُ اللَّهُ تَحْتَ لَوَائِهِ

في مجلس اتخذه

وأنشده — رضى الله عنه — في مجلس اتخذه :

أَمْوَلَايَ يَا بَنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْمَلَا وَتَنْ نَصْرُوا الدِّينَ الْحَنِيفِيَّ أَوْ لَا
غَنِيَتْ بِنُورِ اللَّهِ عَنْ كُلِّ زِينَةٍ وَاللَّبِثُ مِنْ رِضْوَانِهِ أَشْرَفَ الْحِلَى
وَقَارَكَ زَادَ الْمَلِكِ عِزًّا وَهَيْبَةً وَسَوْغَهُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ مَهْلًا
وَيَا شَمْسَ هَدْيٍ فِي سَمَاءِ خِلَافَةٍ وَأَبْنَاؤُهُ الزُّهْرُ الْمُنِيرَةُ تُعْتَلَى
تَبَارَكَ مَنْ أَبْدَاكَ فِي كُلِّ مَطْلَعٍ حَمِيلًا جَلِيلًا مُسْتَعَادًا^(٢) مُؤَمَّلًا
فَيَخْجِلُ مِنْكَ الشَّمْسُ شَمْسُ هِدَايَةٍ وَتَحْسُدُ مِنْكَ الْبَدْرُ بَدْرًا مُكْتَلًا
إِذَا أَنْتَ أَلْبَسْتَ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ مَلَابِسَ عِزٍّ لَيْسَ يَدْرِكُهَا الْبَلَى
وَطَوَّقْتَ أَجْيَادَ الْمُلُوكِ أَبَادِيًا وَتَوَجَّهْتُمْ بِالنَّخْرِ تَأَمُّلًا مُكَلَّلًا
فَأَشْبَتْ قَالِبُشَ فَاالشَّاهِدُ قَائِلُ : تَبَارَكَ مَا أَشْنَى وَأَهْمَى وَأَعْجَلًا
أَلَا كُلُّ مَنْ صَلَّى وَصَحَّى وَمَنْ دَعَا وَمَدَّ يَدَيْهِ ضَارِعًا وَتَوَسَّلَا
وَجُودَكَ شَرْطًا فِي حُصُولِ قَبُولِهِ وَجُودَكَ أَنْزَى كَفَهُ مُتَنَفِّلًا^(٣)

(١) في م « الملك » .

(٢) في م : « مستغدا » .

(٣) كلما في م وط . وفي نفع الطب : « فتغلا » .

{٢١٩}

وقال برسم ما يُرثي على ثوب في بعض هدايا مولانا رحمه الله تعالى للسلطان
أبي العباس :

أُعِدِّي أَبَا الْعَبَّاسِ مَلَكَ النَّدَى وَالْبَاسِ
ثَوْبَ السَّمَاءِ لِأَنَّهُ يَذُرُّ بَدَا لِلنَّاسِ
فَلَقِيَ الصَّبَاحَ يَوْجِيهِ عَوْدُهُ بِالنَّاسِ
يَكُونُ إِمَامًا لَمْ يَزَلْ يَحِلِّي الْمَحَامِدِ كَالِ
فِيكَاهُ مِنْ مُرْتَدٍّ ثَوْبَ النَّقَى الْبَاسِ^(١)
أَذْيَالُهُ مِنْ حَمْدِهِ^(٢) مِسْكِيَّةُ الْإِنْفَاسِ
وَبَطْرُزِهِ مَذْحُ زَرَى بِالْمَذْحِ فِي الْقُرْطَاسِ
إِنْ كُنْتُ فِي لَوْنِ السَّمَاءِ بِنِسْبَةِ وَقِيَّاسِ
فَلَأَنْتَ يَا بَذْرَ الْعُلَا شَرَفْتَنِي بِبِلَاسِ
أَنَا مُنْشِدٌ « مَا فِي وَفْوٍ فَكْ سَاعَةً مِنْ بَاسِ »
لِيَتَرَى رِيَاضًا أَطْلَعَتْ زَهْرًا عَلَى أَجْنَاسِ
أَوْزَاقُهَا نُورِيَّتُهَا يَقْضِيهَا الْعِيَّاسِ
وَمِنْ الْمَدِيحِ مَدَامَتِي وَمِنْ الْمَحَابِرِ كَامِي
فَاللَّهُ يُبْتِغِ لَأَبِي بِالْبُشْرِ وَالْإِنْسِ

وفي مثل ذلك قوله رحمه الله :

إِنَّ الْإِمَامَ مُحَمَّدًا أَهْدَى الْخَلِيفَةَ أَحْمَدًا

(١) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « والباس » .

(٢) في ط : « مزجه » . وما أبتناه من نفع الطيب .

[لِلْيَاسِرِ تَوْبًا وَقَدْ
وَرَحْمَةً التَّوْبَى ^(١)]
لَيْسَ التَّحَامِدُ وَارْتَدَى ^(٢)
مِنْ قُوَّتِهَا شَمْسُ الْهُدَى
يَا حُسْنَهَا إِذْ أُرْسِلَتْ
مِنْ كَفِّهِ غَيْثُ النَّدَى
وَكَأَنَّ وَشَى رُفُومَهَا
بِالْبَرْقِ طُرْدَ عَسَجِدَا
وَبَطْرَزِهِ لَوْنُ السَّيَا .
وَوَجْهَهُ ^(٣) قَمَرٌ بَدَا
فَقِهِ مِنْهُ نَيْرُ
حَلِّ الْمَنَازِلِ أَسْعَدَا
مُسْتَنْصِرٌ أَعْلَى لَهُ
فَوْقَ الْكَوَاكِبِ مَصْعَدَا

ثم قال بعد ذكر قصيدة في الدح :

وأنشده وهو على جواد آدم :

تَجَلَّى لَنَا الْمَوْلَى الْإِمَامُ مُحَمَّدٌ
فَأَبْصَرْتُ مُصْبِحًا فَوْقَ لَيْلٍ وَتَذَكَّرْتُ ^(٤)
عَلَى أَذْهَمٍ قَدْ رَاقَ حُسْنُ أَذْيَمٍ
مُقَلَّدُ ذَلِكَ الطَّرْفِ بَعْضَ نَجِيمِهِ

وكتب له مع هدية زهرية :

أَمَوَلَايَ تَقْبِيلِي إِيْمُنَاكَ شَاقِي
وَلَمَّا رَأَيْتُ الذَّهَرَ مَا طَلَّنِي بِهَا
وَلَا يُنْكِرُ الظُّلْمَانُ شَوْقًا إِلَى الْبَحْرِ
وَشَوْقِي مَنْ حَيْثُ أَذْرَى وَلَا أَذْرَى
بَقَعْتُ لَكَ الزَّهْرَ الْجَنِّيَ لَقَلَّهَا
يُقْبِلُهَا عَنِّي تُغَوِّرُ مِنَ الزَّهْرِ

وكتب إليه أيضا منشوقاً :

كَتَبْتُ وَدَمْعِي بِلَالِ الرَّكْبِ فَطَرُهُ
وَأَجْرِي بِرَبِّينَ الْجِيَامِ السَّوَارِيَا

وله في النني بالله
وهو على جواد
آدم

وله مع هدية
زهرية

وله منشوقاً إلى
النني بالله

(١) البيت عن نفع الطيب .

(٢) كذا في م . وفي ط ونفع الطيب : « الشفق » .

(٣) ق ط : السبا . . . وبوجهه . وما ابتدأه عن نفع الطيب .

(٤) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « تحت ليل » ولا يستقيم به النني .

حَيِّينَا لِمَوْلَى أَنْتَ الْمَالِ جُودُهُ
وَمَا عَشْتُ بَعْدَ الْبَيْنِ إِلَّا لِأَنْتِ
وَلَكِنَّهُ قَدْ خَلَدَ الْفَخْرَ بَارِقِيَا
أَرْجِي بِفَضْلِ اللَّهِ مِنْهُ التَّلَاقِيَا

وأنشده أيضا وهو بحال قائم :

كَأَنِّي بِطَلْفِ اللَّهِ قَدْ مَمَّ خَلْقُهُ
وَقَاضِي الْقَضَاءِ الْخَيْرِ سَجَلُ حِكْمُهُ (١)
وَعَانَى إِيَّامَ السُّلَيْمِ وَقَدْ شَنَى
وَحَطَّ عَلَى رَمَمِ الشِّفَاءِ لَهُ : ا كُنْفَى

وفي مثل ذلك :

لَكَ الْخَيْرُ بِمَوْلَايَ أَبَشِرْ بَعْضَتِي
وَعَارِيفِي فِي صِحَّةٍ مُسْتَجِدَّةٍ
عَقَدْتَ مَعَ الْأَيَّامِ فِي حِفْظِهَا مَلْحَا
تُجَدُّ لِلدِّينِ السَّعَادَةِ وَالنَّجْحَا
فَوَجَّهْ التَّهَانِي مُشْرِقُ مُتَهَلِّلٍ
وَقَدْ ظَهَرَتْ لِلْبَرَاءِ مِنْكَ عَلَامَةُ
وَجَّهْ الْأَمَانِي بَعْدَ مَا غَامَ قَدْ أَمْسَى
عَلَامَتِكَ الْعُطْطَى تَقُولُ لَنَا : سَمَّا

وفي مثل ذلك :

بَا إِيَّامَا قَدْ تَخَذِنَا
خَطُّ يُبْنَاكَ يُنَادِي
هُ مِنْ الْبُحْرِ مَلَاذَا
صَحَّ هَذَا، صَحَّ هَذَا

وقال مهتبا بالشفاء :

الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلَّغْنَا الْوَعْدَى
وَفُزْتُ بِالْأَجْرِ وَكُنْتُ الْعِدَا
لَا رَأْيُنَاكَ وَزَالَ الْعَنَا
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا بَدَى
وَفُزْتُ بِالْعَزِّ وَالْعِزِّ وَالْعِزِّ
مَنْ عَلَيْنَا مِنْ ظُهُورِ الْمَقَى

(١) في نسخ الطيب : « ختمه » .

وما كتبه إليه
وهو في حال قائم

في مثل ذلك أيضا

في ذلك أيضا

وله في التهنئة
بالشفاء

في هذا أيضا وقال أيضا في نحو منه :

نَمْ قَوَّتِ الْقَيْنَانِ وَأَنْشَرَ الصَّدْرُ وَقَدْ لَاحَ مِنْ وَجْهِ الْإِمَامِ لَنَا الْبَدْرُ
مَرَيْنَا بِلَيْلِ التَّيِّهِ يَكْذِبُ فَجْرُهُ فَلَمَّا نَجَلْ بِشْرُهُ صَدَقَ الْقَجْرُ [٣٧١]
أَغْرَى الْمُخَيَّا بِالْحَيَاءِ مُنْغَعٍ زَهَاهُ الْكَلَامُ الْحُرُّ وَالنَّسَبُ الْحُرُّ
إِمَامُ الْهُدَى قَدْ خَصَّهُ عِزْلَانِي إِلَهٌ لَهُ فِي خَلْقِهِ التَّهْنِي وَالْأَمْرُ

وقال في مثله وقد ركب رحمة الله عليه لمأهده حضرته :

هَبْنِيهَا هَبْنِيهَا لَا تَقَادَ لِعَيْدِهِ وَبُشْرَى لِدِينِ اللَّهِ إِنْجَارُ وَعْدِهِ
قَدْ لَاحَ بِدُرِّ التَّمِّ فِي أَفْقِ الْعِلَالِ وَحَلَّ كَمَا رَفَعَى مَنَازِلَ سَعْدِهِ
وَوَاطَفَ إِمَامَهُ^(١) السُّلَيْمِينَ مُحَمَّدُ بِحَضْرَتِهِ الْمَلِيًّا مُبْلَغَ قَعْدِهِ
وَلَا حَتَّ بِهَا الْأَنْوَارُ مِنْ بَشْرِ وَجْهِهِ وَفَاحَ بِهَا النَّوَارُ مِنْ نَشْرِ حُدِّهِ
[وَأَبْصَرَتِ الْأَبْصَارُ شَمْسَ هِدَايَةِ وَأَنْشَرَتِ الْأَرْجَاءُ مِنْ زُهْرِ وَفْدِهِ^(٢)]
وَوَلَّحَتِ الْأَعْيُنُ فِيهَا بِنَصْرِهِ كَمَا لَوَّحَ الصَّبْحُ الْمَيِّدِ^(٣) يَبْنِدِهِ
سَهْدِي لَهُ الْأَيَّامُ كُلَّ سَرِيَّةٍ وَيُحْيِي بِهِيَ الرِّمَاحُ أَتَاكَ جَسَدُهُ
فَسَلَّ حَسَامَ السَّمَدِ وَاضْرِبْ بِحُدِّهِ^(٤) وَخَلَّ حَسَامَ الْهِنْدِ فِي رَيْنِ^(٥) غِنْدِهِ
فَسَيِّفَكَ سَيْفُ اللَّهِ مَهْمَا سَلَلْتَهُ يُقِيمُ حُدُودَ اللَّهِ قَائِمُ حُدِّهِ

(١) في م ونسخ الطيب : « أمير » .

(٢) هذا البيت عن فتح الطيب .

(٣) كذا في فتح الطيب . وفي م : « النصر المين » .

(٤) في فتح الطيب : « ه الداء » مكان قوله : « بحده » .

(٥) كذا في م . وفي م ونسخ الطيب : « كنز » .

وله يصف البازي
ويشكر ما أعدى
إليه من صيده

وأنشده رضى الله عنه في طرد مولانا الوالد ، رحمة الله تعالى عليه ، ويصف
البازي ، ويشكر ما أهداه من صيده :

يَا مَنْ تَمَدُّ لَهُ الْمُلُوكُ أَكْفَهَا تَدْعُو إِلَهَهُ لُهُ يَطْلُو بَقَاءَ
أَضْحَى وَلِيَّ الْعَهْدِ تَخْلُكُ صَائِدًا شَأْنُ الْمُلُوكِ الْعَلِيَّةِ الشُّطَاءِ
وَرَمَى الْبُرْءَةَ عَلَى الْقَنَاءِ^(١) بِصَيْدِهِ صَيْدَ الْخَلِيفَةِ شَارِدَ الْأَعْدَاءِ
مِنْ كُلِّ خَافِقَةِ الْجَنَاحِ إِذَا مَسَتْ تُبْذِي اخْتِيَالَ الْعَادَةِ الْعَذْرَاءِ
أَهْدَتْ لَنَا صَبْحَ^(٢) الْعُمُومِ وَطَوَّغَتْ أَرْجَاءَهَا بِعَقِيْقَةِ سَمَرَاءِ
وَأَسْتَأْنَقَتْ التَّيَاقُوتَ وَ مَنَقَرَهَا وَمَسَتْ عَلَى الْمَرْجَبَانِ فِي اسْتِغْيَاءِ
وَوَسَّتْ يَدَ الْأُدْنَاءِ فِي أُعْطَافِهَا وَشَبَّ زَرَى بِالْعُصْلَةِ السَّيْرَاءِ
مَلِكِ الطُّيُورِ أَنَّى إِلَى مَلِكِ الْوَرَى فَاسْتَأْنَقَهَا لِئَلَّا تُؤْثِلَ الْخُلَفَاءِ
وَقَصَى سَمَاحُكَ أَنْ نَحْمَدَ بِنَعَضِهَا لِلْعَبْدِ تَعْلِيلِهِ عَلَى الْجَوْرَاءِ
لِلَّهِ هَلْ شَرَفٌ بِضَآئِي ذَا الَّذِي أَوْلَيْتَهُ مِنْ مَنَعِ غَرَاءِ
هَبَّاتِ أَيْنِ جَزَائِهَا مِنْ شُكْرِهِ يَحْزِيكَ عَنَّا اللَّهُ حَزْرُ جَزَاءِ
أَوْلَيْتَ قَدْ أَوْلَيْتَ كُلَّ خَلِيفَةٍ شَرْقًا وَغَرْبًا أَصَوَّبَ الْأَرَاءِ
فَلِصَاحِبِ الصُّرَاءِ^(٣) فَخَرُّ خَالِدٍ يَحْفَظُنِي بِرَوْ مِنْ صَاحِبِ الصُّرَاءِ
بَيْضًا وَمُفَرَّغًا قَدْ شَرَعْتَ لِنَصْرِهِ وَأَعْنَتَ بِالتَّبَيُّضِ وَالصُّرَاءِ^(٤)
لَا زِلَّ شَمْسٍ خِلَافَهُ أَبْنَاؤُهُ مِثْلُ الْبُدُورِ بِمَرْقَبِ التَّلْيَاءِ

[٢٢٢]

(١) كذا في م وط ، والكلمة كما يظهر عمره من اسم طير أو نحو ذلك .

(٢) السبع : خرز أسود ، شبه عيون الطير به .

(٣) الصغراء : موضع قرب المدينة . ولعله يريد بصاحب الصغراء سعد بن عبادة جد

المدوح إذ كان موطنه المدينة وما جاورها .

(٤) البيضاء والصغراء هنا : كناية عن الفضة والذهب .

وأجاب عن أبيات خمس ، كتب — رضى الله عنه — بها إليه :

لَكَ فِي الْخِلَافَةِ مَظْهَرٌ لَا يُفْرَعُ مِنْ دُونِ مَرْقَبِهِ النُّجُومُ الطَّلَعُ
يَا أَيُّهَا الذِّكْرُ الَّذِي أَبَامَهُ غَرَّرَ وَجْهِهِ الدُّغَرُ لَا تَنْفَعُ
سُبْحَانَ مَنْ حَلَاكَ بِالْخُلُقِ الرِّضَا وَكَسَاكَ مِنْهُ خُلَّةٌ لَا تُخْلَعُ
أَمَّا الدَّمَامُ فَدُمْتُ تَطْلُعُ شَمْسُهَا بَيْنَ الْبُذُورِ وَشَمْسُ وَجْهِكَ تَسْلَعُ
أَغْنَيْتَنِي عَنْهَا خَيْرٌ بِلَاغَةٍ فَالطَّيْبُ مِنْ نَفْعَاتِهَا يَنْضَوَعُ
بِوَأْتِي مِنْ عِزِّ نَفْلِكَ رَوْضَةٌ طَابَ الْجَنَى مِنْهَا وَلَدَّ التَّشْرِعُ
وَأَزَيْتَنِي جَنِّحَ الدُّجَانِ غُرَّةً فَالنُّورُ مِنْ قِيَمَاتِهَا يَنْطَلِعُ
بِعَوْلِهَا الْبَذْرُ الْمُنِيرُ وَقَدْ عَلَا وَالْبَذْرُ نَاجٍ بِالنُّجُومِ مُرْصَعُ
فَأَنْعَمْتَنِي مِنْهَا بِخَمْسٍ وَلَا تَدِرُ لَتُعَيِّدَهَا مِنْ كُلِّ عَيْنٍ تَلْفَعُ (١)
قُبْلَتِهَا أَلْفَا وَبَتْ لِرَبِّهَا أَذْعُو لَهُ حَقِّي الصَّبَاحُ وَأَضْرَعُ

وقال يصف غربانا أجراها — رحمة الله عليه — وبضائل له بالراحة من
شكاية ثلاثة . وله يصف غربانا وبضائل

أُعْلِمْتُكَ الْخَيْرَ فَوْقَ السُّفُنِ حَافِقَةً وَرَبِحُ سَفْدِكَ تُجَرِّبُهَا عَلَى قَدْرِ
مَا إِنْ رَفَعْتَ قِمْرِ السُّفُنِ فِي وَطَنِ إِلَّا وَنِلْتَ قَصَى الشُّؤْلِ وَالْوَطْرِ
فَالُوا السُّفَانُ فَوْقَ الْبَرِّ ذَا عَجَبٍ مِنْ غَيْرِ بَحْرِ وَلَا مَوْجٍ وَلَا غَرَدٍ
فَقُلْتُ آتَانُ مَوْلَانَا الَّتِي سَفَرَتْ لَنَا الْعِنَابَةُ عَنْ آيَاتِهَا الْكَبَرُ
تَجَرَّى رِبْعٌ سَعُودٍ فِي بَحَارِ نَدَى نَعْنِي بِمَأْنِكَ عَنْ بَحْرِ وَعَنْ مَطَرٍ
لَهُ يَوْمٌ يَحْيِي الشُّعْرَ ذُو أَرَى مُحَجَّلٌ رَأَيْتُ الْأَوْضَاحَ وَالزُّرُ
اسْتَبَشَّرَ النَّاسُ فِيهِ بِالْمُنِيرِ وَتَصَمَّنَ الْبَشَرُ فِي وَرْدٍ وَفِي صَدَرٍ

(١) يقال : لفع فلان فلانا بينه : أساء به .

وَجَرَّتُهُ بِشَيْفَاءٍ قَدْ أَتَاكَ كَمَا
إِذَا شَكَوْتَ فَكُلُّ الْكَوْنِ ذُو وَصَبٍ
وَمَنْ شَكَأَ بِأَلِيمِ الْوُجْدِ فِي بَصَرٍ [٢٢٢]
فَأَسْأَلَ اللَّهَ رَبَّ الْعَرْشِ فِي لُطْفٍ
وَأَنْ يُدَافِعَ عَنْ ذَاتِ بَحْرَمَتِهَا
فَقَدْ تَمَوَّذَ غَيْرَ الشَّهْدِ وَالشَّفَعِ^(١)
بَسَرِي إِلَيْكَ بِهَا إِنْعَامٌ مُقْتَدِرٍ
تَمَوَّذَ الْخَلْقُ لُطْفَ اللَّهِ فِي الْقَدَرِ

في التهيئة بود
الأمير من جبل
الشوار

ثم قال بعد إيراد جملة من نظمه :

وَأَنْشَدَهُ وَقَدْ عَادَ — رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ — مِنْ بَعْضِ مَتَوَجِّهَاتِهِ الْجِهَادِيَّةِ
لِجَبَلِ الشَّوَارِ .

عَلَى الطَّائِرِ الْبَيُوتِ وَالْعَالِمِ الشَّدِيدِ
قَدِمْتَ مَعَ الصَّنْعِ الْجَمِيلِ عَلَى وَعْدِ
وَقَدْ عُدْتَ مِنْ جَبَلِ الشَّوَارِ لَتَجْتَلِي
عَمَائِلَ لِلْفَتْحِ السَّيِّئِ بِلَا^(٢) عُدٍّ
ثم قال بعد ذكر جملة :

فيما يرسم
بطيخان الأبرار

وَقَالَ مِمَّا رَسَمَ فِي طَيِّقَانِ الْأَبْوَابِ بِالْمَبَانِي السَّمِيدَةِ الَّتِي ابْتَنَاهَا مَوْلَانَا
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

أَنَا نَاجٍ كَهَلَالٍ
أَنَا كَرُمِيٌّ جَمَالٍ
يَنْجَلِي الْإِزْبِقُ فِيهِ
كَمَرُوسِ ذِي اخْتِيَالٍ
جُودُ مَوْلَانَا ابْنِ نَصْرِ
قَدْ حَبَانِي بِالْكَفَالِ

في مثل هذا

وفي المعنى :

مَنْ رَأَى النَّاجِ الرَّفِيعَا قَدْ حَوَى الشَّكْلَ الْبَدِيعَا

(١) كذا ورد البيت في الأصلين ، وفيه هموض .

(٢) في م وقع الطيب : « على عد » .

تَحْسُدُ الْأَفْلَاحُ مِنْهُ قَوْمَهُ السَّهْلَ التَّيْبَا
دُمْتَ رَبِّمَا لِلَّهِ إِنِّي أَنْظِرُ النَّاسَ الْجَمِيعَا

وفيه :

لِللَّهِ بِاللَّهِ قَصْرُ لِللَّهِ يَضَعُفِيهِ
فِيهِ مِحْرَابُ صَلَاةٍ يَفُتُّ الْإِزْبِقُ فِيهِ
تَالِيَا سُورَةَ حَيٍّ (١) وَالنَّمَالِي تَقْتَنِيهِ

وفيه :

أَيُّ قَوْمٍ ذِي كَمَالٍ سَهْمُهُ سَهْمُ السَّعَادَةِ
مَلِكُ الْإِزْبِقِ فِيهِ عُوْدُ الْإِحْسَانِ عَادَهُ
ذُو صَلَاةٍ مِنْ صَلَاتٍ كُلُّهَا دَائِمًا مُقَادَهُ

وفي المتن مما كتبه لميتي لعننا الأمير سعد رحمه الله تعالى عليه :

أَنْظِرُ لِأَفْقِ سَمَالٍ بِرِ الْأَبَارِقِ تَضَعْدُ
يَدْبِعُ خُسْنِ حَبَاهُ بِهِ الْأَمِيرُ الْمُسَجَّدُ
فَخَرُ الْإِمَارَةِ سَعْدُ بِهِ الْخَلِيفَةُ يَسْعَدُ
وَكَيْتَ لَا وَأُجْرُهُ فَخَرُ الْمُلُوكِ مُحَمَّدُ
[عَلَيْهِ خَلِيٌّ رِضَاهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ تَجَدَّدُ] (٢)

في بيتي
للأمير سعد

وفيه أيضاً :

رَفَعْتَ قَوْمَ سَمَاهُ يُزْنِي بِتَاجِ الْهِلَالِ

[٣٢٤]

(١) كذا في م ونجح الطيب المخطوط وق ط : حسن .

(٢) هذا البيت من م ونجح الطيب .

قَدْ قَلَّدَتْهُ نَقُوشِي دُرُّ الدَّرَارِي الْقَوَالِي
تَرَى الْأَبَارِقَ فِيهِ تَهْدِيكَ هَدَبَ الزُّلَالِ
قَدْ زَانَ قَصْرِي سَعْدٌ بِسَعْدِهِ الْمَتَوَالِي
فَدَكَّامَ بِعُمُرُ رَبِّي فِي ظِلِّ مَوْلَى الْمَوَالِي

وقال في الغرض :

مَا تَرَى فِي الرِّبَاضِ أَشْيَاهِي يَسْخَرُ الْعَقْلَ حَسَنَ الْبَاهِي
زَانَ رَوْحِي أَمِيرُهُ سَعْدٌ وَهُوَ تَجَلُّلُ النَّبِيِّ بِاللَّهِ
دَامَ مِنْهُ بِمُرْتَقَى عِزِّ أَسْرُ بِالشُّعُودِ أَوْ نَاهِي

وقال في غرض الشكر [عن مُعَطَّى صِنَاجِي أَهْدَاهُ إِيَّاهُ] ^(١) :

لَمِنْ قُبَّةٍ حُمَرَاءُ مَدُّ فُضَاؤُهَا تَطَابَقَ مِنْهَا أَرْضُهَا وَسَمَاؤُهَا
وَمَا أَرْضُهَا إِلَّا خَزَائِنُ رَحْمَةٍ وَمَا قَدْ سَمَّاهُ فَوْقَ ذَلِكَ غَطَاؤُهَا
وَقَدْ شَبَّهَ الرَّحْمَنُ خَلْقَتَنَا بِهَا وَحَسْبُكَ فَخْرًا بَانَ مِنْهُ أَعْيَاؤُهَا
وَمَعْرُوشَةُ ^(٢) الْأَرْحَاءِ مَعْرُوشَةُ بِهَا صُنُوفُ مِنَ النِّعَمَاءِ مِنْهَا وَطَاؤُهَا
تَرَى الطَّيْرَ فِي أَجْوَافِهَا قَدْ تَصَفَّتْ عَلَى أَنْفَرٍ ^(٣) عِنْدَ الْإِلَهِ كَمَاؤُهَا
وَنَسِيتُهُ صَنِيعًا عَبَّرَ ^(٤) أَنَّهُ تَقَصَّرَ عَمَّا قَدْ حَوَى خَلْقَاؤُهَا
حَبَّتَنِي بِهَا دُونَ الْعَبِيدِ خِلَافَةً عَلَى اللَّهِ فِي يَوْمِ الْجَزَاءِ جَزَاؤُهَا

(١) ما بين القوسين عن م وضع الطيب .

(٢) كذا في م وضع الطيب . وفي م « مفروشة » .

(٣) في م وضع الطيب : « على نعم » .

(٤) كذا في م . والذي في م وضع الطيب : « ونسيتها ... غير أنها » . والضمير
بذلك عائد على المعنى المهدى ، وبالتالي عائد على القبة .

وفي مثله :

مَا لِلْمَوَالِمِ جُمُعَتُ فِي قُبَّةٍ قَدْ شَادَهَا كَرُمُ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ
فِي صَفْحٍ صَرَحَ بِالرَّجَاحِ مُنَوَّدُ وَيَجُودُ مَوْلَايَ الْإِمَامِ مُمَهَّدُ
مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا تَمِغْتُ بِطَائِرٍ ^(١) عَنْ ثَوْبٍ مُوَبِّى الرَّيَاشِ مُعَرَّدُ
إِنْ لَمْ تَكُنْ تِلْكَ الطَّيُورُ تَفَرَّدَتْ فَلْيَسْكُرْ هَذَا الْقَبْدُ سَجْعُ مُعَرَّدُ
صُنِفَتْ عَلَيْهَا لِلْفَوَاكِدِ كُلِّ مَا قَدْ عَلَقَدَتْهُ بِدَوْحِهَا الْمُتَعَوَّدُ
لَوْ أَبْصَرْتُ مِنْهَا جَنَّةً أَوْ ضَاعَتْ دَانَتْ لَهُ أَمْلَاكُهَا بِتَعَمُّدٍ ^(٢)
عَوْدَتْنِي الصَّنْعُ الْجَبِيلُ تَفَضَّلَا لَا زِلْتُ خَيْرَ مُعَوَّدٍ وَمَعَوَّدُ
وَبِسُورَةِ الْأَنْعَامِ كَمْ مِنْ آيَةٍ ! فِيهَا لِقَارٍ بِالنَّوَالِ مُجَوَّدُ

[٣٢٥]

وقال تذييل لبيتى ابن المعتز :

« سَقَيْتَنِي فِي لَيْلٍ شَبِيهَ بِشَعْرَهَا شَبِيهَةً خَدَّيْهَا بِغَيْرِ رَفِيبِ
فَأَسْتَبْتُ فِي لَيْكِنٍ لِلشَّعْرِ وَالذَّجَى وَشَمْسَيْنِ مِنْ خَيْرِ وَخَدَّيْ حَبِيبِ »
إِلَى إِنْ بَدَأَ الصَّبِيحُ الْمُبِيرُ كَأَنَّهُ لِحَيَّا ابْنِ نَهْرٍ لَمْ يُشْنِ بِغُرُوبِ
شَمَائِلِهِ مَهْمَا أُدِيرَتْ كُنُوسُهَا فَلَا تَدُ أَسْمَاعُ وَأَنْسُ قُلُوبِ

وقال مُذَبَّلًا عَلَى بَيْتِ ابْنِ وَكَيْعٍ أَيْضًا :

« هِيَ فِي أَوْجَعِ النَّدَامَى عَقِيقٌ وَهِيَ مِثْلُ النَّضَارِ فِي الْإِفْدَاحِ »
كَأَنَّ نَهْرَ تَرَاهُ فِي الْخَرْبِ لَيْثًا وَهُوَ بِذُرِّ الْهَدْيِ وَغَيْثِ السَّمَاحِ

وله في التذييل
على بيتى ابن
المعتز

وله في التذييل
على بيت ابن
وكيع

(١) في فتح الطيب : « كطائر » .

(٢) الشجر في أوضاعه للفظى وهو الربة الموصوفة ؛ وفي دانت له يعود على الهدى ، وهو محمد الذى بالغة .

ذِكْرُهُ قَدْ نَفَى قُدُودَ النَّدَامَى وَأَعَادَ الْحَيَاةَ فِي الْأَشْبَاحِ^(١)

وقال مما يرسمُ للغنى بالله :

لِلْغِنَى بِاللَّهِ مُلْكٌ بَرْدُهُ بِالْعَزِّ مُذْهَبٌ

دَامَ فِي رَفْعَةِ شَانٍ مَاجَلًا الْإِصْبَاحُ غَيْهَبٌ

وقال أيضاً :

يَا بَنَ نَصْرِ لَكَ مُلْكٌ لَيْسَ تَعْدُوهُ الْفُتُوحُ

ذُمْتُ رُوحًا لِلْعَسَالِي مَا تَسْرَى فِي الْجَنَمِ رُوحُ

وقال من مقطوعة :

وَابْنَ نَصْرِ لَهُ مُحَيَّا كَسْبِجٍ إِنْ تَجَلَّى جَلَادُجِي^(٢) كُلَّ كَرْبِ

ذُو حُسَامٍ كَأَنَّهُ لَمَعُ بَرْقٍ فِي بَنَانٍ كَأَنَّهَا غَيْثُ سَحْبِ

ومن أخرى :

وَكَاَنَّ النُّجُومَ فِي عَسَى اللَّيْسَلِ جَمَانٌ يُلُوحُ فِي آبُوسِ

وَكَاَنَّ الصَّبَاحَ فِي الْأَفْرِ يُحَلِّي بِحُلَى النُّجُومِ مِثْلُ الطَّرُوسِ

وَكَاَنَّ الرِّيَاضَ نُهْدَى ثَنَاءً لِلْغِنَى بِاللَّهِ فَوْقَ الطَّرُوسِ

ثم قال بعد قصائد كثيرة عبيدة :

وقال من أخرى عبيدة شاركها في كثير [من أبياتها قصيدة^(٣)] فتحية

تقدّمت ، أولها :

(١) في م وفتح الطيب : « في الأرواح » .

(٢) في فتح الطيب : « لنا » مكان « ديس » .

(٣) التكملة عن م .

• مِنْ نَفْحَةِ هَبَّتْ مِنَ الْأَنْصَارِ •

والمختص بهذه :

أَضِيَاءُ هَذِي أُمِّ ضِيَاءِ نَهَارٍ وَشَدَا الْمَعَامِدِ أُمِّ شَدَا الْأَزْهَارِ

ومنها بعد كثير :

[٣٢٦] قَسَا يَهْدِيكَ فِي الصَّبَا وَإِنَّهُ شَسَّ تَبْدُ الشُّهْبَ بِالْأَنْوَارِ

ومنها أيضاً :

كَمْ مِنْ لَطَائِفٍ لِلْهَدَى أَوْضَعَهَا حَقِيتَ مَذَارِكُهَا^(١) عَلَى الْأَفْكَارِ

كَمْ مِنْ جَرَائِمٍ قَدْ عَفَرَتْ عَظِيمَهَا مُسْتَنْزِلًا مِنْ رَحْمَةِ الْغَدَارِ

عَلَيْتَ مُلُوكُ الْأَرْضِ أَنْكَ فَخَرَهَا قَسَا بَقَتْ لِرِصَاكَ فِي مِضَارِ

في وصف جيش ومنها يصف الجيش :

سَالَتْ بِرِ تَحْتَ الْمَجَاحِرِ سَفِينَةُ نَفِيتَ بِرِيحِ الْقَرْمِ^(٢) مِنْ أَنْصَارِ

أُرْسَتْ بِحُودَى الْجُودِ فِي يَوْمِ الذِّدَى وَجَرَتْ بِيَوْمِ الْخُرْبِ فِي تَبَارِ

ومنها :

أَلْقَى بِأَيْدِي الرِّيحِ فَضْلَ عَنَانِهِ قَبِكَادُ يَسْبِقُ لَمْعَةَ الْأَنْصَارِ

ومنها :

فَهَيَّ الْعِرَابُ مَتَى أُثِيرَتْ فِي الْوَعَى قَدْ أَعْرَبَتْ عَنْ هُنُورِ لُفِّ الْبَارِي^(٣)

(١) في تلح الطيب : « لَطَائِفُهَا » .

(٢) في تلح الطيب : « الْقَرْمُ » .

(٣) كَذَا فِي ط وَنَحِ الطَّيْبُ الْمَهْطُوطُ . وَفِي م وَنَحِ الطَّيْبُ الْمَطْبُوعُ : « انْبَرَتْ » .

ومنها :

إِنْ خَاضَ فِي بَحْرِ الْعَجَاجِ ^(١) رَأَيْتَهُ يَجْلُو دُجْنَتَهُ بِوَجْهِ نَهَارٍ

ومنها :

كَمْ فِيهِمْ مِنْ قَارِي صَنِيفٍ طَارِقٍ وَضَعَتْ شَوَاهِدُ فَضْلِهِ لِلْقَارِي

ومنها :

يَأْتِيهَا الْمَلِكُ الَّذِي أَتَاهُ عُرُزُ تَلُوحٍ بِأَوْجُهُ الْأَعْصَارِ
قَدْ زَارَكَ الْعِيدُ السَّعِيدُ مُبَشِّرًا فَاصْبَحْ لِأَنْفٍ مِنْهُ بِمَزَارِ
لَمْ أَرِدْ عَنْهُ عَوَاطِفَ الْفَنَاءِ ^(٢) عَطَفَ إِلَهُهُ عَلَيْكَ عَطَفَ سِوَارِ
[فَأَنْ] ^(٣) يَوْمَ مَنَّكَ هَذَا صَالِحًا كَيْ ^(٤) يَسْتَيْدُ النُّورَ بَعْدَ سِرَارِ
وَأَنْتَكَ يَسْعَى ذَيْلُ سَحَابٍ أَعْدَقَتْ نَفْرَى جُفُونَ الْهَزَنِ بِاسْتِقْبَارِ
جَادَتْ بِجَارِي الدَّمْعِ مِنْ قَطْرِ النَّدَى فَرَعَى الرَّبِيعُ لَهَا حُقُوقَ الْجَارِ
فَأَعَادَ وَجْهَ الْأَرْضِ طَلَقًا مُشْرِقًا مُتَفَاحِكًا بِبَيَاسِمِ النَّوَارِ
لَمَْا دَعَاكَ إِلَى الْيَتَامِ بُسْنَةً حَكَمْتَ دَوَاعِيَ الْجُودِ وَالْإِبْشَارِ
فَأَقْفَضْتَ فِينَا مِنْ نَدَاكَ مَوَاهِبًا حَسَنْتَ مَوَاقِعَهَا عَلَى التَّكْرَارِ
فَاهْنَأْ بِعِيدٍ عَادَ بِشْتِيلِ الرِّضَا جَذْلَانِ بَرَقُلُ فِي حِلَى اسْتِيشَارِ

(١) في نفع الطيب : « في ليل العجاج » .

(٢) كذا في ط ونفع الطيب . وفي م : « لبيتها » .

(٣) النكته عن نفع الطيب .

(٤) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « إذ يسند » .

(٥) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « بحار الدمع » .

ومنها :

لَا عُدْرَ لِي أَنْ كُنْتُ فِيهِ مَقْصَرًا سَدَّتْ صِفَانِكَ أَوْجُهُ الْأَعْدَارِ
فَإِذَا تَنَقَّلْتُ مِنَ الْمَنَاقِبِ دُرَّهَا شَرَفْتَنِي مِنْهَا بِنَسْطِمْ دَرَارِي
فَلِذَاكَ أَنْظِيهَا فَلَا تَدِرُ لَوَائِي لِأَلَاؤِهَا قَدْ شَفَّ بِالْأَنْوَارِ

ثم أورد هذا المؤلف قصيدة ميمية طويلة ، أولا :

من قصيدة 4
ميمية

هَنَاءٌ لَهُ نَفَرُ الْهَدَى يَنْبَسِمُ وَبُشْرَى بِهَا عَرَفُ الرِّضَا يَنْفَسِمُ
نَبَسَمَ نَفَرُ النَّفَرِ عَنْهَا يَشَارَةُ فَأَعْدَى نَفَرُ الزَّهْرِ مِنْهُ التَّبَسُّمُ
وَلَا عَجَبُ مِنْ يَنْبَسِمُ الزَّهْرُ فِي الرِّبَا فَلْيَبْرِقْ مِنْ خَلْفِ السَّحَابِ يَنْبَسِمُ
عِنَابُهُ مَنْ أَعْطَى الْخَلِيفَةَ رُبَّةً عَلَيَّهَا اللُّجُومُ النَّيِّرَاتُ نَحْوَمُ
فَمِنْهُ اسْتَفَادَ الْمَلِكُ كُلُّ غَرِيبَةٍ تَحْطُ عَلَى صَنْحِ الزَّمَانِ وَتَرْسَمُ
وَمِنْهُ تَلَقَّى الْهَدَى كُلُّ خَلِيفَةٍ كَأَنَّهُمْ مِنْهَا أَفَادَ تَعَلَّمُوا

[٢٢٧]

ومنها بعد نيف على ستين بيتاً :

وَكَمْ مِنْ لَوَاءٍ فِي الْفُتُوحِ نَشَرْتُهُ وَلِلْغُصْبِ جَيْشٌ دُونَهُ يَنْقَدِمُ
فَقُلْ لِمُلُوكِ الْأَرْضِ دُونَكُمْ فَقَدْ أَعْلَمُ تَالَا زَالٍ بِالنَّصْرِ يُغْصِمُ
نَسَأْتُ بِهِ لِلنَّصْرِ أَشْرَفُ ذِمَّةٍ لَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ عَهْدٌ مُكْرَمُ
وَكَمْ مِنْ جِهَادٍ قَدْ أَقَمْتُ فُرُوسَهُ يُرَارُ بِهِ الْبَيْتَ الْعَتِيقُ وَزَمَزَمُ
وَكَمْ عَزَمَتِهِ جَرَدَتْ مِنْهَا إِلَى الْعِدَا حُسَامًا بِرِ دَاءِ الضَّلَالَةِ يَحْصِمُ
وَكَمْ بَيْتَ مَالٍ فِي الْجِهَادِ بَذَلْتُهُ وَأَقْرَضْتُ مِنْهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ يَعْلَمُ
وَكَمْ لَيْلَةٍ قَدْ حِثَّتْ فِيهَا بِلَالِي مِنَ النَّفَرِ فِيهَا لِلْأَسْنَةِ أَنْجُمُ
سَهَرَتْ بِهَا وَاللَّهُ يَكْتُبُ أَجْرَهَا تُؤْمِنُ فِيهَا الْخَافِقُ وَالْخَافِقُ نَوْمُ

وَفَوْقَكَ^(١) مِنْ سَمْعٍ لَوْلَا شَهْرٌ
 إِذَا أَنْتَ جَهَزْتَ الْحَيَادَ إِفَارَةً
 فَمِنْ أَشْهَبَ مَهَا يَكُرُ رَأَيْتَهُ
 وَأَحْمَرُ قَدْ أَذْكَى يَدِ الْبَاسُ جَذْوَةً
 وَأَشْفَرُ أَعْدَى الْبَرْقِ لَوْنًا وَسُرْعَةً
 وَأَصْفَرُ فِي لَوْنِ الْقَيْسِ وَذَيْلُهُ
 وَأَدْمُهُ مِثْلُ اللَّيْلِ وَالْبَدْرُ غُرَّةُ
 وَأَشْهَبُ كَأَنَّهُ طَائِسٌ قَدْ خَطَّ صَفْحَهُ
 وَرَبُّ جِلَادٍ مِنْ جِدَالٍ سَطَرَتَهُ
 وَقَامَ خَطِيبُ السَّيْفِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ
 فَكَمْ مِنْ رَأْسٍ عَنْ جُسُومٍ أَزَالَهَا
 وَزُرْقِي عَيْنُونِ الْأَسْفَلِ قَدْ بَكَتْ
 وَشَهِيرُ خُصَامٍ كُلَّمَا أَفْرَقَ الْعِدَا
 فَأَصْلَحَتْ عِبَادُ الْمَسِيحِ مِنَ الْوَعَى
 أَبْرَءُ^(٢) مِنَ التَّنَائِيثِ بِاللَّهِ وَحَدَهُ
 وَتَبَهُ سُبُوقًا مَاضِيَاتٍ عَلَى الْعِدَا
 وَاللَّهُ مِنْ شَجَرِ الْعَيْبَانِ مُودَعٌ
 تَنَزَّلَ فِيهِ الذِّكْرُ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا
 وَذُوْنِكَ مِنْ هَضْمٍ خُصَامٍ مُصْعَمٌ
 فَإِنْ صَبَّاحَ الْخَيْ أَعْيَزَ أَفْنَمٌ
 صَبَّاحًا بِلَيْلِ النَّفْعِ لَا يُبْسَكُمُ
 إِذَا الْفَلَ عَطْفًا فِي الْوَعَى يَتَفَرَّمُ
 وَلَكِنْ لَهُ دُونَ الْبَرْقِ النَّقْدُ
 وَلَوْ أَنَّ الَّذِي بَعْدَ الْقَشِيَّةِ يُعْلَمُ
 وَبِالشَّهْبِ فِي حَلِيِّ الْمُقْلَدِ مُلْجَمٌ
 كِتَابٌ مِنَ النَّعْمِ لِلْوُزْرِ مُحْكَمٌ
 بِرَأْسِ الْفَنَاءِ^(٣) فِيهِ تَخْطُ وَتَرْمُ
 فَأَعْجَبُ مِنْهُ أَعْجَمُ بِتَكَلُّمٍ
 فَأُنْكَلَ مِنْهَا كُلُّ بَاغٍ يُجْعَمُ
 وَلَا دَمْعَ إِلَّا مَا أُسِيلَ بِهِ الدَّمُ
 تَلَقَّتْهُمْ مِنْهُ سَرِيحًا جَهَنَّمُ
 سَعِيرًا بِوَرْمِ السَّيْحِ وَصَرَائِمِ
 فَمَنْ يَمْتَعِمُ بِاللَّهِ فَاللَّهُ يَنْصَحُ
 وَخَلَّ بِمُؤْنِ الْمَرْغَفَاتِ تَهْوَمُ
 عَلَى كُلِّ مَحْتَوَمٍ السَّعَادَةِ يَكْرُمُ
 فَيُبْدَأُ بِالذِّكْرِ الْجَمِيلِ وَيُخْتَمُ

[٣٧٨]

(١) كذا في م - وفي ط : « وسعدك » .

(٢) في ط : « القى » .

(٣) كذا في ط ، وفي م : « أبرز » ، وفي اللفظ تحريف .

وَفِيهِ مِنْ لِبَالٍ مُنِيرَةٍ أَضَاءَ بَنُورِ الْوَحْيِ مِنْهُمْ مُظْلِمٌ
 وَصَابَتْ سَحَابُ السَّمْعِ يُخْفِي بِمَانِهَا مِنْ السَّخْفِ أَوْ زَارُ نُحْطُ وَمَأْتُمْ
 وَلِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةُ الْقَدَرِ قَدْ غَدَتْ عَلَى أَلْفِ شَهْرِ فِي الثَّوَابِ تَقْدَمُ
 تَبَيَّنَتْ بِهَا حَقُّ الصَّبَاحِ بِإِذْنِهِ مَلَائِكَةُ السَّمْعِ الْعُلَاقِ تَسْلَمُ
 وَبُشِّرَى بِعِيدِ الْفِطْرِ أَتَيْنِ قَادِمٍ عَلَيْكَ بِمَجْمُوعِ الْبَشَائِرِ بِقَدَمِ
 جَعَلَتْ قِرَاءَهُ سُنَّةَ نَبْوِيَّةٍ لَهَا فِي شِعَارِ الدِّينِ قَدْرٌ مُعْظَمُ
 وَمِنْ دَعَوَاتِ الْإِلَهِ رَفَعَتْهَا تُسَدُّ مِنْهَا لِلْإِبْرَاقَةِ أَنْهَمُ
 وَفِي كُلِّ عَيْنٍ مِنْ مَحَبَّاتِكَ قُرَّةٌ وَفِي كُلِّ كَفٍّ مِنْ تَوَالِكَ أَنْهَمُ
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْفَخْ بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ فَلَا أَبْصَرَ لِلصَّبَاحِ مَنْ يَتَوَسَّمُ^(١)
 فَمَا هَدَى الْإِسْلَامَ غَيْرَ خَلِيفَةٍ عَلَى عِطْفِهِ دُرُّ الْمَعَامِدِ بِنُظْمِ
 فَكَلَّمَ بَيْتَ شِعْرِ قَدْ عَمَرَتْ بِذِكْرِهِ قَبَاتَ بِعَرَادَى الشَّرَى بِقُرْنِمْ
 وَلَسْنَا بِيُونَا بَلْ فُصُورًا مَشِيدَةً نُطْلُكُ عَلَى أَوْجِ السَّلَا وَنُخَيِّمْ
 وَمَا مَرَّهَا أَنْ قَدْ تَأَخَّرَ عَنْهَا إِذَا طَالَ مَبْنَاهَا الدِّينَ تَقْدَمُوا
 وَإِذْ^(٢) أَنْتَ مَوْلَاهَا وَكَامِرُ رَبِّهَا فَكُلُّ فَخَارٍ تَدْعِيهِ مُسَلَّمُ
 أَنَا الْعَبْدُ قَدْ أَسْكَنْتُهُ جَنَّةَ الرِّضَا فَلَا زِلْتَ فِيهَا خَالِدًا تَنْتَلِمُ
 وَلَا زِلْتَ فِي الْأَعْيَادِ سَاجِعَ رُوضِهَا^(٣) إِذَا اخْتَفَلَتْ أَشْرَافُهَا أَتْرُفُمْ
 تَبَيَّنَتْ^(٤) مَتَى بَيْلُ الْإِيمَانِ تُجِدُهُ وَفِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْكَ عِيدٌ وَمَوْجِدُ

(١) في ط : « من يتوسم » . وما أنبتاه عن م .

(٢) كذا في م . وفي ط : « ومنذ أنت » .

(٣) في ط : « ساكن » . وما أنبتاه عن م .

(٤) كذا في م . وفي ط : « أقت » .

وَدُمْتُ لِأَلْفٍ مِثْلِهِ فِي سَعَادَةٍ يَذْكُهَا بِهَا بَاغٍ وَيَعْتَرِ مُسْلِمٌ
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَهْرَ جُهْدَ مُقْصِرٍ وَأَنْتَ أَغْلَى مِنْ مِدْبَحِي وَأَعْظَمُ
خَفْتُ نَتْنِي بِاللُّعَاةِ وَهَانَا أَقْلَبُ فِي كَفِّ النَّدَى وَأَسْلَمُ

ثم قال : ولما انتقل مولانا الجد إلى رِضْوَانِ اللَّهِ ونعيم خُلده ، وقام مولانا
الوالد ولي عهده بالأمر من بعده ، أنشده رثاء في السَّكْفِ ، وهناء في الخَلْفِ ،
رحمة الله تعالى عليهما :

[عَزَاءٌ فَإِنَّ الشَّجُوَ قَدْ كَانَ مُصْرَفٌ وَيُشْرِي بِهَا الدَّاهِي عَلَى الْغَوْرِ يُشْرِفُ]
لَيْنٌ غَرَبَ الْبَسْدُ لِلنَّيْرِ مُحْدَدٌ قَدْ طَلَعَ الْبَسْدُ الْمَكْدَلُ يَوْسُفُ
وَأِنْ رُدَّ سَيْفُ الْمَلِكِ صَوْنًا لِفَتْدِهِ قَدْ سَلَّ مِنْ غَمْدِهِ^(١) الْخِلَافَةُ مَرْهَفُ
وَأِنْ طَوَّتِ الْهَرْدُ الْبِمَانِي يَدُ الْبَلِي قَدْ شَرَّ الْهَرْدُ الْجَدِيدُ لِلْفَوِّفِ
وَأِنْ نَسَبَ الْوَادِي وَجَفَّ مَعِينُهُ قَدْ قَاضَى بَحْرُ الْجَوَاهِرِ بِغُذْفِ
وَأِنْ صَوَّحَ الرَّوضُ الَّذِي يُبْلِغُ الْمُنَى قَدْ أَزْهَرَ الرَّوضُ الَّذِي هُوَ يُخْفِ
وَأِنْ أَقْلَمَتْ سَحْبُ الْعَيَا وَتَشَامَتْ قَدْ نَشَأَتْ رِيَهَا غَامِمٌ وَكُفَّ
وَأِنْ صَدَعَ الشُّمْلُ الْجَمِيعُ^(٢) يَدُ النَّوَى يَوْسُفُ فَخَرُ الْمُتَقَدِّ يَنْتَأَلَفُ
وَأِنْ رَاعَ قَلْبَ الدِّينِ نَفَى إِبَالِهِ قَدْ هَزَّ مِنْهُ بِالْبِشَارَةِ مَخِيفُ
وَقَدْ مَلَكَ الْإِسْلَامَ خَيْرُ خَلِيفَةٍ مِنَ الْبَذْرِ أَبْهَى بَلَّ مِنَ الشَّمْسِ أَشْرَفُ
يُسِيرُ مُحْيَاهُ الصَّبَاحَ إِذَا كَدَا وَتُخْجِلُ يُبْنَاهُ الْقَمَامُ وَتَخْلِفُ
فَنْ وَرِثَاهُ الْكَوَاكِبُ تَهْتَدِي وَبِنْ فَيْضِ جَدْوَاهُ الْحَيَا تَتَوَكَّفُ

(١) هذا البيت عن م .

(٢) في ط : د سيف . والتصويب عن م .

(٣) في ط : د الجبل . والتصويب عن م .

وَلَمَّا قَضَى الْمَوْتُ الْإِيمَانَ مُحَمَّدٌ
فَلَا جَنَاحَ إِلَّا مَرْسِلٌ سَحَبَ دَمْعِهِ
وَقَدْ كَادَتْ الدُّنْيَا تَمِيدُ بِأَهْلِهَا
وَقَدْ كَادَتْ الْأَفْلاكُ تَرْفُصُ خُسْرَةَ
وَلَكِنْ تَلَاىِ اللَّهُ أَمْرَ عِبَادِهِ
فَلَذِينَ وَالدُّنْيَا ابْتِهَاجٌ وَغِيظَةٌ
أَمَانٌ كَمَا تَنْدَى الشَّيْبَةُ نَضْرَةً^(١)
طَلَعَتْ عَلَى الْإِسْلَامِ فِي قَوْلَةِ الرِّسَا
بِوَجْهِ بَرِيئَا الْبَذَرِ عِنْدَ طُلُوعِهِ
وَعَزَمَ كَمَا انْشَقَّ الْمَسْبُوحُ مُصْطَمِرٌ
وَحَوْلَكَ مِنْ حِفْظِ الْإِلَهِ كِتَابٌ
فَوَاللَّهِ مَا نَذَرِي وَرِلْعَلِمَ عِنْدَنَا
أَوْجُحُكَ أَمْ شَمْسُ الْهَارِ تَطْلَعُ
فَكَلِمَ لَكَ مِنْ ذِكْرِ حَمِيلٍ وَمَغْفِرٍ
بُرَارَ بِهِ التَّيْتُ الْقَتِيقُ وَزَمَزَمَ
وَمَنْ يَسْأَلِ الْأَيَّامَ تُخْبِرُهُ أَنَّهَا
وَهَلْ تَهْدِيهِ الْأَيَّامُ بَنِيَانٍ مَنَعَرٍ
وَلَوْ كَانَتْ الْأَيَّامُ قَبْلُ تَنْسَكُرَتْ
أَلَا لَا تَرُعْنَا الْعَادَاتُ قَانَنَا

تَحَكَّمُ فِي النَّاسِ الْأَمْسَى وَالنَّاسُ
وَلَا قَلْبَ إِلَّا بِالْجَوَى يَتَلَفَّ
وَقَدْ كَادَتْ الشَّمُ الشَّوَامِخُ تَرْجُفُ
وَكَادَتْ بِهَا الْأَنْوَارُ تَخْفُو وَتُسْكُفُ
بِوَارِنِهِ وَاللَّهُ بِالنَّاسِ أَرْأَفُ
وَالشَّمْسُ تَغْرُبُ بِالنَّاسِ يُتَشَفُّ
يُذْ لَهْ ظِلٌّ عَلَى الْأَرْضِ أَوْفَى
فَأُثْمِنَهُ مِنْ كُلِّ مَا يَنْخَوِفُ
وَفِي وَجَنَةِ الْبَذَرِ لِلْبَيْرِ التَّكَلُّفُ
وَرَأَى بِهِ بَيْضُ الصَّوَارِمِ تَرْهَفُ
وَقَوَّفَكَ مِنْ ظِلِّ السَّمَاءِ رَفُوفُ
بَرَاهِينِ عَنْ وَجْهِ الْحَقِّاقِ تَكْشِفُ
وَكَذَلِكَ أَمْ سَحَبَ الْحَيَا تَتَوَكَّفُ
عَمِيرٌ عَلَى أَوْجِ الْكَوَاكِبِ يَشْرِفُ
وَبَعْرِفُهُ حَتَّى الصَّمَا وَالْمَعْرِفُ
بِقَوْلِكَ تَرْمِي فِي الصَّخَارِ وَتَشْرِفُ
تُسَيِّدُهُ آيَةُ كِرَامٍ وَمُنْخَفُ
فِيَا سَمِكَ يَا بَذَرَ الْهَدَى تَنْتَعْرِفُ
عَصَابَةُ تَوْجِيدٍ بِهِ تَقْشَرُفُ

[٢٢٠]

وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا التَّوَكُّلُ عَادَةً
فَمَنْ مَبْلُغُ عَمَّا نَفَى رُبُّهُ
بَابُهُ مَا بَلَّغَتْ دِينَ مُحَمَّدٍ
وَعَنْكَ يَرُوى النَّاسُ كُلَّ غَرِيبٍ
فَكَثُرَتْ غَمًّا لَا وَهَدَمَتْ يَمَةً
وَكَمْ مِنْ مَنَارٍ بِالْأَذَانِ عَمَرَتْهُ
وَسِرَتْ وَقَدْ خَلَقْتَ خَيْرَ خَلِيقَةٍ
أَبُوسُ قَدْ أَوْصَيْتَهُ أَجْمَلَ الرِّصَا
وَكُنْتَ لَهُ يَا قُوَّةَ الْعَيْنِ قُوَّةً
سَتَجِرَى عَلَى آثَارِهِ سَابِقٌ لِلَّذِي
سَيَأْتِي عَدُوَّ الدِّينِ مِنْكَ عَزَائِمًا
وَيَأْسَفُ لَكَ بِبُعْدِ الْبَرِّ رَاتِمِي
وَتَفْتَحُ مِنْ بِلَادِهِ كُلَّ مُقَلِّ^(١)
فَمَا أَرْوَسُ الْكُفَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ
حُسَامِكَ رَفَرَأَقُ الصَّفِيرِ كَأَنَّهُ
ضَعِيفٌ يَصِخُّ النَّصْرُ مِنْ قَتَاكِهِ
وَرُحْلُكَ مُرْتَاحٌ لِلْعَامِطِ هِرَّةٌ
وَلَا عَيْبَ فِيهِ وَغَيْرُ أَنْ سِنَانَهُ

وَلَنْ تَجِيلُ وَعُسْدُهُ لَيْسَ يُخْلَفُ
وَقَدْ سَارَ لِلْفِرَقَدُوسِ بُحْبَا
أَمَانِيٍّ لِلرُّمَحَنِ نَذْنِي وَزُلْفِ
يُرُوى لَنَا مِنْهَا الْقَرِيبُ الْمُصَنَّفُ^(٢)
وَنَافُوسُهَا بِالْكَفْرِ يَهْدِي وَيَهْتِفُ
فَصَارَتْ بِهِ الْأَذَانُ بَعْدَ نُدُفِ
لَكَ الْقَهْرُ مِنْهُ وَالشَّاهُ الْمُخْلَفُ
وَكَانَ يَمَّا تَرَضَى وَتَخْتَارُ بِكَلَفِ
عَلَى رُبِّهِ الْخَنُومِ تَحْنُو وَتَرَأَفِ
فَيَهْدِي لَهُ مِنْكَ الشَّاهُ الْمُصَنَّفُ
إِلَيْهِ بِجَرَارِ الْكُتَابِ تَزُخَفِ
يُفْرَسَاوُهُ وَالْبَحْرُ بِالشُّفَنِ بِقَذِفِ
بُعْدُ عِبَادِ الْمَلِكِ وَيُؤَسِّفِ
بِسَيْفِكَ سَيْفِ الْفَرِّ نَجْنِي وَتُظْلِفِ
بِكَلَمِكَ مِنْ مَاءِ الشَّاهِ^(٣) يُنْطَفِ
يُرُوى لَنَا مِنْهُ الصَّحِيحُ الْمُصَنَّفُ^(٤)
كَأَنَّ قَدْ سَقَطَتْ مِنْ دَمِ الْكَفْرِ قُرُوفِ
إِذَا شِمَ رَجَحَ النَّفْعِ فِي الْحَرْبِ يَرْعَفِ

(١) في البيت تورية بكتاب « العرب المصنف » في اللغة، لأبي عبيد القاسم بن سلام.

(٢) في م : « مغل ».

(٣) في م : « ماء السحابة ».

(٤) في م : « المصنف ».

فَإِنْ كُنْتُ^(١) الْأَبْطَلُ فِي حَوَاطِرِ الْوَعَى
بُشِيرُ لَنَا مِنْهُ التَّيَّانُ الْمُرْفُ^(٢)
لَقَدْ فَخَّرَ الْإِسْلَامَ مِنْكَ يَدْبَعَةُ
وَزَالَ بِهَا عَنْهُ الْأَسَى وَالْتَحَافُوفُ
وَالْبَيْتُ بَرْدًا مِنَ الْفَخْرِ ضَافِيَا
عَلَى عِطْفِهِ وَثَى الْمَدْحُ بِقُوفِ
وَقَدْ نَفَسْتُ فِيهِ الشُّعُودُ^(٣) مَيَامِنَا
كَأَنَّكَ الْفَقْدُ النَّفِيسُ وَرُصَفُ^(٤) [٢٢١]
فَدُمْتُ قَرِيرَ الْعَيْنِ فِي كُلِّ غِبْلَةٍ

وَأُنشد على لحده القدس — رحمه الله تعالى — في المعنى قوله :

صَرِيحٌ أَمِيرُ السُّلَمَيْنِ مُحْتَدٍ
يَحْضُكُ رَبِّي بِالسَّلَامِ الْمُرْدِدِ
وَحَيَاتُكَ^(٥) مِنْ رُوحِ الْإِلَهِ نَجِيَّةٌ
مَعَ اللَّامِ الْأَعْلَى تَرْوُحُ وَتَفْتَدِي
وَقَفْتُ جُيُوبَ الزُّهْرِ فِيكَ^(٦) كَأَنَّمِ
يَرِفُ بِهَا الرِّيحَانُ عَنْ خَفِيرِ^(٧) نَدَى
وَصَابَتْ مِنَ الرَّغْمَى^(٨) عَلَيْكَ عَمَائِمُ
تُرْوَى تَرَى هَذَا الصَّرِيحَ الْمُنْجَدِ
وَزَارَتْكَ مِنْ حُورِ الْجِنَانِ أَوَانِسُ
تَوَاعِمُ فِي كُلِّ النَّعِيمِ الْمُخَلَّدِ
وَتَاهَتْكَ بِالْبُشْرِى مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ
كَأَنَّمَا فِي الدَّكْرِ الْحَكِيمِ الْمُنْجَدِ
وَصَافَحَ مِنْكَ الرَّضَى أَطْيَبُ زُرْبَةٍ
وَعَاهَدَ مِنْكَ الْمَرْنُ أَوْ كَرَمِ مَعَهْدِ
رِضًا لِلَّهِ وَالصَّفْحُ الْجَلِيلُ وَعَفْوُهُ^(٩)
يُؤَالِي عَلَى ذَاكَ الصَّفِيحِ الْمُنْجَدِ

وله على لحده
التي يات

(١) كنت : جئت .

(٢) طرفت المرأة بانها : إذا خضبت بالحناء ، يشبه سنان الرمح الخضيب بالدم بالبيان
الحنضب بالحناء .

(٣) كذا في م . وفي ط : « وقد نظمت فيه المدح »

(٤) في الأصلين : « يوسف » بالواو . ولعلها معرفة عما أبيتناه .

(٥) في م : « وجاءتك » .

(٦) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « فيه » .

(٧) في نفع الطيب : « خضلت » .

(٨) في ط : « وطابت من الولي » والتصويب من نفع الطيب .

(٩) في ط : « والعفو الجليل وصفه » .

وبإصدقاً قد حاز من جواهر العلاء
أعذك أن الحليم والعلم والحيجا
وهل أنت إلا هالة القمر الذي
وباعتجبا من ذلك الترتب كيف لا
لقد ضاقت الأكران وفي رحبة
قدمت على الرحمن أكرم^(١) مقدم
أفام بك المولى الإمام محمد
لجاء كما برمى وترمى به العلاء
ومد طلال الفضل في كل وجهة
وقام بمقروض الحيات عن الزوى
قضى بد ما قضى الخلافة حتما
وفتح بالسيف للملك عنوة
وكسر تمثال الصليب وأخرست
وطهر محرابا وجدد منبرا
ودانت له الأملاك شرقا وغربا
وطيق ممنور البسيطة ذكره
وسافر عن دار الفتاة ليجنني

وبأصدقاً قد حاز من جواهر العلاء^(٢)
أعذك أن الحليم والعلم والحيجا
وهل أنت إلا هالة القمر الذي^(٣)
وباعتجبا من ذلك الترتب كيف لا
لقد ضاقت الأكران وفي رحبة
قدمت على الرحمن أكرم^(٤) مقدم
أفام بك المولى الإمام محمد
لجاء كما برمى وترمى به العلاء
ومد طلال الفضل في كل وجهة
وقام بمقروض الحيات عن الزوى
قضى بد ما قضى الخلافة حتما
وفتح بالسيف للملك عنوة
وكسر تمثال الصليب وأخرست
وطهر محرابا وجدد منبرا
ودانت له الأملاك شرقا وغربا
وطيق ممنور البسيطة ذكره
وسافر عن دار الفتاة ليجنني

[٢٢٧]

(١) في نفع الطب : « فاز من جواهر ... بكل »

(٢) في ط : « ونقدى » .

(٣) في م : « أين » . وما أبتناه من ط ونفع الطب .

(٤) في الأسفلين : « الأملاك » . وما أبتناه من نفع الطب .

وَقَامَ بِأَمْرِ اللَّهِ حَقَّ قِيَامِهِ
 لَيْثُ سَارَ لِلرَّحْمَنِ خَيْرٌ مَوْعِدٌ
 فَقَدْ خَافَ الْمَوْلَى الْخَلِيفَةَ يَوْسُفَا
 سَبِيلَكَ فِي سُبُلِ الْمَكَارِمِ يَفْتَنِي
 مُحَمَّدُ جَلَّى الْخَطْبِ مِنْ بَعْدِ يُوسُفَ
 وَلَوْ وَجَدَ الدَّاسُ الْفَيْدَاءَ مُسَوِّغاً
 سَبِيحَتِكَ أَرْضٌ كُنْتَ غَيْثَ بِلَادِهَا
 وَتَبَكَّى عَلَيْكَ السُّحُبُ مِنْ خُفُوفِهَا
 وَتَلَسَّسُ فِيكَ النَّيِّرَاتُ ظِلَامَهَا
 وَمَا بِي إِلَّا أَعْيُنٌ قَدْ تَسَهَّدَتْ
 فَلَا زِلَّ فِي ظِلِّ النِّعَمِ عَمَلِدَا
 وَأَوْرَدَكَ الرَّحْمَنُ حَوْضَ نَبِيِّهِ
 عَلَيْكَ سَلَامٌ مِثْلُ تَحْدِيدِكَ عَاطِرُ
 وَصَلَّى عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
 بَعَزْمَةً لَا وَانَ وَلَا مُتَرَدِّدِ
 وَحَلَّ مِنَ الْفِرْدَوْسِ أَشْرَفَ مَقْعَدِ
 يُعِيدُ لَهُ غُرَّةَ الْمَسَاعِي وَيَقْتَدِي
 وَهْدَيْكَ بِأَخِيرِ الْأَعْمَرِ يَقْتَدِي
 وَيُوسُفُ جَلَّى الْخَطْبِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
 فَدَاكَ يَبْدُلُ النَّفْسَ كُلَّ مُحَدِّدِ
 وَتَبَكَّى حَتَّى الشَّهْبُ فِي كُلِّ مَشْهَدِ
 يَدْمَعُ بِرُؤْيَى غَلَّةِ الْمَجْدِ الْعَدِيدِ
 حِدَاداً وَيُذَكِّرُ النَّجْمَ جَنْنَ مُسَهَّدِ
 فَسَكَّحَلَهَا نَجْمٌ ^(١) الظَّلَامِ بِأَمْسِدِ
 وَتَجَلَّكَ بِحَيَا بِالْبَقَاءِ الْمُخَلَّدِ
 وَأَصْدَرَ مَنْ خَلَقْتَ عَنْ خَيْرِ مَوْرِدِ
 يَغْفُضُ خِتَامَ الْمِسْكِ عَنْ تُرْبِكَ النَّدَى
 صَلَاةً بِهَا تَرْجُو الشِّفَاعَةَ فِي غَدِ

ثم قال : وقال أيضاً في هذا الغرض من رثائه ، ومدح مولانا الوالد
 في أثنائه :

وفي رثاء
 الذي بلغه أيضاً

سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا بِجَمِيعِهَا
 نَعَتْ مَلَائِكَ الْأَمْلاكِ وَالْكَامِلِ الَّذِي
 عَمِيدُ بَنِي الْأَنْصَارِ غَيْرُ مُدَافِعِ
 غَدَاةَ نَعَتْ شَمْسِ الْخِلَافَةِ مَنْ فِيهَا
 يَكْفُ عَوَارِي الْحَادِثَاتِ وَتَكْفِيهَا
 وَتُخَيِّ مَعَالِيهَا وَمَسْؤُلَى مَوَالِيهَا

(١) كذا في فتح الطيب . وفي الأصلين : « جفن » .

وَيَذُرُ دَبَاجِيهَا وَشَمْسَ نَهَارِهَا
خفا الكوكب الرقاد قد كان نوره
هوى^(١) القمر الوضائر من أفق الملا
وقد كسفت شمس المدابة بعدما
هو الجبل الراسي تصدع بعد ما
يعز على دين الهدى أن شمس
يعز على دهر النجوم متى سرت
لأندلس نكل عليه مرده
تلازين حولا بعد حسي تعودت
أبكى للرايات يخفق بندها
أبكى للخيال المفسرة بالضحى
وتبكيه معمور السبطه كلها
وتبكيه نحب الخجتها بناءه
وتبكيه حتى الشهب في أفق الملا
غراء أسير المسلمين فإنها
هو التوت وزد للخليقة كلها
وما بيننا حتى وما بين آدم

ويشتر مخياها ونور مجالها
يخلى من الدهم الخطوب دياجها
فاظلم جو السيرات يسارها
أبان سبيل الحق للخلق هادها
أقرت به ثم الجبال دواسها
بطول بأطباق التراب توارها^(٢)
ولا تفتح الهدى الذي كان يهديها
له ليست سود السوح نواحيها^(٣)
بدافع عنها كل خطب ويحميها
وفي مرقب النصر المؤزر عليها
وقد أبعث الفتح المين مراميها
وما ضم من داني البلاد وقاصيها
وترسل دمع الفيت حزنًا ماقها
وتلبس جلباب الظلام جوارها
متأدبر رب الخلق في الخلق يجرها
أواخرها تفلمو سبيل أولها
ألا هكذا سوى البرية بارها

(١) في ط : « هو » وهو تحريف .

(٢) كذا في م ، وفي ط : « رواسيها » . وهو تحريف .

(٣) كذا في ط . وفي م : « لياها » .

وَفِي مَوْتِ حَبِيرِ الْخَلْقِ أَكْبَرُ أَسْوَدٍ
 أَمْوَلَايَ لَوْ كَانَ الْفِدَاءَ مُسَوِّغًا
 أَمْوَلَايَ كَمْ مِنْ نِعْمَةٍ لَكَ عِنْدَنَا
 أَمْوَلَايَ خَلَقْتَ الْعَبِيدَ إِلَى الْآخِرِ
 وَقَدْ مَاتَ مِنَّا الصَّبْرُ إِلَّا صَبَاطَةً
 أَمْوَلَايَ يَأْتُوا لِي هَلْ أَنْتَ سَامِعِي
 تَعَنَيْتِ بِي حَتَّى نَضُوتُ شَبَابِي
 وَقَدْ كَانَ عَلَيَّ أَنْ تَكُونَ جَنَازَتِي
 [وَقَدِ عَشْتُ حَتَّى ذُقْتُ فَقْدَكَ قَلَمًا
 وَلَوْلَا أَمْرُ الْحِجَابِ نَحْكَ لَمْ يَكُنْ
 وَلَكِنَّهُ وَاللَّهِ يُجْعِلُ^(١) صَبْرَهُ
 فَخَلَقْتَنَا مِنْهُ لَا كَرَمٍ كَافِلٍ
 سِرِّيَّتُهُ الرِّحْمَى وَسِرِّيَّتُهُ الرِّضَا
 وَسِيلَتُكَ الْمُطْمَئِنُّ وَظِلَّكَ فَوْقَنَا
 فَمَا كُنْتَ إِلَّا الشَّمْسُ قَدِ غَرَبَتْ لَنَا
 وَمَا أَنْتَ إِلَّا اللَّسَكُ إِنْ تَخَفْتَ ذَاتَهُ
 أَلَا قَدَّسَ الرَّحْمَنُ نَفْسًا كَرِيمَةً
 وَبُشِّرِي لَنَا أَنَّ السَّعَادَةَ نَزَلَتْهَا
 وَحَاشَا وَكَلَّا أَنْ تَغْشِيَعَ وَسَائِلُ

تُصَبِّرُ أَحْرَارَ النُّفُوسِ وَتُسَلِّبُهَا
 قَدَبُنَاكَ بِالْأَنْبِيَاءِ جَمِيعًا وَمَا رَفِهَا
 إِذَا نَحْنُ رُمْنَا حَصْرَهَا لَيْسَ نُحْصِيهَا
 يُنَاجِيكَ مِنْ قَرِيطِ الشُّجُونِ مُنَاجِيهَا
 بِذِكْرِكَ فِي جُنْحِ الدُّجَى نُغَيِّبُهَا
 أَتَيْتُكَ مَا يُشْجِي الْقُلُوبَ وَيُدْمِيهَا
 عَزَّزًا وَجِبَاهُ خَيْمَتَا رُمْتُ تَوْجِيهَا
 يُشَيِّمُهَا مِنْكَ الرِّضَا وَبُورِيهَا^(٢)
 تَبْلُغُ نَفْسٌ مَا تُرِيدُ أَمَانِيهَا
 لِدِينِ الْهَدْيِ كَرَامَاتُ بَحْرِ بَرْجِيهَا
 مَنَاقِبُكَ الْفَرُّ الْكَرَامَ سَيَحْيِيهَا
 بِحَمَلِ أَغْيَاءِ الْخِلَافَةِ كَافِيهَا
 وَأَخْلَافُهُ الْفَرُّ الْكَرِيمَةُ تَذَرِيهَا
 وَعُدَّتُنَا وَاللَّهُ فِي الْعِزِّ يُبَيِّنُهَا
 وَأَنْوَارَهَا بِدُرِّ الْقَدَامِ يُجَلِّيهَا
 يَنْمِي بِهَا الْعَرْفَ الذِّكْرُ فَيَنْفِشِيهَا
 بِكُلِّ عَزِيزٍ فِي الْوُجُودِ نُفَدِّيهَا
 وَأَنْ رِضَا أَقْدِ الْكَرِيمِ بَرْجِيهَا
 سَيَذْخَرُهَا الرَّبُّ الْكَرِيمُ وَيُنْفِشِيهَا

(١) كَذَا فِي م . وَفِي ط : « وَيُؤَلِّبُهَا » .

(٢) كَذَا فِي م . وَفِي ط : « بِمَعْد » .

فكم من جِهادٍ قد رَفَعَتْ بُنودُهُ
كُتِرَتْ ثَمَائِلُ الصَّليبِ وأُخْرِسَتْ
وكم من مَنَارٍ قد أَعَدَّتْ أَذَانَهُ
وكم من رِيَاضٍ لِلْكَتَائِبِ قد عَدَّتْ
وَمُلْتَقَتْ دُزْنَعُ الْأَسِنَّةِ مُزْهِرٍ
إِذَا عَلِمَتْ مِنْهَا الدَّوَابُّ فِي الوَعْيِ
غِرَاسُ رَكيٍّ لِلْجِهَادِ غَرَسَتْهُ
ولم يَكُنْ إِلَّا سَنِينَ قَطَعَتْهَا
صَبَرَتْ لَهَا صَبْرُ السَّكْرَامِ وَإِنَّمَا
أَمَلَاكَ فِي الْأَنْصَارِ خَيْرٌ وَسَيَلَةٌ
وَحَسْبُكَ بِالْمُخْتَارِ كَرَّمَ^(١) شَافِعُهُ
عَلَى عِلْمِ الدُّنْيَا وَفَخِرَ مُلُوكُهَا
سَابِكِيهِ مَا دَامَ الْعَمَامُ مُطَوَّقًا
وَأَهْدَبِيهِ مِنْ طَلِبِ السَّلَامِ مَعْطَرًا
وَأَسْبَلِ رَبَّ الْعَرْشِ^(٢) سُهْبَ كَرَامَةٍ
وَنَسْأَلُ فَتَحَا لِلْخَلِيفَةِ يَوْمَئِذٍ

وقَدْ أَنْتَرَتْ فِيهَا التَّمَالِي^(٣) عَوَالِيهَا
نَوَافِيسُ كَانَتْ بِالضَّلَالِ تُنَافِيهَا
وَأَعْلَنَ فِيهِ دَعْوَةُ الْحَقِّ دَاعِيهَا
تَضَيُّقُ بِمَسْتَنِّ الْجِيَادِ نَوَاحِيهَا
وَلَكِنْ بِرِ الْعَرَانِ تَعْلُو بِحَانِيهَا
جَدَاوِلُ أَنْهَارِ السُّيُوفِ تَرْوِيهَا
فَصَرَّتْ إِلَى دَارِ السَّمَادَةِ تَجْنِيهَا
رَهِينُ شَكَاةٍ لَا تَزَالُ تُعَانِيهَا
ذَخَرَتْ أَجُورًا فَضْلَ رَبِّكَ تَجَارِيهَا
وَقَدْ كُنْتَ بِالنَّصْرِ الْعَرَبِزِ تُحْيِيهَا
وَسَفَتْهُ وَاللَّهِ لَا زِلْتَ تُحْيِيهَا
نَحْيُهُ رَبِّ لَا يَزَالُ يُوَالِيهَا
وَمَا سَجَّتْ تَبْكِي الْهَدِيلَ قَارِيهَا
كَمَا فَتَقَتْ أَبْدَى التَّجَارِ غَوَالِيهَا
نَسَخَ عَلَى ذَلِكَ الضَّرِيحِ غَوَادِيهَا
بِمَلَكَةِ أَقْصَى الْبِلَادِ وَمَنْ فِيهَا

ثم ذكر هذا المؤلف جملة نظم ابن زمرك في السلطان أبي الحجاج واستعطافه ،
وما يهزله الرضا من شمائل أعطافه ، ومنها :

بِمَا قَدْ ذَخَرْتَ مِنْ كَرَمِ الْخِلَالِ بِمَا أَذْرَكْتَ مِنْ رُسَبِ الْجَلَالِ

(١) كذا في م . وفي ط : « العوال » .

(٢) في م : « أكبر » .

(٣) في م : « وأسأل رب الرض » .

[٢٢٠] بما خُوتَ من دينٍ ودُنْيَا
بِمَا أُوتِيَ من صنْعٍ بحَمِيلٍ
تَعَمَّدَنِي بِغَضَائِكَ وَاعْتَمَرَهَا
ذُنُوبُنَا فِي الْفِعَالِ فِي التَّنَالِ

ثم قال : ومن ذلك أيضاً يخاطب أخانا السلطان أبا عبد الله رحمة الله تعالى عليه ، متوسلاً بقديم ذمائه ، والخادم المتددة من نظامه :

وله في خطاب
السلطان
أبي عبد الله

أَتَمَطَّسُ أَوْلَادِي وَأَنْتَ غَمَامَةٌ
وَتَظَلِّمُ أَوْفَانِي وَوَجْهَكَ تَبِيدُ
وَجَدُّكَ قَدْ سَمَّاكَ رَبَّكَ بِحَمْدِهِ
وَقَدْ كَلَّنَا عَطَانِي الَّذِي أَنَا سَائِلُ
وَشِغْرِي فِي عُرِّ التَّمَانِعِ خَالِدُ
وَمَا زِلْتُ أَهْدِي لِدُخَانِ مِسْكَامُتَقَا
وَقَدْ أَكْثَرَ التَّبِيدُ^(١) التَّشْكِي وَإِنَّهُ
وَمَا الْجُودُ إِلَّا مَيِّتٌ غَيْرُ أَنَّهُ
فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَدْعُو لِدِينِ مُحَمَّدٍ
فَيَدْعُو لِمَوْلَانَا الْخَلِيفَةِ بِالْبَغْيَا

ثم ذكر قصائد كثيرة ومقطوعات في مدحه لأخيه أبي عبد الله ، إلى أن قال :

ومن شعره في
أبي عبد الله

وقال أيضاً فيه وقد نزل بالولجة من مرج الحضرة .

مَنْزِلُ الْيَمِينِ وَالرَّضَا وَالسُّعُودِ
أَنْجَزَتْ فِيهِ صَادِقَاتُ الْوُعُودِ

(١) في فتح الطيب : « الجال » .

(٢) ولانينا : أي من غير استثناء .

(٣) في الأسدين : « أضمر » . وما أتينا عن فتح الطيب .

كَلَّ يَوْمَهُ تَرَاهُ إِن تَقَصَّتْ أَنْشَدَتْهَا السُّعُودُ بِاللَّهِ عَوْدِي
تَجَمَّعَ الْمُسْتَعِينُ وَضَفَّ كَالِ بَيْنَ بَأْسِ عَمِّ الْمُلُوكِ وَجُودِ
فَاهَنَ فِي غَيْطِغِرٍ وَعِزَّةٍ مُلْكٍ أَنْتَ وَاللَّهِ فَخَرُ هَذَا الْوُجُودِ

وقال أيضاً مشيراً لتوليته العلامة :

لَكَ عَزَّةٌ وَدَّ الصَّبَاحُ تَجَالَهَا وَتَحَاسَنُ تَهْوَى الْبُدُورُ كَالَهَا
وَسَتَمَائِلُ تَحْكِي الرِّاضُ خِلَالَهَا وَأَتَامِلُ تَرْجُو الْأَنَامُ خِلَالَهَا ^(١)
إِلْمُسْتَعِينٍ خِلَافَةً ^(٢) نَعْرِيبُهُ عَزَزْتُ مُلُوكَ الْعَالَمِينَ تَجَالَهَا ^(٣)
وَأَنَا الَّذِي قَدْ نَالَ مِنْكَ مَعَالِيَا تَهْوَى النُّجُومُ الزَّاهِرَاتُ مَنَالَهَا
تُهْدِيهِ مَا قَدْ نَلَقَهُ مِنْ بَعْضِهَا وَالْفَخْرُ كُلُّ الْفَخْرِ فِيمَنْ نَالَهَا
فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْكَ مِنْهُ مُنْعِمٍ لَوْ طَاوَلَتْ سَمَكُ الْمَلَا ^(٤) مَطَايِلَهَا
بَلَّغْتَ آمَالَ الْقَبِيدِ قَبْلُغْتَ فِيكَ الْقَبِيدُ مِنَ الْبَقَا آمَالَهَا

ثم قال : وقال أيضاً وكتبها إليه مع خمسة أقلام :

أَيَا مَلِكِكَا لَمْ يُبْدِلْ لِمَعِينٍ حُسْنُهُ مَيَّوَى مَلِكٍ قَدْ حَلَّ مِنْ عَالَمِ الْقُدْسِ
لَكَ الْخَيْرُ خُذْهَا كَالْأَتَامِلِ ^(٥) سَحْسُهُ تَعَوَّذُ مَرَّ آكَ الْمُسْكَلِ بِالْخَمْسِ
فَمَنْ أَبْصَرَتْ عَيْنَاهُ مَرَّ آكَ فَلْيَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ أَوْ آيَةِ الْكَرُمِ

ثم قال بعد ذكر قصيدة : وقال يخاطب مولانا الوالد — رحمة الله عليه —

وله في خطاب
مولاه الوالد

(١) ق م : « نرجى الأنام حلالها » . وفي نفع الطيب : « نرجى الأنام حلالها » .

(٢) ق ط : « جلالة » . وما أجبتهاه عن م « ونفع الطيب » .

(٣) ق في نفع الطيب : « جلالة » .

(٤) ق في نفع الطيب : « السما » .

(٥) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « من أبادل » .

وقد مرّ به بفحص رتبة ، والتلج قدم أندسته ، وبسط أريدته ، في وجهه
توجّهها مولانا الجد — تغمده الله تعالى — برحمته إلى مآلقة :

يَا مَنْ بِهِ رُئِبُ التَّعَالَى ^(١) تَفَعَّلِي وَمَعَالِمُ الْفَخْرِ الشَّيْذَةِ تَبَتَّنِي
أَزْجُرُ بِهَذَا التَّلَجِّ فَأَلَا إِنَّهُ تُلْجُ الْيَقِينِ بِنَصْرِ مَوْلَانَا الْغَنَى
بَسَطَ الْبَيَاضَ كَرَامَةً لِقُدُومِهِ وَافْتَرَّ ثَفْرًا عَنْ مَسَرَّةٍ مُعْتَنَى
فَالْأَرْضُ جَوْهَرَةٌ تَلُوحُ لِمَجْتَلِي وَالسُّوحُ ^(٢) مَرْهَرَةٌ تَفُوحُ لِمُجْتَنَى
سُبْحَانَ مَنْ أَعْطَى الْوُجُودَ وَجُودَهُ لِيَذُلَّ مِنْهُ عَلَى الْجَوَادِ الْمُخْسِنِ
وَبَدَأَ نَسِجَ الْأَكْوَانِ فِي إِتْقَانِهَا أَتَرُّ بِشِيرٍ إِلَى الْبَيْدِيعِ الثَّنِينِ

نعم قال : ومن غير الشطانيات ، مما برّ فيه سبقاً وتبريراً ، وعرضه على
نفذة البيان ، فرأت منه كل مذهبة خلّصت إبريراً ، مرثيته للقاضي المظم الشريف
أبي القاسم الحسيني من شيوخه ، أنجزها الوعد السابق في المقدمة بها :

أَغْرَى سَرَاةَ الْحَيِّ بِالْإِطْرَاقِ تَبَا أَمَمٌ مَسَامِعَ الْآفَاقِ
أَمْسَى بِهِ لَيْلُ الْخَوَادِثِ دَاجِيًا وَالشُّبُحُ أَصْبَحَ كَاسِفَ الْإِشْرَاقِ
فُجِيعَ الْجَبَمِيعِ بِوَاحِدٍ جُمِعَتْ لَهُ شَتَّى الْقَلَا وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ
هُبُّوا إِحْكَمِكُمْ الرِّصِينِ فَإِنَّهُ صَرَفَ الْقَضَاءَ فَمَا لَهُ مِنْ وَاقٍ
نَقَشَ ^(٣) الزَّمَانُ بِصَرَفِهِ فِي صَفْحَةٍ : كُلُّ اجْتِمَاعٍ مُؤَذَّبٌ بِفِرَاقٍ
مَاذَا تَرَجَّى مِنْ زَمَانِكَ بَقْدَمًا عَلِقَ الْفَنَاءُ بِأَنْفَسِ الْأَعْلَاقِ
مَنْ تَحْسُدُ السَّبْعَ الطَّبَاقُ عِلَاقَهُ عَالُوا عَلَيْهِ فِي التَّرَى بِعَلْبَاقِ

مرثيته
لأبي القاسم
الحسيني

[٣٣٧]

(١) في نفع الطيب المخطوط : « الإمامة » . وفي الطبع : « الإمامة » .

(٢) كذلك في نفع الطيب . وفي الأصلين : « والأرض » .

(٣) كذلك في م . وفي ط : « نهر » .

إِنَّ التَّيَّابَ لِلسَّيْرَابِ غَايَةٌ
لَمَّا حَبِينَا^(١) أَنْ نَعُولَ أَيْوَمَنَا
مَا كَانَ إِلَّا الْبَذَرُ طَالَ مِرَارُهُ
[أَنْفَ الثَّمَامِ مَعَ الْفَنَاءِ نَرَاهُ
عَدِيمَ السَّوَابِقِ فِي مُرَافَقَةِ الدُّنَا
أَسَفًا عَلَى ذَلِكَ الْجَلَالِ تَقَلَّصَتْ
يَا أَرْسِي بِالسَّيْرِ عَيْلَ تَصْبِرِي
وَدَّرِ^(٢) الْهَرَاغَ تَنِي بِدَمْعِ مَدَادِهَا
يَا حَسْرَتِي لِلْعِلْمِ أَفْقَرُ رَبْعُهُ
رَكَدَتْ رِيَّاحُ التَّغْلُوتِ لِقَدَحِهَا
كَمْ مِنْ هَوَامٍ قَدْ صَدَعَتْ بِفَهْمِهَا
كَمْ قَاعِيدٍ فِي الْبَيْدِ فَوْقَ قَعْوَدِهِ
لِيْنِ الرَّكَابِ بَعْدَ بَعْدِكَ تُنْقَضَى
تَقْلِي الْقَلَا بِنَاسِمٍ مَفْلُولَةٍ
كَانَتْ إِذَا اشْتَكَّتِ الْوَجَى وَتَوَقَّفَتْ
فَإِذَا تَنَسَّتِ الثَّنَاءَ أَمَامَهَا
يَا مُزَجِّجِي الْبُذْنِ الْفَلَاصِ حَوَاقِفَا
سَبَقَ السَّكْرَانُ لِيُخْلِعَهَا بِسَبَاقِ
كَشَفَتْ عَوَانَ حُرُوبَهَا عَنْ سَاقِ
حَتَّى رَمَتْهُ يَدُ الرَّدَى^(٣) بِمَحَاقِ
فَنَوَى الرَّحِيلَ إِلَى مُقَامِ بَاقِ]
فَتَى^(٤) الرَّكَبَ إِلَى الرَّفِيقِ الْبَاقِ
أَفْيَاؤُهُ وَعَهْدُنْ خَمِيرَ رَوَاقِ
دَعْنِي عَدْنُكَ لَوَاعِيحِ الْأَشْوَاقِ
وَنَشَى الْقَرِيبُ بِرُوقِ الْأُزَاقِ
وَالْتَذَلَّ جُرْدُ أَجْمَلِ الْأَطْوَاقِ
كَتَدَتْ بِهِ الْأَذَابُ بَسْدَ نَفَاقِ
خَفِيتْ مَدَارِكُهَا عَلَى الْحَذَاقِ
قَعَدَتْ بِهِ الْأَمَالُ دُونَ لَحَاقِ
سَامِيْنِ شَامِرٍ تَرْتَمِي وَعِرَاقِ
نَسِمُ النَحْمَى بِنَجِيمِهَا الرُّفُوقِ
يَهْفُو نَسِيمُ ثَنَاتِكَ الْخَفَاقِ
مَدَّنَ لَهَا الْأَعْنَاقُ فِي الْإِعْنَاقِ
رَفَقًا بِهَا فَالْتَسَمَى فِي الْإِفْخَاقِ

(١) في م : « لَمَّا حَبِينَا » . وفي النسخ المخطوطة : « حَبِينَا » .

(٢) في ط : « الدَّيْجِ » .

(٣) في م والنسخ المخطوطة : « نَضَا » .

(٤) في م : « وَدَع » .

مَاتَ الَّذِي وَرِثَ الْعُلَا عَنْ مُنْشَرِّ
رُفُفَتْ لَهُمُ زَائِكُ كُلِّ جَلَالَةٍ
عَلَّمَ الْهُدَاةَ وَقَطَّبَ أَعْلَامَ الْوَرْدِ^(١)
رَقَّتْ سَحَابُهُ وَزَاغَتْ مُجْتَلَى
كَالْزُهْرِ فِي لَالَائِهِ وَالْبَدْرِ فِي
مَهَبَاتِهَا مَدَحَتْ سِوَاهُ قَيْدَ وَصْفِهِ
يَا دَارِنَا نَسَبَ النُّبُوَّةِ جَامِعًا
يَا نَبِيَّ الرُّسُولِ وَإِنَّا لَوَسِيْلَةٌ
وَرَدَّ الْكِتَابُ بِفَضْلِكَ وَكَالِكُمْ
مَوْلَايَ إِنِّي فِي عِلَّاكَ مُقَرَّرٌ
وَمَنْ الَّذِي يُحْصِي مَنَاقِبَ فَضْلِكَ^(٢)
يَهْنِي قُبُورًا زُرْتَهَا فَلَقَدْ تَوَتَّ
خَطَّ الرَّدَى مِنْهَا سَطُورًا نَصَهَا^(٣)
وَلَحِقَتْ تَرْجَمَةُ الْكِتَابِ وَصَدْرُهُ
كَمْ مِنْ سَرَاةٍ فِي الْقُبُورِ كَأَنَّهُمْ
قُلُوبُ السَّحَابِ اسْتَحَبَّ ذُبُولُكَ نَحْوَهُ
أَوْدَى الَّذِي غَيَّبَ الْعِبَادَ بِكَفَرِهِ

وَرُثُوا ثَرَاثَ الْمَجْدِ بِاسْتِغْفَاقٍ
فَتَمَيَّزُوا فِي حَلَبَةِ السُّبَّاقِ
حَرَّمُ الْغَفَاةِ لِمُجْتَنَى الْأَرْزَاقِ
كَالشَّمْسِ فِي بُعْدٍ وَفِي إِشْرَاقٍ
عَلَيَانِهِ وَالزُّهْرِ فِي الْإِبْرَاقِ
وَصِفَاتِهِ حَمْدٌ عَلَى الْإِمْلَاقِ
فِي الْعِلْمِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْأَعْرَاقِ
يَرْقَى بِهَا أَوْجُ الصَّاعِدِ زَانِي
فَكَفَى نَسَاءَ الْوَاحِدِ الْخَلَّاقِ
فَدَضَّاقَ عَنْ عِلْمِهِ^(٤) النُّجُومِ نَطَاقِ
عَدُّ الْحَصَى وَالزُّمْلِ غَيْرُ مَطَاقِ
مِنَّا مَصُونٌ جَوَانِحُ وَحِدَاقِ
لَا يُدْ أَنْكَ الْفَنَاءُ مِلَاقِ
وَقَوَائِدُ السُّكُوتِ فِي الْإِلْحَاقِ
فِي بَطْنِهَا دُرٌّ تَوَى يَحْتَقِاقِ
وَالْعَبِّ بِصَارِمِ بَرَقِكَ الْخَفَاقِ
يُزْرَى يَوْأَ كَيْفَ غَيْبِكَ الْغَيْدَاقِ

[٢٣٨]

(١) في م ونفع الطيب : « الهوى » .

(٢) في م ونفع الطيب : « حصر » .

(٣) في نفع الطيب : « يجدكم » .

(٤) كذا في م ونفع الطيب . وفي ط : « قبور زرتها » .

إِنَّ كَانَ صَوْبُكَ بِالْيَمِيهِ فَذَرَهَا دُرُّ مِرْوَضٍ مَاحِلَ الْإِمْلَاقِ
 بَشْرٌ كَثِيرٌ قَدْ نَعَمُوا لَمَّا بُعِي^(١) قَارِضِ الْقَضَاءِ وَعَابَ فِي الْأَطْبَاقِ
 أَلْبَسَتْهُمْ قَوْبَ الْكَرَامَةِ ضَارِفِيَا وَأَزَحَتْ مِنْ كَدَرٍ وَمِنْ إِزْهَاقِ
 يَتَقَيُّونَ ظِلَالَ حَاجِكَ كَلَمَا لَفَحَتْ سَمُومُ الْهَاطِلِ بِالْإِخْرَاقِ
 عَذِمُوا الْمَوَاقِفَ فِي فِرَاقِكَ وَانْطَوَى عَنْهُمْ بِسَاطُ الرُّفْقِ وَالْإِزْفَاقِ
 رَفَعُوا سَرِيرَكَ خَافِضِينَ رُءُوسَهُمْ مَا مِنْهُمْ إِلَّا حَلِيفُ سِيَّاقِ^(٢)
 لَسَكُنْ مَسِيرُكَ لِلنَّعِيمِ مُخْلَدًا كَانَ الَّذِي أَبْقَى عَلَى الْأَرْمَاقِ
 وَمِنْ الْعَجَائِبِ أَنْ يَرَى نَحْرَ الْبَدَى طَوْدُ الْهَدَى يَسْرَى عَلَى الْأَعْنَاقِ
 إِنَّ يُحْمِلُوكَ عَلَى الْكَوَاهِلِ طَالَمَا قَدْ كُنْتَ تَحْمِلُوهُ عَلَى الْأَحْدَاقِ
 أَوْ يَرْفَعُوكَ عَلَى الْعَوَاتِقِ طَالَمَا رُفَعْتَ ظَهْرَ مَنَابِرٍ وَعِتَاقِ
 وَلَتَنْ رَحَلْتَ إِلَى الْجَنَانِ فَإِنَّا نَعْلِي بِنَارِ الْوَجْدِ وَالْأَشْوَاقِ
 لَوْ كُنْتَ تَشْهَدُ حُزْنَ مَنْ خَلَفْتَهُ لَتَقَى عَيْنَاكَ كَثْرَةُ الْإِسْفَاقِ
 إِنَّ جَنِّ لَيْلٍ جَنَّ مِنْ قَرْمِطِ الْأَمَى وَسَوَى كَلَامِكَ مَالَهُ مِنْ رَاقِ
 فَابْعَثْ خَيَالَكَ فِي الْكَرَى يَبْعَثُ بِهِ مَيِّتَ الْمَرُورِ^(٣) لِنَاكِيلِ مُشْتَاقِ
 أَغْلَيْتَ يَا رُزْءَ التَّصَبُّرِ مِثْلَمَا أَرْخَضْتَ دُرُّ الدُّنْعِ فِي الْأَمَاقِ
 إِنَّ يُخْلِفِ الْأَرْضَ النَّعَامُ فَإِنِّي أَسْتَمِي الضَّرِيحَ بِدُمَيِّ الْمُهْرَاقِ

[٣٣٩]

(١) كذا في طبع الطيب . وفي الأصلين : « نسي » .

(٢) يقال : ساق المرص سباقا : إذا أخذ في زرع الروم ، والراد هنا الجهد والحزن .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « النشور » .

وله في مدح شيخه ابن الخطيب
ومن أَوْلِيَّاتِ نظمه يخاطب شيخه الوزير أبا عبد الله بن الخطيب رحمه الله تعالى مادحا ، قوله من قصيدة مطلَّها :

* أَمَا وَأَنْصَدَاعِ الثَّوْرِ مِنْ مَطْلَعِ النَّجْرِ *

يقول فيها بعد أبيات :

لَكَ اللهُ مِنْ قَدْ الْجَلَالَةِ أَحَدٌ تَطْلُوهُ الْأَمَالُ فِي النَّهْيِ وَالْأَمْرِ
لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي طَالَ فَخْرُهُ عَلَى الرَّهْمَاتِ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ الشَّعْرِ
يُقَلِّدُ أَجْيَادَ الطُّرُوسِ تَمَازُجًا بِصُنْقٍ لَالَ مِنْ نِظَامٍ وَمِنْ نَثَرٍ
تَهَيَّيكَ الْغَرْمَاسُ فَاتَمَرَتْ إِذْ غَدَا يُقِلُّ بُحُورًا مِنْ أَنَامِكَ الْقَشْرِ
كَانَ رِيَاضُ الطُّرْسِ خَدَّ مَوْزِدٍ يُعْلِزُهُ وَشَى الْبَسْدَارِ مِنَ الْحَبْرِ
فَشَارَتْ هَذَا الْمَلِكِ زَائِقَةُ الْحَلَى بِأَلْوَبَةٍ مُخَرِّقَةٍ بِالسَّحْفِ الْخُفْرِ
وَنَا رَوْحَهُ غَنَاءُ عَاهِدَهَا الْحَيَا تَحْكُوكُ بِهَا وَشَى الرَّبِيعِ يَدُ الْقَطْرِ
تُعْنَى رِقَابُ الطُّسَيْرِ فِي جَنَابَتِهَا فَيُرْفَضُنْ غُصْنُ الْبَتَانِ فِي حُلَلِ خُضْرِ
تَمُدُّ لِأَكْوَاسٍ^(١) التَّرَارِ أُنَامِلًا مِنْ السُّوسَنِ الْقَعْنِ الْمُعْتَمِّ بِالْثَرِّ
وَيَبْخُرُسُ خَدَّ الْوَزْدِ صَارِمٍ نَهْرَهَا وَيَمْتَعُ نَفْرُ الثَّوْرِ بِالْقَابِلِ الْفَضْرِ
يُفَاحِرُ مَرَّأَهَا الشَّمَاءُ مُحَاسِنًا فَتَزُرِي^(٢) نُجُومَ الزُّهْرِ مَهَا عَلَى الزُّهْرِ
إِذَا مَسَحَتْ كَثَّ الصَّبَا جَفَنَ ثَوْرَهَا تَنْمَسُ نَفْرُ الزَّهْرِ عَنْ غَنَبِ الشَّعْرِ
بِأَعْلَى مِنْ رَيَّا ثَنَائِكَ فِي الشَّرَى وَأَبْهَرَ حُسْنًا مِنْ كَيْمَائِكَ الْفَرِ
عَجِبْتُ لَهُ بِحَسْرَتِي خِلَالَ سَحِيلِهِ وَتَفَرَّقَ مِنْهُ الْأُسْدُ فِي مَوْقِفِ الدَّغْرِ

(١) كذا في الأصاين وفتح الطيب ، ولم نجد الأكواس جمعا للكاس في معاجم اللغة .

(٢) في فتح الطيب : « وتزري » .

إِذَا أَضْرَبْتَ مِنْ بَاسِهَا الطَّرِبُ جَانِحًا
وَأَنْ كَلِمَ الْأَبْطَالُ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى
لَكَ الْحَسْبُ الْوَضَّاحُ وَالشُّوْذُ الَّذِي
تَشْرَعُ أَفْقُ أَنْتَ تَبْذُرُ كَمَالَهُ
تَكَلَّلَ نَاجُ الْمُلُكِ مِنْكَ مَحَاسِنًا
بِمَزْمَةٍ مَضْمُونِ السَّادَةِ أَوْحَدِهِ
طَوَى الْخَيْفَ مَشُورَ الْوَاهِ مُؤَيَّدًا [٣٤٠]
وَمَدَّ ظِلَالُ الْأَمْنِ إِذْ قَصَرَ ^(١) الْعِدَا
إِذَا احْتَفَلَ الْإِيوَانُ يَوْمَ مَشُورَةٍ
صَدَعَتْ بِفَضْلِ الْقَوْلِ غَيْرَ مُتَأَذَّرِ
فَإِنْ تَطَفَّرَ الْخَيْلُ الْغَيْرَةُ بِالضَحَى
فَلَا زِلْتَ لِقَائِيَا تَحْيَى ذِمَارَهَا
وَالْعِلْمُ فُخْرُ الدِّينِ وَالْفَنَكُ بِالْعِدَا
يَهْيِيكَ عِيدُ الْفِطْرِ مَنْ أَنْتَ عِيدُهُ
جَبَرْتَ مَهِيصًا مِنْ جَنَاحِي وَرَشْتُهُ
وَوَالْتَنَى مِنْ ذُرْوَةِ الْعِرِّ مُفْتَلَى
وَسَوَّغْتَنِي الْأَمَالَ عَذَابًا مُسْتَسْلَا
فَدَهَرَنِي عِيدُ الْبُشْرِ وَبَالْتَنَى

تَأْتِجَ مِنْهُ الْقَضْبُ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ
تَرْتَقِي مَاءَ الْبُشْرِ فِي صَفْعَةِ الْبَذْرِ
بَضِيقُ نِطَاقِ الْوُصْفِ فِيهِ عَنِ الْخُضْرِ
فَقَرْنَا طَلْعَهُ تَخْتَالُ رِيحًا عَلَى مِضْرِ
وَمَا حَرَّتِ الْأَمْثَالُ مِنْكَ بَلُو نَعْرِ
وَعُرْفُهُ وَضَّاحُ الْمَكَارِمِ وَالْفُجْرِ ^(٢)
فَعَزَّ حَتَّى الْإِسْلَامِ بِالطُّيِّ وَالنَّشْرِ
فَيُخَيِّلُ ثَنَاءَ الْمُلُكِ بِالْمَدِّ وَالْفَقْرِ
وَتَضَلُّبِ الْأَرَاءِ مِنْ كُلِّ ذِي حِجْرِ
وَأُطْلَعْتَ آرَاءَ فَيْسَنْ مِنَ الْفَجْرِ
فَعَنْ رَأْيِكَ الْأَمِيمُونَ تَطْفَرُ بِالنَّصْرِ
وَتَسْعَبُ أَذْيَالُ الْفَخَارِ عَلَى النَّصْرِ
بَأْوَتْ بِهِ يَابْنَ الْخَطِيبِ عَلَى الْفَجْرِ
وَبُنِي بِمَا أَوَّلَيْتَ مِنْ رَهْمٍ غُرَّ
وَسَهَّلْتَ لِي مِنْ حَنَانِ الزَّوْنِ الْوَعْرِ
وَشَرَفْتَنِي مِنْ حَيْثُ أَذْرَى وَلَا أَذْرَى
وَأَسْمَيْتَ مِنْ ذِكْرِي وَرَفَعْتَ مِنْ قَدْرِي
وَكُلَّ لِيَالِي الْعُمْرِ لِي لَيْلَةُ الْقَدْرِ

(١) في الأصلين : « وعود » و « الفخر » موضع : « وغرة » . « والنجار » .

وما أبتناه من نفع الطيب .

(٢) في ط : « ومد ظلال المدل إن قصد » .

فَأَصْبَحْتُ مَنبُوطًا عَلَى خَبَرٍ نَشْتَةٍ يَزِيلُ لِأَذْنَاهَا الْكَثِيرُ مِنَ الشَّكْرِ

قال :

وكتب إليه جوابا عن رسالة خاطب أولاده بها ، صدرها :

* مالى يحمل الهوى يدان *

قال جامع هذا الموضوع ، وفقه الله تعالى :

هذه قد تقدمت في هذا الموضوع ، فراجعها .

ثم قال : وكتب إليه جوابا عن آخر كذلك :

وله مما يخاطب به
ابن الخليل أيضا

حَيِّتْ صَبَاحًا فَأَحْيَتْ سَاكِنِي الْقَصَبَةِ^(١) وَأَسْرَجَتْ أَنْفُسًا بِالشَّوْقِ مُنْقَصِبَةً
فَقَصَى النَّيَّانُ لَهَا أَلَّا تَطْلُبَ لَهَا فَأَخْرَجَتْ مِنْ مَعَانِي قَدْلِهِ^(٢) قَصَبَةً
نَاجَتْ طَلِيحٌ^(٣) سُرْمِي لَا يَسْتَمِيقُ لَهَا هَدَّتْ جَوَارِحُهُ وَاسْتَوْهَتْ عَصَبُهُ
فَحَرَّكَتُهُ عَلَى فَنَسِكَ الْكَلَالِ بِهِ وَأَذْهَمَتْ بِسُرُورِ الْمُلتَقَى نَقَصَبُهُ
وَأَذْكَرَتْ عَهْدَ مُهْدِيهَا عَلَى شَحْطٍ قَصَادِ الْقَلْبُ مِنْ تَذْكَارِهِ وَصَبَهُ
مَا كُنْتُ أَسْتَمِجُ مِنْ دَهْرِي بِجَوْهَرِهِ لَوْ كَانَ يَسْمَعُ لِي بِالْقَلْبِ مِنْ عَصَبِهِ
سَلَّ أَدْمَعَ الصَّبَّ مِنْ أَعْرَی السَّعَابِهَا وَقَلْبُهُ بِجَمَارِ الشَّوْقِ مِنْ حَصَبِهِ
كَأَنَّهُ يَحْفَظُ مُهْدِيَهَا وَيَشْكُرُهُ فَوَجَّهَهَا بِعَصَابِ الْخَسَنِ نَدَّ عَصَبُهُ
مَنْ كَانَ وَارَثَ آدَابِ^(٤) يُسْتَعْمَلُهَا بِالْفَرَضِ إِيَّيْ فِي إِذْنِي لَهَا عَصَبُهُ
هَذَا التَّلَادُ مَلَاذُ النَّاسِ قَاطِبَةً سُبْحَانَ مَنْ لِفَيَاتِ أَخْلَقِي قَدْ نَقَصَبُهُ

(١) في ط : « صاحب » . وما أعتنائه عن م ونفع الطيب .

(٢) في نفع الطيب : « خصله » ، وما معنى .

(٣) في ط : « نجت طريق » وفيه تحريف ظاهر .

(٤) في نفع الطيب المخطوط : « يحفظ آدابا » .

وخطبه كذلك ^(١) :

[٢٤١]

طَالَتْهَا دُونَ الصَّبَاحِ صَبَاحًا لَمَّا جَلَّتْ غُرُورَ النَّيَّانِ صَبَاحًا
وَلَقَدْ رَأَيْتُ وَمَا رَأَيْتُ كُحُتَهَا وَجْهًا أَغْرَ وَمُتَبَيِّبًا وَصَّاحًا
عَذْرَاءَ أَرْضِهَا النَّيَّانُ لِبَانَهُ وَأَطَالَ مَسْدِي عِنْدَهَا وَمَرَّاحًا
كَأَنْتِ كَمَا شِئْتَ وَشَاءَ نَحْبَهَا تُذَكِّي الْحَبَا وَتُنْعِمُ الْأَزْوَاحًا
لَا تَلِ كَيْلَ الرُّوضِ تَاكِرُهُ الْخَيَا وَتَسْقِي بِدَ زَهْرِ السَّكَامِ فَنَاحًا
وَطَوَّتْ بِسَاطِ الشُّوقِ مَعَى بَعْدَهَا فَتَرَتْ عَلَى مِنَ الْقَبُولِ جَنَاحًا

وخطبه كذلك :

بُكَفِّي مَوْلَايَ رَجَعَ جَوَابِي وَمَا لِنَعَالِي الْمُعْجَزَاتِ وَمَالِيَا
أَجِيبُكَ لِلْفَضْلِ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَأَكْتُبُ بِمَا قَدْ أَقْدَتِ الْأَمَالِيَا
كَأَنْتِ الَّذِي طَوَّقْتَنِي كُلَّ مَنَسَةٍ وَأَحْيَيْتِ ^(٢) آمَالِي وَأَكْتَسَبْتَ مَا يَمِيَا
وَأَنْتِ الَّذِي أَعْدَى الرِّمَانَ كَالَهُ وَصَيَّرْتَ أَحْرَارَ الرِّمَانِ مَوَالِيَا
فَلَا زِلْتُ لِفَقْلِ الْجَبِيلِ مَوَاصِلًا وَلَا زِلْتُ لِلشُّكْرِ الْجَزِيلِ مَوَالِيَا

وخطبه كذلك :

ذَرُونِي قَائِي بِالْمَلَاءِ خَيْرُ أَسْمِيرُ قَبَانِ النَّيِّرَاتِ نَسِيرُ
وَكَمْ يَتَأَطَّرُ اللَّيْلُ فِي طَلَبِ الْعَلَا كَأَنِّي إِلَى نَجْمِ السَّمَاءِ سَمِيرُ
بِعَزْمٍ إِذَا مَا اللَّيْلُ مَدَّ رَوَانَهُ يَكْرَهُ عَلَى ظُلُمَاتِهِ فَيُسِيرُ
أَخُو كَلْبٍ بِالْمَجْدِ لَا يَسْتَفْرِهُ يَهَادُ إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ وَثِيرُ
ذَامَاتُيَ يَوْمَ مَا لِيَ السَّرِّ كَشَحَهُ فَلَيْسَ لَهُ حَقِّي الْمَمَاتِ نُشُورُ

(١) هذه القطعة متأخرة في النسخة البيهقية من التي بعدها .

(٢) في ط ونع الطيب : « وأحييت » . وما أتيتاه عن م .

وَأَيُّ وَإِنْ كُنْتُ لَمَنْعَ عَارِهِ
وَتَا تَسْتَرِبِي فَتَرَةً فِي مَدَى الْمَلَا
وَفِي السَّرْبِ مِنْ نَجْدٍ تَعَلَّقَتْ ظَلِيمَةً
وَتَمْنَعُ مَبْسُورَ الْكَلَامِ أَخَا الْهَوَى
أَسْكُنَ نَجْدًا حَادَهَا وَأَكْفَ الْعَبَا
وَيَا سَكَنِي الْأَجْرَعَ الْفَرْدِينَ مَنَى
ذَكَرْتُكَ فَوْقَ الْبَحْرِ وَالْبَهْدِ بَيْنَنَا
وَأَوْمَضَ خَفَاقَ الدُّوَابِّ بَارِقُ
وَهَمُّ فَوَادِي كَلَامِهِمْ^(١) الصَّبَا
وَوَاللهُ مَا أَذْرَى أَذْكَرَكَ هَزَنِي
فَمَنْ مَبْلُغَ عَنَى النَّوَى مَا يَسُوءُهَا
بَأَنَا غَدَا أَوْ بَعْدَهُ سَوْفَ نَلْقَى
إِلَى كَمْ أَرَى أَكْرَى وَوَجْدِي مَضْرُوحُ
أُمْنَجِدَ آتَالِي وَمَنْعَلِي كَأَيْدِي
أَأَنْتَى—وَلَا أَنْتَى—بِحَالِكَ الْآلِي
نَزُورُكَ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ وَنَفْسِي
عَلَى أَنْتَى إِنْ غَبَتْ عَنْكَ قَلَمٌ تَنْبِي
نَرُوحُ وَتَقْدُو كُلَّ يَوْمٍ وَعِنْدَهَا
فَطَلْتُ قَوْفِي خَيْبًا كُنْتُ وَارِفُ

لَتَسِي فَوَادِي أَعْيُنُ وَتُفُورُ
إِلَى أَنْ أَرَى لَخَطًا عَلَيْهِ فُتُورُ
تَصُولُ عَلَى أَلْبَابِنَا وَتُفْسِيرُ
وَتَبْخُلُ حَتَّى بِالْخَيْالِ بَرُورُ
هَوَاكُمُ بِقَلْبِي مُنْجِدُ وَمُفِيرُ
وَأَبْسَرُ خَطَرٍ مِنْ رِضَاكَ كَثِيرُ
فَقَدْنُهُ مِنْ فَيْضِ الدُّمُوعِ يُجُورُ
فَطَارَتْ بِقَلْبِي أَنَّهُ وَزِيرُ

[٣١٢]

أَمَّا لِفَوَادِي فِي هَوَاكَ نَصِيرُ
أَمُّ الْكَلَامِ مَا بَيْنَ الْخِيَامِ نَدُورُ
وَالْبَاسِئِينَ حُكْمُ بَمَتْلَى وَيَجُورُ
وَنُصْبِي وَمِنَا زَائِرُ وَمَزُورُ
وَأَخِي أَمُّ مَنْ أَهْوَاهُ وَهُوَ شَهِيرُ
وَمُضْدَرُ حَاثِي وَالْحَدِيثُ كَثِيرُ
بِهَا نَلْتَقِي نَضْرَةً وَسُرُورُ
وَمَنْ بَدِينَا مِنْ خَدِيدِكَ نُورُ
لَطَائِفُ لَمْ يُحِبَّ أَنْ سَفُورُ
رَوَاحُ عَلَيْنَا دَائِمُ وَبُكُورُ
وَمُورِدُ آمَالِي لَدَيْكَ تَبِيرُ

(١) في نفع الطيب : هبت . ٩

وَعُدُّرًا فَإِنِّي إِن أُطَلْتُ فَإِنَّا قُصَارَى مِنْ بَعْدِ الْبَيْكَةِ قُصُورُ

وكتب إليه خاتمة رسالة كذلك :

وَحَقِّكَ تَالِشْتَطَعَمْتُ بِمَذَكْ عَصَا
مِنْ النُّومِ حَتَّى أَذِنَ النَّجْمُ بِالْفُرُوبِ^(١)
وَعَارِضَتْ مَسْرَى الرَّيْحِ قُلْتُ لَعَالَهَا
قَرِيبٌ بِرِيًّا مِنْكَ عَاطِرَةِ الْهُبُوبِ
إِلَى أَنْ بَدَأَ وَجْهُ الصَّبَاحِ كَأَنَّهُ
مُحْيَاكَ إِذْ تُجَلِّي بِفَرْعِهِ الْخُطُوبِ
فَقُلْتُ لِقَائِي اسْتَشْمِرُ الْإِنْسُ وَابْتَسِجِ
فَإِنْ تَبْعُدُ الْأَجْسَامُ لَمْ تَبْعُدِ الْقُلُوبِ
وَسِرْ فِي صَمَانِ اللَّهِ حَيْثُ تَوَجَّهْتَ
رَكَبُكَ لَا تَخْشَى الْخَوَارِثُ أَنْ تَقُوبَ

ثم قال : وقال — بعد إيراد جملة من نظمه في السيب وما يناسبه —
وصف مصباحا :

أَقْدَرَادِي وَجِدَا وَأَعَزِّي بِي الْجَوَى
ذُبَالٌ بِأَذْبَالِ الظَّلَامِ قَدَرُ النَّفَا
تُسِيرُ وَرَاءَ اللَّيْلِ مِنْهُ بِنَانَةٌ
مُخَضَّبَةٌ وَاللَّيْلُ قَدْ حَبَّبَ السَّكَا
نَلُوحُ سِنَانًا حِينَ لَا تَنْفَعُ الصَّبَا
وَتَبْدُو سَوَارًا حِينَ تَنْفِي لَهُ الْعِطْفَا
قَطَعْتُ بِهَا لَيْلِي يُطَارِحُنِي الْجَوَى
قَاوِنَةٌ يَبْدُو وَأَوْنَةٌ يَخْفَى
إِذَا قُلْتُ لَا يَبْدُو أَشَالَ لِسَانَهُ
وَإِنْ قُلْتُ لَا يَخْبُو^(٢) الصَّبَا بِهِ كَفَا
إِلَى أَنْ أَقَاتِي الصَّبِيحُ مِنْ عَمْرَةِ الدُّجَى
وَأَهْدِي نَسِيمَ الرُّوْضِ مِنْ طَلَبِهِ عَرَفَا
لَكَ اللَّهُ يَا مِصْبَاحُ أَشْبَهْتَ مُهْجَتِي
وَقَدْ شَفَّهَا مِنْ لَوْعَةِ الْحُبِّ مَا شَفَا

(١) عطف المفرد على هذه الأبيات في نفع الطب ج ٣ ص ٤٤٨ طبعة الأزهرية بقوله :
« قلت : هذه ناي في مصباحا لولا خروجها عن القواعد في ترتيب قافيتها ومساها . » والأبيات
من الطويل ، إلا أن النغمة الأخيرة تختلف عن تنغيمات الطويل .
(٢) في م : « الأمن » .
(٣) في نفع الطب : « لا يخفى » .

ثم قال وكتب له صدر رسالة :

وله في صدر
رسالة إلى ابن
الطبيب

أُزُورُ بِقَلْبِي مَعَهْدَ الْإِنْسِ وَالنَّهْوِ وَأَنْهَبُ مِنْ أَيْدِي النَّسِيمِ رَسَائِلًا
وَسَهَّاسَاتُ الْبَرْقِ يَهْمُو مِنَ الْحَمَى بِكَادِرٍ بِرِ دَمْعِي مُجِيبًا وَسَائِلًا
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْأَمَانِي تَمَلُّ أُرْعَى لِي الْحَيُّ الْكَرَامُ الْوَسَائِلًا
وَهَلْ جِيرَتِي الْأُولَى كَأَقْدَامِهِمْ يُوَالُونَ بِالْإِحْسَانِ مَنْ جَاءَ سَائِلًا
ثم قال بعد أن ذكر عدة قطع :

وقال يصف الزرافة في قصيدة مدح بها السلطان أبا سالم ملك المغرب —
رحمه الله — وقد ورد عليه بها وفد الأحباش في هدية من ملكهم ، ونسبها :

وله يصف
الزرافة ويمدح
مدح السلطان
أبا سالم

لَوْلَا تَأْتِي بَارِقِي التَّذْكَارِ مَا صَابَ وَكَفْتُ دَمْعِي الْيَدَارِ
اسْكَنْهُ مَهْمًا تَعَرَّضَ خَافِقًا قَدَحَتْ يَدُ الْأَشْوَاقِ رَنْدًا أَوَارِ
عَلَيْهِ^(١) الشُّوقَ إِذَا تَذَكَّرَ مَعَهْدًا أَنْ يَفْرَى الْأَجْفَانِ بِاسْتِفْهَارِ
أَمْدَ كَرِي غَرَامَةً حَلَّتْ بِهَا أَيْدِي السَّحَابِ أَرِزَّةَ النَّوَارِ
كَيْفَ التَّخْلُصُ لِلْحَدِيثِ وَذَوَاهَا عَرَضُ النَّفْلَةِ وَطَافِحِ زَخَارِ
هَذَا عَلَى أَنَّ الْقُرْبَ مَرْكَبِي وَتَوَلَّجَ الْفَيْحِ الْفِصَاحِ شِعَارِي
فَلَكُمْ أَقَمْتُ غَدَاةَ رُمْتُ عَيْسُهُمْ أَهْبَى الْفَرَارِ وَلَاتِ حِينَ قَرَارِ
وَلَفِظْتُ اسْتَشْفَرِي لِلنَّازِلِ بَعْدَهُمْ يَنْهَوُ الْبُكَاءَ مَوَاقِعَ الْآثَارِ
إِنِّي الْآمَالِ تَخْذَعُنَا الْفَنَى فَتَحَادُغُ الْآثَالِ بِالتَّشْيَارِ
نَتَجَهَّمُ الْأَهْوَالَ فِي طَلَبِ الْفَلَاحِ وَتَرْوُغُ يَرْبِ الْقَوْمِ بِالْأَفْكَارِ

(١) في نفع الطبيب : « وعلى » .

(٢) في نفع الطبيب : « وبيتنا » .

لَا يُعْرِزُ الْجَدَّ أَنْطَبِيرُ سَوَى امْرِئٍ
يُغْطِي الْعَرَانِمَ صَهْوَةَ الْأَخْطَارِ
إِلَّا^(١) يَفَاخِرُ بِالْعَتَادِ فَفَخْرُهُ
بِالشَّرِيفَةِ وَالْقَنَا أَنْطَارِ
مُسْتَبْصِرُ مَرَمَى الْعَوَاقِبِ وَاصِلُ
فَأَشَدُّ مَقَادَ الْجَهْلُولِ إِلَى الرَّذَى
وَلَرْبُ مَرَدِّ الْجَوَارِحِ مُسْبِلُ
فُتَيْتِ كَمَاثِمُ جُنْحِهِ عَنْ أَنْجُمِ
سَقَرَتِ ذَوَاهِرُهُنَّ عَنْ أَزْهَارِ
مَثَلَتْ عَلَى شَاطِئِ التَّجَرَّةِ رَوْحًا
تَضَلَّتْ مِنْهُ عَلَى خَلِيجِ بَحَارِ
فَكَأَنَّمَا يَذُرُّ التَّلَامُ بِجُنْحِهِ
وَكَأَنَّمَا حَسُنَ التَّرَبُّ رَاحَةً
أَسْرَجَتْ مِنْ عَزَمِي مَصَابِيحَهَا
تَهْدِي الشَّرَافَةَ لَهَا مِنْ الْأَفْطَارِ
وَأَزْنَانِ مِنْ بَازِي الصَّبَاحِ غُرَابُهُ
لَمَّا أَطْلَعَ فَعَطَّارَ كُلِّ مَطَارِ

[٣٤٤]

[ومنها:]

وَعَرَبِيَّةٌ قَطَعَتْ إِلَيْكَ عَلَى الْوَقْفِ
رَبِيدًا تَبِيدُ بِهَا مَحُومُ السَّارِ
نُفْسِيهِ طَيْفَتُهُ الَّتِي قَدْ أُمِّيَا
وَالرَّكْبُ فِيهَا مَيِّتُ الْأَخْبَارِ
بِفَتْأَدَاهَا مِنْ كُلِّ مُسْتَبِيلِ الدُّجَى
وَكَأَنَّمَا عَيْنَاهُ جُذُودُهُ نَارِ
نَشْدُو^(٢) بِحَمْدِ الْمُسْتَعِينِ خُدَاتُهَا
بِتَهْلِيلُونَ بِهِ عَلَى الْأَسْوَارِ
إِنْ مَسَّهْمُ لَفْحِ الْأَهْجِيرِ أَبْلَهُمْ
مِنْهُ نَسِيمُ نَفَاثِكَ الْإِفْطَارِ
خَاضُوا بِهَا لَبِجَ الْقَلَا فَتَخَلَّصَتْ
مِنْهَا خُلُوصَ التَّسَدُّرِ بَعْدَ مِرَارِ

(١) في ط: «من لا يفاخر». وفي م وفتح الطيب: «ما يفاخر» ولعله عرف مما أبتناه.

(٢) في الأصلين: «نحده». وما أبتناه عن فتح الطيب.

سَلَّتْ بِسَدِّكَ مِنْ غَوَائِلٍ مِثْلَهَا
وَأَتَتْكَ يَا مَلِكَ الزَّمَانِ غَرِيبَةً
مَوْشِيَّةُ الْأَعْطَافِ رَائِعَةُ الْحِلْيِ
رَاقِ الْأُمُيُونَ أَدِيمُهَا فَسْكَائُهُ
مَا تَبَيَّنَ مُبَيَّنَ وَأَضْفَرُ فَاقْرَعِ
بَحْكِ حَدَائِقِ زَرْجِسٍ فِي شَاهِقِ
تَحْدُو^(١) قَوَائِمُ سَكَالْجُدُوعِ وَفَوْقَهَا
وَسَمَتْ بِجَوْدِ مِثْلِ جِدْعٍ مَائِلِ
تَسْتَشْرِفُ الْجُدُزَانُ مِنْهُ تَرَانِيَا
نَاهَتْ بِكَلْكَلِهَا وَأَتْلَعَ جِيدَهَا
خَرَجُوا لَهَا الظُّلْمُ الْفَنِيرُ وَكَلَّمَهُمْ
كُلٌّ لَا يَقُولُ لِصَخِيهِ قَوْمُوا أَنْظَرُوا
أَلْقَتْ بِبَابِكَ رَحْلَهَا وَلَطَّلَا
عَلَيْتَ مَلُوكِ الْأَرْضِ أَنَّكَ فَخَرُهَا
يَقْبُوءُونَ بِهٍ وَإِنْ بَعْدَ الْمَدَى
فَازِقِ لَوَاءِ الْفَخْرِ غَيْرَ مَذَاقِ
وَاهِنًا بِأَعْيَادِ الْفَتْوحِ مَحْوُلَا
وَالْيَسْكَامِينَ زَوْضٍ فِكْرِي تَفْحَةً

وَكَفَى بِسَدِّكَ حَامِيًا لِلدَّمَارِ
قَيْدُ الدَّوَائِلِ تَرْهَةً الْأَبْصَارِ
رَقَّتْ بِدَائِعِهَا يَدُ الْأَقْدَارِ
زَوْضٌ تَفْتَحُ عَنْ شَقِيقِ^(٢) بَهَارِ
سَأَلَ الْأَجِينَ بِهٍ خِصَالِ نَصَارِ
تَنْسَلَبُ فِيهِ أَرَامُ الْأَشْبَارِ
جَبَلُ أَشْمٍ بِسَوْدِ مُتَوَارِ
سَهْلُ التَّقَطُّبِ آيُنِ خَوَارِ
فَكَأَنَّا هُوَ قَائِمٌ مَسَارِ
وَمَدَى مِثَالِ الْإِحْبَابِ مَدَى وَقَارِ
مُنْعَجَبٌ مِنْ لُطْفِ صُنْعِ الْبَارِ
كَيْفَ الْجِبَالُ تَفَادُّ بِالْأَشْبَارِ
أَلْقَى الْقَرِيبُ بِهٍ عَصَا التَّسَارِ
فَنَسَبَتْ لِرِضَاكَ^(٣) فِي مِثَارِ
مِنْ سَاهِلِكَ الْأَعْلَى أَعَزَّ جَوَارِ
وَاسْحَبْ ذُبُولَ الْقَسْكَرِ الْخَرَارِ
مَا شِئْتَ مِنْ نَصْرِ وَمِنْ أَنْصَارِ
شَفَّ الْأَسَاءُ بِهَا عَلَى الْأَزْهَارِ

[٢٤٥]

(١) كَذَا فِي الْأَسْلِينَ وَغِى الطَّبِيعِ وَلَمْ يَلْهُ : « شَتِيت » .

(٢) كَذَا فِي الْأَسْلِينَ وَغِى الطَّبِيعِ .

(٣) فِي ط : « لَعْلَاك » .

فِي فَضْلِ مَنْطِقِهَا وَرَوْنَقِ^(١) رَشِيمِهَا
مُسْتَمْتَعٍ الْأَتَمَاعِ وَالْأَبْصَارِ
وَنَمِيلٍ مِنْ أَصْغَى لَهَا فَكَانَتْ
عَاطِيَتُهُ مِنْهَا كُنُوسَ عُنَارِ

وقال رحمه الله تعالى يخاطب كتاب الإنشاء بالمغرب وقد حضر هنالك
ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأنشدت قصائدهم ، واستنجز بعد ذلك وعدم
بتقبيد نسخها بمطاولات مرتجلة أجابوه عنها ، منها :

أَكْثَبِيَّةَ الْكِتَابِ أَبَدَ جَمْعُكُمْ
بِعَنَابَةِ الْمَوْلَى الْخَلِيفَةِ أَحْمَدِ
لَا تَمُطُّوْا دِينَ الْقَرِيبِ فَلَانِي
يُنْكَمُ وَإِنْ رَغَمْتَ لِذَلِكَ حُسْدِي
زَيْنُكُمْ حَقُّ الْبَيَّانِ بِسِحْرِكُمْ
الْيَوْمَ زِينَةُ سِحْرِكُمْ مِنْ مَوْعِدِ
فَلْتَسَمَّحُوا لِي بِالْقَصَائِدِ عَاجِلًا
وَلْتَقْبَلُوا مِنِّي أَوْمَلُ مَقْصِدِي
وقال أيضا :

أَيَّ عَنِيَةِ الْكِتَابِ دَعْوَةُ مُنْصِفٍ
عَلَيْكُمْ بِكُمْ فِي مَقْطَعِ أَلْفٍ بِسْمِدِي
تَمَحُّنٌ يَنْظُرُ الْكُفْرَ فِي لَكَّةِ الْفُلَا
فَكَمْ رَاقٍ مِنْ سَخَطِ هُنَاكَ وَمِنْ عَقْدِ
فَقَسْتُنْجِزُوا شُكْرِي وَتَسْتَوْجِبُوا أَحَدِي
فَمَا مَرَّكُمْ أَنْ تَسْمَحُوا لِي بِكِتَابِي
وقال أيضا :

مَا عَذْرُكُمْ^(٢) أَنْ لَمْ تَجُودُوا بَعْدَمَا
مَلَكْتُكُمْ كَفَّ الْخَلِيفَةُ أَحْمَدِ
فَلْتَبَسَّمُوا لِي كُلَّ يَكْرٍ قَدَّ
تَأْتِي بِغُخْرٍ خِلَالَهَا وَسَطُ النَّدَى

وكتب إليهم في المعنى أيضا وقد كان السلطان أبو العباس أعطاه قصيدة من
في المعنى التقديس

نظمه [تلك الليلة] :

(١) في معج الطيب : « ورائق » .
(٢) كذا في م . وفي ط : « ما عركم » .

ظَلَّالِكُمْ تَنْذُوا^(١) وَتَمُودُ كَمْ عَذْبُ
وَأَنْتُمْ وَمَا أَنْتُمْ غَمَامٌ رَحْمَةً
أَفِيضُوا عَلَيْنَا وَانظُرُونَا بِفَضْلِكُمْ
أَلْقَتْ الْهَوَى حَتَّى أَتَيْتُ بِجَوْدِهِ
وَقُلْتُ لِحُسْنِي إِنَّهُ تَوْبَكَ الصَّقَى
وَقَالُوا صَبَا وَالشَّيْبُ لَأَحَ صَبَاحُهُ
نَهَيْتُ عَذَارَى الْحَيِّ آيَةً عَرْضَهَا
وَلَمْ أَرِ مِنْهَا غَيْرَ رَجْعٍ حَدِيثَهَا
عِرَابٍ إِذَا اسْتَنْتِ بِشَأْوٍ بِلَاغَةٍ
وَإِنْ أَسْتَدَّتْ مَا بَيْنَ نَجْوٍ وَحَاجِرٍ
فَمَنْعَةً صِدْقٍ لِلْخِلَافَةِ قَدْ صَفَتْ
وَجَوْ صَبِيلٍ قَدْ جَلَّتْهُ يَدُ الصَّبَا
قُولُوا أَلْقَى مِنْ دُوبِهَا طَاعَةَ الْهَوَى
وَاسْكِنْ نَهَائِي الشَّيْبُ أَنْ أَقْرَبَ الْهَوَى
فَلَا تَمْلِكُوا دِينَ الْمَمْلُوكِ عَنْ غِي
وَإِنْ لَمْ تَرَوْنِي كُفْسُهُنَّ تَرَفَعَا
فَوَلَايَ قَدْ أَهْدَى الصِّمِيدَ عَقِيلَةً
أَدَارَتْ كُتُوسًا مِنْ مُدَامٍ صَبَابَةٍ
فَوَاللَّهِ لَوْلَا مَوْعِدٌ يَوْمُهُ غَدٌ
وَتَرَمَضُونَ أَنْ أَضْحَى وَبِالْمَلْعِ لِي شُرْبُ
تَصُوبُ وَأَحْلَامُ الثَّمَاةِ لَهَا تَصَبُّو
لِنَقِيرِ نَوْرًا لَا يَحْزِبُ وَلَا يَخْبُو
فَكَلَّ عَذَابِ نَائِي فِي الْهَوَى عَذْبُ
وَقُلْتُ إِنِّي لِي إِنَّهُ إِنْكَالُ الْحُبِّ
فَقُلْتُ بِيضُ كَالصَّبَاحِ أَنَا صَبَا
وَقَدْ جَلَيْتُ مِنْهَا لِيُبْصِرَهَا شُهْبُ
فَتَجَهَّلُ مِنْهَا الْعَيْنُ مَا يَعْرِفُ الْقَلْبُ
تَقْصُرُ مِنْ دُونِ الْمَلْحَاقِ لَهَا الْعُرْبُ
تَقْبَلُ رَوْاهُ التَّرْقُ يَا حَبِذَا الْعَرَبُ
عَلَى مَنْ حَوَاهُ مِنْ مَهَابَتِهِ حُجْبُ
بِسَافِرِ طَرَفِ الطَّرْفِ فِيهِ فَمَا يَكْبُو
لَحَقَتْ بِهَا حَوَالِي الْأَبَارِقِ وَالشُّرْبُ
إِذَا لَمْ يُبْعَ مِنْ أَحِبِّ لِي الْقُرْبُ
فَجَارَيْكُمْ سَهْلٌ وَمَنْزِلُكُمْ رَحْبُ
وَصَدَّكُمْ مِنْ دُونِ خَطْبَتِهَا حَطْبُ
يُكَلِّمُنَا مِنْ لَقْظِنَا الْوَلَوُ الْعُطْبُ
كَأَمْزَجِ الصَّبَا، وَالْبَارِدِ الْقَذْبُ
لَوَاجِهُكُمْ مِنْ عَلَى مَطْلِي الْقَتْبُ

(١) كَذَا فِي م . وَفِي ط وَنَحَى الطَّبِيبُ : « تَنْدَى » .

أَكْتَنَبَ مَوْلَانَا الْخَلِيفَةُ أَحْمَدُ وَحَسْبُكُمْ الْفَخْرُ الْعَمِيمُ بِهِ حَسَبُ
 بِهِ أَغْنَتْ أَلْأَدَابُ وَأَمْتَدَّ بِأَعْمَا وَقَالَتْ بَدَاهَا وَأَسْتَعَفَّ بِهَا الْعَجَبُ
 قَلَوُ لَمْ يَكُنْ بِالْفَضْلِ تَنَفُّقُ سَوْفَهَا لَكَانَ يُقَالُ الذُّهُرُ فِي أَرْضِهِ تَرْبُ
 رَشِيَّتُهُمْ بِهِ فِي ظِلِّ حَالِهِ وَغَيْطُهُ تَحَبُّ إِلَى لَقِيَا نَحْبِيكُمْ أَلْعُجْبُ

وقال يراجع الكاتب أنها زكريا بن أبي دلامة منهم ، وقد أجابته رحمة الله تعالى عليه :

عَلَى الطَّائِرِ الْيَمِينِ وَالْعَالِمِ السَّعْدِ أَتَنَفَّى مَعَ الصُّنْعِ الْجَبِيلِ عَلَى وَعْدِ
 وَأُخْيِيتَ يَا يَحْيَى بِهَا نَفْسُ مُغْرَمٍ بُحْبُلُ جِيَادِ الْقَدَمِ فِي تَلْعَبِ الشَّهْدِ
 نَسِيتُ وَمَا أُنْسَى وَقَائِي وَخَلَّتِي وَأَقْفَرُ رَبْعُ الْقَلْبِ إِلَّا مِنْ الْوَجْدِ
 وَمَا أَطْلُ فِي تَفْرِيقِ الزَّهْرِ بِاسْمِهِ يَا ذُكْيَ وَأَضَقُ مِنْ ثَنَائِي وَمِنْ وَدَى
 فَأَصْدَقْتُهَا مِنْ بَحْرِ فِكْرِي جَوَاهِرَا نَقَطُ مِنْ دُرِّ الدَّرَارِي فِي عَمْدِ
 وَكُنْتُ أَطِيلُ الْقَوْلَ لَوْلَا ضَرُورَةٌ دَعَتْنِي إِلَى الْإِبْحَارِ فِي سُورَةِ الْخُفْدِ [٣١٧]

وأنشد السلطان أبا العباس المذكور في عُرَابٍ مِنْ إِنْشَائِهِ :

إِنْشَانَ عَيْنِ الدَّهْرِ جَعَلْتُكَ قَدْ عَدَا يَحْفَلُ مِنْهُ طَائِرُ الْيَمِينِ وَالسَّعْدِ
 إِذَا مَا هَمَّ فَوْقَ أَرْوَسِ شِرَاعِهِ أَرَاكَ جَنَاحًا مَدًّا لِلْجَزْرِ وَالْمَدِّ
 وأنشده فيه أيضاً :

لَكَ الْخَيْرُ شَانَ الْخَفِينِ يَحْرُسُ عَيْنَهُ وَهَذَا بَعَيْنِ اللَّهِ يَحْرُسُ دَائِمًا
 تَبَيَّتْ لَهُ حَمْسُ أَلْتَرِيَّا مُبِيدَةً تَقْلُدُهُ زُهْرَةُ النُّجُومِ تَسَامِيًا

وله في السلطان
 أبي العباس

فَيَا جُنَّ لَا تَنْفَكْ فِي الْخِنِيطِ دَائِمًا وَإِنْ كُنْتَ فِي لُجٍّ مِنْ أَتْبَعِ عَامِمًا
انتهى ما انتقيته من هذا التأليف اللوكي مع أني تركت أكثره .

قلت : وإنما أطلت في كلام الرئيس ابن زمرك رحمه الله تعالى لوجوه :
أولها : أن الذي ألفت الكتاب من أجله راغب في ذلك .

للمؤلف في سبب
إطالة الحديث
عن ابن زمرك

الثاني : ولوع كثير من الناس بكلامه ، حتى قال شيخنا سيدي الإمام
العلامة المؤلف الكبير أبو العباس أحمد الشهير ببابا السوداء رحمه الله ، بعد
أن ذكر في التعريف به نحو عشرين سطرًا^(١) : إني لم أقف في أمره على غير
هذا ، ولم أقف على وفاته . وبالجملة فالذي تكلم خواص الناس فيه من أمره هو
ما في الإحاطة والكتيبة ؛ وأما الجمل الغفير فهم بمنزل عما في الكتاتين فضلًا
عن غيره .

الرمز الثالث : أن ما نقلته من ذلك كان عندي مقيدًا في عدة أوراق ،
نقثت عليه الدروس ، فلذا جمعت بعضه هنا .

الرابع : ما اشتمل عليه من أوصاف الجهاد والخليل وغير ذلك من الفرائب ،
وليس الخبر كالعيان .

الخامس : ما في بعضه من أمداح المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهو
المقصود بالذات وغيره تبع ، وهو في مسك ختام هذه الأوجه الحسن ، وليس
يحتاج إلى دليل نور القمر والشمس .

وقد عنى لي أن أذكر جملة من موشحاته لفرايتها ، ولأن جل ما وقعت عليه
منها يتخبط في سلك المغرب ، إذ أكثره من مخلع البسيط .

من موشحات
ابن زمرك

(١) يشتر المؤلف إلى كتاب نيل الاتباع بطريرك الديباج لأبي العباس أحمد بابا ، وهو
تدبير على كتاب الديباج المذهب في علماء المذهب لابن فرحون .

فمن ذلك قوله نشوقاً إلى غرناطة — أعادها الله — ومادحاً النبي بالله :
 بالله يا قامة الضبيب ونُحِجِلَ السَّمْسُ وَالْقَمَرُ
 مَنْ مَلَكَ الْحَمْنِ فِي الْقُلُوبِ وَأَيْدِ الْأَخْطِ بِالْحَوَرِ
 مَنْ لَمْ يَكُنْ طَبْعُهُ رَقِيقًا لَمْ يَذَرِ مَا لَدَى الصَّبَا
 قَرِيبٌ حُرٌّ^(١) عَدَا رَقِيقًا تَبَلَّكُهُ نَفْحَةُ الصَّبَا
 نَشْوَانٌ لَمْ يَشْرَبِ الرِّيحِيَّةَ^(٢) لَكِنْ إِلَى الْحُسْنِ قَدْ صَبَا
 قَعْدَبٌ أَلْقَبَ بِالْوَجِيبِ وَتَعَمَّ أَلْعَيْنَ بِالنَّظَرِ
 وَبَاتَ وَالْتَمَعُ فِي صَيْبِ يَفْتَحُ مِنْ قَلْبِهِ الشَّرَرُ
 أَوَاهٍ^(٣) مِنْ قَلْبِي الْمَعْنَى يَهْنُو إِذَا هَبَّتِ أَرْيَاحُ
 لَوْ كَانَ لِلصَّبِّ مَا تَمَنَّى لَطَارَ شَوْقًا بِأَلَا جَنَاحُ
 وَبُلْبُلُ الدُّوْحِ إِنْ تَعَنَّى أَشْجَرُ لَيْلَى إِلَى الصَّبَاحِ
 عَنَّاكَ إِنْ زُرْتَ يَا طَبِيبِي بِالطَّيْفِ فِي رَقْدَةِ السَّحَرِ
 أَنْ تَجْعَلَ التَّوَمَ مِنْ نَصِيبِي وَالْعَيْنَ تَحْمِي مِنَ الْمَهَرِ
 كَمْ شَادِنٍ قَادَ لِي الْحَتُوفَا بِمَرْبَعِ الْقَلْبِ قَدْ سَكَنَ
 يَسْلُ مِنْ لَحْظِهِ سَيُوفَا فَالْقَلْبُ بِالزُّوْعِ مَا سَكَنَ
 خِلْفَتْ مِنْ عَادَتِي أُلُوفَا أَحْنُ لِلْإِنِّ وَالسَّكَنِ
 غَرْنَاطَةُ مَنَزِلِ الْحَبِيبِ وَقُرْبُهَا الشُّؤْلُ وَالْوَطَرُ

(١) في الأصاين : « من قد » مكان قوله : « حر » . وما أبتداء عن فتح الطيب .

(٢) في الأصاين : « الرقيقا » . والتصويب عن فتح الطيب .

(٣) في فتح الطيب : « هجبت » مكان قوله : « أواه » .

تَهْتَرُ بِالْمَنْظَرِ الْمَجِيبِ فَلَا عَدَا رَبِّهَا تَعْلَرُ
عَرُوسُهُ^(١) نَاجِمَا السَّيِّكَةِ وَزَهْرُهَا الْحَصَى وَالْعُلَلُ
لَمْ تَرْضَ مِنْ عِرْضِهَا شَرِيكَهُ بِحُضْنِهَا يُضْرِبُ الْمَثَلُ
أَبْدَهَا اللَّهُ مِنْ مَلِيكَهُ تَمْلِكُهَا أَشْرَفُ الدُّوَلِ
بِدَوْلَةِ الْمُزَجَّجِي الْمُهَيَّبِ^(٢) الْمَلِكِ الطَّاهِرِ الْأَعْرُ
تَحْتَالُ مِنْ بُرْدِهَا التَّشْيِبِ فِي حُلَّةِ النَّوَرِ وَالزَّهَرِ
كَرِيمِهَا جَنَّةُ الْقَرِيفِ مِرَاتُهَا صَفْحَةُ الْقَدِيرِ
وَجَوْهَرُ الطَّلِّ فِي شُوفِ^(٣) تُحْكِمُهُ صَنْمَةُ التَّقْدِيرِ
وَالْأَنْسُ فِيهَا عَلَى صُنُوفِ قَيْنِ هَدِيلٍ وَمِنْ هَدِيرِ
كَمْ خَرَقَتْ الزَّهْرَيْنِ جُبُوبِ^(٤) وَكَلَّلَ الْقُضْبَ بِالذُّرُ
فَالْفَضْنُ كَالْكَاعِبِ الْعُوبِ وَالطَّيْرُ تَشْدُو بِلا وَتَرِ
وَالْأَنْمُ النَّصْرِ فِي أَحْتِنَالِ وَفَرَحُ دِينَ الْهَيْدَى^(٥) جَدِيدِ
سُلْطَانِهَا مُقِيلِ^(٦) التَّوَالِي مُحَمَّدُ الطَّافِرُ السَّعِيدِ
وَتُحْجِلُ الْبَذَرِ فِي السَّكَالِ سُلْطَانُهَا الْمُجْتَمَعِي الْفَرِيدِ
أَضْفَعُ مَوَلَى عَنِ الذُّنُوبِ أَسْكُرُ عَافٍ إِذَا قَدَرِ
وَتَكْنَسُ هَدْيَ بِلَا مَنِيْبِ وَتَحْرُ جُودِ بِلَا حَسَرِ

(١) في ط : « فهي عروس » . وما أثبتناه عن م ونفع الطيب المطبوع .

(٢) في نفع الطيب المخطوط : « المجيب » .

(٣) في ط ونفع الطيب « عن » .

(٤) في ط : « مزي » .

(٥) في نفع الطيب : « الهوى » .

(٦) في ط : « بعمل » .

مَوْلَايَ يَا عَاقِدَ الْبُنُودِ تَطَّلُ الْأُوجُهَ الصَّبَاحِ
أَوْحَشْتَ يَا نُجْبَةَ الْوُجُودِ غَرَنَاطَةَ هَالَةَ السَّمَاحِ
سَافَرْتَ بِالْيَمِينِ وَالشُّعُودِ وَعُدْتَ بِالْفَتْحِ وَالنَّجَاحِ
يَا مُلْهَمَ الْقَلْبِ لِلْعُيُوبِ وَمُطَمِّنَ الْقَمَرِ وَالْفَقَرِ
أَسْمَعَكَ اللَّهُ عَنْ قَرِيبٍ : « تَلَى السَّلَامَ مِنَ السَّفَرِ »

وقال أيضاً من الموشحات العائقة^(٢) ، في مثل أغراض هذه السابقة ، وأشار
إلى محاسن مِنْ وَصَفَ « الرِّشَادِ » :

نَسِمُ غَرَنَاطَةَ عَلِيلُ أَسَكَمَهُ يُبْرِئُ الْعَلِيلُ
وَرَوْضَهَا زَاهِرُ بَلِيلُ^(٣) وَرَشَفُهُ يَمُقِّعُ الْغَلِيلُ
سَقَى بِبَنَاجِدِ رَبِّهَا الْمُصَلَّى مُبَاكِراً رَوْضَهَا^(٤) الْغَامِ
فَجَعَلَهُ كَمَا اسْتَهْلَا تَبَسَّمَ الزَّهْرُ فِي الْكِيَامِ
وَالرَّوْضُ بِالْحُسْنِ قَدْ تَجَلَّى^(٥) وَجَرَدَ النَّهْرُ عَنْ حُسَامِ
وَدَوَّحَهَا ظِلُّهُ ظَلِيلُ بِحَسْنٍ فِي رَبْعِهِ لِلْقِيلِ
وَالْبَرْقُ وَالْبَجْوُ مُسْتَطِيلُ يَلْعَبُ بِالصَّارِمِ الصَّقِيلِ
عَقِيلَةً تَأْتِيهَا السَّيِّكَةُ تَطْلُ^(٦) بِالْمَرْقَبِ الْمُئِينِ
كَأَنَّهَا فَوْقَهُ مَلِيكَةُ كُرْسِيِّهَا جَنَّةُ الْعَرِيفِ

(١) كذا في ط وفتح الطيب للطبوع . وفي م : « مطاع » .

(٢) في نفع الطيب : « الرائحة » .

(٣) كذا في ط . وفي م : « مرمره جليل » . وفي نفع الطيب : « زهره ببل » .

(٤) كذا في م . وفي ط : « روضة » ، وفي نفع الطيب : « روضه » .

(٥) في نفع الطيب المخطوط : « تحلى » .

(٦) كذا في نفع الطيب للطبوع . والتي في الأصلين والفتح المخطوط : « تطل » .

تُطْلِعُ^(١) مِنْ عَسَجِدٍ سَيِّدِكُ شَمُوسُهَا كُلُّهَا تُطِيفُ
أَبْدَعَكَ الْخَالِقُ الْجَلِيلُ يَا مَنْظَرًا كُلَّهُ جَمِيلُ
قُلِّي إِلَى حُسْنِهِ يَمِيلُ وَقَبْلَنَا قَدْ صَبَا جَمِيلُ
وَرَادَ لِلْحُسْنِ فِيكَ حُسْنًا مُحَمَّدُ الْحَمْدِ وَالسَّامِحُ
جَدَّدَ لِلْفَخْرِ فِيكَ مَعْنَى^(٢) فِي طَالِعِ الدِّينِ وَالنَّجَاحُ
تُدْعَى رَشَادًا^(٣) وَفِيكَ مَعْنَى يَحْمُضُكَ الْقَالُ بِافْتِنَاحُ
فَالنَّصْرُ وَالسَّعْدُ لَا يَزُولُ لِأَنَّهُ ثَابِتٌ أَصِيلُ
سَعْدُ وَأَنْصَارُهُ قَبِيلُ آيَاؤُهُ عِزَّةُ الرُّسُولِ
أَبْدَى بِدَحِكَمَةِ الْقَدِيرِ وَتَوَجَّحَ الرُّؤُوسَ بِالْقَبِيلِ
وَدَرَّعَ الزَّهْرَ بِالْقَدِيرِ وَزَيْنَ النَّهْرِ^(٤) بِالْحَبِيلِ
فَمِنْ عَدِيلٍ وَمِنْ عَدِيرٍ مَا أَوْلَعَ الْحُسْنَ بِالشَّابِ
هَبَّتْ عَلَى رَوْضِهَا الْقَبِيلُ وَطَرَفُهَا^(٥) بِالشَّرَى كَلِيلُ
فَلَمْ يَزَلْ سَبِيلُهَا يَجُولُ حَقٌّ تَبَدَّدَتْ لَهُ حُجُولُ
لِلزَّهْرِ فِي عِطْفِهَا رُفُومُ تَلُوحُ لِلْقَيْنِ كَالنَّجُومِ
وَلِلنَّدَى بَيْنَهَا رُسُومُ عَقْدُ النَّدَى قَوْفَهُ نَظِيمُ
وَكُلُّ وَادٍ يَهَا يَهِيمُ وَلَمْ يَزَلْ حَوْلَهَا يَحُومُ

(١) في نفع الطيب : « تطيع » .

(٢) في نفع الطيب الطيبوع : « مبي » .

(٣) في ط (هنا) : « دللوا » .

(٤) في ط : « الزرع » وفي م : « الدرع » . وما أتبعناه عن نفع الطيب .

(٥) في نفع الطيب المخطوط : « وروضها » .

شَبَّيْهَا مَدُّ مِنْهُ نَيْلُ وَالشَّيْبُ أَلْفُ لِمُسْتَقِيلِ
 وَعَيْنُ وَادٍ بِهَا^(١) تَسِيلُ مِنْ فَوْقِ حَدَرٍ لَهُ أَسِيلُ
 كَمْ مِنْ ظِلَالٍ بِهِ تَرَفُّ تَصْفُو لَهَا قَوْفَهُ سُخُورُ
 وَمِنْ زُجَاجٍ بِهِ يَشْفُ مَا بِسَيْنِ نَوْرِ وَيَنْ نُورُ
 وَمِنْ شُمُوسٍ بِهَا تَصْنُ تُدِيرُهَا بَيْنَنَا الْبُدُورُ
 مِرَاجُهَا الْقَذْبُ سَلَسِيلُ يَأْعَلُ إِلَى رَشْفِهَا سَبِيلُ
 وَكَيْفَ وَالشَّيْبُ لِي عَدُولُ وَصِبْغُهُ صُفْرَةُ الْأَصِيلِ
 يَا مَرَحَةً فِي الْحَيَى ظَلِيلَهُ كَمْ نَيْلُ فِي ظِلِّكَ لُئِي
 رَوْضِكَ اللَّهُ مِنْ حَيْمِلِهِ يُجَسِّدُ بِهَا أَطْيَبَ الْحَيَى
 وَبَرَقَهَا صَادِقُ الْخَيْلِ مَا زَالَ بِالْفَيْثِ مُخْبِئًا
 أَنْجَرَ لِي وَعَدَدِكَ التَّيْلُ فَلَمْ أَقُلْ مِثْلَ مَنْ يَقُولُ
 «يَا سَرَحَةَ الْحَيَى يَا مَعُولُ تَسْرَحُ الَّذِي بَيْنَنَا يَقُولُ»^(٢)

ومن ذلك ما كتب به للغي بالله :

[٣٠١]

أَيْلُغُ لِنِزْنَاتِهِ سَلَامِي وَصِفْ لَهَا غَهْدِي السَّلَامِ
 فَلَوْ رَعَى طَيْفُهَا ذِمَامِي مَا بَثُّ فِي لَيْلَةٍ السَّلَامِ
 كَمْ بَثُّ فِيهَا عَلَى اقْتِرَاحِ أَعْلُ مِنْ حَمَرَةِ الرُّضَابِ
 أُدِيرُ مِنْهَا كُثُومَ رَاحِ قَدْ زَانَتْ^(٣) الشَّفَرُ بِالْعَبَابِ

(١) كذا في نفع الطيب للطبيب . وفي الأصلين والفتح المخطوط : « به » .

(٢) هذا البيت مطلع مقطوعة لسان الدين بن الخطيب ، أوردها للفرى في نفع الطيب

(ج ٤ ص ٦٠) طبعة الأزهرية .

(٣) في م ونفع الطيب : « زانها » .

أَخْتَلَّ كَالْهَرِّ فِي الْجَمَاحِ نَشْوَانٍ فِي رَوْضَةِ الشَّبَابِ
 أَضْحَكُ الزَّهْرِ فِي السِّتَامِ مُبَاهِيًا رَوْضَهُ الْوَسِيمِ
 وَأَفْضَحُ الْفَعْنَ فِي الْقَوَامِ إِنْ هَبَّ مِنْ جَوْهَا لَيْسِمِ
 بَيْنَنَا أَنَا وَالشَّبَابُ ضَافِي وَظِلُّهُ قَوْفُنَا مَسِيدُ
 وَمَوْرِدُ الْأَنْسِ فِيهِ صَافِي وَبُرْدُهُ ^(١) رَائِقُ جَدِيدُ
 إِذْ لَاحَ فِي الْقَوْدِ غَيْرَ خَافِي صُنِيعُ يَدِ نُبَّهَةِ الْوَلِيدِ
 أَبْقَطَ مَنْ كَانَ ذَا مَنَامٍ لَمَّا انْجَلَى لَيْلُهُ الْبَهِيمِ
 وَأَرْسَلَ الدَّمْعَ كَالْعَمَامِ فِي كُلِّ وَادٍ يَدِ أَهْبِمِ
 يَا جِيرَةَ عَهْدِهِمْ كَرِيمِ وَفِعْلُهُمْ كُلُّهُ حَمِيمِ ^(٢)
 لَا تَعْذِلُوا الصَّبَّ ^(٣) إِذْ يَهْمُ قَبِيلُهُ قَدْ صَبَا حَمِيمِ
 الْقُرْبُ مِنْ رَبِّكُمْ نَعِيمُ وَبُعْدُكُمْ خَطْبُهُ جَلِيمِ
 كَمْ مِنْ رِيَاضٍ يَدِ وَسَامِ بُرِّحَى بِهَا الرَّاغِدُ ^(٤) لِلْسَّيْمِ ^(٥)
 عَدِيدُهَا أَرْزَقُ الْجَمَامِ وَتَبْنُهَا كُلُّهُ حَمِيمِ ^(٦)
 أَعِنْدَكُمْ أَنَّنِي بِسَامِ أَكَابِدُ الشُّوقِ وَالْعَيْنِ
 أَذْكَرُ أَهْلِي بِهَا وَنَامِي فَالْيَوْمُ فِي الطُّولِ كَالسَّيْنِ

(١) في الأصلين : « ورقة » . وما أبتناه من نفع الطب .

(٢) في م : « وكل فعل لم جميل » .

(٣) في م : « القلب » .

(٤) في نفع الطبيب : « الرائض » .

(٥) كذلك في نفع الطب . وفي م : « السليم » . وفي ط : « الوسيم » .

(٦) كذلك في نفع الطبيب المطبوع . وفي ط : « نعيم » . وفي م : « بهيم » .

اللهُ حَسْبِيَ فَكَيْفَ أَقَارِبُ مِنْ وَحْشَةِ الصَّغْبِ وَالْبَيْنِ
 مُطَارِحًا سَاجِعَ الْحَمَامِ شَوْقًا إِلَى الْإِنْفِ وَالْعَمِيمِ
 وَالذَّمْعُ قَدْ لَجَّ فِي انْسِجَامِ وَهَى عِنْدَهُ النَّظِيمِ
 يَا سَاكِي جَنَّةِ الْعَرِيفِ أَسْكَنْتُمْ جَنَّةَ الْخُلُودِ
 كَمْ تَمَّ مِنْ مُنْظَرٍ شَرِيفِ قَدْ حَفَّتْ بِالْبَيْتِ وَالشُّعُودِ
 وَرُبَّ طَوْدٍ بِهِ مُبِيفِ أَدْوَاهُ الْخَضِرُ كَالْبُنُودِ
 وَالتَّهَرُّ قَدْ سُلَّ كَالْحُسَامِ رَاحَةَ الشَّرْبِ مُسْتَدِيمِ
 وَالزَّهْرُ قَدْ رَاقَ بِانْسِجَامِ مُنْبَلًا رَاحَةَ النَّدِيمِ
 بَلَّغَ عُبَيْدَ التَّعَامِ صَحْبِي لَا زَنْهُمْ إِلَّا الْفَرَّ فِي هَنَا
 لِقَاكُمْ بُمَيَّةَ الْمُحِبِّ وَقُرْبُكُمْ غَايَةَ الْمُنَى
 فَمِنْ دَكُمُ قَدْ تَرَكْتُ قَلْبِي فَجَدَّدَ اللهُ عَنْدَنَا
 وَدَاوَكَ الشَّمْلَ بِانْتِظَامِ مِنْ مُرْتَبِي ^(١) فَضْلِهِ الْعَمِيمِ
 فِي ظِلِّ سُلْطَانِنَا الْإِتَامِ الطَّاهِرِ الطَّاهِرِ الْحَلِيمِ ^(٢)
 مُؤْمِنِ الْمُؤَدِّينِ مِمَّا يُخَافُ مِنْ سَطْوَةِ الْعِدَا
 وَفَارِحِ الْكَرْبِ إِنْ أَلَمَّا وَتُذْهِبِ الْخَطْبَ ^(٣) وَالرَّوَدَى
 قَدْ رَاقَ حُسْنًا وَفَاقَ حِلْمًا وَمَا عَدَا غَيْرَ مَا بَدَا
 مَوْلَايَ يَا نُجْبَةَ الْأَنَامِ وَخَازَنَ الْخَيْرِ فِي الْقَدِيمِ
 كَمْ أَزُقُّ الْبَذْرَ فِي التَّعَامِ شَوْقًا إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ

[٣٠٢]

(١) كفا في ط . وفي نفع الطيب المطبوع والمختلط : « من يرتجى » .

(٢) في م ونفع الطيب : « الحليم » .

(٣) في م : « الكرب » .

ومن موشحاته في غير الخلع ، موطناً على موشحات ابن سهل التي أولها :
معارضا ابن سهل
« ليل الهوى يقطاف »

قوله :

تَوَاسِمُ البُشْبَانُ تَنْتُرُ سِلَكَ الزَّهْرِ
وَالطَّلُّ فِي الْأَغْصَانِ يَنْظِلُهُ بِالْجَوْهَرِ
وَرَأَيْتُ^(١) الإصْبَاحَ أَضَاءَ مِنْهَا الشَّرْقُ
تَنْشُرُ مَا الْأَزْوَاجُ فَلَا تَزَالُ تَحْفِقُ
وَالزَّهْرُ زَهْرٌ فَاحٍ لَهَا عَيُونٌ تَزْمُقُ
فَأَبْقِ الثَّدْنَانِ تُبْصِرُ مَا لَمْ يُبْصِرِ
جَوَاهِرَ الشَّهْبَانِ^(٢) قَدْ عَرِضَتْ لِلْمُشْتَرَى
قَدَحَتْ لِي^(٣) زَنْدًا يَأْتِيهِذَا الْبَارِقُ
أَذْكُرْتَنِي عَهْدًا إِذِ الشَّبَابُ رَائِقُ
فَالشَّوْقُ لَا يَهْدَا وَلَا الْفُؤَادُ الْخَائِقُ
وَكَيْفَ بِالشَّلْوَانِ وَالْقَلْبُ زَهْنُ النِّكَرِ
وَسُحْبُ الْمِجْرَانِ تَحْجُبُ وَجْهَ الْقَمَرِ
لَوْلَا شُمُوسُ الْكَاسِ نُدِيرُهَا بَيْنَ الْبُودُرِ
وَعَرَّجَ الْإِبْنَانِ مِمَّا عَلَى رَيْحِ الصُّدُورِ

[٢٥٢]

(١) في فتح الطيب : « وراحة » .
(٢) كذا في م . والشهبان : جمع شهاب . وفي فتح الطيب : « الشبان » ، وهو تحريف .
وفي ط : « الحليان » .
(٣) كذا في م وفتح الطيب . وفي ط : « له » .

لَصِّنْ لَهَا وَسْوَاسَ يُغْرِى بَرَبَاتِ الْخُدُورِ
 كَمْ وَاللهِ هَيْمَانُ يَصْبِيحُ وَجْهَهُ مُسْفِرِ
 ضِيَاؤُهُ قَدْ بَانَ مِنْ تَحْتِ لَيْسَلِ مُقْبِرِ
 يَا مَطْلَعَ الْأَنْوَارِ كَمْ فِيكَ مِنْ مَرَايِ حَمِيلِ
 وَزُحْرَةً الْأَبْصَارِ مَا ضَرَّ لَوْ نَشَفِيَ النَّفِيلِ
 يَا رَوْضَةَ الْأَزْهَارِ وَعَرَفَهَا يُبْرِى الْقَلِيلِ
 فَضِيكَ الْفَيَّانِ يُسْقَى بِدَمْعِ حَيْرِ
 فَلَا عِجَّ الْأَشْجَانِ نَيْضُ الدَّمُوعِ يُجْرَى ^(١)
 هَلْ فِي الْهَوَى نَاصِرِ أَوْ هَلْ يُجَارُ الْهَانِمِ
 لَوْ كَانَ لِي زَائِرُ حَائِفُ الْغَيْالِ الْعَانِمِ
 مَا بَثَ بِالْهَائِرِ وَدَمْعُ عَيْنِي سَاجِمِ
 وَالْحُبُّ ذُو عُدْوَانِ يَجْهَدُ فِي ظِلِّ الْبَرَى
 وَصَارِمُ الْأَجْفَانِ مُؤَيَّدٌ بِالْخَوَرِ
 زُمَحَالِكُ فِي صَبٍّ أَذْكَرْتَهُ عَهْدَ الْعَبَا
 بَوَاعِثُ الْحُصْبِ قَادَتْ إِلَيْهِ الْوَصَبَا
 لَمْ تَهْفُ بِالْقَلْبِ رِيحُ الصَّبَا إِلَّا صَبَا ^(٢)
 كَلِيلَةُ الْأَرْدَانِ قَدْ صُغَّتْ بِالْعَنْتَرِ
 يُبْرِى غُصْنُ الْبَنَانِ مِنْهَا بِفَضْلِ الْتَرَرِ

(١) في ط : « يغر » . ولعلها محرفة عن : « يبرى » .

(٢) في نفع الطيب : « صبا » .

طَائِفَهَا حَمْدُ فَعَرَّ السُّلُوكِ الْمُجْتَنِي
مَنْ بَرَّحُجِ الطُّوْدِ مِنْ جِلْدِهِ إِذَا اخْتَبَى
قَدْ جَرَدَ السَّمْدُ مِنْهُ حُسَامًا مُذْهَبًا
فَالْبَيَاسُ وَالْإِحْمَانُ وَالْقَوْتُ الْمُسْتَعِيرُ
نَحْلُهُ الزُّكْبَانُ تَحِيَّةٌ لِلْبَيْتِ
عِصَابَةُ الْكُتَابِ حَقٌّ لَهَا الْقَوْدُ الْعَظِيمُ
تَخْتَالُ فِي أَنْوَابِ أُلْبَسَهَا الطُّوْلُ الْجَسِيمُ
فَحَسَبُهَا الْإِطْلَابُ فِي الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ الْعَمِيمُ
خَلِيقَةُ الرَّحْمَنِ لَا زِلْتَ زَائِحِي^(١) الْمَطَاهِرِ
يَا مَوْزِدَ الطَّمَانِ وَرَأْسَ مَالِ الْمُعْسِرِ
خُذْهَا بِلاَ دَعْوَى نَزَّهَى عَلَى الرُّوضِ الْوَسِيمِ
حَدَّثَ كَمَا تَهْوَى أَرْقَ مِنْ لَذَنِ النَّسِيمِ
قَدْ طَارَحَتْ شَكْوَى مَنْ قَالَ فِي اللَّيْلِ الْبَحِيمِ^(٢)
«لَيْلُ الْهَوَى يَنْفُظَانُ وَالْحُبُّ تَرُبُّ السَّهْرِ
وَالصَّبْرُ إِلَى خَوَانِ وَالنَّوْمُ مِنْ عَيْنِي بَرَى»

ومن موشحاته ومن موشحاته في الصبوحيات قوله سبحانه الله تعالى ورحمه ورضى عنه :

رَبُّنَا نُهُ الْعَجْرِ قَدْ أَطْلَتْ خَضِرَاءُ بِالْزُهْرِ تَرْهَرُ

(١) في م وبيع الطيب : « ساي » .

(٢) في ط : « السهم » . وما أبتداء من م وبيع الطيب .

ومن موشحاته
في الصبوحيات

ورأيتُ الصُّبحَ إذْ (١) أَظْلَتْ في مَرَقَبِ الشَّرْقِ (٢) تَنْشَرُ
 فَالشُّبُّ مِنْ غَاظَةِ الصَّبَاحِ تَرْعَدُ خَوْفًا وَتَحْفَرُ
 وَأَدْهَمُ اللَّيْلِ فِي جِمَاحِ أَعْنَةُ الشَّرْقِ يُطْلِقُ
 وَالْأَفْقُ فِي مُلْتَقَى الرِّيحِ بِأَذْمَعِ الْغَيْثِ يَشْرِقُ
 وَالسَّحْبُ بِالْجَوْهَرِ اسْتَهْلَتْ فَالْبَرْقُ سَيْفُ الْجَوْهَرِ
 صَفَاحُهُ الْكُذُوبَاتُ حَاتَتْ فِي رَاخَةِ الْجَوِّ تُشْهَرُ
 كَمَ اللَّصْبَا تَمَّ مِنْ مَقِيلِ بِطَيْبِهِ الزَّهْرُ يَشْهَدُ
 وَالتَّهَرُّ كَالصَّارِمِ الصَّنِيلِ فِي حَلْبَةِ (٣) النُّورِ يُغْمَدُ
 وَرُبَّ قَالٍ بِدَرْفِيلِ لِلطَّيْرِ فِي حِينِ تَنْشِدُ
 فَأَلْسُنُ الْوَرَقِ قَدْ أَمَلَتْ مَدَامَحًا عَنْهُ تَشْكُرُ (٤)
 وَنَسَمَةُ الصُّبْحِ حِينَ كَلَّتْ (٥) فِي سُنْدُسِ الرُّوضِ تَعْتَرُ
 وَالسَّكْسُ فِي رَاخَةِ السَّيَمِ يَحُلُو بِهَا غَيْبِ الْمَوْمِ
 أَفْبَسَتِ النَّارُ (٦) فِي الْقَدِيمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُخْلَقَ الْكُرُومِ
 وَالْفُصْنُ (٧) فِي مَلْعَبِ النَّسِيمِ لِلزَّهْرِ فِي حِطْفِهِ رُفُومِ
 قَلْبَةُ الْقُصْبِ قَدْ تَحَلَّتْ وَالْعَالُ فِي الْحَلِيِّ جَوْهَرُ

(١) في نفع الطيب : « قد » .

(٢) كذا في م . وفي ط : « الصبح » . وفي نفع الطيب : « الشمس » .

(٣) كذا في نفع الطيب . والذي في الأصلين : « في حلبة » .

(٤) في ط ونفع الطيب : « تشكر » .

(٥) في نفع الطيب : « قد تجلت » .

(٦) في رواية : « النور » .

(٧) في نفع الطيب المطبوع : « والتهر » .

وَهَبْجَةُ السَّوْنِ قَدْ تَجَلَّتْ وَالرَّوْضُ بِالْحُسْنِ يَبْهَرُ
يُذَكِّرُنِي وَجَنَّةَ الْحَبِيبِ وَالْأَمْسَ فِي صَفْحَةِ الْعِشَارِ
وَشَارِبَ الشَّارِبِ الْحَبِيبِ بَيْنَ أَفْأَحٍ وَجُلْنَازِ
يُذِيرُ مِنْ ثَغْرِ الشَّيْبِ سُلَافَةً دُونَهَا الْعَتَا
حَلَّتْ لِأَهْلِ الْهَوَى وَجَلَّتْ بِالذِّكْرِ وَالْوَهْمِ تُسَكِّرُ
كَمْ مِنْ نَفْسٍ بِهَا تَسَلَّتْ فَمَا لَهَا الذَّهْرُ مُنْكَرُ
بَا غُصْنٍ بَانَ يَمِيلُ زَهْوًا رَبَّانٍ فِي رَوْضَةِ السَّكَا
لَوْ كُنْتُ تُصْنِي لِرَفْعِ شَكْوَى أَطَلْتُ مِنْ قِصْفَةِ الْعِتَابِ
وَمَنْ لِيَسْلِي بِبَيْتِ نَجْوَى لِلْيَدْرِ^(١) فِي زَرْفِ السَّعَابِ
عَزَّامُ الصَّبْرِ فَيْكَ حُلَّتْ وَعَقْدَةُ الْعَبْرِ تَذْخَرُ
قَدْ اكْتَرَبْتَ مِنْكَ مَا سَقَلَتْ وَآيَتْ لَوْ كُنْتُ تَشْمُرُ
كَمْ لَيْلَةٍ بِنَهَا وَبِنَا ضِدِّينَ فِي الشَّهْرِ وَالرُّقَادِ
أَسَامِرُ النَّجْمِ فَيْكَ حَقَّى عَلِمْتُ أَجْفَانَهُ^(٢) الشَّهَادِ
أَرْقُبُ بَذَرَ الدُّجَى وَأَنَا قَدْ لَحْتُ فِي هَالَةِ الدُّوَادِ
نَفْسِي وَلَيْتَ مَا تَوَلَّتْ دَعَا عَلَى الشُّوقِ تَصِيرُ
لَوْ سَمِعْتَهَا الْمَجْرَمَ مَا تَوَلَّتْ وَلَمْ تَكُنْ عَنْكَ تَنْفِرُ
عَلَيْهَا الصَّبْرُ فِي الْحُرُوبِ سَاطِعَانَا عَاقِدُ الْبُنُودِ
مَمْقَرُ الصَّيْدِ لِلْجُنُوبِ أَعَزُّ مِنْ حُفٍّ بِالْجُنُودِ

(١) في نفع الطيب المخطوط : « ليدري » .

(٢) في م : « أجفانها » .

نُصِرْتَ بِالرُّغْبِ فِي الْقُلُوبِ وَالْبَيْضُ لَمْ تَبْرَحِ الْعُدُودُ
 عِنَابُهُ اللَّهُ فِيهِ حَلَّتْ^(١) يَسْعَدُهُ الدِّينُ يَنْصُرُ
 وَالْخَلْقُ فِي عَصْرِهِ نَمَلَتْ غَنَائِمًا لَيْسَ تُخْصَرُ
 مَوْلَايَ يَا نَكْتَةَ الزَّمَانِ دَارَ بِمَا تَرْتَضَى الْفَلَاحُ
 جَلَلَتْ بِالْيَمِينِ وَالْأَمَانِ كُلَّ مَلِكٍ وَمَا مَلَكُ
 لَمْ يَذَرِ وَصْفِي وَلَا عِيَانِي أُمَمَكَ^(٢) أَنْتَ أُمُّ مَلَكُ
 جُنُودِكَ الْعَلْبُ حَيْثُ حَلَّتْ بِالثَّمَرِ وَالْمَتْعِ تَخْفَرُ
 وَعَادَهُ اللَّهُ فِيكَ دَلَّتْ أَنْكَ بِالْكَفْرِ تَنْظِفَرُ
 يَا آيَةَ اللَّهِ فِي الْكَمَالِ وَتُحْجِلُ الْبَذَرِ فِي التَّمَامِ
 قَدِمْتَ بِالْعِزِّ وَالْجَلَالِ وَالذَّهْرُ فِي قَفْرِهِ أُتْسَامُ
 بَخْتَالٍ فِي حَالَةِ الْجَمَالِ وَالْبَهْدُ قَدْ عَادَ فِي اخْتِمَامِ
 رِيحَانَةُ الْعَجْرِ قَدْ أَظَلَّتْ خَضِرَاءُ بِالزُّهْرِ تَزْهَرُ
 وَرَايَةُ الصُّبْحِ إِذْ أَظَلَّتْ فِي مَرْقَبِ الشَّرْقِ تُنَشِّرُ
 وقال رحمه الله تعالى وسامحه :

[٣٥٩]

قَدْ طَلَعَتْ رَابَةُ الصَّبَاحِ وَآذَنَ اللَّيْلُ بِالرَّحِيلِ
 فَبَاكِ الرُّوَضِ بِاصْطِلَاحِ وَأَشْرَبَ عَلَى زَهْرِهِ الْبَلِيلِ
 فَالْوَرَقُ هَبَّتْ مِنَ السَّائِفِ^(٣) لِيَنْبَرِ الدُّوْحُ^(٤) تَخْطُبُ

(١) في نفع الطيب : « جلت » .

(٢) في ط : « أملك » .

(٣) في م والفتح المخطوط : « الثبات » . وظاهر أنها محرفة عن « الديات » .

(٤) في ط : « الروض » .

تَسْجَعُ مُنْتَهَى اللِّغَاتِ كُلُّ عَنِ الشُّوقِ يُعْرِبُ
وَالْفَضُّ بَعْدَ الذَّهَابِ يَبَانِي لِأَكْثُوسِ الطَّلُّ يَسْتَرْبُ
وَأَذْمَعُ الشَّحْبِ فِي أَنْسِيَاخِ فِي كُلِّ رَوْضٍ لَهَا سَبِيلُ^(١)
وَالْجَوْ مُسْتَبِيرُ النُّوَاحِي يَلْعَبُ بِالْعَارِمِ الصَّبِيلُ
فَمُ فَاعْتَمِ بِهَجَّةِ الثُّفُوسِ مَا بَيْنَ نَوْرٍ وَبَيْنَ نُورٍ
وَشَفَعِ الشَّبِيعِ بِالنُّفُوسِ تُدِيرُهَا يَبْنِئْنَا الْبُـدُورُ
وَبَسَّ الشَّرْبِ لِلْكُفُوسِ نُعْزِجُ مِنْ رَبِيقِهِ الشُّعُورُ
مَا أَجْمَلَ الرَّاحَ فَوْقَ رَاحِ صَفَرَاءَ كَالشَّمْسِ فِي الْأَصِيلِ
تُعَادِرُ الصَّدْرَ ذَا انْتِرَاحِ لِلْأَنْسِ فِي طَلْفِيقِهِ^(٢) مَقِيلُ
وَلَا تَذَرُ حَمْرَةَ الْجَفُوفِ فَسَكَّرَهَا فِي الْهَوَى حُنُونُ
وَلَتَخْشَ مِنْ أَنْهَمِهِ الْعُيُونِ فَإِنَّهَا رَائِدُ الْعَنُونِ
عَرَضَتْ مِنْهَا إِلَى الْعُنُونِ وَكُلُّ خَطْبٍ لَهَا يَهُونُ
أَهْمُ بِالْفَاعَادَةِ الرَّدَّاحِ وَالْجِدْمُ مِنْ حُبِّهَا عَلِيلُ
لَوْ بَتَّ مِنْهَا عَلَى افْتِرَاحِ نَقَعَتْ مِنْ رَيْنِهَا الْغَلِيلُ
أَوَاعِدُ الطَّلِيفِ لِلتَّمَامِ وَمَنْ رَلَعِي بِالْتَّمَامِ
أَشْهَرُ فِي لَيْلِهِ التَّمَامِ وَأَنْتَ يَا بَدْرُ فِي التَّمَامِ
وَأَلْمُ الزَّهَرِ فِي الْكِمَامِ عَلَيْهِ مِنْ ثَعْرِكَ ابْتِسَامِ

(١) كلنا في التاج الطربوع والمخطوط . وفي ط : « منيل » . وفي م : « مجمل » .
وظاهر أن كلنا الروابيعين حرف عما أثبتناه .

(٢) كلنا في ط . وفي م : « طبعه » . وفي الفتح الطربوع والمخطوط : « طبعه » .

سَعَرَتْ عَنْ مَيْمَرِ الْأَقْلَاحِ وَرَيْفِكَ الْقَذْبُ سَلَامِيلُ
قُلْ لِي يَا زَبَّةَ الْوِشَاحِ هَلْ لِي إِلَى الْوَصْلِ مِنْ سَابِيلُ
يَا كَلْبَةَ الْحُسَيْنِ زِدْتِ حُسْنًا وَلِلْهَوَى حَوْلَكَ الْفُطَافُ
وَعُضْنَ بَكِي إِذَا تَلَقَّى لَوْ كَانَ^(١) مِنْ زَهْرِكَ الْفُطَافُ
أَلَا انْعِطَافُ عَلَى الْمُسَى فَالْفُضْنُ بَرَهُو بِالْانْعِطَافُ
أَصْبَحْتَ نَزْهُو عَلَى الْمَلَايحِ بِذَلِكَ التَّنَظُّرِ الْجَبِيلُ
وَوَجَّهَكَ الشَّمْسُ فِي انْضَاحِ^(٢) لَوْ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَبِيلُ
مَا الزُّهْرُ إِلَّا يَنْظُرُ دُرَّ تَحْصُدُ^(٣) فِي حُسْنِهِ الْمُتَوَدُّ
لِللَّيْلِ الظَّاهِرِ الْأَعْرَ أَكْرَمَ مَنْ حَفَّ بِالشُّعُودُ
مُحَمَّدِ الْعَمِيدِ وَابْنِ نَصْرِ وَبَاسِطِ الْعَدْلِ فِي الْوُجُودُ
مُسَاجِلِ السَّحَابِ فِي السَّاحِ بِالْقَيْثِ مِنْ رِفْدِهِ^(٤) الْجَبِيلُ
وَتَحْجِلِ الْبَذْرِ فِي الْإِيَّاحِ بِغُرَّةٍ مَا لَهَا مَشِيلُ
يَا مُشْرِبَ الْحُبِّ فِي الْقُلُوبِ وَوَاهِبَ الصَّفْحِ لِلصَّفَاحِ
نُصِرْتَ بِالرُّعْبِ فِي الْحُرُوبِ وَالرُّعْبُ أَجْدَى^(٥) مِنَ السَّلَاحِ
قَدْ لُحِتَ مِنْ عَالَمِ الْغُيُوبِ لَمْ تَعْدِمِ التَّوَزَّ وَالنَّجَاحِ^(٦)
مَرَّاكُشُ نُهْبَةُ افْتِتَاحِ وَالصَّنْعُ فِي فَتْحِهَا جَبِيلُ

(١) في ط : « كان » .

(٢) في م : « في انضاح » .

(٣) في ط : « تمسك » وهو تعريف .

(٤) في ط : « رفته » وهو تعريف .

(٥) في الأميلين : « أجرى » . وما أبتناه من نفع الطيب .

(٦) في م ونفع الطيب للطوبى : « والفلاح » .

بُشْرَاكَ بِالْفَتْحِ وَالنَّجَاحِ وَالشُّكْرُ مِنْ ذَلِكَ الْقَبِيلِ

ومن غير الخلق قوله في المناء بالشفاء من مرض :

ومن موشعاه
في التهنئة بالشفاء
من مرض

فِي كُثُوسٍ الشَّفْرِ مِنْ خَرِّ الْمَقْسِ (١) رَاحَةُ الْأَزْوَاجِ

وَتَغَشَّى (٢) الرِّوَضُ مِشْرِيكَ النَّفْسِ عَالِمُ الْأَزْوَاجِ

قَدْ كَسَا الْأَدْوَاهَ وَشَيْئًا (٣) مَذْهَبًا يَبْهَرُ الشُّمْنَا

عَسَجَدَ قَدْ حَلَّ (٤) مِنْ فَوْقِ الرُّبَا يُبْهِجُ النَّفْسَا

فَاتَّخِذْ لِلْهَيْهِ فِيهِ مَرْكَبًا تَلْحَقِي الْأَنْسَا

مِنْبَرُ النَّفْسِ عَلَيْهِ قَدْ جَلَسَ سَاجِعُ الْأَدْوَاهِ

حَلَّ السُّنْدُسِ خُضْرًا قَدْ لَبَسَ عِطْفُهُ الْمُرُنَاخِ

قُمْ تَرَى هَذَا الْأَصِيلَ شَاحِبًا حُسْنُهُ قَدْ رَاقَ

وَلَا ذِيَالِ الْفَصُورِ سَاحِبًا فِي حِلْيِ الْأَوْزَاقِ

وَتَلْدِي قَالِ لِي مُخَاطِبًا قَوْلَ ذِي إِشْفَاقِ

عَادَةُ (٥) الشَّمْسِ بِغَرْبِ تَخْتَلِسَ هَاتِ شَمْسَ الرَّاحِ

إِنْ أَرَانَا الْجَوْ وَجَهَا قَدْ عَبَسَ أَوْ قَدِ الْمَصْبَاحِ

وَوُجُوهُ الشَّرْبِ تُغْنِي عَنْ شُمُوسِ كَلَّمَا تُجَلِّي

بِلِحَافٍ أَسْكَرْتَنَا عَنْ كُثُوسِ خَرَّهَا أَحْلَى

(١) في نفع الطيب : « في كُثُوس ... من ذاك المقس » .

(٢) في ط : « وعشى » .

(٣) في ط : « مسكا » .

(٤) في م : « عسجدى حل » .

(٥) في م : « غادة » . بالنين المعجمة .

مُظْهِراتٍ مِنْ خَبَائِا^(١) فِي النُّفُوسِ سُورًا^(٢) نُقِلَ
مَا زَمَنَ الْإِنْسِي إِلَّا عُتِلَسَ فَأَغْنَمَ يَا صَاحُ
وَعُيُونُ الشَّهْبِ نَذَكِي عَنْ حَرَسِ تَغْنَمُ النَّصَاحِ
مَا تَرَى تَقَرُّ الْوَمِيعِ بِأَسْمَا يُظْهِرُ الْبِشْرَا
وَتَنَاءِ الرُّوضِ هَبَّ نَاسِمَا عَاطِلِرَا نَشْرَا
بَثَّ مِنْ أَزْهَارِهِ دَرَاهِمَا فَأَنَلَا بُشْرِي
رَكِبَ التَّوَلَّى مَعَ الظَّهِيرِ الْفَرَسِ وَشَفِي^(٣) وَازْتَاغُ
يَجْنُودِ اللَّهِ دَأْبًا يُعْتَزَسُ إِنْ غَدَا أَوْ رَاحُ
وَجَبَّ الشُّكْرِ عَلَيْنَا وَالْهِنَا بَعْضَنَا بَعْضَا
فَرَمَانُ الشَّدِيدِ وَصَاحُ السَّقَى وَجِئَهُ الْأَرْضَى
أُتْمَرَتْ فِيهِ الْعَوَالِي بِالنَّسَى^(٤) تَمَرَا عَصَا
يَجْعَتِي الْإِسْلَامُ مِنْهَا مَا اغْتَرَسَ سَيْفُهُ السَّفَاغِ
فِي صَدِيرِ النُّفْعِ مِنْهَا قَدْ هَجَسَ شُهْبُ تَلْتَاغِ
تَا إِمَامًا بِالْحَسَامِ السُّنْتَقَى نَصَرَ الْحَقَا
فَرَزَكَ الْوَضَاحُ مَهْمَا أَوْعَا أَخْجَسَلَ الْبَرَقَا
وَدُيُونُ الشَّدِيدِ مَهْمَا تُقْنَقَى تَوَسَّعَ الْحَقَا
لَكَ وَجْهٌ مِنْ هَبَّاحٍ مُقْتَبَسِ بِشْرُهُ وَصَّاحُ

(١) في نفع الطيب : • خفايا • .

(٢) كذا في م ونفع الطيب . وفي ط : • سورة • .

(٣) كذا في م . وفي ط وضع الطيب : • وسى • .

(٤) في الأسلوب : • باطنا • . وما أبناؤه عن نفع الطيب • .

وَجَمِلُ الصَّنْعِ مِنْهُ مُلْتَمَسٌ مِنْهُمْ صَفَاحٌ
هَذَا كَمَا تُزَجُّ لُطْفًا بِالنَّسَبِ كَلِمًا هَبَا
قَدْ أَتَتْ بِالْبَرِّ وَالصَّنْعِ الْجَسِمِ تَشْكُرُ الرَّبَّ
أَخْجَلَتْ مَنْ قَالَ فِي الصَّنْعِ الْوَسْمِ مُرَمَّا صَبَا
«غَرَدَ الطَّيْرُ فَنَبَسَ مَنْ نَعَسَ» بِأُمْدِيرَ الرَّاحِ
«وَتَعَرَّى الْفَجْرُ عَنْ ثَوْبِ النَّعَسِ» وَانْجَلَى الْإِصْبَاحُ

وقال في الهناء بالشفاء أيضاً ، من مَجْلَعِ البسيط :

موشحة له أخرى
في الهناء بالشفاء

[٣٠٩]

قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ بِالشِّفَاءِ وَاشْتَكَلَتْ رَاحَةُ الْإِيمَانِ
فَلْتَنْطَلِقِ الطَّيْرُ بِالْهِنَاءِ وَلْيَسْحَكِ الزَّهْرُ فِي الْكِتَابِ
وُجُودُهُ بِهَيْجَةِ الْوُجُودِ وَبُرُوءُهُ رَاحَةُ الْقُفُوسِ
قَدْ لَاحَ فِي مَرْقَبِ الشُّعُودِ وَاسْتَبَقَرَتْ أَوْجُهُ الشُّمُوسِ
فَالَّذِي يُؤْمِي إِلَى السُّجُودِ أَكَامُهُ حَطَّتْ (١) الزُّهُوسِ
وَالزَّهْرُ فِي رَوْضَةِ السَّمَاءِ كَالزَّهْرِ قَدْ رَاقَى بِإِنْسَامِ
وَالصَّنْعُ مُسْتَشْرِفُ الْوَأْدِ وَالْبِدْرُ مُسْتَقْبِلُ التَّيَامِ
مَحَاسِنُ الْكَوْنِ قَدْ نَجَلَتْ جَمَالُهَا الْقَمَلُ يَبْهَرُ
عَرَّائِسُ بَابِهَا تَحَلَّتْ وَالطَّلُّ فِي الْحَلِّ جَوْهَرُ
وَأَلْسُنُ الْوُزُقِ قَدْ أَمَلَتْ مَدَامَنَا عَنْهُ تَشْكُرُ
تَسْتَوْفُ الْخَلْقَ بِالْفِنَاءِ كَانَهَا نُحْسِنُ الْكَلَامِ

(١) حسدا الشطر والذي فوقه من بيتين لا ين وكيع في مقطوعة له وردعا ابن منظور في

كتاب «نثار الأزهار في الليل والنهار» ، ونس البيت فيه (صفحة ٨ طبعة المحراب) :

«غرد الطير قبله من نسي وأدر كالك فالبش خلص

سل سيف الفجر من نعد الدجى وتعرى الصبح من قس الناس»

(٢) في الأصاين وضع الطيب : «غطت» ، ولعلها معرفة عما أتيته .

تُطِيبُ اللَّهُ فِي الثَّغَاءِ تَقُولُ : سَلَّمَتْ يَا سَلَامَ
 كَمْ مِنْ مُشَوَّرٍ لَهَا مُنْعَوَّرُ تَبَسُّمُ إِذْ جَاءَهَا الْبَشِيرُ
 وَمِنْ خُذُورٍ بِهَا يَدُورُ يُشِيرُ مِنْهَا أَلْهُ الشَّيْرِ
 نَقُولُ إِذْ حَفَّهَا الشُّرُورُ تَبَارَكَ الْمُنِيمُ الْقَدِيرُ
 قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ بِالْبَقَاءِ فِي ظِلِّ مَوْلَى بِهِ اغْتِصَامُ
 قَدْ صَادَفَ الشَّجَّحَ فِي السَّوَاءِ فَالْهَدَاءُ عِنَّا أَلْهُ انْقِصَامُ
 يَهْنِيكَ مَوْلَايَ بَلْ يَهْنَأُ بِرَبِّكَ الدِّينُ وَالْهَدَى
 فَالْعَرْبُ وَالشَّرْقُ مِنْكَ يُعْنَى عِذْهِبِ الْخَطْبِ وَالرَّدَى
 وَاللَّهُ لَوْلَاكَ مَا نَهْنَأُ مَنْ رَفِيَ مِنْ سَعْوَةِ الرَّدَى
 يَا مَوْرِدَ الْأَنْفُسِ الظَّمَاءِ قَدْ كَانَ يَشْتَفِيهَا الْأَوَامُ
 وَقُرَّةَ الْعَيْنِ بِالْبَهَاءِ رَدَدَتْ الْأَعْيُنُ الْمَنَامُ
 أَوْ أَبْذُلَ الرُّوحِ فِي الْبِشَارَةِ بَذَلْتُ بَعْضَ الَّذِي مَلَكَ
 فَأَنْتَ يَا نَفْسُ مُسْتَمَارَّةَ مَوْلَاكَ بِالْفَضْلِ جَلَّتْ
 لَمْ أَذِرْ إِذْ أَسْطَرُ الْمِبَارَةِ أَمْلَاكَ هُوَ أَمْ مَلَكَ
 لَا زِلْتَ مَوْلَايَ فِي هَذَا تُمَلِّغُ الْقَصْدَ وَالْعَرَامُ
 وَدَمْتَ لِلْمَلِكِ فِي اغْتِلَاءِ تَسْحَبُ أَذْيَالَهُ الْغَنَامُ

[٣٦٠]

وقال أيضاً بصف مائلة ويمدح النبي باله :

عَلَيْكَ يَا رَبِّهِ السَّلَامُ وَلَا عَدَا رَبِّكَ الْمَقَارُ
 مُذْ حَلَّ فِي قَصْرِكَ الْإِنَامُ قَرُبُكَ الشُّوْلُ وَالْوَطَرُ
 كَمْ فِيكَ لِلْمُعْرَمِ الْمَشُوقِ مِنْ مَنَظَرٍ يُبْهِجُ النَّفُوسُ

وَالدَّوْحُ فِي رَوْضِكَ الْأَيْقِ لِلشُّكْرِ قَدْ حَطَّتِ الرُّهُوسُ
وَالْجَوْ مِنْ وَجْهِكَ الشَّرِيقِ نَحْسُدُهُ أَوْجُهُ الشُّمُوسُ
وَأَعْيُنُ الزُّهْرِ لَا تَنَامُ تَسْتَعِزُّ الشُّهْدَ وَالْمَهْرُ
تَنْفُثُ مِنْ نَحْيِكَ النَّمَامُ نَزِيْقِكَ مِنْ أَعْيُنِ الزُّهْرِ^(١)
عَرُوسَةٌ أَنْتِ يَا عَيْبِلَهُ تُجَلِّي عَلَى مَظْهَرِ الْكَمَالِ
مُدَّتْ لَكَ الْكَفَّ مُسْتَقْبِلَهُ تَمْسَحُ أَعْطَافَكَ الشِّمَالِ
وَالْبَحْرُ مِنْ أَنْكَ الصَّقِيلِ تَشْفُ عَنْ ذَلِكَ الْجَمَالِ
وَالْحَلَى زَهْرٌ لَهُ انْتِظَامُ يُكَالُ الْقُضْبُ بِالذَّرَرِ
قَدْ رَأَى مِنْ تَعْرِهِ ابْتِسَامُ وَالْوَرْدُ فِي خَدَّهَا خَفَرُ
إِنْ قِيلَ مَنْ بَعَلَهَا الْفَدَى وَمَنْ لَهُ وَصَلَهَا مُبَاحُ
أَقُولُ أَمْنِي^(٢) الْمُلُوكِ رَفْدًا تَحْلِلُ الْفَخْرَ بِالْمُتَبَاحِ
مُحَمَّدُ الْحَمْدِ حِينَ يَهْدَى تَسَاوَاهُ عَاطِلُ الرِّيَاحِ
تُخْبِرُ عَنْ طَلِيهِ الْكِمَامُ وَالْخَبْرُ يُفْنِي عَنِ الْخَبْرِ
قَالَتُ الدُّ وَالرُّعْبُ وَالْعُسَامُ وَالنَّصْرُ آيَاتُهُ الْكُبْرُ
ذُو عُرْقٍ تَشَحَّرُ الْبُدُورَا وَطَلَعَتْ تَخْجِلُ الصَّبَاحُ
كَمْ رَأَيْتُ سَامَهَا ظُهُورَا نَظَّلُ الْأَوْجُهُ الصَّبَاحُ
وَكَمْ غَلَامٍ^(٣) جَلَاهُ نُورَا أَظْفَرَ بِالْقُوْزِ وَالنَّجَاحُ
الطَّاهِرُ الظَّاهِرُ الْهَامُ أَهْرَ مَنْ صَالَ وَافْتَقَرَ

(١) في م : « البهر » .

(٢) في ط : « أمنا » .

(٣) في نفع العليب : « جهاد » .

[٣١١]

لِسَيْفِهِ فِي الْعِدَا احْتِكَامُ
بِمَا مَرَّ بِمِلِّ الْخَيْلِ فِي النُّوَارِ^(١)
لَكَ الْجَوَارِي إِذَا نَجَّارِي
نَشْنَنُ فِي لُجَّةِ الْبَحَارِ
فَالْبَيْنُ وَلَيْقَصِرَ السَّكَّامُ
كَذَلِكَ أَسْلَفَكَ الْكَرَامُ
جَرَى بِهِ مَسَابِقُ الْقَدَرِ
لَوْ تَطَلَّبُ السَّوْقُ تَلَعَقُ
سَوَابِقُ الشَّهْبِ تَسْبِقُ
فَالْكَفَرُ مِنْهُمْ يَفْرَقُ
بِسَيْفِكَ اعْتَزَّ وَانْتَصَرَ
هُمْ نَصَرُوا سَيِّدَ الْبَشَرِ

وقال من غير هذا البحر في المحدث^(٢) بمالقة :

قَدْ نَظِمَ الشُّلُّ أَتَمَّ انْتِظَامُ
وَاسْتَضْحَكَ الرُّؤُوسُ نُفُورَ الْكِدَامِ^(٣)
وَعَمَّ النُّورُ رُؤُوسَ الرُّبَا
وَصَافَحَ الْقُضْبُ نَسِيمَ الصَّبَا
وَعَادَ لِلرُّؤُوسِ زَمَانُ الصَّبَا
وَأَطْلَعَ الْقَفْرُ بُدُورَ ائْتِمَامِ
خُدُودَهَا قَامَتْ مَقَامَ الْغَنَامِ
أَصْبَحَتْ بَارِئَةً بِجِلِّي الشُّبُوسِ
وَالْبَشَرُ يَسْرَى فِي جَمِيعِ الدُّفُوسِ
وَالدَّوْحُ لِلشُّكْرِ تَحْطُّ الرُّؤُوسِ
وَأَنْجَمُ الزُّهْرِ بِهَا تَزْهَرُ

(١) الدُّوَارُ (بالكسر) : الإِطَارَةُ .

(٢) المحدث : اسم مبي عجيب كان بمالقة .

(٣) في الأصليين وضع الطيب : « الغمام » . ولعلها محرفة عما أبتناه .

(٤) في الأصليين وضع الطيب : « وماود النهر » . فلهذا الزهر « ، وما أبتناه أول بالسباق .

موشحة له في
وصف بناء
المحدث بمالقة

وَرَاجَعَ النَّهْرُ غِنَاءَ الْحَمَامِ وَقَدْ شَدَّتْ تَسْجَعُ سَجْعِ الْمُطَلِبِ
 بِمَنْبَرِ الْفَضْلِ الرَّشِيقِ الْقَوَامِ لَنَا اِثْنَى يَهْفُو بِقَدْرِ رَطِيبِ
 يَا حَبْدًا مِثْلَكَ فَخَرُ الْقُصُورِ بِدَوْحِهِ طَالَتْ بُرُوجُ السَّمَاءِ
 مَا مِثْلُهُ فِي سَالِقَاتِ الْمُصُورِ وَلَا الَّذِي شَادَ ابْنُ مَاءِ السَّمَاءِ
 كَمْ فِيهِ مِنْ مَرَأَى يَهْجِجُ^(١) وَنُورِ فِي مُرْتَقَى الْجَوِّ بِهِ قَدْ سَمَا
 خَلِيفَةُ اللَّهِ وَنِعْمَ الْإِمَامُ أَنْحَفَكَ الدَّهْرُ بِصَنْعِ عَجِيبِ
 يَهْنِكَ شَمْلٌ قَدْ غَدَا فِي الثَّمَامِ مُهْدً فِي ظِلِّ عَيْشٍ خَسِيبِ
 نَوَائِمُ الْوَادِي بِمِثْلِكَ تَفُوحُ وَتَفَحُّ الدُّدَّ بِهِ تَعْبَقُ^[٣٦٢]
 وَبَهْجَةُ الشَّكَاكِ فِيهِ تَلُوحُ وَجَوْهُ مِنْ نُورِهِمْ^(٢) يُشْرِقُ
 وَرَوْضُهُ بِالْمَرْءِ مِنْهُ تَبُوحُ بَلَائِلٌ عَنْ وَجْهِهِ تَنْطَلِقُ
 لَوْ أَنَّ مَنْ يَفْهَمُ عَنْهَا الْكَلَامَ فَهَى تَهْنِكَ هَنَاءَ الْأَرِيبِ
 وَنَهْرُهُ قَدْ سُلَّ مِنْهُ الْحَمَامُ بِلَحْظِهِ الرَّجَسُ لَحْظُ الْعَرِيبِ
 فَأَجْمَلُ الْأَيَّامِ عَصْرُ الشَّبَابِ وَأَجْمَلُ الْأَجْمَلِ يَوْمُ الْفَقَا
 يَا دُرَّةَ الْقُصْرِ وَشَمْسَ الْقِيَابِ وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ فِي الْمُلْتَقَى
 بَشْرَكَ الرَّبِّ بِحُسْنِ الْمَنَابِ مَتَمَّتْكَ اللَّهُ بِطَوْلِ الْبَقَا
 وَلَا يَزَالُ الْقُصْرُ قُصْرُ السَّلَامِ يَحْتَالُ فِي بُرْدِ الشَّبَابِ الْقَشِيبِ
 يَتَلَوَّ عَلَيْنِكَ الدَّهْرُ فِي كُلِّ عَامٍ: « نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ »

(١) في ط : « جبل » .

(٢) في م : « وبهجة الشكاة ... نوحا » .

(٣) في م : « ما أجل » .

موشحة أخرى
في المنام بالشفاء

وقال — رحمه الله — من المخلع في الشفاء :

فِي طَالِبِ الْيُمْنِ وَالسُّعُودِ قَدْ كَلَّمْتُ رَاحَةَ الْإِتِمَامِ
فَأَشْرَقَ النُّورُ فِي الْوُجُودِ وَابْتَسَمَ الزُّهْرُ فِي الْكِتَامِ
قَدْ طَلَعَتْ رَايَةُ السَّجَّاحِ وَاهْزَمَ النَّاسُ وَالْقَنَاسُ
وَقَالَ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ مُؤَذِّنُ الْقُسُودِ^(١) بِالْقَنَى
فَالْدَّهْرُ بَيَّانِي بِالْإِفْرَاحِ مُسْتَقْبِلُ أَوْجِهَةِ الْمَنَى
تَخْفِقُ مَنْشُورَةُ الْبُنُودِ وَالسُّدُ يُقَدِّمُ مِنْ أَمَامِ
وَالْأَنْسُ مُسْتَجْمِعُ الْوُفُودِ وَاللُّطْفُ مُسْتَعْدِبُ الْجَمَامِ
وَأَكْثَرُ الْعُلَّ مُتَرَعَاتِ بَانُوسِ السُّوسَنِ النَّدَى
وَالْعَلِيرُ مُفْتَتِنَةُ اللَّغَاتِ تَشْدُو بِأَصْوَاتِ مَعْبِدِ
وَالْفُضْنُ يَذْهَبُ ثُمَّ بَاتَ بِالشُّنْدُسِ الْفَضَّ مُمَرِّدِ
وَالدُّوْحُ يَرِي إِلَى السُّجُودِ شُكْرًا لَدَى الْأَنْثَمِ الْجَسَامِ
وَالرَّيْحُ خَفَافَةُ الْبُيُودِ تَبَاكَرُ الْوُضْءِ بِالْمَسَامِ
مَظَاهِرُ الْجَمَالِ تَجَلَّى قَدْ هَزَّ أَعْطَاهَا السُّرُودُ
وَبَاهِرُ الْخَمَنِ قَدْ تَجَلَّى مَا بَيْنَ نَوْرِ وَبَيْنَ نُورِ
قَدْ هَمَّتْ بِالشِّفَاءِ مَوَلَى بِمَضَرِهِ تَفْعَرُ الْعُصُودُ
مَا بَيْنَ بَكْسٍ وَبَيْنَ جُودِ قَدْ مَهَّدَ الْأَمْنُ لِلْأَتَامِ
فَالْدُّنْ ذُو أَغْبِي زُفُودِ وَكَانَ لَا يَطْعُمُ الْمَنَامِ
وَالْكَأْسُ فِي رَاحَةِ الشِّفَاءِ تَرُوحُ طَوْرًا وَتَفْتَقِدِي

[٢٦٢]

(١) في نفع الطيب : « القوم » .

يُذِيكُمَا وَائِقُ السَّمَاءِ مَا تَيْنَ بَرَقِي وَفَرَقْدِ
وَالشَّمْسُ تَذْهَبُ لَلَّيَاتِ قَدْ لَبَسَتْ نَوْبَ عَسَجِدِ
وَالزَّهْرُ فِي الْيَابِغِ الْمَجُودِ يُقَابِلُ الشَّرْبِ بِانْتِسَامِ
وَالرُّوضُ مِنْ حِلْيَةِ الْقَمُودِ قَدْ جَرَدَ التَّهَرُّزِ عَنْ حُكَامِ
مَوْلَايَ تَأَشَّرَفَ السُّلُوكِ وَعِصْمَةِ الْخَلْقِ أَمْعَمِ
أَهْدِيكَ مِنْ جَوْهَرِ السُّلُوكِ يَقْذِفُهُ بِحَرْكِ الْمَمِينِ
جَعَلْتُ تَنْظِيمَهُ سُلُوكِي وَأَنْتَ لِي الْمُنْعِدُ النَّمِينِ
نَجِيَّةُ الْوَاحِدِ الْجَبِيدِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَالسَّلَامِ
عَلَيْكَ مِنْ رَاحِمِ دَاوُدَ يَأْتَحِيلُ التَّبَذِيرِ فِي التَّمَامِ

وَقَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الرِّسَالَةِ الْمَجْرُوءِ :

موشحة أخرى
في الهاء بالفتاء

وَجْهٌ هَذَا الْيَوْمَ بِكَيْمِ وَشَذَا الْأَزْهَارِ نَاسِمِ
هَاتِمَا [صَاحِر] ^(١) كُنُوسَا جَالِبَاتِ السَّرُورِ
وَأَرْقَبُ مِنْهَا شُبُوسَا طَالِمَاتِ فِي بُدُورِ
مَا تَرَى الرُّوضِ عَرُوسَا فِي حُلَى نَوْرِ وَنُورِ
وَأَنْتَ رُسُلُ النِّوَاسِمِ تَجَسَّلِي هَذِي الْمَوَاسِمِ
قَدْ أَهْلَتْ بِالْبَشَايِرِ أَضْحَكْتَ نَفَرَ الْأَزَاهِرِ
سَعَتْ فِي بُيُوتِ طَائِرِ وَنَظَمْتَ كَالْجَوَاهِرِ
فَأَنْشُرُوهَا فِي الْمَشَايِرِ إِنْ هَذَا الصَّنْعَ بَاهِرِ
وَأُشْبِعُوا فِي السَّوَالِمِ الْفَنَى بِاللَّهِ سَلَامِ

(١) هذه الكلمة عن نفع الطيب .

أَيْ تُورِيَتَوَقَّدُ أَيْ بَدْرٍ يَسْلَلَا
 أَيْ فَغَرٍ يَتَخَلَّدُ أَيْ غَيْثٍ يَنْسَوَالِي
 إِنَّمَا الْمَوْلَى مُحَمَّدٌ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
 كَفَّهُ بِحَرِّ الْمَقَاسِمِ وَبِهَا حِجُّ الْمَنَاسِمِ
 حَيْرُ أُمْلَاكِ الزَّمَانِ مِنْ بَنِي سَقْدٍ وَنَصْرِ
 مَا تَرَى أَنْ الشَّوَانِي فِي صَعِيدِ الْهَرِّ^(١) تَجْرِي
 قَدْ أَطَارَتْهَا التَّهَانِي دُونَ بَغْرِي وَنَحْرِي
 مُذْ رَأَتْ بَحْرَ النَّمَانِمِ كُلُّهَا جَارٍ وَعَانِمِ
 فَهَيْتِيئًا بِالشِّفَاءِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 وَلَنَا حَقُّ الْمَنَاءِ وَجَمِيعِ السُّلَيْمِ^(٢)
 إِنْ جَهَرْنَا بِالْمُعَاةِ يَنْطَلِقُ الْكَهْرُ أَمِينُ
 دُمْتَ تَحْرُوسَ الْكَارِمِ يَطْلُجِي الْبَيْضُ الصَّوَارِمِ

[٢٦٤]

وَقَالَ يُسَيِّدُ السُّلْطَانُ مُوسَى بْنُ السُّلْطَانِ أَبِي عِنَانٍ وَقَدْ وَجَّهَ إِلَيْهِ
 الْفَتَى بِاللَّهِ أُمُّهُ وَعَبَايَاهُ عِنْدَ تَمَلُّكِهِ الْفَرَبِ مِنْ قَبْلِهِ :
 وَمِنْ مَوْشَاهُ فِي تَهْنِئَةِ السُّلْطَانِ
 مُوسَى بْنُ أَبِي عِنَانٍ
 لِلرَّبِّي

قَدْ نَظِمَ السَّنَلُ أَتَمَّ أَنْظِلَامَ
 وَأَضْحَكَ الرُّؤُوسَ تُنَوِّرُ الْكِمَامَ
 وَلَاخَتِ الْأَفْكَارُ بَعْدَ الْغَيْبِ
 عَنْ مَنَسِمِ الزَّهْرِ^(٣) التَّوَدُّ الشَّيْبِ

(١) فِي نَجْعِ الطَّيْبِ الْمُطَوِّطِ : « النَّجْر » .

(٢) فِي نَجْعِ الطَّيْبِ : « الْمَالِين » .

(٣) فِي م : « النَّفَر » كَانَ : « الزَّهَر » .

وَعَاوَدَ النُّفْسَ زَمَانَ الْعَبَا وَأَشْرَبَ الْإِنْسَ جَمِيعُ النُّفُوسِ
وَعَمَّ^(١) النَّوْرَ رُؤُوسَ الرُّبَا وَجَلَّلَ^(٢) النَّوْرَ وَجُوهَ أَشْمُوسِ
وَأَطْرَبَ النُّفْسَ نَسِيمُ الْعَبَا فَأَلْدُوْحُ لِلشُّكْرِ^(٣) يَحْطُ الرُّؤُوسِ
وَأَسْتَقْبَلَ أَلْبَدْرُ لِيَالِي التَّمَامِ وَصَاتَعَ الصُّبْحُ يَكْفُ خَضِيبِ
وَرَأَجَعَ الْأَمْبَارُ سَجْعَ الْحَمَامِ بِكُلِّ ذِي لَحْنٍ بِدِيعِ غَرِيبِ
نَوَامِيسُ الزَّادِي عِمْلِكَ تَفُوحُ وَنَفْعَةُ النَّوْدِ بِهَ تَعْبِقُ
وَبَهْجَةُ السَّكَّانِ مِنْهُ تَلُوحُ وَجُوهُ مِنْ نُوْرِهِمْ يُشْرِقُ
وَعَرَفَهُ بِالطَّيْبِ مِنْهُمْ يَفُوحُ كَأَنَّهُ عَنْ عَشِيرٍ يُفْتَقُ
وَالْتَهَرُّ قَدْ سُلَّ كَيْلُ الْحَسَامِ حَبَابُهُ تَطْفُو وَطُورًا تَغِيبُ
وَتَفْرُهَا قَدْ رَاقَ مِنْهُ ابْتِسَامُ يَهْئِي الْأَحْبَابَ قُرْبَ الْحَبِيبِ
كَوَاكِبُ أَرْجَاجِنَ الْخُدُودِ يَلُوحُ عَنْهَا كُلُّ بَدْرِ لِيَاكُ
جَوَاهِرُ أَصْدَافِنَ الْقُصُودِ نَظَمَهَا السَّعْدُ كَفَطَ الْوِشَاحُ
بَا حَبْدًا وَاللَّهُ رَكِبَ السَّرُودِ يُبَشِّرُ الْمَوْلَى بِنَيْلِ اقْتِرَاحِ
ابْتِهَاجِ السَّكُونِ بِمَوْسَى الْإِيمَانِ وَاخْتَالَ فِي رُزْدِ الشَّبَابِ الْقَشِيبِ
وَعَادَهُ بِعَدْمِ مِثْلِ الْفُلَامِ شَبَابُهُ قَدْ عَادَ بَعْدَ الْقَشِيبِ
أَكْرَمَ بِهِ وَاللَّهُ وَفَدَ الْكَرِيمِ مَوْلَانَنَا « الْحُرَّة » فِي مَقْدَمِهِ
مَرَضَاتِهَا^(٤) تُحْظَى بِدَارِ النِّعَمِ وَتُوجِبُ التَّوْفِيقَ مِنْ مُنْعِمِهِ

(١) في نسخ الطيب : « وجم » .

(٢) في ط : « جل » وما أبتناه عن م ونسخ الطيب .

(٣) كذا في الأصلين والنسخ الطيِّب . وفي النسخ المخطوط : « الشكر » .

(٤) في ط : « مرضاته » . وما أبتناه عن م ونسخ الطيب .

بَشَّرَ بِالنَّصْرِ^(١) وَفَتَحَ جَسِيمٌ . وَخَيْرُهُ أَجْمَعُ فِي مَقْدَمِهِ
لِقَاؤَهَا التَّبَرُّورُ مِنْكَ الْغِتَامُ . بَشَّرَكَ اللَّهُ بِصُنْعٍ عَجِيبٍ
وَقَصَرَ التَّيْمُونُ قَصْرُ السَّلَامِ . خُصَّ بِحِفْظٍ مِنْ سَمِيعٍ مُجِيبٍ
مَوْلَايَ يَهْنِيكَ وَحَقَّ الْهَمَا . قَدْ نَظَّمَ الشَّمْلُ كَنَظْمِ السُّعُودِ
قَدْ فُزْتَ بِالْفَخْرِ وَتَبِيلِ الثَّنَى . وَأُنْجَزَ السَّعْدُ جَمِيعُ الْوُعُودِ
وَقَرَّتِ الْعَيْنُ وَزَالَ الْعَنَاءُ . وَكَلَّمَا مَرَّ صَنِيعٌ بِعُودِ
فَلَا يَزَلْ مُلْسَكَ حِلْفِ الدَّوَامِ . يَحُورُ فِي التَّخْلِيدِ أَوْ فِي نَصِيبِ
يَتْلُو عَلَيْكَ الدَّهْرُ بَعْدَ السَّلَامِ : « نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ »

وقال رحمه الله في وصف غرناطة والطرد وغيرها :

لِلَّهِ مَا أَتَجَلَّى زَوْضَ الشَّبَابِ . مِنْ قَبْلِ أَنْ يَفْتَحَ زَهْرُ التَّشْيِبِ
فِي عَهْدِهِ أَدْرَتْ كَأْسَ الرِّضَابِ . حَبَابُهَا الدُّرُّ بِشَفْرِ الْحَبِيبِ
مِنْ كُلِّ مَنْ يُخْجَلُ بِدَرْ التَّمَامِ . مَهْمَا تَبَدَّى وَجْهُهُ لِلْعُيُونِ
وَيَهْضَعُ الْفُضْنُ بِلَيْنِ الْقَوَامِ . وَأَيْنَ مِنْهُ لَيْنٌ قَدْ أَلْفُصُونِ
وَأَعْظَلُهُ بِغَفَى مَضَاءِ الْعُسَامِ . وَيُذْهِلُ الْقَلْبَ بِسِحْرِ الْجُفُونِ
أُبْصَرْتُ مِنْهُ إِذْ يَحْطُ النَّقَابِ . شَمْسًا وَلَكِنْ مَا هِيَ مِنْ مَغِيبِ
إِذَا تَجَلَّتْ بِمَدِّ طَوْلِ أَرْتِقَابِ . صَرَفَتْ عَنْهَا الْأَحْطَافُ الرِّقَابِ
مَنْ عَاذِرِي مِنْهُ فَوَادٍ صَبَا . لِلْأَمْسِ الْبَرَقِ وَخَفَقَ الرِّبَاعِ
يَطِيرُ إِنْ هَبَّ نَيْسَمُ الصَّبَا . نَعِيرُهُ الرِّيحُ خُفُوقُ الْجَنَاحِ

(١) في ط : « بالنصر » . والتصويب عن م ونفع الطيب .

مَا أَوْلَعَ الصَّبَّ بِمَهْدِ الصَّبَا وَهَلْ عَلَى مَنْ قَدْ صَبَا مِنْ جُنَاحُ
 قَلْبُهُ مِنْ شَوْقِهِ فِي التَّهَابِ قَدْ أَحْرَقَ الْأَكْبَادَ مِنْهُ الْوَجِيبُ
 وَأَلْجَأَ مِنْهُ سَحْبُهُ فِي أَنْسَابِ قَدْ رَوَّضَ الْغَدَّ بِدَمْعِ سَكِيبِ
 غَرْنَاهُ رُبْعُ الْهَمَا وَالْمَيِّ وَقَرَّبَهَا السُّوْلُ وَنَيْلُ الْوَطَرِ
 وَطَبِيبًا بِالْوَضَلِ لَوْ أَمْسَكْنَا لَمْ أَقْطَعِ أَقْلِيلَ يَطْوِلُ الْمَهَرُ
 عَمَّا قَرِيبِ حَقٍّ فِيهِ الْهَمَا يَوْمُنْ ذِي الْعَوْدَةِ بَعْدَ السَّهَرِ
 وَيَحْتَدُّ النَّاسُ نَجَاحَ الْإِبَابِ يَكُلُ صُنْعِ مُسْتَجِدِّ غَرِيبِ
 وَيَكْتَسِبُ الْقَاتِلُ عَلَى كُلِّ بَابٍ : « نَعْرُ مِنْ اللَّهِ وَفَتَحَ قَرِيبِ »
 مَا لَلَّهُ الْأَمْلاكَ إِلَّا أَتَقَنَّصَ لِأَنَّهُ الْقَاتِلُ بَصِيدِ الْعِدَا
 كَمْ شَارِدٍ جُرِّعَ فِيهِ الْفُصْنُ وَأُورِدَ لِلْحُرُوبِ وَرَدَ الرَّدَى
 وَكَمْ بَدَأَ^(١) الْفَحْصُ لِنَائِمٍ حِصْنُ قَدْ جُمِعَ النَّبَاسُ بِهَا وَالنَّدَى
 وَمِنْهَا بَعْدَ أَبْيَاتٍ سَقَطَتْ :

مَوْلَايَ مَوْلَايَ وَأَنْتَ الَّذِي جَدَّدْتَ لِلْأَمْلاكَ عَهْدَ الْجَلَالِ
 وَالشَّمْسُ وَالْبَدْرُ مِنَ الْعَوْدِ لَمَّا رَأَتْ مِنْكَ بَدِيعَ الْجَمَالِ
 وَالرَّوْضُ فِي نَعْمَتِهِ يَفْتَنْدِي بِطِيبِ مَا قَدْ خُرِّتَهُ مِنْ خِلَالِ
 بُشْرَاكَ بُشْرَاكَ يَحْصِنُ الْمَاءَ تَسْتَضْحِكُ الرُّوْضُ بِغَمْرِ شَيْبِ
 وَدُمْتَ عَرُوسَ الْمَلَا وَالْجَنَابِ بِعِصْمَةِ اللَّهِ السَّمِيعِ الْمُجِيبِ

(١) في الأصلين وقع الطيب : « بدا » ، ولعله عريف عما أبتناه .

وقد طال الكلام ؛ ولتجمل آخر موشحة له رحمه الله تعالى زهرية
في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم ، تكون منك الختام ، وهي :

لَوْ تَرَجِعَ الْأَيَّامُ بَعْدَ الدَّهَابِ كَمْ تَفْدَحُ الْأَشْوَاقُ ذِكْرِي حَبِيبِ
وَكُلُّ مَنْ نَامَ بِلَيْلِ الشَّبَابِ يُوقِظُهُ الدَّهْرُ بِضُحَى الشَّيْبِ
يَا رَاكِبَ الْعَجْزِ أَلَا نَهْضَةُ قَدْ صَيَّقَ الدَّهْرُ عَلَيْكَ الْمَعَالِ
لَا تَحْسِبَنَّ أَنَّ الصَّبَا رَوْضَةٌ نَنَامُ فِيهَا نَحْتُ فِيهِ الظَّلَالِ
فَالْعَبَسُ نَوْمٌ وَالرَّدَى يَقْطَعُ وَلِلَّهِ مَا بَيْنَهُمَا كَالْخَيْمِ
وَالْعُمْرُ قَدْ مَرَّ كَمَرِّ السَّحَابِ وَالتَّلَقَّى بِاللَّهِ عَمَّا قَرِيبِ
وَأَنْتَ تَخْدُوعُ بِلَمَعِ السَّرَابِ (١) تَحْسِبُهُ مَاءً وَلَا تَسْقِرِبِ
وَاللَّهُ مَا السَّكُونُ بِنَا قَدْ حَزَى إِلَّا ظِلَالٌ نُوْعِمُ الْقَاظِلِ
وَعَادَةُ الظَّلِّ إِذَا مَا اسْتَوَى نُبْهِرُهُ مُنْقَلَا زَانِلِ
إِنَّا إِلَى اللَّهِ عَبِيدُ الْهَوَى كَمْ نَعْرِفُ الْحَقَّ وَلَا الْبَاطِلِ
فَكُلُّ مَنْ يَرْجُو سِوَى اللَّهِ خَابَ وَإِنَّا الْقَوْرُ لِعَبَسٍ مُدْبِ
يَسْتَقْبِلُ الرَّجْعِي بِصَدْقِ التَّنَابُ وَبِرَقْبِ اللَّهِ الشَّهِيدِ الْقَرِيبِ
يَا حَسْرَتَنَا مَرَّ الصَّبَا وَانْقَضَى وَأَقْبَلَ الشَّيْبُ يَنْقُصُ الْأَثَرِ
وَإِخْتَلَقْنَا وَالرَّحْلُ قَدْ قَوَّضَا وَمَا بَقِيَ فِي الْعَبْرِ غَيْرُ الْخَبَرِ
وَلَيْتَنِي لَوْ كُنْتُ فِيهَا مَعْنَى أَذْخِرُ الزَّادَ لِطَوِيلِ السَّفَرِ
قَدْ عَانَ مِنْ رَكْبِ النَّصَابِ إِيَابُ وَرَأَيْتُهُ الرُّشْدَ أَطَالَ الْغَيْبِ
يَا أَكْثَمَ النَّاسِ بِفَنِّ الْحِجَابِ كَمْ ذَا أَنَادِيكَ فَلَا تَسْتَجِيبِ

[٢٦٧]

هَلْ يُحْمَلُ الْإِذَّ لِلدَّارِ الْكَرِيمِ وَالْمُصْطَلَى الْهَادِي شَفِيعٌ مُطَاعٌ
 فَجَاهُهُ دُخْرُ الْفَقِيرِ الْعَدِيمِ وَحُبُّهُ زَادِي وَنِعَمَ الْمُتَاعِ
 وَاللَّهُ سَمَاءُ الرِّهَافِ الرَّحِيمِ فَجَارُهُ التَّكْفُولُ مَا إِنْ يُصَالَعِ
 عَنِ شَفِيعِ النَّاسِ يَوْمَ الْحِسَابِ وَمَلَجَأُ الْخَلْقِ لِدَفْعِ الْكُرُوبِ
 يُلَحِّقُنِي مِنْهُ قَبُولُ مُجَابِ يَشْفَعُ لِي فِي مُوَبَقَاتِ الذَّنُوبِ
 يَا مُصْطَلَى وَالْخَلْقُ رَهْنُ الْقَدَمِ وَالْكُونُ لَمْ يَفْتَقِ كَامُ الْوُجُودِ
 مَرِيَّةٌ أُعْطِيَتْهَا فِي الْقَدَمِ سَهَا عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ تَسْوُدُ
 مَوْلِدُكَ لِلزُّقُوفِ نَمَّا نَجْمُ الْخَيْرِ لِلأُمَمِ وَعَدَّ السُّعُودِ
 نَادَيْتُ لَوْ يَسْمَعُ لِي بِالْجَوَابِ شَهْرَ رَيْبِعٍ : يَا رَبِّ بَيْعِ الْقُلُوبِ
 أَطَاعَتْ لِلْهَدْيِ بِسُيْرِ اخْتِجَابِ شَمْسًا وَلَسَكِنْ مَالَهَا مِنْ غُرُوبِ
 وَلَيْسَكِنْ هَذَا آخِرَ مَا أَرَدْنَا ، وَقَصْدُنَا مِنْ شَأْنِ ابْنِ زَمْرَكِ وَسَرْدُنَا .

وَسَنَحُ لِي أَنْ أُنْتَقِي بَعْضَ كَلَامِ ابْنِ خَلْدُونِ فِي تَارِيخِهِ الْكَبِيرِ فِي ذِكْرِ
 الْمَوْشَعَاتِ وَالْأَزْجَالِ ، فنقول :

كلام ابن خلدون
 في الموشعات
 والأزجال

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَأَمَّا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ فَلَمَّا كَثُرَ الشَّعْرُ فِي قُلُوبِهِمْ وَتَهَدَّبَتْ
 مَنَاحِيهِ وَفَنُونُهُ ، وَبَلَغَ التَّنْمِيقُ فِيهِ الْغَايَةَ ، اسْتَحْدِثَ الْمُتَأَخِّرُونَ مِنْهُمْ فَنَاءَ مِنْهُ ،
 وَسَمَوْهُ «بِالْمَوْشَعِ» ، يَنْظُمُونَهُ أَسَاطِئًا أَسَاطِئًا ، وَأَغْصَانًا أَغْصَانًا ، يَكْتُمُونَ مِنْهَا وَمِنْ
 أَعَارِضِهَا الْمُخْتَلَفَةَ ، وَيَسْمُونَ الْمُتَدَدَّ مِنْهَا بَيْتًا وَاحِدًا ، وَيَلْتَزِمُونَ عِدَدَ قَوَائِي [٢٦٨]
 تِلْكَ الْأَغْصَانِ وَأَوْزَانِهَا مُتَنَالِيًا فِيمَا بَعْدَ ، إِلَى آخِرِ الْقِطْعَةِ ؛ وَأَكْثَرُ مَا يَنْتَهِي
 عِنْدَهُمْ إِلَى سَبْعَةِ آيَاتٍ ، وَيَشْتَمِلُ كُلُّ بَيْتٍ عَلَى أَغْصَانٍ ، عِدْدُهَا بِحَسَبِ
 الْأَغْصَانِ وَالْمَذَاهِبِ ، وَيَنْسَبُونَ فِيهَا وَيَمْدَحُونَ كَمَا يُفْعَلُ فِي التَّصَانِيدِ ، وَتَجَاوَزُوا

في ذلك إلى الغاية ، واستظرفه الناس مجلّة^(١) الخاصة والكافة ، لسموّه وتناوله ، وقرب طريقته .

وكان المخترع لها بجزيرة الأندلس مُقدّم بن مُعافى القُيرى^(٢) من شعراء الأمير عبد الله بن محمد الترواني ؛ وأخذ عنه ذلك ابنُ عبد ربّه صاحبُ كتاب العقد ، ولم يظهر لها مع المتأخرين ذكر ، وكسدت موشحاتها ، فكان أولُ من برع في هذا الشأن بعدها عبادة القُرّاز ، شاعر المتصم بن صَادِح صاحب التريّة ؛ وقد ذكر الأعلّى البطلينيّ أنه سمع أبا بكر بن زُهري يقول : كل الوشّاحين عيال على عبادة القُرّاز فيما اتفق له من قوله :

بَذَرْتُمْ شَمْسَ صُحَى عَصْنُ نَقَا مِسْكُ دُمٍ
مَا أَتَمَّ مَا أَوْضَعَا مَا أَوْزَعَا مَا أَتَمَّ
لَا جَرَمَ مَنْ لَمَحَا قَدْ عَشِقَا قَدْ حُرِمَ

وزعموا أنه لم يسبق عبادة وشّاح من معاصريه ، الذين كانوا في زمان ملوك الطوائف ؛ وجاء مُصلّياً خلقه منهم ابنُ ارفع رأسه^(٣) شاعر المأمون بن ذِي النون صاحب طُلَيْطَلَة^(٤) . قالوا : وقد أحسن في ابتدائه في الموشحة التي طارت له حيث يقول :

(١) في الأصلين وبعض المراجع : « وحله » .

(٢) كُنّا في ط ونبية الشمس . وهو شاعر معروف في أيام عبد الرحمن الناصر أيضا . والقيرى (ينتمى القاف وسكون الياء الموحدة ثم راء مهملة) : نسبة إلى قيرة ، بلدة بالأندلس بقرب قرطبة . (انظر نغم الطيب ج ١ ص ٦٠٤ طبعة أوربة) . وفي م : « القيرى » . وظاهر أنه مصنف عما أبتناه .

(٣) هو أبو بكر محمد بن ارفع رأسه (انظر نغم الطيب ج ٢ ص ١٣ طبعة أوربة) .

(٤) اسم بلد كبير بالأندلس ، ضبطه صاحب القاموس والمصانيف بضم الطاءين ، وخطأه الشارح فضبطه بضم الأولى وكسر الثانية ، وصوبه قنلا عن مؤرخي المغرب وابن السمعاني وغيرهم .

أَلْعُودُ قَدْ تَرَسَّمْ بِأَبْدَعِ تَلَحُّجٍ
وَسَقَتْ^(١) الْمَذَانِبَ رِيَاضَ الْبَسَاتِينِ

وفي انتهائه حيث يقول :

تَحْطِرُ وَلَا تُسَلِّمْ عَسَاكَ التَّامُومُ
مُرَّوعُ الْكِتَابِ يَحْيَى بْنُ ذِي الْقُنُونِ

ثم جاءت العُطْبَةُ التي كانت في مدة التُّلُثَيْنِ ، فظهرت لهم البدائع ؛
وفُرسَانُ حُلَّتِهِمُ الْأَعْمَى الشُّعْطِيلِي^(٢) ، ثم يحيى بن زَيْقٍ ، والشُّعْطِيلِي من المَوْشَّحَاتِ
المُذْهَبِيَّةِ^(٣) قوله :

كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى صَبْرِي فِي الْعَالَمِ أَشْجَابُ^[٣٦٩]
وَالْوَسْبُ وَسَطُ الْفَلَاحِ بِالْخَرَدِ النَّوَائِمِ قَدْ بَاوَأُ

وذكر غير واحد من المشايخ أن أهل هذا الشأن بالأندلس يذكرون أن
جماعة من الوُشَّاحِينَ اجتمعوا في مجلسٍ بِإِسْبِيلِيَّةٍ ، وكان كل واحد منهم قد
صنع موشحة ، وتأنق فيها ، فتقدم الأعمى الشُّعْطِيلِيُّ للإِنْشَاد ، فلما افتتَحَ موشحته
المشهورة بقوله :

ضَاكِكُ عَنْ جَمَانٍ سَافِرٍ عَنْ بَدْرٍ
ضَاقَ عَنْهُ الزَّمَانُ وَحَوَاهُ مَسْدَرِي

خَرَقَ^(٤) ابْنُ زَيْقٍ مُوشَّحَتَهُ ، وتبعه الباقون .

(١) كذا في ط . وفي م ونفع الطيب ومقدمة ابن خلدون : « وشقت » .

(٢) كذا في م ونفع الطيب ؛ وهو منسوب إلى عطية « بضم فكسروا . ما كنة ولام »

مدينة بالأندلس في شرق قرطبة » راجع حجم البهان لياقوت . وفي ط والمقدمة :

« الطليل » .

(٣) في م : « المذهبية » .

(٤) في م : « مزق » .

وذكر الأعمى البطلاني^(١) أنه سمع ابن زهر يقول : ما حسدت قط وشاحا على قول إلا ابن بقي حين وقع له :

أَمَا تَرَى أَحْمَدُ فِي مَجْدِهِ الْعَالِي لَا يُلْحَقُ
أَطْلَقَهُ التَّغْرِبُ فَأَرْنَا مِثْلَهُ يَا مَشْرِقُ

وكان في عصرهما من الوشاحين الطليوعين أبو بكر بن الأبيض^(٢) ، وكان في عصرهم أيضا الحكيم أبو بكر بن باجة صاحب التلاحين المعروفة .

ومن الحكايات المشهورة أنه حضر مجلس مخدمه ابن تيفلوت صاحب سرقةشلة ، فأتى على بعض [قيناته]^(٣) موشحته [التي أوها]^(٤) :

جَرَّرَ التَّيْلُ أَيْمًا جَرَّ

فَطَرِبَ الْمَدُوحَ لَذَلِكَ ، وَخَتَمَهَا بِقَوْلِهِ :

عَفَدَ اللَّهُ زَايَةَ النَّصْرِ لِأَمِيرِ الْمُلَا أَيْ بَكْرٍ

فلما طرق ذلك التلحين سمع ابن تيفلوت صاح : واطرباه ! وشقّ نيابه ، وقال : ما أحسن ما بدأت وما ختمت ! وحلف بالأيمان المعلقة^(٥) ألا يمسي ابن باجة إلى داره إلا على الذهب ، فخاف الحكيم سوء العاقبة ، فاحتال بأن يجعل ذهباً في نعله ، ومشى عليه .

ثم قال ابن خلدون بعد كلام : واشتهر بعد هؤلاء في صدر دولة الموحدين محمد بن أبي الفضل بن شرف . ثم قال : وابن هرودوس^(٦) الذي له :

يَا لَيْثَلَةَ الْوَصْلِي وَالشُّمُودِ بِالْقُدِّ عُسُودِي

(١) كذا في م . وفي ط والمقدمة : « أبو بكر الأبيض » .

(٢) ما بين التوسين عن مقدمة ابن خلدون .

(٣) في ط : « المعلقة » .

(٤) في مقدمة ابن خلدون طبعه بلاق : « ابن هرودوس » .

(٥) (١٤) - ج ٢ - أزهار الرياض

وإن موهل^(١) الذي له :

- [٣٧٠]

مَا الْعَيْدُ فِي حُلَّةٍ وَطَاقٍ وَذَمٌّ طَيِّبٌ
وَأَنَا الْعَيْدُ فِي التَّلَاقِ مَعَ الْحَبِيبِ

وأبو إسحق الشَّوْبِي . قال ابن سَعِيد : سمعت أبا الحسن سَهْلَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ
لَإِنَّهُ دَخَلَ عَلَى ابْنِ زُهْرٍ وَقَدْ أَسَنَّ وَعَلَيْهِ زِيَّ الْبَادِيَةِ ، إِذْ كَانَ يَسْكُنُ بِمَحْصَنٍ
إِسْتَبْتَهُ^(٢) ، فَلَمْ يَعْرِفْهُ ، فَجَلَسَ حَيْثُ انْتَهَى بِهِ الْجُلُوسُ ، وَجَزَّتِ الْحَاضِرَةُ أَنْ
أَنْشُدَ لِنَفْسِهِ مَوْشِعَةً وَقَعَ فِيهَا :

كُحِّلُ الدُّجَى بِجَرَى مِنْ مُنْقَلَبِ النَّجْرِ عَلَى الصَّبَاحِ
وَمِنْهُمْ النَّهْرُ فِي حُلَلِ خُمْرٍ مِنَ الْبَطَاحِ

فَتَحَرَّكَ ابْنُ زُهْرٍ ، وَقَالَ : أَنْتَ تَقُولُ هَذَا ؟ قَالَ : اخْتَبِرْ ؛ قَالَ : وَمِنْ
تَكُونُ ؟ فَعَرَفَهُ ، فَقَالَ : ارْتَفِعْ ، فَوَافَقَهُ مَا عَرَفْتَكَ . قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : وَسَابَقَ
الْعُتْلَبِيَّةَ الَّتِي أَدْرَكَتْ هَؤُلَاءِ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ زُهْرٍ ، وَقَدْ شَرَفَتْ مَوْشِحَانَهُ وَغَرَّبَتْ .
قَالَ : وَسَمِعْتُ أبا الحسن سَهْلَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ : قِيلَ لِابْنِ زُهْرٍ : لَوْ قِيلَ لَكَ
مَا أَبْدَعُ مَا وَقَعَ لَكَ فِي التَّوْشِيحِ ؟ فَقَالَ : كُنْتُ أَقُولُ :

مَا لِنَفْسِي مِنْ سُكْرٍ لَا يُفِيقُ يَا لِهَذَا سَكْرَانِ
[مِنْ غَيْرِ خَمِرٍ مَا لِلْكَتِيبِ التَّشَوُّقُ يَنْدُبُ الْأَوْطَانَ]^(٣)
هَلْ نُسْتَأْذِنُ أَيَّامَنَا بِالْخَلِيلِجِ وَلَيْلَا
إِذْ يُسْتَفَادُ مِنَ النَّسِيمِ الْأَرْبِجِ مِثْلُكَ دَارِينَا

(١) في نفع الطب المطبوع : « مؤهل » بالهمز .

(٢) كذا في مقدمة ابن خلدون . وهي من أعمال إشبيلية . وفي ط : « سبتة » .

وفي م : « أشبه » . وهو تحريف .

(٣) الكلمة عن مقدمة ابن خلدون طبعة بلاق .

وَإِذْ يَكَاذُ حُسْنُ الْمَكَانِ التَّهْيِجُ أَنْ يُحْيِيَنَّ
نَهْرٌ أَظْلَمَهُ دَوْحٌ عَلَيْهِ أُنَيْقٌ مُورِقٌ قَيْنَانُ
وَالسَّاءُ بَحْرِيٌّ وَعِصَامٌ وَغَرِيفٌ مِنْ جَنَى الرِّيحَانِ

واشتهر بعده ابنُ حُثَيُون . إلى أن قال ابنُ خلدون : وبعد هؤلاء ابنُ حَزْمُون بِمُرْسِيَّة . ذكر ابنُ الرَّاثِ أَنْ يَجِيءُ الْخَزْرَجِيُّ ^(١) دخل عليه في مجلسه ، فَأَنشَدَهُ مَوْشِعَةً لِنَفْسِهِ ، فقال له ابنُ حزمون : مَا الْوَشْعُ بِمَوْشِعٍ حَتَّى يَكُونُ عَارِيًا عَنِ التَّكَلُّفِ ؟ فقال : على مثل ماذا ؟ قال على مثل قولِي :

يَا هَاجِرِي ^(٢) هَلْ إِلَى الْوَصَالِ مِنْكَ سَبِيلُ
أَوْ هَلْ تَرَى عَنْ هَوَاكَ سَالِي قَلْبَ الْقَلِيلِ

[٢٧١] وَأَبُو الْحَسَنِ سَهْلُ بْنُ مَالِكٍ بَقْرَانُطَةٌ . قال ابنُ سَعِيدٍ : كَانَ وَالِدِي يُعْجَبُ بِقَوْلِهِ :

إِنَّ سَبِيلَ الصَّبَاحِ فِي الشَّرْقِ عَادَ بَحْرًا فِي أَجْمَعِ الْأَفْقِ
فَتَدَاعَتْ نَوَادِيُ الْوُزْقِ أَرَاهَا خَافَتْ مِنْ الْفَرْقِ
فَبَكَتْ سُحْرَةً عَلَى الْوُزْقِ

واشتهر بِإِسْبِيلِيَّةٍ لِمَالِكِ الْعَهْدِ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْفَضْلِ . قال ابنُ سَعِيدٍ عَنْ وَالِدِهِ : سَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ لَهُ : يَا بْنَ الْفَضْلِ ، لَكَ عَلَى الْوَشَّاحِينَ الْفَضْلُ بِقَوْلِكَ :

وَاحْشَرْنَا لِمَلِكٍ مَقَى عَشِيَّةَ بَنَانِ الْهَوَى وَاقْتَصَى
وَأَفْرَدْتُ بِالْقَهْرِ لَا بِالرِّضَا وَبِثَّ عَلَى جَمَرَاتِ النَّعَى

(١) في م : « يَجِيءُ بْنُ الْخَزْرَجِيِّ » .

(٢) في ط : « يَا هَاجِرِي » .

أَعَانِقُ بِالْفِكْرِ تِلْكَ الطُّلُولُ وَالنِّمُ بِالزَّهْرِ تِلْكَ الرُّسُومُ
قال : وصممت أبا بكر بن الصابوني^(١) يُنشدُ الأستاذُ أبا الحسن التَّبَّاجَ
موشحاته غير ما مره ، فما سمعته يقول : فله ذُكُّ إلا في قوله :

قَسَمًا بِالْهَوَى لَدَى حَجَرٍ مَا لِللَّيْلِ التَّشَوُّقِ مِنْ فَجَرٍ
سَجَدَ الصُّبْحُ لَيْسَ بِطَرْدٍ مَا لِللَّيْلِ - فَيَا أَظُنْ - غَدُ
صَحَّ يَا لَيْلُ أَنْكَ الْأَبَدُ
أَوْ فُضِّعَتْ^(٢) قَوَادِمُ النَّسْرِ فَتُجُومُ النَّيَاءُ لَا تَسْرِى

ومن [محاسن]^(٣) موشحات ابن الصابوني قوله :

مَا خَالَ صَبِي ذِي صَنَى وَاكْتَنَابُ أَمْرَضَهُ يَا وَلَيْلَتَاهُ الطَّبِيبُ
عَانَلَهُ مَحْبُوبُهُ بِاجْتِنَابِ ثُمَّ اقْتَدَى فِيهِ الْكَرَى بِالْحَبِيبِ
جَمًّا جُفُونَى التَّوْمُ لِكُنْيِ لَمْ أَبْكِهِ إِلَّا لِفَقْدِ الْغَيَالِ
وَذَا الرِّصَالِ الْيَوْمَ قَدْ عَزَّيْ مِنْهُ كَمَا شَاءَ وَشَاءَ الرِّصَالِ
فَلَسْتُ بِاللَّائِمِ مَنْ صَدَّقِي بِصُورَةِ الْحَقِّ وَلَا بِالْمَحَالِ
واشتهر ببرِّ العُدُوَّةِ ابْنُ خَلْفِ الْجَزَائِرِيِّ صاحب الموشحة للشهورة :

يَدُ الْإِصْبَاحِ قَدَحَتْ زِنَادَ الْأَنْوَازِ مِنْ تَحَامِسِ الزُّهْرِ
وابنُ خَزَرِ^(٤) البِجَانِي ، وله من موشحة :

تَفَرُّ الزَّمَانِ مُوَافِقُ حَيَاكَ مِنْهُ بِإِسْتِمَامِ

(١) كذا في إحدى روايات المقدمة طبعة باريس ؟ وقد وردت هذه الكلمة مضطربة في الأسانيد ونفع الطبيب .

(٢) هذه الكلمة عن مقدمة ابن خلدون طبعة باريس .

(٣) في المقدمة طبعة بلاط : « ابن خزر » . وفي نفع الطبيب : « خزر » .

ومن محاسن اللوشحات [المتأخرين] ^(١) ، موشحة ابن سهل شاعر إشبيلية
وسبغة من بعدها ، [فنها قوله] ^(٢) :

هَلْ دَرَى عَيْيُ الْجَمَى أَنْ قَدْ حَمَى قَلْبَ صَبٍّ حَلَّ عَنْ مَكْنَسِ
فَهَوٍ فِي نَارٍ ^(٣) وَخَفَى مِثْلًا أَعْيَتْ رَجُ الصَّبَا بِالْقَبَسِ
وقد نسج على منواله فيها صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب شاعر
الأندلس [والغرب لمصره] ^(٤) ، قال :

بَادَكَ الْغَيْثُ إِذَا الْغَيْثُ هَمَى يَا زَمَانَ الرِّضْلِ بِالْأَنْدَلِسِ
لَمْ يَكُنْ وَصْلُكَ إِلَّا خُلَا فِي الْكَرَى أَوْ خُلَسَاءُ الْمُخْتَلِسِ
إِذْ يَفُودُ النَّهْرُ أَشَقَاتِ الْوَقَى تَنْقَلُ الْخَطَوُ عَلَى مَا يَرْسُمُ
زُمَرًا بَيْنَ فُرَادَى وَفَتَى مِثْلَمَا يَدْعُو الرِّفْدُ لِلْوَسْمِ
وَالْحَيَا قَدْ جَلَّلَ الرُّوضِ سَيِّ فَتَقُورُ الزُّهْرُ ^(٥) فِيهِ تَبَسُّمُ
وَزَوَى النِّعَانُ عَنْ مَاءِ الْمَاءِ كَيْفَ يَرَوِي مَالِكٌ عَنْ أَنَسِ
فَكَسَاهُ الْحُسْنُ نَوْبًا مُعْلَمًا يَزْدَحِي مِنْهُ بِأَبْهَى مَلْبَسِ
فِي لَيْالٍ كَسَمَتْ سِرَّ الْهَوَى بِالسَّجَى لَوْلَا شَمْسُ الْفَرَرِ
مَالَ نَجْمٍ الْكَاسِ فِيهَا وَهَوَى مُسْتَقِيمَ السَّيْرِ سَعْدَ الْأَثَرِ
وَطَرٌ مَا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ يَرَوَى أَنَّهُ مَرَّ كَلْبُحٍ الْبَصَرِ
جِئْنَا لَدَا النَّوْمِ ^(٦) مَعَ خُلُوِّ اللَّيْلِ ^(٧) هَجَمَ الضُّيُحُ هُجُومَ الْخُرْسِ

(١) هذه السكبة عن مقدمة ابن خلدون .

(٢) في نفع الطيب : « في حر » . (٣) التكهلة عن نفع الطيب .

(٤) في الأسلين ومقدمة ابن خلدون : « قسى الأزهار » وما أثبتناه عن نفع الطيب .

(٥) كذا في الأسلين ومقدمة ابن خلدون طيبة يلاقى ؛ وفي النسخ للطبوع والخطوط ،
وللمقدمة طبعة باريس : « الأنس » .

(٦) كذا في كتاب « المسننات المائتات في الأزيال والوشحات » . والذي في
الاصابن ونفع الطيب ومقدمة ابن خلدون : « شيتا أو كا » .

غَارَتِ الشُّهُبُ بِنَا أَوْ رُبَّمَا أَثَرَتْ فِينَا عُيُونُ التَّرْجِي
 أَيُّ نَيْءٍ لَا تَرَى قَدْ خَلَصَا فَيَكُونُ الرُّوضُ قَدْ مَسَكْنَ^(١) فِيهِ
 تَنْهَبُ الْأَزْهَارُ مِنْهُ الرُّصَا أَمِنَتْ مِنْ مَكْرِهِ مَا تَقْفِيهِ
 فَلَا أَلَمَ لَنَا جِي وَالْحَصَى وَخَلَا كُلُّ خَلِيلٍ بِأَخِيهِ
 تُبْصِرُ الْوَرْدَ غَيْرًا بَرَّمَا يَكْتَسِي مِنْ غَيْظِهِ مَا يَكْتَسِي
 وَرَى الْأَسَى لَبِيًّا فَمِمَّا يَسْرِقُ السَّمْعُ بِأَذْنِي فَرَسِ
 بِأَهْلِيلِ الْحَيِّ مِنْ وَادِي الْفَقَى وَبَقَلِي مَسَكْنَ^(٢) أَتَمُّ بِهِ
 ضَاقَ عَنِ وَجْدِي بِكُمْ رَحْبُ الْفَضَا لَا أَبَالِي تَمَرُّقَهُ مِنْ غَرَبِهِ
 فَأَعِيدُوا عَهْدَ أَنَسٍ قَدْ مَضَى تُعْتَقُوا عَانِيَكُمْ مِنْ كَرَبِهِ
 وَأَنْقُوا اللَّهَ وَأَحْيُوا مُرَمَّمَا يَتَلَاثِي نَفْسًا فِي تَقْسِ
 حَبَسَ الْقَلْبَ عَلَيْكُمْ كَرَمًا أَفْتَرِضُونَ عَفَاءَ^(٣) الْحَبْسِ
 وَبَقَلِي مِنْكُمْ مُقَرَّبُ بِأَحَادِيثِ الدُّنَى وَهُوَ بَعِيدُ
 قَمَرٌ أَطْلَعَ مِنْهُ الْمَغْرِبُ شِفْوَةٌ الْمَغْرَى بِهِ وَهُوَ سَعِيدُ
 قَدْ نَسَاوَى مُحِينَ أَوْ مُذْنِبُ فِي هَوَاهُ بَيْنَ وَعْدٍ وَوَعِيدُ
 سَاحِرُ الْمُقَلَّةِ مَعْسُولُ اللَّامِي جَالٍ فِي النَّفْسِ تَجَالِ النَّفْسِ
 سَدَّدَ النَّهْمَ وَتَمَيَّ وَرَمَى فَتُوَادِي نُهْمَهُ الْمُنْفَرِسِ
 إِنْ يَكُنْ حَارَ وَخَلَبَ الْأَمَلُ وَفَوَادِ الصَّبِّ بِالشَّوْقِ يَدُوبُ

[٢٧٢]

(١) في الأصلين : « مَسَكْنَ » . وما أثبتناه عن نفع الطيب والمقدمة طبعه باريس .

كفا في م ونفع الطيب المخطوط والمقدمة . وفي ط : « مَسَكْنَ » .

(٢) في المقدمة طبعه بلاط : « خَرَاب » .

فَهُوَ لِلنَّفْسِ حَبِيبٌ أَوَّلُ لَيْسَ فِي الْحُبِّ لِمُحِبِّهِ دُخُولُ
أَمْرُهُ مُعْتَمَدٌ^(١) مُمْتَلُ فِي ضُلُوعٍ قَدْ بَرَّاهَا وَقُلُوبُ
حَكَمَ الْإِحْظَ بِهَا فَأَحْتَصَكَمَا لَمْ يَرَأَيْتُ فِي ضِعَافِ الْأَنْفُسِ
مُنْصِفَ الظُّلُمِ مِنْ ظَلَمَا وَمُجَازِي الْهَرَمِ مِنْهَا وَالْيُسِ
مَا لِقَائِي كُلَّمَا هَبَّتْ صَبَا عَادَهُ عَيْدٌ مِنَ الشُّوقِ جَدِيدُ
كَانَ فِي الْوَحْشِ لَهُ مُكْتَنَبَا قَوْلُهُ : « إِنْ عَذَابِي لَشَدِيدُ »
جَلَبَ الْهَمَّ لَهُ وَالْوَسْوَ فَهُوَ لِلْأَشْجَانِ فِي جَهَادٍ جَوِيدُ
لَا عِجْ فِي أَسْلَمِي قَدْ أُنْصِرَمَا فَهِيَ نَارٌ فِي هَشِيمِ الْيَبْسِ
لَمْ يَدْعُ فِي مُهْجَتِي إِلَّا ذَمًّا كَبَقَاءِ الصَّبْحِ بَعْدَ الْفَلَسِ
سَلَّمِي يَا نَفْسُ فِي حُكْمِ الْقَضَا وَأَعْمَرِي الْوَقْتَ بِرُجْمِي وَمَتَابِ
دَعَاكَ مِنْ ذِكْرِي زَمَانٌ قَدْ مَضَى بَيْنَ عُنْتِي قَدْ تَقَضَّتْ وَعَتَابِ
وَأُنْصِرْ فِي الْقَوْلِ إِلَى التَّوَلَّى الرِّضَا مُلْهِمِ التَّوْفِيقِ فِي أُمِّ الْكِتَابِ
السَّكْرِ بِمِ الْمُنْتَهَى وَالْمُنْتَمَى أَسَدُ السَّرْحِ^(٢) وَبَذَرِ التَّجْلِيسِ
بَنَزَلَ النَّصْرُ عَلَيْهِ مِثْلَمَا بَنَزَلَ الْوَحْيُ بِرُوحِ الْقُدْسِ

قال : وأما المشاركة فالتكلف ظاهر على ما عايناه من اللوشحات . ومن أحسن ما وقع لهم في ذلك موشحة ابن مسنائه الملك المصري ، التي اشتهرت شرقاً وغرباً ، أولها :

حَبِيبِي أَرْفَعُ حِجَابَ الشُّوْرِ عَنِ الْعِذَازِ [٢٧٤]

(١) في النسخ والقدمة : « معتدل » .

(٢) في المقدمة طبعة باريس : « السرح » .

تَنْظُرُ الْمَشْكَّ عَلَى الْكَافُورِ فِي جُلْنَازٍ
كَأَنَّ بِنَا سَحْبٍ نَيْجَانَ الزُّهَى بِالْعُحْلِ
وَأَجْمَلِي سَوَارَهَا^(١) مُنْقَطِفَ الْجَدُولِ

ولما شاع فن التوشيح في أهل الأندلس، وأخذ به الجمهور لسلاسته وتخييق كلامه، وتضريع أجزائه، نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله، ونظموا على طريقته بلغتهم القصصية، من غير أن يلتزموا فيه إعرابا، واستحدثوا فناً سموه بالزجل، والتزموا النظم فيه على منحبيهم إلى هذا العهد، فجاءوا فيه بالقرائب، واتسع فيه البلاغة بجمال، بحسب لغتهم المستعجمة.

وأول من أبدع في هذه الطريقة الزجلية أبو بكر بن قزمان، وإن كانت قبلت قبله بالأندلس، لكن لم تظهر جلاها، ولا انصبحت معانيها، ولا اشتهرت رشاقتها إلا في زمانه، وكان العهد للثمين^(٢)، وهو إمام الزجاليين على الإطلاق. قال ابن سعيد: ورأيت أزجاله مزويةً ببنداد أكثر مما رأيتها بمواضر المغرب. قال: وصحبت أبا الحسن^(٣) بن جعفر الأشبيلي إمام الزجاليين في عصرنا يقول: ما وقع لأحد من أئمة هذا الشأن مثل ما وقع لابن قزمان شيخ الصناعة، وقد خرج إلى منزله مع بعض أصحابه فجلسوا تحت عريش وأمامهم تمثال أسد من رُخام يصب الماء من فيه على صدأ من الحجر، فقال:

وَعَرِيشٌ قَدْ قَامَ عَلَى دُكَّانٍ بِحَالٍ رَوَاقٍ
وَأَسَدٌ قَدْ ابْتَلَعَ ثُثْبَانَ فِي غَلْظِ سَاقٍ

(١) كذا في م وط. وفي كثير من الأصول الأخرى: «سوارك». ولا يستقيم

به المعنى، لأن المراد أن تحمل السحب النهر المنقطف سواراً قريباً.

(٢) هو أبو بكر محمد بن قزمان، توفي سنة ٥٥٥ هـ.

(٣) في م ونفع الطيب المخطوط: «أبا الحسن».

وَفَتَحَ قَدْوُ عَمَّالٍ إِنْسَانٍ بِرِ الْفَوَاقِ
وَانْطَلَقَ يَجْرِي ^(١) عَلَى الْمَفَاحِ وَالْقَى الصَّبَاحَ ^(٢)
وكان ابن قزمان مع أنه قُرْطُبي الدار كثيرا ما يردد إلى إشبيلية ، ويُنْتَاب
نهرها .

[٢٧٠] ثم ذكر ابن خلدون عنه وعن جماعة حكاية وكلاما ، إلى أن قال : وجاءت
بعدم حلقة كان سابقها مَدَغَلِيس ، وقمت له العجائب في هذه الطريقة ،
فمن قوله في زَجَلِ المشهور :

وَرَدَّاذُ دِقِّ يَنْزِلُ وَشُعَاعُ الشَّمْسِ يَضْرِبُ
فَتَرَى الْوَاحِدَ يَفْضَحُ وَتَرَى الْآخَرَ يَذْهَبُ
وَالَّتَبَاتَ يَشْرَبُ وَيَسْكُرُ وَالْمُصُونُ تَرْقُصُ وَتَطْرِبُ
وَتُرِيدُ تَجِي إِلَى الْبَيْتِ ثُمَّ تَسْتَجِي وَتَهْرَبُ ^(٣)
ومن محاسن أزجاله قوله :

* لَاحَ الضِّمَاءِ وَالنَّجْمِ حَيَارَى ^(٤) *

ثم قال ابن خلدون : وظهر بعد هؤلاء في إشبيلية ابن جَحْدَر ، الذي فُضِّلَ
على الزجالين في فتح مَيُورُفَّةَ بِالزَّجَلِ المشهور الذي أوله :
مَنْ تَأَنَّدَ التَّوْحِيدُ بِالسَّيْفِ يُمَحِّقُ أَنَا بَرَى مِمَّنْ يُعَايِدُ الْحَقَّ
قال ابن سعيد : لقيته ولقيت نعيذه البعيع ^(٥) صاحب الزجل المشهور
الذي أوله :

(١) كذا في المقدمة طبعة بلان . والذي في الأصلين وسائر المراجع : « ثم » .

(٢) في بعض المراجع : « ولقي » . كما أن في بعضها « الصباح » .

(٣) في الأصلين : « وترجع » . والتصويب عن مقدمة ابن خلدون طبعة بلان .

(٤) في م والنسخ « سكارى » .

(٥) كذا في الأصلين ونسخ الطيب . وفي المقدمة طبعة باريس : « البعيع » . وبهامشها

روايات آخر . وفي المقدمة طبعة بلان : « المبع » .

يَا لَيْتَنِي إِنْ رَيْتُ^(١) حَبِيبِي أَقْتُلُ^(٢) اذْنُو بِالرَّيْسِيَلَا^(٣)
لَيْشْ أَخَذَ عُنُقَ الْفَزَيْلِ وَسَرَقَ فَمَ الْحُجْبَلَا

ثم جاء من بعدهم أبو الحسن سهيل بن مالك إمام الآداب ، ثم من بعدهم
لهذه المصوّر صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب ، إمام النظم والنثر في اللغة
الإسلامية غير مدافع ، فمن محاسنه في هذه الطريقة :

أَمْزَجَ الْأَكْوَانُ وَامْتَلَأَ نَجْدَهُ مَا خَلَقَ لِلْمَالِ إِلَّا أَنْ يُبَدَّدَ

ومن قوله على طريقة الصوفية وينحو مذهبي الشُّعْرَى منهم :

بَيْنَ طُلُوعٍ وَبَيْنَ زُرُوكٍ اخْتَلَطَتِ النَّزُولُ
وَمَضَى مَنْ لَمْ يَكُنْ وَبَقِيَ مَنْ لَمْ يَزُوكُ

ومن محاسنه أيضا قوله في ذلك المعنى :

الْبُعْدُ عَنْكَ يَا بَنِي أَعْظَمَ مَصَائِبِي
وَحِينَ حَصَلَ لِي قُرْبُكَ نَسِيتُ أَقَارِبِي

وكان المعاصر الوزير ابن الخطيب بالأندلس محمد بن عبد العظيم ، من أهل
وادي آش ، وكان إماما في هذه الطريقة ، وله من زجل يعارض به مَدْعَلَيْسَ [٣٧٦]
في قوله :

* لَأَخَ الضُّيَا وَالنَّجُومُ حَتَّى أَرَى *

بقوله :

حَلَّ النُّجُومُ يَا أَهْلَ الشَّطَارَا مُذْ حَلَّتِ الشَّمْسُ بِالْحَمَلِ

- (١) كذا في م . وفي المقدمة طيبة بلقي : « رأيت » . وفي النسخ المخطوط : « نيت » .
(٢) في الأصلين : « أقبل » . وما أنبتاه عن المقدمة طيبة باريس .
(٣) الرسيلا (في الأصل) : الرسيلا ، مصر الرسالة (بالسكر) ، وهي النودة والرفق .
يريد أنه يترك أذن حبيبه في لين ورفق .

ثم ذكر ابن خلدون جملة من هذا الزجل ، وقال بعد ذلك : وهذه الطريقة الزجلية لهذا العهد ، هي فنّ المائنة بالأندلس من الشعر ، وفيها نظمهم ، حتى إنهم لينظّمون بها في سائر البحور الخمسة عشر ، لكنّ بائتهم المائنية ، ويسمونه الشعر الزجلي . إلى أن قال : وكان من المجيدين في هذه الطريقة لأول هذه المئنة ، الأديب أبو عبد الله اللّوشيّ ، وله من قصيدة يمدح فيها السلطان ابن الأحمر :

طَلَّ الصَّبَاحُ قُمْ يَا نَدِيمَ نَشْرُبُو وَنَضْحَكُو مِنْ بَعْدِ مَا نَظَرُبُو

ثم سرّدها ابن خلدون ، وهي طويلة جدًا .

ثم قال : ثم استحدث أهل الأندلس بالمغرب فنّا آخر من الشعر ، في أعاريض مَزْدُوجَةِ كالموشح ، نظموا فيه بلقمتهم الحضرية أيضا ، وسمّوه عَرُوض البلد ، وكان أول من استحدثه بينهم رجل من أهل الأندلس نزل بفاس ، يُعرف بابن محمّر ، فنظّم قطعة على طريقة الموشح ، ولم يخرج فيها عن مذهب الإعراب [إلا قليلا ^(١)] ، مطلقها :

أَبْكَأَنِي ^(٢) بِسَاطِئِ النَّهْرِ نَوْحَ الْحَمَامِ عَلَى الْفُضْنِ فِي الْبُسْتَانِ قَرِيبَ الصَّبَاحِ
وَأَكْتُ السَّحَرِ نَمَحُو مِدَادَ الظُّلَامِ وَمَاءَ السَّيِّ بِخَرِي بِنَفْرِ الْأَقَاحِ
بَاكَرْتُ الرِّيَاضَ وَالطَّلَّ فِيهِ أَفْتِرَاقِ ^(٣) سَرَّ الْجَوَاهِرِ فِي نُحُورِ الْجَوَاكِزِ
وَدَمَعُ السَّوَاعِرِ يَنْهَرِقُ انْهَرِاقِ بِحَاكِي تَعَايِينِ حَلَقَتِ بِالْمَتَازِ
لَوَا ^(٤) بِالْفُضُونِ خَلَخَالَ عَلَى كُلِّ سَاقِ وَدَارَ الْجَمِيعِ بِالزُّرُوضِ دُورَ السَّوَارِ

(١) النكلة عن مقدمة ابن خلدون طبعة باريس .

(٢) في م : « بكاني » .

(٣) كذا في المقدمة طبعة باق . وفي ط والمقدمة طبعة باريس : « كبير » . وفي م :

« كلن » .

(٤) في م : « لوترى » .

وَأَيْدِي النَّدَى تَغْرِقُ جُبُوبَ السَّكَامِ وَتَحْمِلُ نَسِيمَ الشَّيْءِ عَنْهَا رِيَّاحُ
وَعَلَجَ الضَّيْبُ يَطْلِي بِمَسْكِ الْعَمَامِ وَجَزَّ النَّسِيمُ ذَيْلُ عَلِيَّهَا وَفَاحُ
رَأَيْتِ احْتِمَامَ بَيْنِ الْوَرَقِ فِي الْقَضِيبِ قَدْ أَبْنَتَ أَرْبَابُوهُ يَقْطُرُ النَّدَى
يَنُوحُ مِثْلَ ذَلِكَ السُّتْهَامِ الْغَرِيبِ قَدْ أَلْفَتْ مِنْ نُوبِ الْجَدِيدِ فِي رَدَا
وَالْكِنِ بِنَاهُ أَحْمَرِ وَسَاقِ خَضِيبِ يَنْظُمُ سُلُوكَ جَوْهَرٍ وَيَنْقَلِدَا [٢٧٧]
جَلَسَ بَيْنَ الْأَغْصَانِ جِلْسَةُ السُّتْهَامِ جَنَاحًا تَوَسَّدَ وَالتَّوْحَى فِي جَنَاحِ
وَصَارَ يَشْتَكِي مَتَانِي الْفَوَازِ مِنْ غَرَامِ مِنْهَا هَمٌّ مِنْقَارُوهُ لِيَصْدُرُوْهُ وَصَاحُ
فَقُلْتُ أَحْمَامُ أَخْرَمْتُ عَيْنِي الْهَجُوعُ أَدَى مَا تَرَال^(١) نَيْسَكِي بِدَمْعِ سَدُوحِ
قَالَ لِي يَكَيْتُ حَتَّى صَفَّتْ لِي الذَّمُوعُ بَلَا دَمْعَ رَيْبِي طُولَ حَيَاتِي يَنُوحُ
عَلَى قَرْخِ طَارِي لَمْ يَكُنْ لَوْ رَجُوعُ أَلَيْتِ الْبَيْكَا وَالْحَزْنَ مِنْ عَهْدِ نُوحِ
كَذَاكَ هُوَ الْوَكَا كَذَا هُوَ الدَّمَامُ^(٢) انْظُرِي لِلْجُفُونِ صَارَتْ بِحَالِ الْجَرَّاحِ
وَأَنْتُمْ مِنْ بَكِي مَيْتَكُمْ إِذَا تَمَّ عَامُ يَقُولُ قَدْ عَيَانِي^(٣) ذَا الْبَيْكَا وَالشُّوَالِ
فَقُلْتُ أَحْمَامُ لَوْ خُضَّتْ بَعْرُ الضَّغَى كَانَ رَيْسَكِي وَتَرْنِي لِي بِدَمْعِ هَمُونِ
وَلَوْ كُنْ بِقَلْبِكَ مَا بَقِي أَنَا زَمَادُ كَانَ بِصَبْرٍ تَحْتَكُ هُرُوعُ الْفُصُونِ
الْيَوْمَ لِي تُقَامِي الْهَجْرُ كَمْ مِنْ سَنَا حَتَّى لَا سَبِيلَ جُحْلِهِ رَأَيْتِ الْعُيُونِ
وَمِمَّا كَسَا [جَشِيئِي] النُّحُولُ وَالسَّامُ أَخْفَانِي نُحُولِي عَنْ عُيُونِ الْفَوَاحِ

(١) كذا في م . وفي بعض المراجع : « أوك ما تزال » .

(٢) كذا في ط . وفي المقدمة طبعة باريس : « كذا هو الوفا قلت كذا هو الدمام » .

وكذا ورد في المقدمة طبعة بلاغ بنمس كلمة : « قلت » . وفي م : كذا هو الوفا

قل لم كذا هو الدمام » .

(٣) في المقدمة طبعة بلاغ : « عياني » .

لَوْ جَنَيْتِ الْمَنَآيَا كَأَنَّ نِيْمُوتَ فِي التَّمَنَاءِ وَمَنْ مَاتَ بَعْدَ تَابِ قَوْمٍ لَقَدْ اسْتَرَحَ
ثم قال ابن خلدون : فاستحسنه أهل فاس ، وَوَلَّيُوا بِهِ ، وَنَظَّمُوا عَلَى
طريقته ، وتركوا الإعراب الذي [لَيْسَ] ^(١) من شأنهم ، وكثر شيعائه بينهم ،
واستفحل فيه كثير منهم ، ونوعوه أصنافا ، إلى المزودج ، [والسكازي] ^(٢) ،
والمعقبة ، والفزَل ؛ واختلفت أسماءها باختلاف ازدواجها ، وملاحظاتهم فيها .
فمن المزودج ما قاله ابن شجاع ، من غولهم ، وهو من أهل نازا :

إِلْمَالُ زَيْنَةِ الدُّنْيَا وَعِزُّ النُّفُوسِ يَنْهَى وَجُوهَهَا لَيْسَ بِهَا هَيْبَا
فَهَا كُلُّ مَنْ هُوَ كَثِيرُ الْقُلُوسِ وَلَوْهَ ^(٣) السَّكَلَامِ وَالرَّئِيسَةِ الْعَالِيَا
يَكْبُرُوا مِنْ كُفْرَمَالُو وَلَوْ كَانَ صَغِيرَ وَيَصْتَرُّوا عَزِيزَ التَّوَمِ إِذَا يَفْتَقِرُ
مِنْ ذَا يَنْطَلِقُ صَدْرِي وَمِنْ ذَا يَفِيزُ وَكَأْذُ يَنْفَتَحُ لَوْلَا الرُّجُوعُ لِلْقَدَرِ
حَتَّى ^(٤) يَلْتَجِئَ مَنْ هُوَ فِي قَوْمِهِ كَبِيرُ لَيْنَ لَا أَصْلَ عِنْدُو وَلَا أَوْ خَطَرُ
لَقَدْ يَنْتَبِئُ نَحْرُنَ عَلَى ذِي الْمُسْكُوسِ وَنُصْبِغُ عَلَيْهِ نُوبِي مِنْ رَأْسِ ^(٥) خَابِيَا
أَدَى صَارَتْ الْأَذُنَابُ أَمَامَ الرُّءُوسِ وَصَارَ يَسْتَفِيدُ الْوَادُ مِنَ السَّاقِيَا
صَغَفَ النَّاسُ عَمَلُ ذَا أَوْ فَسَادَ الزَّمَانِ مَا يَذَرُّو عَلَى مَنْ يَكْتَرُو ذَا الْعِتَابِ
أَدَى [صَارَ] فَلَنْ الْيَوْمَ يَصْبِغُ بُوَ فُلَانٍ وَلَوْ رَيْتُ وَكَيْفَ حَتَّى يَرُدَّ الْجَوَابِ [٢٧٨]

(١) هذه السكلمة زيادة عن المقدمة .

(٢) كذلك في مقدمة ابن خلدون طبعة بلقي . وفي الأصلين : « ألوه » .

(٣) في المقدمة طبعة باريس : « أدى » .

(٤) في م والمقدمة طبعة باريس : « فراس » .

(٥) هذه السكلمة عن المقدمة .

عشنا والسلام^(١) حتى رأينا عياناً أنفاس السلاطين^(٢) في جلود الكلاب
كبار النفوس جذاً ضعاف الأسوس^(٣) هم في ناخيا والجد في ناخيا
يروا أنهم - والناس يروهم فيوس - وجوه البسلد والمند^(٤) الراسنيا

ثم ذكر ابن خلدون كلاماً آخر لابن شجاع . ثم قال : وكان منهم على بن
المؤذن بفسان . [وكان]^(٥) هذه العصور القريبة من غولم بززهون من نواحي
مكناسة^(٦) رجل يعرف بالكسيف ، أبدع في مذاهب هذا الفن ؛ ومن أحسن
ما علق له بمحفوظي قوله في رحلة السلطان أبي الحسن وبني مزين إلى إفريقية ،
يصف هزيمتهم بالقيروان ، ويعزيهم عنها ، ويؤنسهم بما وقع لغيرهم ، بعد أن
عزيهم^(٧) على غزائهم إلى إفريقية في مألعة من فنون هذه الطريقة ، يقول في
مفتتحها ، وهو من أبدع مذاهب البلاغة في الإشار بالمقصد في مطلع الكلام
وافتاحه ، ويسمى براعة الاستهلال :

سُبْحَانَ مَالِكٍ خَوَاطِرِ الْأَمْرَا بِنَوَاصِيهَا فِي كُلِّ حِينٍ وَزَمَانٍ
إِنْ طَعْنَاهُ أَعْظَمُ لَنَا نَصْرًا وَإِنْ عَصَيْنَاهُ عَاقِبٌ بِكُلِّ هَوَانٍ^(٨)

إلى أن يقول في السؤال عن جيوش المغرب بعد التخلص :

كُنْ مَرْيَعِي قُلٌّ وَلَا تَكُنْ رَايَعِي فَالرَّايَعِي عَنْ رَعِيَّتِهِ مَسْتَوِلٌ

(١) كذا في المقدمة . وفي ط : « يبخل بالسلام » . وفي م : « يبخل بالجواب » .

(٢) كذا في المقدمة . وفي ط : « الشياطين » . وفي م : « شياطين » .

(٣) كذا في المقدمة طيبة باريس . وفي الأصلين والمقدمة طيبة بلاق : « والعدة » .

(٤) هذه الكلمة عن المقدمة .

(٥) في م . والمقدمة طيبة بلاق : « سواحي » .

(٦) في المقدمة طيبة باريس : « عتيهم » .

(٧) في م : « فسل » .

(٨) كذا في المقدمة طيبة باريس . وقد ورد هذا البيت مضطرباً في الأصلين .

وَأَسْتَفْتِجَ بِالصَّلَاةِ عَلَى الدَّاعِي
لِلْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَالْأَنْبِيَاءِ
أَحِبَّائِي تَخْلَوْا الصَّخْرَةَ
عَشْكُرُ فَاغْزِ الْمُنِيرَةَ الْغَرَا
أَحْبَابُ بِالْبَيْتِ الَّذِي زُرْتُمْ
عَنِ جَيْشِ الْغَرْبِ حَيْثُ نَسَأَلَكُمْ
وَأَمِيرُ كَانَ بِالْمَطْلِ يَرْوَدُكُمْ
قَامَ كُلُّ^(١) كَلَسَدَ صَادَفَ الْجَزَا
وَتَرَكُوا دَمَ وَلَهَبَ فِي الْقَهْرَا
لَوْ كَانَ مَا بَيْنَ نَوَاسِ الْغَرْبَا
مَنْبِي مِنْ شَرْفِهَا إِلَى غَرْبَا
لَا بُدَّ لِلْعَلَنِي كَانَ يَجِي بِدَبَا
مَا أَعُوْضُهَا مِنْ أَمُوزَ وَمَا شَرَا
لِعَرْتُ بِالْذَّمِّ وَأَنْصَدَعَ حَجَرَا
إِذْ رَى لِي بِعَقْلِكَ الْفَعَّاصُ
وَلَا تَفْكَرْ لِي بِخَطَايَاكُمْ جَمْعَا

[٢٧٩]

(١) كذا في ط . وفي م والمقدمة : « فل » .

(٢) كذا في المقدمة طيبة بلاق . وفي الأصلين والمقدمة طيبة باريس : « وتنجر » .

(٣) كذا في م والمقدمة طيبة باريس . وفي ط : « بخنان » . وفي المقدمة طيبة بلاق :

« بخنان » .

(٤) ورد هذا البيت مضطربا في ط والمقدمة . وما أثبتناه عن م .

(٥) يريد الصغر (بضم الصاد وسكون الفاء) وهو نوع من النحاس .

(٦) كذا في الأصلين والمقدمة طيبة باريس . وفي المقدمة طيبة بلاق : « الديوان » .

ولعله يريد : « الديوان » ليستقيم للمعنى بها في البيت الآتي .

إن كان يعلم^(١) حاتم ولا رقاص
 بكتاب عبد المهيمن القواص^(٢)
 إلا قوم عازيين بلا ستر
 لم يذروا كيف يصوروا السكسرا
 أمولأى بوالحسن خطيبنا الباب
 في غنى كذا عن الجريد والزاب
 ما بلغك عن عمر بن الخطاب
 ملك الشام والحجاز وتاج كسرى
 كان إذا تذكرك له ذكره ذكرنا
 هذا القاروقى زمره الأكوان
 وبنت يحيى إلى زمن عنان
 لما دخلت غنابها المدبون
 وافترق الناس على ثلاث أمرنا
 إذا كان ذا في مدة البرزا
 وأصحاب الجفر في كتيبانا
 وعن السلطان شهر وقبله سبعا
 وعلامات تُنشر على العنما^(٣)
 تجهولين لا مكان ولا إمكان
 أو كيف دخلوا مدينة القيروان
 بقضية سحرنا إلى تونس
 وأبش لك بقرب إفريقية القونس^(٤)
 القاروقى فاتح القرى الثونس^(٥)
 ولهم يفتح من أفريقية دكان
 ويقول اسمها^(٦) يُفرق الإخوان
 صريح في أفريقية هذا التصريح
 وفتحها ابن الزبير عن تصحيح
 مات عثمان وانتقل علينا الرشح
 وبقي ما هو الشكوت عنو إيمان^(٧)
 أبش نعمل في أواخر الأزمان
 وفي تاريخ كاتبنا وكيوانا^(٨)

(١) في ط : « توجد » .

(٢) في المقدمة طبعة باريس : « القواص » . وفي طبة بلاى : « القواص » .

(٣) يريد الصومعة .

(٤) كذا في م : « القونس » . وفي ط : « القونس » .

(٥) كذا في المقدمة طبعة باريس . وفي ط والمقدمة طبعة بلاى : « المونس » . وفي

م : « البونس » .

(٦) في ط : « فيها نرى » مكان قوله : « اسمها يفرق » .

(٧) في ط والمقدمة طبعة بلاى : « ونرى ما هو الشكوت عنوان » .

(٨) كاتب : عطارد . وكيوان : زحل .

[٢٨٠] تذكُر في صُحُفِهَا ^(١) وَأَبْيَاتَا شِيقَ وَسَطِيعٍ وَابْنَ مَرَاتَا ^(٢)
 ابْنَ مَرَيْنَ إِذَا انْكَبَتَ بِرَأْيَاتَا ^(٣) لِعِجْدَارِ تُونُسَ فَقَدْ سَقَطَ شَانَا
 قَدْ ذَكَرْنَا مَا قَالَ سَيِّدُ الْوُزَرَا عِيسَى بْنُ الْحَسَنِ الرَّفِيعِ الشَّانُ
 قَالَ لِي رَبَّنَا وَأَنَا بِهَا أُذَرَى لَكِنْ إِذَا جَاءَ الْقَضَاءُ عَمِتَ الْأَجْفَانُ
 وَيَقُولُ لَكَ مَا رَمَى التَّرِينِيَا مِنْ حَضْرَةِ فَلَسَ إِلَى عَرَبِ دِيَابِ ^(٤)
 رَاذَ التَّوَكَّى يَمُوتُ أَبُو يَحْيَى سُلْطَانُ تُونُسَ وَصَاحِبُ الْعَتَابِ ^(٥)
 وَلَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَا الْأَشْيَا جَعَلَ أَوْلَادُ أَبُو الْحَسَنِ أَنْسَابَ

نم أخذ في ترحيل السلطان وجيوشه إلى آخر رحلته ، ومنتهى أمره مع
 أعراب إفريقيا ، وأتى فيها بكل غريبة من الإبداع .

وأما أهل تونس فاشتهدوا فن التلعبة أيضا على لغتهم الحصرية ، إلا أن
 أكثره ردى ، ولم يَمَاقُ بمحفوظي [منه شيء] ^(٦) لودائه .

وكان لعامة بغداد أيضا فن من الشعر يسمونه المَوَالِيَا ، ونحته فنون كثيرة ،
 يُسَمُّونَ مِنْهَا الْقَوْمَا ، وَكَانَ وَكَانَ ، وَ [منه مفرد ، ومنه في بيتين ، ويسمونه] ^(٧)
 دُوبَيْتٌ ، على اختلاف الموازين المعتبرة عندهم في كل واحد منها ، وغالبها مَزُودِجَةٌ
 من أربعة أغصان ، وتبهم في ذلك أهل مصر والقاهرة ، وأتوا فيها بالقرائب ،

(١) كذا في ط والقعدة . وفي م : « شعرها » .

(٢) في المقدمة طبعة باريس : « صروانا » .

(٣) كذا في م . وفي ط : « نكس » .

(٤) في المقدمة طبعة باريس : « دياب » .

(٥) كذا في المقدمة طبعة باريس . وفي ط : « العتاب » . ولعله يريد : الأعتاب .

وفي المقدمة طبعة بلاط : « الأبواب » .

(٦) التكلفة عن المقدمة .

وتجاروا^(١) فيها بأساليب البلاغة، بمقتضى لغتهم الحضرية، غفاهوا بالمعانيب .
ورأيت في ديوان الصّنى الخليل من كلامه^(٢) أن المواليتا من بحر البسيط، وهو
ذو أربعة أغصان وأربع قواف، ويسمى صوتا وبيتين، وأنه من مخترعات أهل
واسط، وأن «كان وكان» في قافية واحدة، وأوزان مختلفة في أشطاره، والشطر
الأول من البيت أطول من الشطر الثاني، ولا تكون قافيته إلا مُردّفة^(٣) بحرف
العله، وأنه من مخترعات البغداديين، وأنشد فيه .

ثم ذكر ابن خلدون عدة مقطعات من المواليتا، ومنها :

نَاكِهَتْهَا وَمَشِيَتْ قَدْ طَوَّانِي طَلَى جُودَى عَلَى بَقْبُلَةٍ فِي الْهَوَى يَا مَنَ [٢٨١]
قَالَتْ وَقَدْ تَرَكْتُ^(٤) دَاخِلَ فَوَادِي كَثَى مَا ظُنَّ ذَا النُّطْنِ يَغْشَى^(٥) فَمَنْ هُوَ سَمَى

ومنها :

يَا حَادِي الْعَيْسِ أَزْجُرُ بِالطَّعَايَا زَجْرَ وَفَى عَلَى مَنْزِلِ أَحِبَّائِي قُبَيْلِ الْفَجْرِ
وَصِيحٌ فِي حَبِيبٍ يَا مَنْ يُرِيدُ الْأَجْرَ يَنْهَضُ يَسْأَلُ عَلَى مَيِّتٍ قَتِيلِ الْهَجْرِ

ومنها :

عَيْنِي الَّتِي كُنْتُ أَزْعَاكُمُ^(٦) بِهَا بَانَتْ تَرَعَى الثُّجُومَ وَبِالتَّسْهِيدِ اقْتَنَانَتْ
وَأَسْمُهُمُ الْبَيْتُ صَابِقَتِي وَلَا قَانَتْ وَسَلَوَتِي^(٧) - عَظَّمَ اللَّهُ أَجْرَكُمْ - مَاتَتْ

(١) في م والقدمة طلبة بلاني : «تجاروا» .

(٢) راجعا ديوان صنى الدين الحلل للطبوع في بيروت سنة ١٨٩٢ م، «لم نجد ذكرنا
لها أشار إليه ابن خلدون هنا .

(٣) في ط : «مردوجة» . وما أثبتناه عن م والقدمة طلبة باريس .

(٤) في المقدمة طلبة بلاني : «كوت» .

(٥) في المقدمة طلبة بلاني : «يمشى» .

(٦) في ط : «أظركم» .

(٧) في ط : «ومعنى» .

ثم قال : ومن الذى يسمونه ذو بيت :

قَدْ أَفْسَمَ مَنْ أَحْبَبَهُ نَالِبَارَى أَنْ يَبْعَثَ طَيْفَهُ مَعَ الْأَسْحَارِ
بِأَنْ تَارَ أَشْوَاقِي^(١) بِهِ فَاتَّقِدِي لَيْسَ لَّ عَسَاءَ يَهْتَدِي بِالنَّارِ

واعلم أن الذوق فى معرفة البلاغة منها كلها إنما يحصل لمن خالط تلك اللغة ، وكثر استماعه لها ، ومحاطته بين أجيالها ، حتى يُحَصِّلَ ملكتها ، كما^(٢) قلناه فى اللغة العربية ، فلا يشمر الأندلسى بالبلاغة التى فى شعر أهل المغرب ، ولا المغربى بالبلاغة التى فى شعر أهل الأندلس والمشرق ، ولا المشرقى بالبلاغة التى فى شعر أهل الأندلس والمغرب ؛ لأن اللسان الحضرى وترأكيبه مختلفة فيهم ، وكل واحد منهم مدرك بلاغة افته ، وذائق محاسن الشعر من أهل بلده ، وفى خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وآلاتكم آيات لِّعَالَمِينَ .

انتهى كلام ابن خلدون فى ديوان العبر ، ببعض الاختصار .

قلت : كأن بمنقذ ليس له خيره ، يُسَدِّدُ سهام الاعتراض ويتولى كبره ، ويقول : ما لنا وإدخال الهزل فى معرض الجِدِّ الضَّرَاح ؟ وما الذى أخرجنا إلى ذكر هذا التفتى والأليق طرحة كلِّ الاطِّراح ؟ فنقول فى جوابه على الإنصاف : لم نزل كتب الأعلام مشحونة بمثل هذه الأوصاف ، وليس مرادهم إثارة الهزل على غيره ، وإنما ذلك من باب ترويح القلب ، وهو أعون على خيره ، وللسَّافِ فى مثل ذلك حكايات يطول جَلْبِها ، ولا يقدِّح ذلك فى سكتهم ، ولا يتوهمُ لسببه سلبها ، وبرحم الله تعالى عياضا إذ قال :
قُلْ لِلْأَحْيَةِ وَالْجَدِيدِ شُجُونٌ مَا ضَرَّ أَنْ شَابَ الزَّكَارَ جُونٌ
الآيات الآتية فى محلها .

(١) فى الأصلين : « شوق » . وما أبتناه عن المقدمة . (٢) فى م : « ما » .

وليس قصدنا نحن بهذا ، عَلَّمَ اللهُ ، غَرَضًا فاسدًا ، نُنْفِقُ منه في سُوقِ المِرْزَلِ كاسدا ، وإنما غَرَضُنَا صحيح ، وَزَنْدُنَا غير شحيح . على أن المقصود الأعظم مدح النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الأوزان ، وكل ما سبق وسيلة إلى ذلك مما راق أوزان .

مرشحاتان
غير منسوجتين
في مدح الرسول

واعلم أيها الناظر ، أذهب الله عن ساحتك الأشجان ، أن كثيرا من الأئمة تَدَحَّوْا بذلك المبعوث رحمة إلى الإنس والجان ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ، صلاة وسلاما يتضوع نشرهما في الشارق والغارب ، ويتألق نورهما ، فيعتدي به فائلهما لقضاء الأغراض والآرب . فمن ذلك قول بعض من كَرَعَ من مهمل حيه المذهب الشارب ، من مُوسَّحٍ لم أقف منه إلا على قوله :

أَلْبَلْسُلُ فِي الرِّايضِ أَمَا نَشَدَا	بِالْقَوْلِ شَدَا
وَالْفُصْنُ لَهُ يَمِيلُ حَتَّى سَجَدَا	بِمَا وَجَدَا
قَدْ مَدَّ لَهُ الْأَكْفُ مِنْ غَيْرِ نَدَا	بِمَتَّحِ نَدَى
وَالْوُزُقُ شَدَّتْ بِصَوْنِهَا اللَّعَانِ	دُونَ الْعَلَقِ ^(١)
لَمَّا ذُكِرَ بِالْمُتَبَرِّ ^(٢) الْأَنْحَانِ	رَبُّ الْقَلْبِ
بِمَا أَشْرَفَ مُرْسَلُ بِهِ اللهُ هَدَى	مَنْ رَأَى هَدَى
بِالْمَدْحِ لَدَيْكَ عَبْدُ وَهَابٍ عَدَا	بِرَّجُوكَ عَدَا
بِمَا مَنَّ تَدْبِيعُهُ جَلَا كُلَّ صَدَا	بِمَنْ رَمَدَا ^(٣)
بِمَا تَلَجَّأَ كُلُّ خَائِفٍ أَوْ جَانِي	بِالْقَنْبِ شَقِي

(١) العلق : الهوى .

(٢) كذا في م . وفي ط : « بطلب » .

(٣) كذا في ط . يريد انهم إليك وقصدك . وفي م : « صدا » .

[٢٨٢]

لَا زَالَ حِمَاكَ رَوْضَةً فَلِجَانِي وَالْمُنْتَشِقِ
يَا عُرْبَ نِهَاتِهِ حِمَاكُمْ أَرَبِي فِيهِ الْعَرَبِي
فَالسَّعْيُ لِقَبْرِ أَرْضِكُمْ لَمْ يَجِبِ حَتَّى الثَّجْبِ
فَالْفَضْلُ لَكُمْ مَعَ كَالِ الْعَسْبِ عِنْدَ النَّسَبِ
مِنْ مَذْحِكُمْ^(١) نَصَرْتُمْ أَحْرَانِي وَالْقَرْحُ بَقِي
عِنْدِي أَبَدًا وَفَوَّحْتَ أَوْزَانِي بِسِكَ الْعَبَقِ

ومن ذلك قول بعض المُدُول من أهل العصر القريب من عصرنا ، رحمه

الله تعالى :

يَا عَرَبِيَّ الْحَيِّ مِنْ حَيِّ الْحَيِّ أَتَيْتُمْ عَيْدِي وَأَنْتُمْ عَرُمِي
لَمْ يَحُلْ عَنْكُمْ وَدَادِي بَعْدَمَا خَلُمْتُ ، لَا وَحَيَاةِ الْأَنْفُسِ
مَنْ عَذِرِي فِي الَّذِي أَحْبَبْتُهُ مَلِكُ الْقَلْبِ شَدِيدُ الْبِرْحَا^(٢)
بَدْرُ نَهْمٍ أَرْسَلَتْ مُفْلَتُهُ سَهْمٌ لِعَظِ لِفُؤَادِي جَرَحَا
إِن تَبَدَّى أَوْ تَذَقَّى خَلْتُهُ غَضَنَ بَانَ فَوْقَهُ شَمْسُ صُحَى
تَطْلُعُ الشَّمْسُ عِشَاءً عِنْدَمَا تَحْتَلِي مِنْهُ أَهْبَى مَلْبَسِ^(٣)
وَتَرَى اللَّيْلَ أَصَا مِنْهُرَمَا وَتَرَى الْعُثْبَ أَصَا فِي الْقَلَسِ
يَا حَيَاةَ النَّفْسِ بِلْ بَعْدَ الْقَوَى وَالْهَامُ مُضَيٌّ شَدِيدَ الشَّقَفِ
قَدْ بَرَأَهُ الشُّنْمُ حَتَّى ذَا الْهَوَى كَادَ أَنْ يُفْضِيَ بِهِ لِلتَّلَفِ
أَوْ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبِ بِاللَّوَى وَزَمَانِ بِالْثَنَى لَمْ يُسْهِفِ

(١) في ط : « مَذْحِكُمْ » .

(٢) كذا في م . وفي ط : « منكم فاني قبل هذى البرحا » . وفيه تحريف ظاهر .

(٣) كذا في م . وفي ط : « تنجلي منه بأهسى ملابس » .

كُنْتُ أَرْجُو الطَّيِّفَ بَنَى حُلَّتَا عَالِدًا يَا نَفْسُ مِنْ دَا قَابَايَا
هَلْ يَبُودُ الطَّيِّفُ صَبَا مُعَرَّمَا سَاهَرَا أَجْمَانُهُ لَمْ تَنْمَسْ
مِتُّ فِي أَطْلَالٍ كَثَلَى وَأَنَا لَبَسَ فِي الْأَطْلَالِ لِي مِنْ أَرْبِ
تَا مُرَادَى رَامَةً وَالنَّحَى لَا وَلَا تَلَى وَتَنْدَى مَطْلَى
إِنَّمَا سَوَّلِي وَتَعْدَى وَالْحَى سَيِّدُ الْمُعْجَمِ وَتَاجُ الْعَرَبِ
[أَحَدُ الْمُخْتَارِ طَهَ مِنْ سَمَا الشَّرِيفُ ابْنُ الشَّرِيفِ الْكَافِي^(١)
خَاتَمُ الرُّشْلِ الْكَرِيمِ لِلنَّصَى طَاهِرُ الْأَصْلِ زَكِيُّ النَّفْسِ
وَلَمْ أَقِفْ مِنْ هَذِهِ الْمَوْشَعَةِ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْقَدْرِ ، وَهُوَ عَجِيبٌ ، عَارِضٌ
مُوشَحَتِي ابْنُ سَهْلٍ وَابْنُ الْخَطِيبِ السَّابِقِي الذِّكْرُ .

موشحات لابن
الصباغ الجذامي
في مدح الرسول
أيضا

[٢٨٤] ومن ذلك جملة مَوْشَحَاتٍ ، انتقيتها من كلام الشيخ الإمام الصالح الزكي
الصفوي ، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الصباغ الجذامي ، وقد أتت ذلك
بعض الأئمة في تأليف رفقه للسلطان المرتضى صاحب مراکش ، وأطال فيه
من مَوْشَحَاتِ هذا الشيخ وسافر نظمه . ولم أذكر من مَوْشَحَاتِهِ هَذَا إِلَّا الْفُرْقَةَ^(٢) ،
على أنها كلها غرر ، فمن ذلك قوله رحمه الله :

أَيْنَ الْمُضَى الشُّجُونَا وَارْتَضَى الْأَخْرَانَا دِينَا
فَوَقَّ صَفْعَ الْوَجْنَتَيْنِ أَهْلُ الدَّنَعِ الْهَوْنَا
بَقَطْعُ الْأَيَّامِ حُرْنَا وَبُكَاءُ وَعُوبِلَا
فَارْجَحُوا صَبًّا مُعَى قَلْبُهُ يُدْرِكُ عَلِيلَا

(١) هذا البيت من نفع الطيب .

(٢) كذا في م . وفي ط : « هنا على النمر » .

مُلْهَبَ الْأَحْشَاءِ مُضَى بِالنَّوَى أَضْحَى عَلِيلًا
 ذَابَ شَوْقًا وَحَيْنًا وَسَفَامًا^(١) وَأُنِينًا
 يَالَهُ مِنْ حِلْفٍ بَيْنِ بَرٍّ نَفَى فِيكَ الْمُنُونَا
 أَرَى عَهْدًا نَفَى مِنْكُمْ هَلْ لِي يُعُودُ
 كَمَعَى عَنِّي رَمَضَى قَدْ بَرَى جِسْمِي الصُّدُودُ
 لَمْ أَطْلُقْ وَأَفْقُهُ نَهَضَا فَبِحَقِّ الْحَقِّ جُودُوا
 وَارْتَحِمُوا صَبًّا نَوِينَا كَمْ شَكَا التَّيْنِ سِينِينَا
 وَشُونَ الْفُلْتَيْنِ تَسْكَبُ السَّمْعُ التَّعِينَا
 قَدْ ذَوَى غُصْنُ السَّابِ وَتَعَى عُشْرِي وَذَلَى
 أَنْ لِي وَقْتُ الْإِتَابِ كَمْ أَسْأَلُ^(٢) النَّفْسَ جَهْلًا
 هَذِهِ عِرْسُ التَّابِ فِي قَبَابِ الْوَصْلِ تُجَلَى
 حَسَنُوا فِيهَا الظُّنُونَا وَادْخُلُوهَا آمِينَا
 قَدْ وَصَلْنَا كُلَّ بَيْنٍ وَعَقُونَا وَرَضِينَا
 نَحْوَ هَانِيكَ الزُّبُوعِ فَاجْهَدُوا كَدَّ الْحُمُولِ
 وَإِلَى قَبْرِ الشَّعِيرِ أَعْمِلُوا سَيْرَ الرَّحِيلِ
 إِنْ تَكُنْ خَلَى مُطِيعِي بِمَنْ خَيْرَ رَسُولِ
 كُنْ لِي بِأَرْبِ مُعِينَا وَصِلِ الصَّبَّ الْحَزِينَا
 قَبْلَ أَنْ يَحِينَ حَيْنِي وَأَرَى التَّوْتِ يَتِينَا

[٢٨٠]

(١) في م : « وبكاه » .

(٢) في م : « أمني » .

تَمَّ رَحْمَتُ التَّدَانِي وَتَرْت رَجُ الْوَصَالِ
 قَدْ صَفَا وَرْدُ الْأَمَانِي فَأَنْتَهَضُ نَعْوُ التَّمَالِي
 صَاحِرْ كَمْ هَذَا التَّوَانِي فَأَسْتَفِيعُ غَذَبَ التَّمَالِ
 وَبَلِينَا وَابْتِلِينَا وَاشْ يَقُولُ النَّاسُ فِينَا
 قُمْ بِنَا يَا نُورَ عَيْنِي نَجْعَلُ الشُّكَّ بَقِينَا

وقوله في التشوق إلى مكة وطبقة ، على ساكنها الصلاة والسلام :

زَهْرُ شَيْبِ النِّفَارِي تَفْتَحَتْ عَنْهُ الْكِتَابُ
 قَابِكِ الزَّمَانِ الثُّغَارِي وَحَاكِ فِي النَّوْحِ الْحَمَامُ
 عَوْضَتْ بِالضَّبْحِ الْأَصِيلِ وَقَدْ عَرَا الْبَذْرُ انْكِسَافُ
 أَلَمْ بِالْفَضْلِ الذُّؤُولِ وَكَانَ لَدُنَا ذَا انْعِطَافُ
 رِيحُ الصَّبَا كَانَ^(١) تَمِيلُ كَأَنْ سَقَى صِرْفَ الشَّلَافِ^(٢)
 حَقَّ^(٣) رَمَى الْقَلْبَ رَاشِقُ وَفَوْقَتْ نَعْوَى السَّهَامِ
 وَلِسَانُ الْحَالِ نَاطِقُ يُخْبِرُنِي أَنْ لَا دَوَامُ
 يَا بَذْرُ أَيَّامِ الشَّجَابِ هَلْ لِأَفْوَلِ مِنْكَ^(٤) طُلُوعُ
 أَضْحَى فَوَادِي ذَا الدَّابِ حَلِيفَ أَشْجَانِ فَرْوَعُ
 وَنَارُ حُرْنِي فِي التَّهَابِ تَذَكَّرِي بِأَخْنَاهِ الضُّلُوعُ
 فَإِنْ هَذَا الْبَرَقُ خَافِقُ ذَكَرْتُ عَهْدِي بِالْحَيَامِ

(١) في ط : « فيها » .

(٢) في الأصاين : « الزلال » ، وظاهر أنه خطأ من النسخ .

(٣) في م : « حين » .

(٤) في ط : « من » .

وَإِنْ تَأَوَّمْ عَاشِقُ سَاجَدَتْ فِي دَمْعِي الْعَمَامُ
وَلَى الشَّجَابُ وَانْقَضَى فِدْمَعُ عَيْنِي فِي أَنْهَمَالِ
وَفِي الْحَشَى حَزَنُ الْفَضَا لِفَقْدِ هَاتِيكَ اللَّيَالِ
بِأَعْمَدِ أَيَّامِ الرِّضَا هَلْ رَجَعْتُ تَذَنِّي الْوَصَالِ
نَحْيًا بِهَا نَفْسُ وَأَبْقِ مُضَيَّ الْعَوَادِ مُسْتَهَامِ
نَحْوِ الْمُذْنِبِ وَبَارِقِ يَحْدُو بِرِ حَادِي الْغَرَامِ

(١) يَهْجِيهِ لَمَسُ الْبَوَارِقِ مِنْ طَبِيبَةٍ حِينَ تُسَامِ
فَإِنْ تَعُضِّي الْعَوَائِقُ أَلْصَقْتُ خَدِّي بِالرَّعَامِ

يَا دَارَ هَلْ يَدْنُو الْعَزَازُ فَيَعْتَبِ اللَّيْلَ الصَّبَاحُ
أَهْبِي عَلَى بُعْدِ الدِّيَارِ وَقَصِّ أَرْيَاسِ الْجَنَاحُ
مَتَى أَرَى أَحَدُو الْقَطَارِ فَقَدْ بَرَّانِي الْإِنْتِرَاحُ
أَشَدُّ الْمَطْلَبِ السَّوَابِقِ (٢) مَزْمَرًا عِنْدَ الْمَقَامِ :
تَغْرُ الزَّمَانِ الْمَوَافِقُ حَيَّاكَ مِنْهُ يَا بَيْتَسَامِ

[٢٨٦]

وقوله رحمه الله :

رُسُومُ ظَاهِرِ الْبَيْتِ بِكُلِّ رَمْزٍ طَائِسِ (٣) غُنُوانِ
وَرَبِّهِمْ (٤) مَا أَشْكَلَا مِنْهَا لِكُلِّ حَازِمٍ رُبِّيَانِ

(١) جاءت هذه « القفلة » في ط دون م . وكان من حقها أن تسبق بدور ذي سنة
أغصان على نظام أدوار هذه الوشحة . أو لعلها زائدة .

(٢) في م : « بالسوابق » .

(٣) في ط : « ظاهر » .

(٤) في م : « وضعهم » .

قِفْ بِالذِّبَارِ وَاعْتَصِرْ إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْعِزِّ
 وَانظُرْ^(١) لَهَا وَازْدَجِرْ فَإِنَّ فِيهَا الْأَجْرَ
 كَمْ مَغْلَرٍ قَدْ دَرَّ قَلَمَ بَيْنَ مِنْهُ أُنْزُ
 تَبْكِيهِ وَزُقُ الْقَلَا وَفِي بُكَاءِ الْعَمَامِ أُتْجَانُ
 فَلْتَنْتَدِبْ إِلَى الْعَلَا فَيَ فُؤَادِ الْهَامِ أَخْرَانُ
 سَمَاعًا مِنَ الْوُجُودِ^(٢) عَنْهُ نَفَاهُ الْعُقُولِ^(٣)
 فَفَيْبُةٌ وَشُهُودُ كَلَاهُمَا عَيْنُ الدَّلِيلِ
 حَقٌّ مَسَى بِأُورْبِ نَحْنَالُ فِي ثَوْبِ الْعُمُولِ
 تَشْكُو لَنَا الْعَلَا وَأَنْتَ يَا مَسَامِجِدَ لَانُ
 فَلَذَّ رِيعُ الْعَلَا فَمَعْنَدَا لِلثَّادِمِ إِحْسَانُ
 فَنَاهُ أَهْلَ الطَّرِيقِ هُوَ الْوُجُودُ الْمَطْلُوقُ
 فَكُلُّ مَسَى دَقِيقُ يَوْصِفُهُمْ بِحَقِّ
 أَنْوَادُهُمْ فِي شَرِيقِ بِهِمَا اسْتَقْصَا الْمَوْفُوقُ
 قَدْ أَوْضَعُوا الشُّبْلَا فَهَمَّ لَنَا فِي الْعَالَمِ بَرْهَانُ
 فَأَجْنَحَ إِلَيْهِمْ وَلَا تُغْفِلُ الْقَوَائِمُ إِيَّانُ
 بَانَا سِيًّا لَوْضَلْنَا أَبْقِظْ مِنَ النُّوْمِ الْجُفُونُ
 سَلِّمْ إِلَيْنَا فَمَلْنَا مَا كَانَ مِنْهُ أَوْ بَكُونُ
 لَأَحْوَلُ إِلَّا حَوْلَنَا فَأَنْفِ الشُّكُوكَ وَالظَّنُونُ

(١) في ط : « وانظر » .

(٢) كذلك ورد هذا الشطر بالأصابع .

(٣) في م : « عنه نفاهم العقول » .

[٢٨٧]

يَا عَادِرًا قَدْ سَلَا أَقْصِرْ قَلْبِي بِجَلِّ سُلُوفَانِ
 اللَّهُ مَا أَجْمَلًا مَنْ بَاتَ وَهُوَ بِالْهَوَى نَشُوفَانِ
 يَا طَالِبًا لِلْذِي بَغِي السَّاحَةِ وَالنَّوَالِ
 بَحْمٍ - فُذِيَتْ - أَتَحْمَدَا بَذَرَ الْمَلَا شَدَسَ الْكَلَالِ
 وَعَدَّ عَمَّنْ شَدَا وَاسْتَفَرَّقَ الْمَدَحَ وَقَالَ:
 إِنْ جِئْتَ أَرْضَ سَلَا تَلْقَاكَ بِالْكَارِمِ فَتَيَّانِ
 هُمْ سَطُورُ الْمَلَا وَيُوسُفُ بْنُ الْقَائِمِ عُتُونِ

وقوله رحمه الله :

يَا رُضِي طَيِّبَةً مَعَهُدُ شَوْقِي إِلَيْهِ مُجَدِّدُ
 هَلْ لِي بِتِلْكَ الْعُلُولِ
 مِنْ زَوْرَةٍ وَمَقِيلِ
 يَا قَبْرِ خَيْرِ رَسُولِ
 مَتَى يَرَاكَ فَيَسْعَدُ صَبَّ يَوْمِكَ مُكْشَدُ
 مَذْ قَدْ بَرَاهِ انْتِرَاحُ
 وَقَصْرٌ مِنْهُ الْجَنَاحُ
 لَهُ إِلَيْكَ اِرْتِيَاحُ
 بِالْفَرْبِ أَضْحَى مُعَيَّدُ وَالضَّغْفَرِ وَالشَّيْبُ بِشَهْدُ
 رَبِّعُ التَّوَامِلِ أَقْوَى
 فَمَنْ عَلَى الْهَجْرِ يَتَوَى
 قَدْ صَيَّرَ الْجِسْمَ نَضْوَا

سَهْمُ بِعَادٍ مُسَدَّدٌ لَقَدْ^(١) رَمَانِي فَأَقْصَدُ
 مَتَى يُتَبَّاحُ التَّدَانِي
 لِمُكْنِدِ الْقَلْبِ عَلَيَّ
 يَسْدُو بِكُلِّ لِسَانٍ
 عَسَى الَّذِي كُنْتُ أَعْهَدُ مِمَّا تَقْضَى بِجَدِّدُ
 يَا مُبْتَسِي يَا مُرَادِي
 أَشْكُوكَ قَرْمَطَ بَعَادِي
 فِي كُلِّ وَادٍ أَنَادِي :
 تَالِي غَيْرِكَ مُتَّصِدٌ فَكَيْفَ بِالْهَجْرِ أَفْصَدُ
 قَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ
 فَذَاكَ وَقْتُ عَيْكَ
 مَا لِي شَفِيعٌ لَدَيْكَ
 إِلَّا بُكَائِي سَرَّيْتُ فَمَنْ عَلَى الْعُشْنِ^(٢) يُسْعِدُ
 بِي فَأَفْعَلُ مَا نَشَأُ
 أَنْصِي لِي مِنْكَ الرَّجَاءُ
 فَكُلُّ دَاهٍ دَوَا
 وَكُلُّ رَأْيٍ^(٣) مُسَدَّدٌ وَكُلُّ أَمْرٍ مُرَشَّدٌ

(١) في ط : « حين » .

(٢) كذا في الأصلين ؛ ولعلها : « الحزن » .

(٣) في م : « رأي » .

وقوله رحمه الله :

قُمْ وَتَاجِرُ اللَّهِ فِي دَاجِيِ الْفُلْكِ
وَالْتَمِسِ الْعَفْوَ فِيهِ مُلْتَمِسٌ
عَرَفُ أَزْهَارِ الرِّصَا ثُمَّ افْتَسِ
وَأَنْتَشِ يَا صَاحِبَ أَرْوَاحِ السَّعْرِ
عَرَفُهُ إِنْ هَبَّ فِي إِثْرِ الزَّهْرِ [٢٨٨]
مَرَّغِ الْعَدَّ وَتَادِ بِالْثَجِيبِ
قِفْ بِمَفَنَاهُمْ وَفُوفِ مُشْتَرِبِ
وَأَشْكُ إِنْ وَاقَعْتَ إِمْنَاءَ الطَّيِّبِ
كَمَسَى بِالْوَصْلِ نُجَى مَا دَرَى
فَالنَّوَى مَا إِنْ عَلَيْهِ مُضَاعَبِ
يَا رَحِمَ الْخَلْقِ رَحْمَةً فَكَدْ
لَيْسَ لِلْعَبْدِ عَلَى النَّارِ جَلْدٌ
عَبْدٌ سَوْءٌ [لِحَاك] (١) فَكَدْ
مَنْ لَهُ يَوْمَ تَرَامَى بِالْشَّرَرِ
فِيهَا الْخَلْقُ (٢) مِنْ خَيْرِ الْبَشَرِ
أَنَا مَا بَيْنَ مَقَامَيْنِ مِنْهُمْ

نَنْتَشِي الْأَرْوَاحَ (٣)
وَأَنْتَبِهْ قَدْ فَاحَ
نُورَ رُشْدٍ لَاحَ
يَا لَهَا مَشْمُومَ
بُنْعَشِ الزَّكُومَ
وَاهِلِ الْأَجْفَانِ
حَالَفَ الْأَشْجَانِ
عِلَّةَ الْهَجْرَانِ
وَبَطِيبِ النِّعَمِ
وَالْبِسَادِ أَرْبَمِ
جِثِّ مَعْقٍ رَحِيبِ
وَهُوَ عَبْدٌ مُرِيبِ
يَشْكِي بِالذَّنُوبِ
زَفَرَاتِ الْبَحِيمِ
عَافِي يَا رَحِيمِ
أُورْدَتَانِي شَجَا

(١) في م : « نَتْنِي الْأَرْوَاحَ » .

(٢) السياق ووزن البيت يخضبان هذه الكلمة أو ما في معناها .

(٣) في ط : « فِيهَا نَدَا الْخَلْقَ » .

فِي فَوَادِي مِنْ دُمُوعِي كُلُّومٍ قَلَّمَا تَرْتَجِي
 وَاعْتِلَافِي بِجَنَابِ الْكَرِيمِ مُشْعِرٌ بِالنَّجَا
 هَا أَنَا فِي الْعَالَمِينَ فِي خَطَرٍ وَالْفَوَادِ سَلِيمِ
 سَلَكَ التَّوْحِيدُ فِيهِ بِالْظَّنِّ سُبُلَ نَهْجِ قَوِيمِ
 أَحْلَيْفَ الْحُزَنِ تَشْكُو بِالْبِمَادِ لَدِّمَجْدٍ^(١) أَنِيلِ
 فِي قِيَابِ الْمَجْدِ تَخْطَى بِالْمَرَادِ حَيْثُ حَلَّ الرَّسُولِ^(٢)
 عِنْدَهُ بَشْفِي مَسَدَاهُ الْفَوَادِ وَأَسْأَلُ مَنْ يَقُولُ: (٣)
 « لَيْتَنِي رَمَلْتُ الْعَرَّةَ »^(٤)

وقوله رحمه الله :

نَأَتْ فِي الْأَوْطَانِ عَنْ حَضْرَةِ الْإِحْسَانِ وَلَا مُعِينٍ
 فَمَنْ لِي أَخْزَانِ لِطَبِيبَةٍ قَدْ كَانَتْ لَهُ حَيِّينِ
 شَطَلْتُ فِي الدَّارِ فَيَا شَوْفَاهُ لَيْسَ قَرِيبِ
 أَحْبَابِهِ^(٥) سَارُوا وَالْبَيْنُ أَنْصَاهُ بِالتَّفَرِّيبِ
 فِي قَلْبِهِ نَارُ تَذْكِيهِ أَمْوَاهُ فَلْتَمَجِّبِ
 لَوْ سَابَقَ الْإِخْوَانُ فِي ذَلِكَ الْمَيْدَانِ أَضْحَى مَكِينِ

(١) كفا في ط . وفي م : « له بني مجد » .

(٢) في م : « حيثما حل » .

(٣) في ط : « وأسأل ممن » . وفي م : « وسأل مما » . ولعلها مبدلتان مما

أبتناه ، ليجري الوزن مع ما سبق .

(٤) كفا وردت هذه العبارة في م ، ولم ترد في ط .

(٥) في ط : « أشداته » .

فَحَالِفٍ^(١) الْأَتَّجَانُ وَاصْغَبْ مَعَ الْأَحْيَانِ^(٢) قَلْبًا حَزِينُ
لِلْمُؤَزَّرِ الْقَذْبِ وَالْتَهَلِ السَّلْسَلُ شَذُّوا الرَّجِيلُ [٢٨٩]
فَيَا ظَلَمًا قَلْبِي لِذَلِكَ التَّهَلُّ هَلْ مِنْ مَقِيلُ
بِسَاخَةِ الْقُرْبِ فَيُزِدُ السَّلْسَلُ حَرَّ الْقَلِيلُ
إِنْ أَمْسَكَ الْإِمَّاكَ أَنْ يَكْرَعَ الظَّلَامُ مِنْ التَّعِينِ
فِي مَشْرِبِ الرُّضْوَانِ فَذَلِكَ سَعْدٌ دَانُ لِلرَّائِدِينَ
يَا سَادِي الطُّغْرِ وَسَائِقَ الرَّكْبِ إِلَى الْعَقِيقِ
أَسِفْتُ لِلْبَيْنِ فَهَلْ إِلَى الْقُرْبِ يُبْلَى طَرِيقُ
مَتَى النَّوَى تُدْنِي مِنْ مَطْلَعِ الشُّهْبِ قَلْبًا خَفُوقُ
فَيَتَرَبَّ بُسْتَانُ لِلرُّوحِ وَالرَّبْعَانِ فِيهِ فُنُونُ
وَدَوْخُهُ الْمُرْدَانُ تَحْيَا بِهِ الْأَكْوَانُ فِي كُلِّ حِينُ
يَا خَيْرَ سِرْمُولٍ لِلْحُرِّ وَالْعَبْدِ بِالْمُعْجَزَاتِ
نِذَاهُ تَحْبُولِ نَادَى عَلَى بُدِ خَوْفِ الْمَنَاتِ
أَنْتُمْ مَتَى سُولِي وَأَنْتُمْ قَضَايِي وَلِي صِفَاتِ
تَحْيَا الْأَذَانُ وَتَقْتَضِي الْمُحِيزَانُ فَمَا يَكُونُ
مِنْ ذِي شُجُونٍ عَانُ يَتَكَيَّ بِدَوْنِ الْبَنَانُ شَادِي النُّصُونُ
يَا صَاحِرَ الْقَعْدُ أَنْ يَطْفُرَ الْأَوَاةُ بِقَصْدِهِ

(١) في ط : « حَالِف » .

(٢) في ط : « الْأَمِيَان » .

إِنْ شَفَكَ الْهُمْدُ فَنَقِ بِمَقْرِ اللَّهِ
وَدَعِ فَتَى يَشْدُو وَاللَّهُوْ قَدْ أَلْهَمَ
جَنَّانُ بَا جَنَّانُ لِجَنِّ مِنَ الْبُشْتَانِ
وَنَحْلُ الرِّيحَانِ بِحُرْمَةِ الرَّحْمَنِ
عَنْ عُبْدِهِ عَنِ رُسُلِهِ
الْيَاسَمِينِ لِلْعَاشِقِينَ

وقوله (١) رحمه الله تعالى :

لِأَحَدِ الْمُضْطَلِّ مَقَامُ
جَلِّ عِلًّا فَلَا يُرَامُ
بُنُورِهِ يَهْتَدِي الْأَنَامُ
فَأَيُّ شَمْسٍ وَأَيُّ بَدْرِ قَدْ أَطْلَعْتَهُ لَنَا الشُّمُودُ
بُنُورِهِ تُشْرِقُ الشُّمُوسُ
فِي حُبِّهِ تُخْلَعُ النُّفُوسُ
بِنَائِبِهَا الْمُسْمِعُ الرَّئِيسُ
أَدِرْ عَابَتَنَا كَكُوسٍ فَخَرٍ مِنْ ذِكْرِهِ نَعْلَقُ مَا تُرِيدُ
أَمْدَاحُ خَيْرِ الْوَزَى نَعِيمُ
نَحْنُ أَنَا نَسْ بِهَا نَهِيمُ
بَا مَا دَحِيصِهِ بِاللَّهِ قَوْمُوا
خُوضُوا بِنَا مَوْجَ بَحْرِ فَخَرٍ مَنْ مَاتَ فِيهِ فَهُوَ شَهِيدُ
السَّطْحِ فِي حُبِّهِ مُبَاحُ
وَنَحْنُ قَوْمٌ لَنَا أَرْيَاسُ
فَلَوْ بِنَا حَشَوَهَا جِرَاحُ

مِنْ نَأْيِ مَفْنَاهُ لَيْتَ شِعْرِي مَتَى بَرَى قَبْرَهُ الْعَمِيدُ

إِنْ سَمَحَ الدَّهْرُ بِالْوُصُولِ

لِقَبْرِ خَيْرِ الزَّوْجِ الرَّسُولِ

السَّيِّدِ الْأَرْفَعِ الْجَلِيلِ

فَمَنْ نَحْلَمَ رَيْكَابَ طَهْرٍ وَتُوفَى رُوحِي لَنْ تَرِيدُ

وقوله أيضا :

لَقِنِي عَلَى مَحْمَرِي^(١) وَالشَّيْبُ فِي النَّوْدِ بَدَا وَمَا قَضَيْتُ الْقَرَصَا

أَيَّامُ رَيْكَابِ الشَّجَابِ وَلَيْتَ وَلَمْ تَنْفِرِ الْإِتَابِ

فَنَارُ حَزْنِي فِي التَّهَابِ وَدَمْعُ عَيْنِي فِي انْسِكَابِ

يَا عَهْدَ أَيَّامِ الرِّصَا هَلْ رَجَعَتْ نَشْيُ السَّدى حَقًّا وَتَنْسِي الرِّصَا

إِنْ كُنْتُ مِنْ أَهْلِ الصَّفا دَعِ عَنْكَ أَوْصَافَ الْجَفَا

وَأَذْكُرْ لِرَسْمِهِ قَدْ عَفَا وَهَمَّ بِمَذْحِرِ الْمُحْطَفَى

الْمَلَأَيْمِيُّ الْمُسْتَفْعَى تَأَجَّرَ الثَّلَاثُ شَمْسِ الْهُدى لَا تَنْبَغِ مِنْهُ عِوَصَا

وَرِسْمُ رُوعَا لِلْحَبِيبِ وَأَنْزِلْ مَفْنَاهُ الرَّجِيبِ

وَلَدُ بَحْرَاهُ أَتْلَحِيبِ فَهَوَّ لِيَا نَشْكُو الطَّيِّبِ

نَادِ بِدِ مُمْرَسَا هَلْ تَنْقَلِبُونَ مُكْتَدَا قَدْ كَانَ عَنْكُمْ أَعْرَاسَا

رَمَتْ قُوَادِي النَّسْوَى وَغُضُنُ مَحْمَرِي قَدْ دَوَّى

وَالشَّوْقُ قَلْبِي قَدْ كَوَّى وَاهَا عَلَى قَدِيدِ الْقَوَى

(١) في م : دحمر .

فَقَمَى النَّوْمَى مَا قَدْ نَفَى هَلْ يَسْتَطِيعُ الْجَلْدَا قَلْبٌ عَلَى حَبْرِ النَّفَى

لَقَدْ تَنَاءَتِ الدِّيَارُ وَشَطَطَ بِي عَنْهَا التَّرَازُ

لَوْ كَانَ لِي حُكْمُ اخْتِيَارٍ مَا قَرَّ بِي عَنْهَا قَرَارُ

مَا شَاءَهُ حُكْمُ الْقَضَا يَحْرِى وَتَوَطَّأَ لَلدَى فَلَا تَكُنْ مُعْتَرِضًا

وقوله رحمه الله :

أَطْلَعَ الصُّبْحُ زَايَةَ الْفَجْرِ فَبَدَى لَكُتْمُومٌ مِنْ سِرِّى

إِنْ تَكُنْ بَاحِثًا عَنِ الْأَسْرَارِ فَأَنْتَشِقْ صَاحِرَ نَفْحَةِ الْأَسْحَارِ

وَأَطْلُ فِي الْأَسَائِلِ الْأَذْكَارَ فَهَى أَذْكَى مِنْ عَاطِرِ الْأَزْهَارِ

أَبْنِ مِلْبِيبُ اللَّسْكِ وَشَدَا^(١) الزَّهْرِ فِي دُبَى الْأَثَلِ مِنْ شَدَا^(٢) اللَّهْكَرِ

أَوْ مِنْ أَدْمَعَى وَمِنْ حُزْنِي فَجَعَهُ التَّيْنُ كَمْ رَمَى نُضْفَى

جِسْمَ مُشْتَقَى دَيْمِ الْجَفْنِ يَا عَدُوْلِي عَلَيْهِمْ عَيْ^(٣)

عَبْرَانِي تَنْهَلُ كَالْقَطْرِ وَفَوَادِي يُذَكِّي عَلَى الْبَحْرِ

شَفَنِي الْوَجْدُ فَلَجِبُوا صَدْعِي يَوْمَ يَنْتَمُ عَنْ سَاحَتِي سَلْعُ

حَدَدِ الْخَدِّ سَاكِبُ النَّعْرِ إِنْ تَعُودُوا مَتَّعَ الْجَزَعِ

بَدَلُ الْعُسْرِ مِنْهُ بِالْبَشْرِ وَأَتَنَهُ الشُّعُودُ بِالْبَشْرِ

لَيْسَ لِلْعَبَسِ مِنْكُمْ بُدٌّ قَدْ بَرَّانِي وَشَفَنِي الْبُعْدُ

(١) كذا في الأصلين . والصواب : « شدا » يدون واو العطف ، ليجرى سم

الطلم ، وهو من الحليف .

(٢) كذا في ط . وفي م : « غنى » .

مَنْ لَيْسَ أَذَابَهُ الْوَجْدُ بَاتَ فِي دَوْحِ حُرْنِهِ يَشْدُو
فِي هَوَاكُمُ اقْدُ فَنِي عُجْرِي فَالْطُّغَا بِي وَأَمْسُوا ذُعْرِي
سَيِّدِي أَنْتَ مَلَجَأُ الصَّبِّ فَأَجِرْ مِنْ ضَنَى التَّوَى قَلْبِي
إِنْ تَكُنْ لِي أَوْ إِنْ تَكُنْ حَسْبِي رَيْكَ أَشْدُو مَقَالَ ذِي عُجْبِي
(١) جَرَّرَ الذَّلِيلَ أَيْمًا جَرَّ وَصَلَ الشُّكْرَ مِنْكَ بِالشُّكْرِ (٢)

وقوله رحمه الله تعالى :

[٣٩١]

لَا تَحْدِرْ بَهَجَةً	كَافَقَسِرِ الزَّاهِرِ	فِي أَرْجَحِ السَّعْدِ
عَلَاؤُهَا يَنْسِي	بِنُورِهِ التَّجَاهِرِ	كَلَّ سَنَى تَجْدِ
فِي عَالَمِ الْقُدُسِ	قُدْسَ عُلْيَاهُ	فَنَاقَ فِي التَّحْنِ
بِالْبُذْرِ وَالشَّمْسِ	بُرْزِي لُحْيَاهُ	فَجَبَلَ عَنْ نَدِّ
لِلْجَنِّ وَالْإِنْسِ	أَرْسَلَهُ اللَّهُ	يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ
أَذَلَّ بِالْحُجَّةِ	وَأَمْرِهِ الظَّاهِرِ (٣)	مَنْ خَانَ لِلْمُهْدِ
بِالشَّرْقِ وَالْغَرْبِ	تَنَاوَاهُ الْقَاطِرِ	أَنْدَى مِنَ النَّدِّ
بَا خَيْرَ مَرْسُولٍ	مِنْ خَيْرَةِ الْخَلْقِ	أَذَابَنِي الْبُغْدُ
إِلَيْكَ يَا سُوْلِي	قَدْ قَادَنِي شَوْفِي	فَكَمْ أَرَى أَشْدُو
بِصَوْتِ حُبُولٍ	حَكَمِي غِنَا وَزِّي	هَبَّجَهَا الْوَجْدُ
عَرَفْتُ فِي لُجَّةٍ	وَلَيْسَ لِي نَاصِرُ	عَلَى جَوَى الْبُغْدِ

(١) هذا مطلع موشحة لأي بكر بن باجة .

(٢) في رواية : « وصل السكر منك بالسكر » .

(٣) في م : « الظاهر » .

إِلَّاكَ يَا حَسْبِي	وَأَدْمُحُ النَّاطِرُ	تَهْلِكُ فِي الْخَلْدِ
إِنْ عَاتَيْتِي ذَنْبِي	عَنِ ذَلِكَ التَّمَنَّى	فَلَيْسَ لِي حَوْلُ
وَصَكَيْتِ بِالْفَرْبِ	لِلْهَائِمِ الْمَضَى	وَيَبْنَا سُبُلُ
تُذِيبُ بِالْكَرْبِ	جِسْمًا ذَوَى خُرْنَا	وَشَفَهُ الْخَلِيلُ
إِلَيْكُمْ وَجَّهَ	وَجَّهًا غَدَا حَائِرُ	وَالدَّمْعُ فِي الْخَلْدِ
بِهَيْلٍ كَالشَّجْبِ	وَزَفَرَةُ الْخَاطِرِ	زُلْهَبُ الْوَقْدِ
يَا سَامِعَ التَّجْوَى	إِلَيْكَ أَوْصَابِي	تَشْكُو بِأَوْصَالِي
تَرَكْنِي يَفْسُوا	أَلُوذُ بِالْبَابِ	مُقَسِّمَ الْبَالِ
إِنْ كَانَ بِالْجَوَى	لِعُلُولِ أَغْيَابِي	أَسْأَلُكُمْ حَالِي
فَقَلْبُكُمْ ^(١) رَجَّهَ	بِهَا أَرَى حَالِي ^(٢)	إِنْ لَمْ تَكُنْ نَدَى ^(٣)
أَعُودُ بِالْحُبِّ	مِنْ أَمْرِكَ الْأَمْرِ	بِالْبُعْدِ لِلْعَبْدِ
عُحِبُّ مَنْ تُعْذِي	لِقَبْرِهِ الشَّجْبُ	السَّيِّدِ الطَّاهِرِ
هَمٌّ دَائِبًا وَجَدَا	بِأُيُهَا الصَّبِّ	وَعَدَّ عَنْ خَاطِرِ
مَنْ قَالَ إِذَا أُوْدَى	بِقَلْبِهِ الصَّبِّ	قَوْلًا غَدَا سَائِرِ
بِدَانِ ^(٤) الْهَجَةِ	وَزُرْعَةُ النَّاطِرِ	وَجَنَّةُ الْخَلْدِ
وَبُنْيَةُ الْقَلْبِ	وَرَاغَةُ الْخَاطِرِ	فِي ذَلِكَ الْخَلْدِ

[٣٩٧]

(١) كذا في م . وفي ط : « فليكم » . والمعنى — على كلتا الروايتين — غير واضح .

(٢) في ط : « خاسر » .

(٣) في م : « رندى » .

(٤) في الأصناف : « براكم » . ولعلها معرفة مما أبتناه .

وقوله ، رحمه الله تعالى :

لَا حَمْدَ تَعْنُو الْأَقْمَازَ	فَعَدَّدَ فَخَّازَةَ
وَأَنْظِمَ ثَنَاءُ أَشْمَازَ	وَلَا زِمَ وَفَازَةَ
لَا حَمْدَ بَدَّرِ الْأَفْقِ	وَشَمْسِ الْعَالِي
تَأْجِجُ نَارُ الشُّوقِ	وَكَيْفَ أَحْتِيَإِ
لَيْنَ قَارَ أَهْلُ السَّبْقِ	بَذَاكَ السَّكَالِ
وَحَلُّوا بِهَانِيكَ الدَّارَ	وَحَازُوا جَوَازَةَ
فَبِى الْقَلْبِ نَارُ الْأَفْكَازَ	قَدْ أَذْكَتْ أَوَارَةَ
سَاحِدِ الرَّكْبِ بَلَغَ عَنَى	مَسَلَامًا كَثِيرًا ^(١)
وَقُلْ مُغْرَمٌ ذُو حَزْنٍ	قَدْ أَضْحَى أَسِيرًا
أَمْسَتْهُ سِهَامُ التَّيْنِ	لَمْ يَلْفَ نَصِيرًا
وَقَدْ أَبْغَدَتْهُ الْأَفْدَاذَ	وَالْخَزْنُ أَتَارَةَ
فِي الْقَلْبِ ثَنَائِي الْأَقْطَازَ	يُضْرِمُ نَارَةَ
إِذَا لَاحَ لَنْعُ الْبَرْقِ	مِنْ أَكْثَافِ نَجْدِ
دَعَايِ إِلَيْهِ شَوْقِي	وَإِفْرَاطُ وَجْدِي
إِلَى قَبْرِ خَيْرِ الْخَلْقِ	سَاجِدُ جَهْدِي
لَعَلِّي أَفْعَى الْأَوْطَازَ	وَأَعْطَى مَرَاةَ

(١) كذا في م . وفي ط : « أسيرا » . ولعلها هذه الأخيرة بحرفة عن « أنبرا » .

فَقَسَىٰ تُنَحَّى الْأَوْزَارُ إِذَا زُرْتُ دَارَهُ
 يَا حَادِي شَوْقِي زَمَرُمُ بِذِكْرِ الْعَجِيبِ
 يَا حَرَّ وَجْهِي ضَرَمُ نِيرَانِ الْوَجِيبِ
 يَا دَنَسَ عَيْنِي أَرْزَمُ بِحَدِّ الْكَثِيبِ
 دُسُومَ سُلُورِ التَّدْكَارِ لِرُبْعِ أُنَاكِهِ
 سَمَا نُورٍ وَجْهِ الْخُفَارِ قَدْ أَغْلَى^(١) مَنَارَهُ
 أَبَا رَبِّ بِالْمُخْتَارِ وَالصَّخْبِ الْكَرَامِ
 قَرَبَ قُرْبَ نَائِي الدَّارِ^(٢) مِنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ
 وَأَغْفِرَ قَوْلِ^(٣) ذِي إِصْرَارِ غَفَى فِي هَيْبَامِ
 مَنْ يَرُونِي دَارَ الْمَطَارِ بِذُرَا التَّمَارَةِ
 ثِيَابِي وَمَا تَحْوِي الدَّارِ^(٤) نَعْمَلِهِ الْبَشَارَةِ

وقوله ، رحمه الله تعالى :

أَوْزَنْتُ قَلْبِي خَبَلًا
 زَفَرَاتُ شَوْقِي مُدْنَفًا
 أَوْ مِنْ فَرْطِ الْوَجِيبِ مِنْكُمْ لَمْ يَعْطَ وَصَلًا
 قَدْ أَذَابَتْهُ الشُّجُونُ وَالْبُكَاءُ وَالْأَيْنُ
 نَحْوَكُمْ لَهُ حَيْنُ أَبَدًا بِرِ يَدَيْنِ

(١) في م : « ضبا » .

(٢) في م : « قرب نائي الدار » .

(٣) في ط : « قوى » .

(٤) رواية هذا الشطر في ط : « وما تحوى الدار » . والصواب عن م .

دَمْعُ خَدِيدِ الْهَيُونِ دَمِيتَ مِنْهُ ^(١) الْبُحُونُ
 يَا سَتَا ^(٢) يَا حَلِيبي عَوْنُكُمْ عَنِّي أَوْلَى
 لَمْ تَزَلْ ^(٣) بِالْأَطْفِ تُوصَفُ فَأَنْلَ عِبْدَكَ فَضْلاً
 لَمْ تَزَلْ بِي فِي أُمُورِي سَيِّدِي مَوْلَى لَطِيفَا
 أَنْتَ مَوْلَايَ نَصِيرِي فَاجْبُرِ الْعَبْدَ الضَّعِيفَا
 مَنْ عَذِيرِي أَوْ مَجِيرِي إِنْ أَطَلَّتْ بِي الْوُفُؤَا
 يَا رَيْسِي عِصْبِ الْعَصِيبِ وَسِجِلِ الضَّخْفِ يُثْقَلُ
 وَقُلُوبُ الْخَلْقِ تَرْجِفُ وَلِنَاكِ الْعَوْفِ تَمُتَلُ
 بِالْثَقِي بِالْقَمَلِ ^(٤) [بِالرَّفْعِ] الْقَنْدَرِ أَحَدُ
 وَعَتِيقِ الرُّمَى وَأَبِي حَفْصِ الْمَجْدِ
 وَالشَّهِيدِ وَعَلَى عُرْرِ الْفَخْرِ الْمُؤَبَّدِ
 نَحْوِ سَاحَاتِ الْحَبِيبِ فَلْتَبَسَّرْ لِي مُبْلَا
 قَمَتِي بِالْقُرْبِ أَسْمَفُ أَوْ أَرَى لِدَاكَ أَهْلَا
 يَا حُدَاةَ الْعَيْسِ عَنِّي فَاجْلُوا نَحْوَ الْعَقِيقِ
 أَسَفِي وَطُولِ حُزْنِي وَبُكَائِي وَشَهِيمَتِي
 عَلَيَّ بِالْعَفِيفِ ^(٥) أَجْنِي زَهَرَ إِبَانِ الْحُوقِ

[٣٩٤]

(١) في ط هنا : « به الحفون » وفي مجز البيت الذي قبله : « منه بدن » . ولعل

الناسخ وضع كلام من حرفي الجر مكان الآخر .

(٢) كذا في م . وفي ط : « يا سَتَا » .

(٣) في ط : « لا تزال » . وما أبتناه من م .

(٤) هذه الكلمة أو ما في معناها بفتحة السين .

(٥) في ط : « بالحقوف » .

هَلْ لَصَبٍ مِنْ نَصِيبِ فَيَمُودَ الْهَجْرُ وَصَلَا
يَا زَمَانَ الْقُرْبِ اعْطِنِ وَأَنْلِ مُنْكَاتِكَ تَمَلَا^(١)

سَيِّدِي قَدْ ذُبْتُ حُرْنَا لَا تُغَيِّبْ فِيكَ قَصْدِي
وَأَنْلِنِي مِنْكَ حُسْنِي^(٢) قَدْ بَرَأَى طَوْلُ بَعْدِي
وَاعْتَنِرْ قَوْلَ مُسَيِّ هَامَا يَشْكُو بُوْجْدِي
يَا فُلَانُ إِنْ زُرْتَ حَيِّي افْتِلِ أَذْنُو بِالرَّسِيلَا
لَيْشْ أَخَذَ عُنَى الْخُشْيَفِ وَسَرَقَ قَمَّ الْحُجَيْلَا^(٣)

انتهى ما قصدته من موشحات هذا الشيخ النبوية .

وأما نظمه في غير الموشحات ، فنه قوله رحمه الله :

نظم الجنبلي في
غير الموشحات

هَبْ النَّسِيمُ بِطَيْبِ ذِكْرِ الْمَادِي فَتَارَجَتْ نَفَحَاتُ عَرَفِ النَّادِي
يَا شَادِيَا يَشْدُو بِمَدْحِ مُحَمَّدٍ كَرَّرْ قَدَيْتُكَ مَدَحُهُ يَا شَادِي
كَرَّرْ عَلَى الْأَشَاعِرِ ذِكْرَ مُحَمَّدٍ فَلَيْدَ كَرِّهِ بَرْدٌ عَلَى الْأَكْبَادِ
وَأَعِذْ عَلَيْنَا نَظْمَ فَخْرٍ هَلَالٍ مِنْ بَهْرِ الْوَرَى مِنْ حَاشِرٍ أَوْ بَادِي
هُوَ ذِرْوَةُ الْمَجْدِ الْأَيْمِلِ وَقُطْبُهُ هُوَ صَفْوَةُ الْأَشْرَافِ وَالْأَعْبَادِ
هُوَ بَحْرُ جُودٍ فَأَضْ عَذْبُ نَوَالِهِ وَصَفَتْ مَوَارِدُهُ لَدَى الْوَرَادِ
هُوَ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ وَالْمُخْتَارِ مِنْ أَعْلَى نِجَارِ^(٤) جَلَّ عَنْ أَنْدَادِ

(١) في م : « نيل » .

(٢) في الأصاين : « حسنا » . وما أبتناه أول .

(٣) هذه الحجة من زجل البيه ، وقد وردت في صفحة ٢١٨ من هذا الجزء باختلاف في بعض الكلمات ، فلتراجع .

(٤) في الأصاين : « نغار » . وما أبتناه أحق بالسياق .

هُوَ مُنْتَهَى أَمَلٍ وَمَلْجَأُ مَفْرَعٍ هُوَ شَمْسُ إِسْنَى وَبَدْرُ رَشَادِي
هُوَ عَصِيٌّ مِمَّا أَخَافُ وَحُبُّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْغُلُوبِ عَرَادِي
إِشْرَاقُ كُلِّ النَّيِّرَاتِ وَحُسْنُهَا مِنْ نُورِ حُسْنِ شَهَابِهِ الْوَقَادِي
لَا تَعْجَبُوا فَعَيْنَاةُ الْمُخْتَارِ قَدْ خَرَقَتْ قِيَاسَ الْعَقْلِ فِي الْعَمَادِي
شَوْقِي إِلَى ذَلِكَ التَّقَامِ أَتَاوَهُ حُزْنُ تَأَلُّبِ لَمَحَةِ بَغْوَادِي
كَأَوْجِ مُكْتَتِبٍ وَمَا قَدْ شَفَعَهُ مِنْ قَرْمِطِ أَحْزَانٍ وَطُولِ بِنَادِي
كَمْ رَأَى قُرْبَ الدَّارِ مِنْ أَحْبَابِهِ لَوْ أَسْعَفَ التَّمَدُّورُ بِالْإِسْعَادِي
كَمْ رَأَى أَنْ يَشْفِي بِزَوْرَتِهِ ظِلَّ قَلْبٍ إِلَى تِلْكَ الْعَاهِدِ مَكَادِي
أَيَّامٍ أَطْلَعَ بِدْرُ حُسْنِ شَهَابِهِ مِنْ فَوْقِ نَاعِمِ غُصْنِهِ الْمِيَادِي
فَالآنَ قَدْ لَمِعَتْ بِهِ أَيَّامُهُ وَعَدَّتْ عَلَيْهِ الْمَشِيبُ عَوَادِي
شَيْبٌ وَصَفَتْ وَأَنْبَرَا حُ مَوَاطِنِ فَتَى يُبَيِّحُ الدَّعْرُ كَيْلَ مِرَادِي
لَهْفِي عَلَى مُهْمٍ تَصَرَّمٍ وَأَنْقَمَى أَفْنَيْتِ رِفَاهٍ طَارِفِي وَرِلَادِي
فَلَا تُزَحِّنْ مَذَامِي أَسَفًا عَلَى مَا قَدَّمْتَهُ يَدِي لِجُودِ مَعَادِي
يَا حَادِي الْأَطْلَانِ يَا أَمَلِ طَلِيئَةٍ أَقْصَصْ قَدَبَتِكَ قِصَّتِي يَا حَادِي
وَأَنْزِلْ بِهَانِيكَ الزُّبُوعَ وَقِفْ عَلَى نَادِي الدَّادِي إِنْ عَرَضَتْ وَنَادِي
هَذَا أَسِيرُ بِكَادِكُمْ أَجْفَانُهُ تَحْكِي بِقَيْضِ الدَّمْعِ سَحْبَ عَهَادِي
فَتَى عَلَى بَعْدِ الدِّيَارِ وَشَحْطِهَا^(١) يَحْفَلُ بِوَسْطِكُمْ حَلِيفُ سُهَادِي
فَعَلِيكُمْ مَنَى سَلَامٍ حَلِيبُ مَا نَاحَ غَرِيدُ بِسَرْخَةِ وَادِي

[٣٩٠]

وقوله رحمه الله :

لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ يَا بَدْرُ جَدِيدِ نَظَائِمِي

سَأَنْظِمُ مِنْ فُخْرِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

(١) في م : «وشطها» .

تَسْوَعُ طَيْبًا عَرَفَهَا فَكَلَّاهُ تَصَوُّعُ أَزْهَارٍ بَدَتْ مِنْ كِيَامِهَا
 سَجَالًا أَبَتْ إِلَّا التَّمَاكِينَ مَنْزِلًا فَتَأَقَّى عَلَى الْقَلْبَاءِ عِلْقُ^(١) مَقَامِهَا
 خِلَالًا إِذَا لَاحَتْ قِيَابٌ لَدَى غَلَا تُنْفِثُ فَتَعْلُوهَا قِيَابُ خِيَامِهَا
 إِذَا يَحْمُوا يَوْمًا إِمَامًا مَسْكَامِ فَأَحْمَدُ قَدْ أَضْحَى إِمَامَ إِيَامِهَا
 فَسَكَمَ دُورُ غَلَا أَوْ تَمَّا لِدَرْكِ مَقَامِهَا فَمَرَّ وَلَمْ يَذْكُرْ سَرَائِي سِرَامِهَا
 وَكَمْ ظَاهِي قَدْ زَامَ بِرُؤَى رِبْرِبِهَا قَابَ وَقَدْ أَضْحَى عَلِيلُ^(٢) أَوَامِهَا
 لِدَاكِ اللَّيْلِ قَلْبِي مَشُوقٌ بِحَبِيبِهِمْ وَقَدْ شُوقْتُ^(٣) نَفْسِي بِطُولِ مَقَامِهَا
 فَلَهُ عَيْنٌ لَا تَمَلُّهُ بُسْكَاءُهَا وَقَدْ حُرِمْتُ فِيهِ لَدَيْدُ مَنَامِهَا
 وَنَفْسٌ عَلَى مُعْدٍ الدِّيَارِ قَرِيبَةٌ تُطَارِحُ فِي الْبَلْوَى حَمَامَ حِمَامِهَا
 وَعَمْرٌ مَضَتْ أَيَّامُ شُرُخِ شَبَابِهِ وَقَدْ قَدَّصَرَفَ الدَّهْرُ غُضْنَ قَوَامِهَا
 قِيَانَسْمَةُ الْأَسْحَارِ مِنْ نَحْوِ يَثْرِبٍ أَلَيْسَ بِنَفْسٍ قَدْ ذَوَتْ بِضِرَامِهَا
 وَتَا حَادِي الْأَطْلَعَانِ نَحْوَ قِيَابِهِمْ أَلَا فَأَخْصَصُ الْقَلْبِيَا بِطَيْبِ سَلَامِهَا^(٤)

ومن ذلك قوله رحمه الله مُحَسَّنًا شعراً المعبره :

ومن غريبه

أَلَا هَلْ إِلَى وَادِي الْعَفِيقِ طَرِيقُ
 فَقَدْ هَاجَ شَوْقًا^(٥) لِلدِّيَارِ مَشُوقُ
 يَقُولُ وَفِي الْأَكْبَادِ مِنْهُ خَفُوقُ

دُمُوعِي عَلَى وَادِي التَّقِيقِ عَفِيقُ وَلِي زَفَرَةٌ تَحْدُو بِهَا وَتَسُوقُ [٢٩٦]

(١) كذا في م . وفي ط : « علو » .

(٢) في ط : « غليل » .

(٣) في ط : « سولت » .

(٤) في ط : « بطول » .

(٥) في م : « شوق » .

إِذَا مَا حَدَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ دَاجُ
 نَحْرِ كَيْ نَحْوِ الْعَيْقِ كَوَاعِجُ
 وَعِنْدِي مِنَ الشَّوْقِ الْمُبْرَحِ هَامُجُ
 وَفِي كَيْدِي مِنَ كَوَاعِ التَّيْنِ لَاعِجُ
 يَهْبِجُ بِهَا تَيْنَ الشَّلُوعِ حَرِيقُ
 وَلَمَّا جَرَتْ بِي نَحْوَ مَلَبَّةٍ أَسْعَدِي
 وَبُلَّغْتُ آمَالِي وَأُرْتَبْتُ مَقْصِدِي
 وَأَوْرَدَنِي التَّوْفِيقُ أَعْظَمَ مَوْرِدُ
 تَقَلَّرْتُ فَقَالُوا إِنَّ ذَا قَهْرٍ أَجْدُ
 وَذَلِكَ أَبُو حَفْصٍ وَذَلِكَ عَتِيقُ
 فَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّنِي شِمْتُ بَارِقًا
 فَفَتَّ^(١) الْجَلُوسَى مِنْ ضُلُوعَا حَوَافِقَا
 وَأَبْدَيْتُ وَجْدًا لِلْعَوَائِدِ خَارِقَا
 فَمَا تَمَلَّكَتْ عَيْنِي دُمُوعًا سَوَاقِبَا
 وَلَا هَدَأَتْ لِي زَفَرَةٌ وَشَهِيقُ
 بِذِكْرِكَ يَا خَيْرَ الْأَنَامِ تَلَذُّدِي
 وَبِأَسْمِكَ مِنْ خُطْبِ الْبُعَادِ تَعَوُّدِي
 وَمَا زَالَ قَلْبِي بِإِسْنَادِكَ يَفْتَنَدِي
 أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ خُبْرَكَ مُنْقَذِي
 وَإِنِّي لَفِي بَحْرِ الدُّنُوبِ غَرِيقُ
 عَلَيْكَ مَدَى^(٢) الْأَحْيَانِ تَهْلُ أَدْمُعِي
 وَفِيكَ وَإِنْ أَبَدْتُ مَا زَالَ مَطْلَعِي
 شَفِيعِي حَقِّي لِلَّذِي لِلرُّقْعِ
 وَهَلْ تُعْرِقَنَّ النَّارُ قَلْبِي وَأَضْلُمِي
 وَخُبْرَكَ فِي قَلْبِي وَأَنْتَ رَفِيقُ

(١) كذا في م . وفي ط : « فترت » . (٢) في م : « مع » .

تَنَافُوكَ رِيحَانِي وَمِسْكِي وَتَسْتَذِلُّ
عَلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ كُلُّ مُتَوَلِّ
حَنَاتِيكَ لِلْقَلْبِ الثَّيِّمِ فَابْذُلِ
فَكَمْ فِيهِ مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ وَرَبِّكَ بِالْوَعْدِ الْكَرِيمِ حَقِيقُ
قُلْتُ : وَلَنَجْعَلَ آخِرَ مَا أوردنا ^(١) من أمثاله النبوية قوله :

من نظمه في
مدح النبي

تَرَكْتُ امْتِنَادَ الْعَالَمِينَ وَلَذْتُ مِنْ مَدَامَحِ خَيْرِ الْخَلْقِ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى
سَاجِدُهَا كَهَنِي وَحِصْنِي وَسَلْبِي لَقَى بِالْأَمْدَاحِ أَشْفَوْجِبُ الْعِشْقَا
نَسَأَلُ اللَّهَ ، بِجَاهِ هَذَا النَّبِيِّ الشَّرِيفِ الْقَدَرِ ، الْعَظِيمِ الْمَرْيَّةِ ، أَنْ يُعْتَقِنَا
مِنَ الْفَارِ ، وَيُجِيرَنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ وَرَزِيَّةٍ ، وَأَنْ يُسَهِّلَ
عَلَيْنَا زِيَارَتَهُ الْعَظِيمَةَ الْبَرَكَاتِ ، وَأَنْ يُلْطَفَ بِنَا فِي السَّكَنَاتِ وَالْعَرَكَاتِ .

وقد عَنَى لِي لَمَّا ذَكَرْتُ كَلَامَ ابْنِ خَلْدُونَ فِي الْمَوْشَعَاتِ أَنْ أَذْكَرَ كَلَامَ
الإمام ابن خاتمة .

لابن خاتمة في
الموشعات

[٢٩٧]

فَالرَّحِمَةُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ « مَرْيَّةُ لِلرَّيَّةِ » فِي بَابِ مُحَمَّدٍ ، مَا نَصَهُ :
« مُحَمَّدٌ ^(٢) بِنُ عِبَادَةٍ ، يَكْنَى أَبَا بَكْرٍ ، وَيُعرفُ بِالْقَرَّازِ ، وَأَحْسِبُهُ مِنْ أَهْلِ
مَالِكَةٍ ، كَانَ مِنْ صُدُورِ الْأَدْبَاءِ ، وَمَشَاهِيرِ الشُّعْرَاءِ الْأَلْيَاءِ ؛ وَبِمَنْ لَهُ بَاعٌ فَسِيحٌ ،
فِي طَرِيقَةِ التَّوَشُّيحِ ؛ حَتَّى طَارَ اسْمُهُ فِيهَا كُلُّ مَطَارٍ ، وَاشْتَهَرَ بِهَا نَظْمُهُ أَيْ
اشْتَهَارَ . وَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ مِنْ مَخْرَعَاتِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ ، وَمُبْتَدَعَاتِهِمُ الْآخِذَةُ

(١) في ط : « أوردناه » .

(٢) انظر ترجمة محمد بن عبادة هذا في القسم الثاني من السيرة لابن بسام .

بالأنفُس ؛ هم الذين نَهَجُوا^(١) سبيلها ، ووضعوا مَحْصُولها .

قال أبو الحسن بن بسام : وأول من صنع أوزان هذه اللوشحات بأقننا ، واخترع طريقها^(٢) ، فيها بلغنى ، محمد بن محمود^(٣) القَهْرِيّ الفَرَسِيّ ، وكان يصنعها^(٤) على أعاريض أشطار الأشعار ، غير أن أكثرها على الأعاريض للمهلة ، غير المستعملة ، يأخذ اللفظ العامي أو المعجبي ، يسميه الرِّكَزُ ، ويضع عليه اللوشحة ، من غير تضمين فيها ولا أغصان . وقيل إن أبا عمر أحمد بن عبد ربّه ، صاحب كتاب « العقد » هو أول من سبق إلى هذا النوع من اللوشحات .

وحكى الكاتب أبو الحسن على بن سعيد التَّنَسُّي في كتابه « المُفْتَقَط » من أزهار العُرُف : أن الحِجَارِيّ ذكر في كتابه « المُصَنَّب في غرائب اللُغَر » أن المحترق لها بحجزة الأندلس المُقَدَّم بن مُمَاقِي^(٥) القَهْرِيّ ، من شعراء الأمير عبد الله الرواني ، وأخذها عنه أبو محمد بن عَبدِ ربّه ، صاحب « العقد » ، ثم غلّبيهما عليه المتأخرون . وأول من برع فيه منهم عُبادة بن القُرَاز ، شاعر العتصم صاحب العَرَبِيَّة .

قال الأستاذ أبو الحسن على بن سَمَد الخَيْر البَلْخَنَسِيّ في كتابه : « نَزْهَة الأَنْفُس ، وروضة التَّأَنُّس ، في توشيح أهل الأندلس » ضمنه عشرين وشّاحا ، على طريقاتهم في الإجابة والإحسان :

المُبَادِيُون ثلاثة : ابنُ ماء السَّيَاء ؛ وهو عُبادة بن عبد الله بن محمد بن عُبادة

(١) في م : « نَحُوا » .

(٢) مكان ماين الفرسين في الأصلين : « وأول من اخترعها » وما أثبتناه من القسيرة لابن بسام ، طيبة الجامعة المصرية (ج ٣ ص ١) .

(٣) في القسيرة : « محمود » .

(٤) في م : « يصنعها » .

(٥) في الأصلين هنا : « المقدم أبو مُمَاقِي » .

ابن ماء السماء بن أفلح بن الحسين بن سعيد بن قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي [٣٩٨] الأنصاري، من أهل مَالَقَة. وعبادة بن محمد بن عبادة الأقرع، ومحمد بن^(١) عبادة القرّاز هذا.

قال الأستاذ أبو جعفر: وكان محمد بن عبادة من شعراء المعتصم، فوشعه منها بكل دُرٍّ مُنتظم، وعقد بمعنى البلاغة والبراعة مُلْتَمِمْ. ومن أغرّف ما وقع له في للديح من التوشيع، مَوْشَحْتُهُ التي أوَّلُها:

كَمْ فِي الْقُدُودِ اللَّيَّانِ نَحَتَ اللَّامِ مِنْ أَفْقَرِ عَوَاطِي
ومن أغرّف ما وقع له في خلاها من حسن الائتِثام، وسهولة النظام، ما يُندَرُ وجود مثله في منشور الكلام، وذلك في أحد سِرا كِزها حيث يقول:

لَمَّا عَزَّادًا قَادِرًا أَضْحَى فَايِلَ^(٢) التَّمَذَّلَةَ

يَا حَاكِمًا حَاطَرًا قَتَلْتَ مَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ

سَطَوْتَ بِالْهَيْمَانِ^(٣) طَلَمًا وَلَمْ تَسْتَبْصِرْ يَا سَاطِي

خَفَ سَطَوَةُ الرَّحْمَنِ إِذَا حَكَمَ بَيْنَ الْبَرَى وَالْحَاطِي

ويخرج في هذه الوشعة على قوله:

مَا أَمْنَعَ السُّهْرَجَانَ وَقُلْ يَمُّ كَالْتَنْصِيرِ لِلِسَوَاطِي

وَالْفَلَكِ كَالْعِقْبَانِ وَالْمُعْصِمِ بِالْمُسْكِرِ فِي الشَّاطِي

ثم قال ابن خاتمة: «ومن شعره ما أنشده الأديب أبو أحمد، جعفر بن إبراهيم ابن الحاجّ المَعَاوَرِي في كتابه «محْك»^(٤) الشعر» ونسبه إليه:

(١) قيا من من عبارة ابن سعيد «... عبادة بن القرّاز». ولما نقل عن ابن خلدون

في هذا الجزء (ص ٢٠٧): «عبادة القرّاز».

(٢) في ط «مزب»، وهي بمعناها.

(٣) في ط: «بالهيمان».

(٤) في م: «بجد».

أودع نُوَادِي حُرُفًا أَوْدَعِ ذَانِكَ تَرَدَى أَنْتَ فِي أَضْلَعِي
وَأَزِمِ رِيهَامَ اللَّحْظِ أَوْ كُنْهَا أَنْتَ بَمَا تَرْمِي مُسَابَّ مَعِي
مَوْفَعُهَا قَلْبِي وَأَنْتَ الَّذِي مَسْكِنُهُ فِي ذَلِكَ التَّوَضُّعِ
وله رحمه الله :

[٢٩٩] أَنْظِرْ إِلَى الْبَدْرِ الَّذِي لَاحَ لَكَ فِي وَسْطِ اللَّيْلِ تَحْتَ الْحَلَكِ
فَدَجَّلَ الْبَحْرَ مَاءً لَهُ وَأَنْخَذَ الْفَلَكَ مَسَكَانَ الْفَلَكَ

وحضر مجلس المعتصم ابن صباح وبين أيديهم ورد مصبوب ، فبرز من داخل وردة منها الحيوان الأخضر ، للوجود في الورد ، وتسميه العرب البقران^(١) فقال له المعتصم : صفه ، فقال :

وَأَخْضَرَ حَادِي^(٢) فِي الْوَرْدِ لَأْمَحْ عَلَى صَنْحِ وَرْدٍ حُسْنُهُ مُتَنَاهِي
كَأَخْذَتْ حُسْنَاءُ فَصْنَ زُمُرِدٍ بِصُفْرَةٍ مِسْوَالِكٍ وَحُمْرٍ شِفَاهِي
وكتب يوما إلى المعتصم وقد تأخرت صلات شعرائه :

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي حَارَ الْعُلَا مَعْنُ أَبُوهُ وَخَالُهُ الْمَنْصُورُ
بِفَنَاءِ قَصْرِكَ عَصْبَةُ أَدِيبَةٍ لَا زَالَ وَهُوَ بِشِعْرِهِمْ مَعْمُورُ
زَفَوْا إِلَيْكَ بَنَاتِ أَفْكَارِهِمْ وَاسْتَبْطَنُوا قُهُمُوهُنَّ قُصُورُ

انتهى كلام ابن خاتمة ، رحمه الله تعالى :

(١) كذا في ط ، وفي م : « البقران » . ولم نجد في المعاجم اسم دويبة تكون في الورد بأحد هذين المصطلحين . ووجدنا لفظة « قشبان » اسما لدويبة كالخنفساء تكون في اللبسات .

(٢) كذا في ط ، وفي م : « حادى » . والمعنى غير ظاهر على الروايتين .

رجع

وحيث انتهينا إلى هذا المقدار ، من الخروج عن أصل الترجمة ، فَلَقَدْ بَدَأَ الْعِنَانُ إِلَى مَا أَلْمَنَّا بِهِ أَوَّلًا مِنْ ذِكْرِ سَبْتَةِ . أعادها الله ، فنقول :

بعض ما ورد
من الآثار في
سبته

إن بعض الفقهاء يذكر في شأن سَبْتَةِ حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي أَسْرِهِ ، وَقَدْ حَدَّثَ بِهِ الْفَقِيه أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ [بْنُ مُحَمَّدٍ] ^(١) ابْنُ يَحْيَى السَّرَّاجُ ، عَنْ جَدِّهِ الْعَلَامَةِ أَبِي زَكَرِيَا السَّرَّاجِ ، قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو الْبَرَكَاتِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ الْغَافِقِيُّ ^(٢) ، حَدَّثَنَا ^(٣) مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ الْأَزْدِيُّ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ^(٤) بْنُ حَسَنِ بْنِ عَطِيَّةٍ ، هُوَ ابْنُ غَازِي ، حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ عِيَّاضُ ، [حَدَّثَنَا] ^(٥) أَحْمَدُ بْنُ قَاسِمٍ ، أَبُو الْعَبَّاسِ الصَّنَهْجَانِيُّ ، شَيْخٌ لَا بَأْسَ بِهِ ، أَنبَأَنَا أَبُو عَلِيٍّ بْنُ خَالِدٍ ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى ، قَالَ [حَدَّثَنَا] ^(٦) أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الشَّيْخِ ، [حَدَّثَنَا] ^(٧) وَهْبُ بْنُ مُبَسَّرَةَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ وَضَّاحٍ ، عَنْ سُحُنُونَ ، عَنْ ابْنِ الْقَاسِمِ ، عَنْ [١٠٠] مَالِكٍ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنْ ابْنِ عَمْرٍ ، قَالَ :

« مَدِينَةُ الْمَغْرِبِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّهَا عَلَى جَمْعِ بَحْرَيْنِ الْمَغْرِبِ ، وَهِيَ مَدِينَةٌ بَنَاهَا سَبْتُ بْنُ سَامَ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَاشْتَقَّ لَهَا اسْمًا مِنْ اسْمِهِ ، فَهِيَ سَبْتَةٌ ، وَدَعَا لَهَا بِالْبِرْكَةِ وَالنَّهْصَرِ ، فَلَا يَرِيدُ أَحَدٌ بِهَا سِوَا إِلَّا رَدَّ اللَّهُ دَائِرَةَ السُّوءِ عَلَيْهِ » .

(١) التكملة عن م .

(٢) في م : « الشافعي » .

(٣) في ط « ابن » مكان قوله حدثنا . والتصويب عن م .

(٤) في ط : « بن عمر » مكان قوله : « حدثنا محمد » :

هكذا ذكره الشيخ الإمام الحافظ ، سيدى أبو عبد الله محمد ابن الشيخ العالم الرباني ، سيدى الحسن بن مخلوف التليساني — رحمه الله — فى شرحه للشفاء ، ورواه عن شيخه أبى عبد الله السراج المذكور ، بالسند المذكور ، وقال بإثره : **تَرَكَّدَ رَأَى الْقَاضِي عِيَّاضُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ ، فِي الْغُنْيَةِ (١) : « أَنَا بَرَاءٌ (٢) مِنْ عَهْدَةِ هَذَا الْحَدِيثِ » . وَفِيهِ : « هَذَا حَدِيثٌ مُضَوَّعٌ . وَابْنُ الشَّيْخِ لَا يُبَيِّنُهُ ، وَلَا أُدْرِي مِنْ [أَيْنَ] (٣) دَخَلَ عَلَيْهِ (٤) هَذَا » . وَفِي الْمَدَارِكِ (٥) : « هُوَ حَدِيثٌ رَوَاهُ ابْنُ الشَّيْخِ عَنْ وَهْبِ بْنِ مَيْسَرَةَ ، يَرْفَعُهُ إِلَى مَالِكٍ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنْ ابْنِ عُمر : أَنَّ فِي أَقْصَى الْقَرْبِ ، عَلَى سَاحِلٍ مِنْ سَوَاحِلِ الْبَحْرِ ، مَدِينَةً تَسْمَى سَبْتَةَ ، أَمْسَاهَا رَجُلٌ صَالِحٌ اسْمُهُ سَبْتٌ ، وَاشْتَقَّ لَهَا اسْمًا مِنْ اسْمِهِ ، وَدَعَا لَهَا بِالْقَصْرِ وَالْقَنْصَرِ ، فَمَا رَامَهَا أَحَدٌ بِسَوْءٍ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ بِأَسْءٍ عَلَيْهِ » .**

وذكر أشياء على من رآها بسوء ، ثم قال : وهذا كله يصدق هذا الحديث . انتهى .

وكانت سَبْتَةُ مَطْلَحَ هِمِّ ملوك المُدَوَّنِينَ ، وقد كان للناصر المَرْمُوتَانِي صاحب الأندلس عنايةً واهتمامًا بدخولها في إيالاته ، حتى حصل له ذلك ، ومنها مَلَكُ المغرب ، حَسْبُهَا هو مذكور في أخباره ، وكان تَمَسُّكُهُ إياها سنة تسع عشرة وثلاث مئة ، وبها اشتدَّ سُلْطَانُهُ ، ومَلَكُ البحرِ بَعْدُوْنِيَّةِ ، وصار اللِّجَازُ في يده ، وَتَوَعَّدَتْ طَاعَتُهُ بِأَرْضِ المغرب ، وكان أولُ من مِمَّا إلى ذلك من أملاك [٤٠١]

(١) الغنية : كتاب لرياض ، وقد سبقت إشارة المؤلف إليه في مقدمة الجزء الأول وسبقت السلام عليه عند ذكر مؤلفات عيَّاض .

(٢) كذا في ط . وفي م : « أبرأ » .

(٣) التكلفة عن م . (٤) في ط : « عليهم » .

(٥) كذا في م . يريد كتاب المدارك لرياض . وفي ط : « المذكور » . وهو تحريف .

(١٧) — ج ٢ — أزهار الرياض

الأندلس ، منذ سكنتها الإسلام ، فاستظفر بها على أمره ، وخلفها^(١) ميراثاً لمن بعده من ولاة الأندلس ، وأكرم وجوه أهل سبته الذين جَنَحُوا إلى طاعته ، ورفع منازلهم ، وقضى حوائجهم ، وَوَصَّلَهُمْ ، وخلع عليهم وعلى قاضيتهم حُسْنِ ابن فتح .

خلافة الناصر

والناصر أول من تسمّى بأمير المؤمنين من بني أمية بالأندلس ، لأن الدولة عظمت في أيامه ، حين اختل^(٢) نظام ملك العباسيين بالشرق ، وتغلّبت عليه الأعاجم ، ولم يتَّسَمَ أحد من سلفه^(٣) بالأندلس إلا بالأمير . وكان ملكه بالأندلس في غاية ما يكون من الضخامة^(٤) ورفعة الشأن ، وهادئة الرُوم ، وأزدلفت إليه ، تطلب مهادنته ومُتاحتته بمعظم الذخائر ، ولم تَبْقُ أُمَّةٌ سَمِعَتْ به من ملوك الروم والإفرنجية والمجوس وسائر الأمم ، إلا وجرت إنيّه ، أو وفدت خاضعة رغبة ، وانصرفت عنه راضية . وقد سرَّد الإمام ابن حبان من ذلك في تاريخه الكبير ما هو معلوم ، وذكر هو وغيره أن صاحب مدينة القُسْطَنْطِينِيَّة العُظْمَى هاداه ، ورغب في مُوادعته .

رسل ملك
الروم إليه

وكان وُصُولُ أَرْسَالِ صَاحِبِ القُسْطَنْطِينِيَّة عَظِيمِ الرُّومِ قُسْطَنْطِينَ بْنِ لِيُونِ في شهر صفر سنة ثمان وثلاثين^(٥) وثلاث مئة ، ونأهب الناصر لورودهم ، وأمر أن يَتَلَقَّوْا أعظمَ تَلَقٍّ وأغشم ، وأحسن قبول وأكرمه ، وأخرج إلى لقائهم ببجانة يحيى بن محمد بن الألبث وغيره ، لخدمة أسباب الطريق ، فلما صاروا بأقرب المحلات من قرطبة ، خرج إلى إيقائهم القواد ، في العدد والعدة

(١) في ط : « وخلافا » . (٢) في ط : « اختلط » .

(٣) في ط : « من سلف » . (٤) في ط : « الضخامة » .

(٥) كذا في م ونسخ الطبع ، وفيه أيضاً بغير بيان ابن خلدون ، أنها كانت سنة ست وثلاثين ، ولم يرجع المؤلف إحدى الروايتين . وفي ط : « ثلاث وثلاثين » .

والنَّعِيبَةُ ، فَتَلَقَّوْهُمُ قَائِدًا بَعْدَ قَائِدٍ ، وَكَتَلُ اخْتِصَاصِهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ بَأَن أُخْرِجَ إِلَيْهِمُ الْفَتَيَيْنِ الْكَبِيرَيْنِ الْخَصِيَّيْنِ : يَاسِرًا وَتَمَامًا ، إِبْلَاقًا فِي الْإِحْتِفَاءِ بِهِمْ ، فَلَقِيَاهُمُ بَعْدَ التَّوَادِّ ، فَاسْتَبَانَ لَهُمُ بِخُرُوجِ الْفَتَيَيْنِ إِلَيْهِمْ بَسْطُ النَّاصِرِ وَإِكْرَامُهُ ^(١) ، وَأَنْزَلُوا بِمُنِيَّةٍ وَلَى الْعَهْدَ الْحَكْمَ ، الْمُنْسُوبَةَ إِلَى نُصَيْرٍ ^(٢) ، بِعُدُوَّةٍ قُرْطُبَةٍ فِي الرَّبْعِ ، وَمُنْعَوًا وَخُجَا مِنْ لِقَاءِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ، وَمُلَابَسَةِ النَّاسِ مُبْجَلَةً ، وَرُتَبَ لِحِجَابَتِهِمْ رِجَالُ تَخَيُّرٍ وَأَمِنْ الْمَوَالِي وَوُجُوهُ الْحَشَمِ ^(٣) ، فَصُيِّرُوا عَلَى بَابِ قَصْرِ هَذِهِ الْمُثْنِيَةِ سِتَّةَ عَشَرَ رَجُلًا ، لِأَرْبَعِ دُولٍ ، لِأَكُلِ دَوْلَةٍ أَرْبَعَةٌ مِنْهُمْ ، وَرَحَلَ النَّاصِرُ لِدِينِ اللَّهِ مِنْ قَصْرِ الزَّهْرَاءِ إِلَى قَصْرِ قُرْطُبَةٍ ، لَدُخُولِ وَفُودِ الرُّومِ عَلَيْهِ ، فَقَعَدَ لَهُمْ يَوْمَ السَّبَاتِ لِإِحْدَى عَشْرَةِ أَيْلَةٍ خَلَّتْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ، مِنْ السَّيِّئَةِ الْمَذْكُورَةِ ، فِي يَوْمِ الْمَجْلَاسِ الزَّاهِرِ ، قُعُودًا حَسَنًا نَبِيلًا ؛ فَقَعَدَ عَنْ يَمِينِهِ مَنْ بَقِيَ ، وَلَى الْعَهْدَ الْحَكْمَ ، ثُمَّ عَبْدُ اللَّهِ ، ثُمَّ عَبْدُ الْعَزِيزِ ، ثُمَّ الْأَصْفَغُ ، ثُمَّ مَرْوَانَ ؛ وَقَعَدَ عَنْ يَسَارِهِ الْمُتَدَرِّجُ ، ثُمَّ عَبْدُ الْجُبَّارِ ، ثُمَّ سَابِغَانُ ؛ وَتَخَافُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، لِأَنَّهُ كَانَ عَلِيلاً لَمْ يُطَقِ الْحُضُورُ ؛ وَحَضَرَ الْوُزَرَاءُ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ بِمِثْنَيْنِ وَشِبَالًا ، وَوَقَفَ الْحُجَّابُ مِنْ أَهْلِ الْخِدْمَةِ مِنْ أَبْنَاءِ الْوُزَرَاءِ وَالْمَوَالِي وَالرَّكْلَاءِ وَغَيْرِهِمْ ، وَقَدْ بَسَطَ مَحْنُ الدَّارِ أَجْمَعَ بِمَعَانِي الْبُسْطِ وَكَرَامَتِ الدَّرَائِكِ ^(٤) ، وَغُلَّتْ أَبْوَابُ الدَّارِ وَحَنَائِيهَا بِظُلْلِ الدِّيْبَاجِ وَرَفِيعِ الشُّثُورِ ، فَوَصَلَ [رُسُلُ] ^(٥) مُلُوكِ الرُّومِ حَاضِرِينَ ^(٦) رَأَوْهُ

(١) ذَكَرَ الْقُرَى بَعْدَ هَذَا فِي التَّفْصِيلِ هَذِهِ الْعِبَارَةَ : « لِأَنَّ الْفَتَيَيْنِ حِينَئِذٍ عَظَاءُ الدَّوْلَةِ ،

لَأَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْخُلُوفَةِ مَعَ النَّاصِرِ وَجَرَمَهُ ، وَبَيَّضَ النَّاصِرُ السَّادَاتِي » .

(٢) كَذَا فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ . وَفِي مِ « نُصَيْر » . وَفِي طِ « مُنْصَر » .

(٣) فِي طِ : « الشَّيْخَةُ » .

(٤) الدَّرَائِكُ : ضُرُوبٌ مِنَ الْبُسْطِ .

(٥) هَذِهِ السَّكَلَةُ عَنْ نَفْحِ الطَّيِّبِ .

(٦) فِي طِ : « حَاضِرِينَ لِمَنْعَةٍ مَارَأَوْهُ » . وَفِي مِ : « حَاضِرِينَ لِمَنْعَةٍ مَارَأَوْهُ » . وَمَا

أَتْبَعَهُ عَنْ نَفْحِ الطَّيِّبِ .

من بهجة الملك ، وقَعَامَةِ السُلطان ، ودَفَعُوا كِتَابَ مَلِكِهِمْ صَاحِبَ التَّسْلُطِ عِلْيَانِيَّةً ، وهو في رَقٍّ مَصْبُوعٍ لَوْنًا سَمَاقِيًّا ، ومَكْتُوبٍ بِالذَّهَبِ بِالْخَطِ الْإِغْرِيْقِي ، وداخِلُ الكِتَابِ مُدْرَجَةٌ مَصْبُوعَةٌ أَيْضًا ، مَكْتُوبَةٌ بِفِضَّةٍ بِخَطِ إِغْرِيْقِيٍّ أَيْضًا ، فِيهَا وَصَفٌ هَدِيْقَةُ الَّتِي أَرْسَلَ بِهَا وَعَدَّهَا ، وَعَلَى الكِتَابِ طَائِعٌ ذَهَبٌ ، وَزَنُّهُ أَرْبَعَةُ مِثْقَالٍ ، عَلَى الْوَجْهِ الْوَاحِدِ مِنْهُ صُورَةُ السَّيِّحِ ، وَعَلَى الْآخَرِ صُورَةُ قُسْطَنْطَيْنِ الْمَلِكِ وَصُورَةُ وَلَدِهِ . وَكَانَ الكِتَابُ بِدَاخِلِ دُرُجٍ فِضَّةٍ مَنَقُوشٍ ، عَلَيْهِ غِطَاءٌ ذَهَبٍ ، فِيهِ صُورَةُ قُسْطَنْطَيْنِ الْمَلِكِ ، مَمْلُوءَةٌ مِنَ الزَّجَاجِ الْمَلَوْنِ الْبَدِيْعِ ، وَكَانَ الدُّرُجُ دَاخِلَ جَعْمَةٍ^(١) مُلْبَسَةٍ بِالذَّيْبِاجِ ، وَكَانَ فِي تَرْجَمَةِ عُنْوَانِ الكِتَابِ فِي سَطْرِ مِنْهُ : « قُسْطَنْطَيْنِ وَرُومَانُسُ^(٢) ، الْمُؤْمِنَانِ بِالْمَسِيحِ ، الْمَلِكَانِ الْعَظِيمَانِ ، مَلِكَا الرُّومِ » .

وفي سطر آخر :

« الْعَظِيمُ الْإِسْتَحْفَاقُ لِلْفَخْرِ ، الشَّرِيفُ النَّسَبِ ، عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْخَلِيفَةُ الْخَاطِمُ عَلَى الْعَرَبِ بِالْأَنْدَلُسِ ، أَطَالَ اللَّهُ تَعَالَى بَقَاءَهُ » .

وفي خَمْسٍ بَقِيْنَ مِنْهُ نَقْلٌ هُوَ لَاهُ الرُّسُلِ مِنْ مَنْزِلِهِمْ بِمَنْشَرَةٍ نُصِيْرٍ^(٣) بِالرَّبْعِ ، إِلَى دَارِ إِبْرَاهِيْمَ الْقَتِي ، بِدَاخِلِ قُرْطُبَةٍ .

وفي آخِرِ هَذَا الشَّهْرِ أَعَادَ النَّاهِرُ لِهَدِيْنِ اللَّهِ التَّعَوُّدَ الثَّانِيَّ لِرُسُلِ مَلِكِ الرُّومِ ، بِقَهْرِ الزَّهْرَاءِ ، فَاحْتَمَلَ لَذَلِكَ أَيْضًا ، وَاسْتَكَمَلَ لَهُ الْأُفْهِيَّةَ ، وَبَالِغَ فِي الزَّيْنَةِ ، وَقَعَدَ عَلَى بَابِ السُّدَّةِ صَاحِبَ الْمَدِيْنَةِ ، مَعَ مَنْ دُئِمَ إِلَيْهِ مِنَ الْعُرَافَاءِ وَالشُّرَطِ وَالْحَرَسِ ، وَهُمْ صُفُوفٌ قِيَامٌ ، وَقَامَ مَعَ سُورِ الْقَصْرِ رِمَاطٌ مِنَ الْوَالِي ، فِي

(١) كَذَا فِي طَوْهِيْقِ الطَّبِيْبِ . وَقِيَمٌ : « جَعْمَةٌ » .

(٢) كَذَا فِي إِحْدَى رَوَايَاتِ نَجْعِ الطَّبِيْبِ (طَبِيعَةُ أَوْرِيَّةٍ) . وَفِي هَذَا الْاسْمِ مَضَارِيَا

فِي الْأَصْلَيْنِ وَكَثِيْرٌ مِنَ الْمَرَايِجِ ، وَالصَّوَابُ مَا أَتَيْنَاهُ .

(٣) انْظُرِ الْخَاشِيَةَ رَقْمَ (٣) صَفْحَةُ (٢٥٧) مِنْ هَذَا الْجُزْءِ .

الملابس الحسان والسلاح الشاك، وألزم^(١) الفضلان^(٢) كلها مجلًا من العبيد والحشم واليوانيين وغيرهم، في أشكل زبهم.

ثم أعاد القعود لهم بالزهراء، وهذا^(٣) القعود الثالث، كان يوم الخميس ثلاث بقرين منه، على ما تقدم في^(٤) الأهمية والاحتفال في الزينة.

وفي النصف من جمادى الأولى منها أدخل الناصر لدين الله هؤلاء الرسل على نفسه، في مجلس خاص، قعد لهم فيه بقصر الزهراء، في المجلس المشرف على الرياض، فلما خرجوا من عنده، أدخلوا في^(٥) ديار الصناعات والهدية بأكتاف الزهراء ودار السكة، وطيف بهم بأرجائها، ثم صرّفوا إلى دار تزولم، فانتصل مقامهم بقرطبة في كرامة موصولة، وعطايًا متوالية، إلى أن كملت الهدية التي كوفي بها العاغية مرضيهم، وأسلمت إليهم، مع أجورهم، وأمروا بالرحيل.

وجلس لهم الناصر لدين الله في النصف من شوال من السنة بعدها، فدخلوا للوداع، وشدّدت لهم الخلع، وانطلقوا السبيلهم، متعجبين بما رأوا من عز الإسلام.

وفي سنة سبع وعشرين وثلاث مئة، ثمان خلّون من شهر جمادى الأولى، وردت على الناصر لدين الله هدية وزّره أحمد بن عبد الملك بن شهيد، المقايمة الشأن، التي اشتهر ذكرها إلى الآن، ووقع الإجماع على أنه لم يهاد أحد من ملوك الأندلس بمثلها، فأعجبت الناصر وأهل مملكته جميعًا، وأقروا أن نفسًا

(١) كذا في م. وفي ط: « والروم ». ولا يستقيم بها الكلام.

(٢) الفضلان، كما في كتب اللغة: جمع فصيل، وهو خائف قصير دون الحصن أو دون سور البلد. وقد توسع المقاربة في استعماله، فأطلقوه على ما نسميه « الجناح » وهو القسم المستقل من بناء يجمع عدة أقسام. وسنقد هذه الكلمة بهذا المعنى بعد قليل في هذا الجزء.

(٣) في ط: « وهو ».

(٤) في م: « من ».

(٥) زادت م هنا: « رياض ».

لم تسمح بإخراج مثلها ضربة عن^(١) يدها ، وكتب مع هديته هذه رسالة حسنة ، بالاعتراف للناصر لدين الله بالنعمة ، والشكر عليها ، استحسنتها الناس وكتبوها . وزاد الناصر وزيره هذا حُطوَّة واختصاصاً ، وأسمى منزلته على سائر الوزراء جميعاً ، فأضعف له رِزق الوزارة ، وبأغته ثمانين ديناراً في الشهر ، وباع مصروفه إلى ألف دينار في السنة^(٢) ، وتبقى له المظلة ، لتفديته له الرِّزق ، فسماه ذا الوزراء لذلك ، وكان أول من سُمي بذلك بالأندلس ، امتثالاً لاسم صاعد بن محمد الوزير ، وزير بني العباس ببغداد ، وأمر بتصدر فراشه في البيت ، وتقديم اسمه في زمام^(٣) الارتزاق في أول التسمية ، فعظم مقداره في الدولة جيداً .

وتفسير هديته هذه ، على ما ثبت في كتابه للناصر : وذلك من المال القين خمس مئة ألف دينار ؛ ومن العمود المرتفع أربع مئة رطل ، منها في قطعة [٤٠٥] واحدة مئة وثمانون رطلاً ؛ ومن المسك الذكي المفضل في جنسه مئتا أوقية واثنتا عشرة أوقية ؛ ومن العنبر الأشهب الذي بقي على خلقته ولم تدخله صناعة مئة أوقية ، منها قطعة عجيبة الشكل أربعون أوقية ؛ ومن السكافور المرتفع النقي الذكي ثلاث مئة أوقية ؛ ومن أنواع الثياب ثلاثون شقة ، وبقي^(٤) خاصية للباسه ، بيضا وملونة ، وخمس ظهائر شعبيبة^(٥) خاصية له ، وعشرة رفراء من عالي القنك ، منها سبعة بيس خُرسانية ، وثلاثة ملونة ، وستة مطارف عراقية خاصية له ، وثمانى وأربعون ملحفة زهرية إسكسوته ، ومئة ملحفة زهرية

(١) في م والفتح طلبة أورية : « على » .

(٢) كذا في م . وفي ط : « وبلغه ثمانين ألف دينار في السنة » ، وس هذه العبارة في جميع نسخ النسخ التي تحت أيدينا : « وبلغه ثمانين ألف دينار أندلسية » ، وبلغ مصروفه إلى ألف دينار » .

(٣) في فتح الطيب : « في دفتر » .

(٤) كذا في ط . وفي م : « فتح » . وفي جميع نسخ فتح الطيب : « خنج » ،

ولعله محرف مما أبتناه . (٥) كذا في الأسابن وفتح الطيب .

لرفاده ، وعشرة قناطير شُدَّ فيها مئة جلد سمُور ، وأربعة آلاف رطل من الحرير المغزول ، وألف رطل من لون الحرير ، قبض جميع ذلك صاحب الطراز ، وثلاثون بساطاً من صوف مختلفة الصناعات ، طول كل بساط منها عشرون ذراعاً ، ومئة مُتَكَلَّى من وجوه الفرش المختلفة الصناعات ، من جنس البُسُط ، وخسة عشر نِخْفاً^(١) من عمل الخبز المنقطع شَطْرها ، وسائرُها من جنس البُسُط الوجوه ؛ ومن السلاح والمُدَّة مئة تَجَفاف^(٢) ، بأبدع الصناعات^(٣) وأغربها وأكملها ، وألف تُرْس سلطانية ، ومئة ألف سهم ؛ ومن الخيل مئة فرس ، منها من الخيل العراب المتخيرة لركابه خمسة عشر فرساً ، وخسة من عُرض هذه الخيل مسرجة ملجمة ، لمراكب الخلافة ، بحال^(٤) مروجها خز عراقي ، وتمايون فرساً مما يصالح للوصفاء والعشَم ، وخسة أبقل عالية الركاب ، وأربعون صيفاً ، وعشرون جارية من مُتَخَيَّر الرقيق ، بكسوتهم وجميع آلاتهم .

وفي الكتاب : كان قد أمرني أيده الله بآتياعهم من مال الأخماس قبيل^(٥) ، فأنعمتهم من نعمته عندي ، وصيرتهم من يتي^(٦) ، ومع ذلك عشرة قناطير سَكَّر طَبْرَزْد ، لا سُحاق^(٧) فيه . [١٠٦]

وفي آخر الكتاب : ولما علمت نطلع مولاي — أيده الله تعالى — إلى قرية كذا بالعقبانية^(٨) المنقطعة الفرُس في شَرَفها ، وترداده — أيده الله

(١) في الأصلين والفتح المخطوط « نوحا » . وفي النسخ المطبوع « نوحانا » ، والسكامة عروة عما أثبتناه .

(٢) التجفاف (بالكسر) : آلة للحرب ، يليه الفرس والإنسان ليقية في الحرب .

(٣) كذا في ط ونسخ الطيب . وفي م : « الصباعات » .

(٤) كذا في جميع نسخ نسخ الطيب . وفي الأصلين : « ملابس » .

(٥) في ط : « وبتى » .

(٦) يراد بالسحاق (السكر الناعم) . ولم نجد هذه السكامة في معاجم اللغة .

(٧) كذا في الأصلين . وفي نسخ الطيب طبعة أوردة : « الفبتانية » . وفي النسخ

المخطوط وطبعة القاهرة : « الفبتانية » .

تعالى — لذكرها ، لم أهنأ بميش حتى أعلت الحيلة في ابتياعها بأحوازها ،
وأكتبت وكيله ابن بقتية الوثيقة فيها باسمه ، وسمتها إلى ضياعه ، وكذلك صنعت
في قرية شيرة من قنر^(١) جيان ، عندما اتصل بي من وصفه لها ، وتعلمه إليها ،
فأزات أنصدي لمرسته بها ، حتى ابتعتها الآن بأحوازها ، وجميع منازلها
وروعها^(٢) ، واحتاز ذلك كله الوكيل ابن بقتية ، وصار في يده له أبقاه الله سبحانه ،
وأرجو أنه سيرفع فيها في هذه السنة آلاف أمداد من الأطلعة إن شاء الله تعالى .
ولما علنت نافذ عزمه — أبقاه الله تعالى — في الثنيان ، وكلته به ، وفكرت
في عدد الأماكن التي تطلع نفسه الكريمة إلى تخليد آثاره في ثنيانها ، مد الله
في عمره ، وأوفى بها على أقصى أمل ، علمت أن أسسه وقوامه الصخر ،
والاستكثار منه ، فاثارت لي همي ونصيحتي حكمة حيلة أحسكها سعدك
وجدك ، الاذان يبعثان ما لا يتوهم علمه ، حيلة أقوم لك بها في عام واحد عدد
ما كان يقوم على يدي عبدك ابن عاصم في عشرين عاما ، وينتهي تحصيل
النفقة فيه إلى نحو الثمانين ألفا ، أعجل شأنه في عام ، سوى التوفير العظيم الذي
يبيده العيان ، إن شاء الله تعالى ؛ وكذلك ما تاب إلى في أمر الخشب
لهذه الثنية المسكرمة ، فإن ابن خليل عبدك المجتهد الدؤوب انتهى في تحصيل
عدد ما تحتاج إليه ، ثلاث مئة ألف عود ، وتيف على عشرين ألف عود ،
على أنه لا يدخل منه في السنة إلا نحو الألفي عود ، ففتح لي سعدك رأيا أقوم له
بقامه جميع هذه الخشب العام على كماله ، بورود الجلبية لوقتها ، وقيمته على
الرخص ما بين الحسين ألفا إلى الستين^(٣) ألفا .

[٤٠٧]

(١) كذا في جميع نسخ نلع الطيب . وفي الأصلين : « قطر » .

(٢) في الأصلين : « وزروعها » . وما أبتناه من نلع الطيب .

(٣) كذا في ط . وفي م والنفع : « والستين » .

اتهمى ما بث به الوزير ابن شهيد ملخصاً^(١).

ومن غريب ما يحكى أن أمير المؤمنين أراد القصد ، فقعده في اليوم بالجلس الكبير المشرف بأعلى مدينته بالزهراء ، واستدعى العليبي لذلك ، وأخذ الطيب المبيّض ، وجسّ عضد^(٢) الناصر ، فبينما هو كذلك إذ أطل زُرُور ، فصعد على إناء ذهب بالجلس ، وأنشد :

أيتها الفاصِدُ رِقّاً بأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
إنما تَصِدُّ عِرْقاً فيهِ تَحْيَا الْعَالَمِينَ

وجعل يكرر ذلك المرة بعد المرة ، فاستظرف أمير المؤمنين الناصر ذلك غاية الاستظراف ، وشرّ به غاية السرور ، وسأل عن اهتداه إلى ذلك وعلم الزُرُور ، فذكر له أن السيدة الكبرى مرّجانة ، أم ولده ولّى عهده الحكم المستنصر بالله ، صنعت ذلك ، وأعدته لذلك الأمر ؛ فوهب لها ما يُنْتَفِ على ثلاثين ألف دينار .

والناصر المذكور هو الباقي لمدينة الزهراء العظيمة المقدار . وكان يعمل في جامعها حين شرع فيه من حُدُوقِ الفَعْلَةِ كل يوم ألف نسمة ، منها ثلاث مئة بَنَاء ، وستة نِجَار ، وخمس مئة من الأَجْرَاء وسائر أهل الصنائع ، فاستتم بنيانه وإتقانه في مدة ثمانية وأربعين يوماً ، وجاء في غاية الإِتْقَان ، من خمسة أهباء بحبيبة الصنعة . وطوله من القبلة إلى الجوف ، حاشى للقصورة ، ثلاثون ذراعاً ، وعرض البهو الأوسط من أهبائه ، من الشرق إلى الغرب ثلاث عشرة ذراعاً ، وعرض كل بهو من الأربعة المكشوفة له اثنتا عشرة ذراعاً ، وطول

(١) ورد الخبر عن هدية ابن شهيد ليد الرحمن الناصر في نفع الطيب فعلا عن تاريخي

ابن خلدون وابن الفريسي ، فارجع إليه .

(٢) في م ونفع الطيب : يد .

صحنه المكشوف من القبلة إلى الجوف ثلاث وأربعون ذراعا ، وعرضه من الشرق إلى الغرب إحدى وأربعون ذراعا ، وجميعه مفروش بالرخام الخضري ؛ وفي وسطه فؤارة يجرى فيها الماء ؛ فطول هذا المسجد أجمع من القبلة إلى الجوف — سوى الحراب — سبع وتسعون ذراعا ، وعرضه من الشرق إلى الغرب تسع وخمسون ذراعا ، وطول صومعته في الهواء أربعون ذراعا ، وعرضها عشر أذرع في مثلها .

وأمر الناصر لدين الله باتخاذ منبر بديع لهذا المسجد ، فصنع في نهاية من الحسن ، ووضع في مكانه منه ، وحُطِرَت حوله مقصورة بحبيبة الصنعة . وكان وضع هذا المنبر في مكانه من هذا المسجد عند إكماله ، وذلك يوم الخميس لسمع بيقين من شعبان من سنة تسع وعشرين وثلاث مئة .

بناؤه الثناء

وكان في صدر هذه السنة كمل الناصر بُنيان القناة الغربية الصنعة ، التي أُجْرِىَ فيها الماء العذب من جبل قرطبة إلى قصر الناعورة غربي قرطبة ، في المدام المهندسة ، وعلى الحنايا المعلقة ، يجري ماؤها بتدبير عجيب ، وصنعة غريبة محكمة ، إلى بركة عظيمة ، عليها أسد عظيم الصورة ، بديع الصنعة ، شديد الزوعة ، لم يُشاهد أوفى منه ولا أبهى منه فيها صور الملوك في غابر الدهر ، مطلق بذهب إبريز ، وعيناؤه جوهريتان ، لها وبيض شديد . يجوز هذا الماء إلى محج هذا الأسد ، فيمجه في تلك البركة من فيه ، فيظهر الناظر بحسنه وروعة منظره ، وتُحاجِبُ^(١) صيته ؛ فَنُسِّقَ من مُحاجِبِه جنان هذا القصر على سمعها ، ويستفيض على ساحاته وجنباياه ، ويُبدِّ التهر الأعظم بما فُضِّلَ منه ، فكانت هذه القناة وركنتها ، والتمثال الذهب الذي يصب فيها ، من أعظم آثار الملوك في

(١) لم نجد هذه الكلمة من مصادر : فج الماء ، يعني انصب .

غابر الدهر ، لبعده مسافتها ، واختلاف مسالكها ، ونغمة بنيانها ، وسمو أبراجها ، التي يترقى لها فيها ، ويتصوّب من أعاليها .

[٤٠٩]

وكان مدة العمل فيها ، من يوم ابتدئت من الجبل إلى أن وصلت [أعنى القناة] ^(١) إلى هذه البركة ، أربعة عشر شهرا . وكان انطلاق الماء في هذه البركة الانطلاق الذي اتصل واستمر ، يوم الخميس عُمره جمادى الآخرة من السنة المذكورة ، وكانت للناصر في هذا اليوم بقصر الناعورة دعوة حسنة ، أفضل فيها على عامة أهل مملكته ، ووصل المهندسين والقوّام بالمعمل بصلوات حسنة جزيلة . واستمر العمل في مدينة الزهراء من عام خمسة وعشرين وثلاث مئة [إلى آخر دولة الناصر وابنه الحكم ، وذلك نحو من أربعين سنة] ^(٢) .

تشديد الناصر
مدينة زهراء

ولما فرغ من بناء مسجد الزهراء على ما ذكرناه آنفاً ، كانت أول جماعة صُلّيت فيه صلاة المغرب من ليلة الجمعة لثمان بقين من شعبان ، وكان الإمام لها فيه القاضي [أبا عبد الله] ^(٣) محمد بن عبد الله بن أبي عيسى . ومن القدر صلى الناصر فيه الجمعة ؛ وأول خطيب خطب به القاضي المذكور .

ولما بنى الناصر قصر الزهراء للتناهى في الجلالة والفخامة ، أطبق الناس على أنه لم يُبن مثله في الإسلام ألبتة . وما دخل إليه أحد قط من سائر البلاد النائية ، والنحل المختلفة ، من ملك وارد ، ورسول وافد ، وتاجر ، وجّهيد ، وفي هذه الطبقات من الناس تكون المعرفة والفطنة ، إلا وكاهم قطع أنه لم ير له شبيها ، بل لم يسمع به ، بل لم يتوهم كون مثله ، حتى إنه كان أعجب ما يؤمله الناطع إلى الأندلس في تلك العصور المظفر إليه ، والتحدث عنه ؛ والأخبار عن هذا تنسج جدا ، والأدلة عليه تكثر ، ولو لم يكن فيه إلا السطح المرود ،

(١) الشبكة من نفع الطيب .

للشرف على الروضة ، المباحي بمجلس الذهب والفضة وعجائب ما تضمنته من
إتقان الصنعة ، ونظامه الحق ، وحسن السَّتْرِف ، وبراعة اللبس والعجلة ،
ما بين مَرَمَر مَسْنُون ، وذهب مَوْضُون ، وعَمَد كَأَنَّما أُفْرِغَتْ في القوالب ، [١٠] ،
ونفوش كالرياض ، ويرك عظيمة بحكمة الصنعة ، وحياض وعمائيل عجيبية
الأشخاص ، لا تهتدى الأوهام إلى سبيل استقصاء التعبير عنها ؛ فسيحان
الذي أقدر هذا المخلوق الضعيف على إبداعها واختراعها من أجزاء الأرض النحلة ،
كبا يرى الغافلين عنه من عباده ، مثالا لما أعدّه لأهل السعادة في دار المُقامة ،
التي لا يتسلط عليها الفناء ، ولا تحتاج إلى الزَّم ، لا إله إلا هو المنفرد بالكرم .
وذكر المؤرخ أبو عمر وان بن حثيان صاحب الشرطة ، أن مبانى قصر الزهراء
اشتملت على أربعة آلاف سارية ، ما بين كبيرة وصغيرة ، حاملة ومحمولة ،
وتُثِف على ثلاث مئة سارية زائدة ؛ وفسر بعضهم هذا التثيف بثلاث عشرة ،
منها ما جُلِب من مدينة رُومة ، ومنها ما أهداه صاحب القسطنطينية ؛ وأن
مصاريع أبوابها ، صفارها وكبارها ، كانت تثيف على خمسة عشر ألف باب ، وكلها
مُلبَّسة بالحديد والنحاس المموّه ، والله أعلم ، فاتها كانت من أهول ما بناه
الإنس ، وأجله خطرا ، وأعظمه شأنا .

وقال بعض المؤرخين : وكان عدد الفتيان بالزهراء ثلاثة عشر ألف فتى ، وسبع
مئة وخمسين فتى ، ودخالتهم^(١) من اللحم كل يوم ، حاشى أنواع الطير والحوث ،
ثلاثة عشر ألف رطل ؛ وعِدّة النساء بقصر الزهراء ، الصغار والكبار وخدم
الخدمة ، ستة آلاف وثلاث مئة امرأة وأربع عشرة . ورأيت في بعض الدواوين

(١) الدخالة بمعنى الراتب : لفظة أندلسية مولدة لم تذكرها المعاجم العربية ، وذكرها
دوزي في تكملة المعاجم العربية .

— وهو الصواب إن شاء الله — أن عدد اليتيمان الصقالية ثلاثة آلاف وسبع مئة وخمسون ، [وجعل بعضهم مكان الحسين سبعة وعثمانين ^(١)] ، وعدد النساء بقصر الزهراء مثل ما ذكرنا أولاً .

[٤١١] ثم قال يآثره : وكان لهؤلاء من اللحم ثلاثة عشر ألف رطل ، تقسم من عشرة أروطال للشخص إلى ما دون ذلك ، سوى الدجاج والحجل وصنوف الطير وضروب الحيات . والله تعالى أعلم .

وقال ابن حبان : ألفت بخط ابن دحون الفقيه ، قال مسلمة بن عبد الله العريف المهندس : بدأ عبد الرحمن الناصر لدين الله بفيان الزهراء أول سنة خمس وعشرين وثلاث مئة ، وكان مبلغ ما ينفق فيها كل يوم من الصخر المنحوت المنجور الممدل ستة آلاف صخرة ، سوى الصخر المنصرف في التبليط ، فإنه لم يدخل في هذا العدد . وكان يخدم في الزهراء كل يوم ألف وأربع مئة بغل ، منها أربع مئة زوامل الناصر لدين الله ، ومن دواب الأكرية الراكبة للخدمة ألف بغل ، لكل بغل منها ثلاثة مثاقيل في الشهر ، يجب لها في الشهر ثلاثة آلاف مثقال . وكان يرد الزهراء من الجبير والجص في كل ثالث من الأيام ألف ومئة رحل ^(٢) ، وكان فيها حمامان ، واحدة للقصر ، وثانية للعامة .

وذكر بعض أهل الخدمة في الزهراء أنه قدّر النفقة فيها في كل عام بثلاث مئة ألف دينار ، مدة خمسة وعشرين عاماً [التي بقيت من دولة الناصر ، من حين ابتدأها ، لأنه توفى سنة خمسين] ^(٣) ، وحصل جميع الإنفاق فيها ، فكان مبلغه خمسة عشر بيت مال .

(١) التكلفة عن نفع الطيب .

(٢) كذا في نفع الطيب : وفي الأصلين : « جل » .

قال : وجلب إليها الرُخام من قَرطاجنة وإفريقية وتونس ، وكان الذين يجلبونه عبدُ الله بن يونس عَرِيف البِثَّانين ، وحسنٌ وعلي^(١) ابنا جعفر الإسكندراني . وكان الناصر يصلهم على كل رُخامة ، صغيرة أو كبيرة بعشرة دنانير .

وقال بعض المؤرخين الأثبات : كان يصلهم على كل رُخامة صغيرة بثلاثة دنانير ، وعلى كل سارية بثمانية دنانير سجلجاسية^(٢) ، وكان عدد السَّواري الجبلية من إفريقية ألف سارية ، وثلاث عشرة سارية ، ومن بلاد الإفريج تسع عشرة سارية . وأهدى إليه ملك الروم مئة وأربعين سارية ، وسائرُها من [٤١٢] مقاطع الأندلس : طَرَّ كونة وغيرها ، دارُ رُخام الجزَّع من رَبة ، والأبيض من غيرها ، والوردى والأخضر من إفريقية ، من كنيسة سَقَّاس . وأما الخوض المنقوش المذهب الغريب الشكل ، العالي القيمة ، فجلبه إليه أحمد اليوناني من القسطنطينية ، مع ربيع الأسقف القادم من إيلياء ؛ وأما الخوض الصغير الأخضر المنقوش بتأثيل الإنسان ، فخله أحمد من الشام ، وقيل من القسطنطينية مع ربيع الأسقف أيضا ، وقالوا إنه لا قيمة له ، لفراط غرابته وجماله ، وحمل من مكان إلى مكان ، حتى وصل في البحر ، ونصبه الناصر في بيت المنام ، في المجلس المستشرق الشرقي ، المعروف بالمونس ، وجمل عليه اثني عشر تمثالا من الذهب الأحمر ، مرصعة بالدر النفيس العالي ، مما عمل بدار الصناعة بقرطبة : صورة أسد إلى جانبه صورة غزال ، إلى جانبه صورة تمساح ، وفيها يقابله ثعبان وعُقاب ، وفي

(١) كذا في نصح الطيب . وفي الأصلين : « علي » .

(٢) في ط : « سلجاسية » وفي م : « ساجسانية » . وظاهر أنها عبرتان مما أثبتناه .

الشَّجَنَتَيْنِ حَمَامَةً ، وشاهين ، وطاوس ، ودجاجة ، وديك ، والثاني عشر^(١) لم يحضر في اسمه الآن ؛ وكل هذا من ذهب مرصع بالجوهر النفيس ، [ويخرج الماء من أفوها]^(٢) . وكان المتوفى لهذا البنيان المذكور ابنه الحكم ، لم يشكّل فيه الناصر على أمين غيره ، وكان يُحَرِّز في أيامه كل يوم برسم حيتان البحيرة^(٣) ثمان مئة خُبْرة [وقيل أكثر]^(٤) ، إلى غير ذلك مما يطول تتبعه^(٥) .

وكان الناصر قد قدّم الجباية اثلاثاً ، ثلث للجنّد ، وثلث للنساء ، وثلث مُدَّخَر . وكانت جباية الأندلس يومئذ من السُّكُور والتُّرَى خمسة آلاف ألف^(٦) ، وأربع مئة ألف ، وثمانين ألف [دينار]^(٧) ، ومن السُّتُوق والمستخلص سبع مئة ألف ، وخمسة وستين ألف دينار ؛ وأما أخماس الغنائم فلا يحصوها ديوان . وقيل إن مبلغ تحصيل النفقة في بُنيان الزهراء مئة مُدَى^(٨) [١١٣] من الدراهم القاسمية ، بكيّل قُرْطُبة . وقيل إن مبلغ النفقة فيها بالسكيل المذكور ثمانون مُدَاً وستة^(٩) أُنْقَرَة ، من الدراهم المذكورة . واتصل بُنيان الزهراء أيام الناصر خسا وعشرين سنة ، شعر خلافته ، ثم اتصل بعد وفاته خلافة ابنه الحكم كلّها ، وكانت خمسة عشر عاماً وأشهرها . فسيبجان الباقي بعد فناء الخلق ، لا إله إلا هو .

(١) لم يذكر المؤلف (هنا) غير عشرة ، وقد ذكرها في دفع الطيب وزاد على ما ذكره

هنا : الثيل ، والحداة ، والفسر .

(٢) التكلفة عن دفع الطيب .

(٣) في نفع الطيب : « البحيرات » .

(٤) ورد في كتاب « إعمال الأعلام » للسان الدين بن الخطيب (قسم ثان) في ترجمة

عبد الرحمن الناصر ذكر بناء الزهراء باختلاف في بعض التفاصيل .

(٥) في نفع الطيب : « خمسة آلاف ألف ألف » .

(٦) اللدى : مكيال ، وهو غير اللد .

(٧) في نفع الطيب : « سبعة » .

تى عن عمران
فرطبة

وكانت قرطبة إذ ذاك أم الدلائن ، وقاعدة الأندلس ، وقرارة الملك . وكان عدد شُرطاتها أربعة آلاف وثلاث مئة ، وكانت عدة الدور التي في القصر الكبير أربع مئة دار [ونيفا وثلاثين] ^(١) ، وكانت عدة دور الرعايا والسواد بها ، الواجب على أهلها اللبث في السور ، مئة ألف دار ، وثلاثة عشر ألف دار ، حاشى دور الوزراء وأكابر الناس والبياض ^(٢) ، وعدد أرباضها ثمانية وعشرون ، وقيل أحد وعشرون ؛ ومبلغ ^(٣) للساجد بها ثلاثة آلاف وثمان مئة وسبعة وثلاثون مسجدا ؛ وعدد الحمامات المبرزة للناس سبع مئة حمام ، وقيل ثلاث مئة ؛ ووسط الأرباض قَصْبَةٌ ^(٤) قرطبة ، التي تختص بالسور دولها . وأما البيضة التي كانت في القصر في المجلس البديع ، فإنها كانت من تحف ^(٥) قصر اليونانيين ، بعث بها صاحب القسطنطينية إلى الناصر مع تحف كثيرة سنية .

احفال الناصر
لقدم ملك الروم
وظهور البلوطى
على سائر
الخطباء

وكان الناصر مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدِ الْبُلْطُوعِ ممن يُسَكِّمُهُ الناصر ويُجَلِّهِ ، وولاه قضاء جماعته ؛ وكان أول الأسباب في معرفته بالناصر ، وزلفاه لديه ، أنَّ الناصر لما اختفى بالجلوس لدخول [رسل] ^(٦) ملك الروم الأعظم صاحب القسطنطينية غلبية بقصر قرطبة ، الاحتفال الذي اشتهر ذكره في الناس ، حسبما تقدم بعض [٤١٤] الإلماع به ، أحب أن يقوم الخطباء والشعراء بين يديه ، لتذكُّر جلالته مُقَدِّمه ، وعظيم سطاته ، ونصف ما تنبأ له من توطيد الخلافة في دولته . وتقدَّم إلى الأمير الحكيم ابنه وولَّى عهده ، بإعداد من يقوم بذلك من الخطباء ، ويقدمه أمام نشيد

(١) التكلفة عن نفق الطيب .

(٢) يريد بالبياض : خاصة الناس ، وهو في مقابل السواد والجمهور .

(٣) كذا في م ونفق الطيب . وفي ط : « وبلغ » .

(٤) في نفق الطارب : « فية قرطبة التي تحيط بالسور » ، وفي العبارة تحريف ظاهر .

(٥) كذا في نفق الطيب . وفي الأصلين : « فكانها كانت تحف » .

(٦) زيادة يفتضها السياق .

الشراء ، فأمر الحكم صتيه^(١) الفقيه محمد بن عبد البر الكُتَيْبَانِي بالتأهب لذلك ، وإعداد خطبة بليغة يقوم بها بين يدي الخليفة ، وكان يدعى من المقدرة على تأليف الكلام ما ليس في وسع غيره ، وحضر المجلس السلطاني ؛ فلما قام يحاول التكلم بما رآه ، بهره هول المقام ، وأبته الخلافة ، فلم يهتد إلى نقطة ، بل غشي عليه ، وسقط إلى الأرض ؛ فقيل لأبي على البغدادي : إسماعيل بن القاسم القالي ، صاحب الأمالي والنوادر ، وهو [حينئذ] ^(٢) ضيف الخليفة ، الوافد عليه من العراق ، وأمير الكلام ، وبحر اللغة ؛ قم فارقع هذا الوحي ؛ فقام ، بحمد الله وأثنى عليه ، بما هو أهله ، وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم انقطع به القول ، فوقف ساكناً مُفَكِّراً في كلام يدخل به إلى ذكر ما أريد منه ، فلما رأى ذلك مُتَذَرِّعاً سعيد ، وكان ممن حضر في زمرة الفقهاء ، قام من ذاته ، [بدرجة من مرقاته] ^(٣) ، فوصل افتتاح أبي على لأول خطبته بكلام عجيب ، وفصل مصيب ^(٤) ، يسجته سحاً ^(٥) ، كأنما يحفظه قبل ذلك بمدة ، وبدأ من المكان الذي انتهى إليه أبو على البغدادي ، فقال :

أما بعد حمد الله والثناء عليه ، والتعداد لآلانه ، والشكر لنعماه ، والصلاة على محمد وصفيه وخاتم أنبيائه ، فإن لكل حادثة مقاماً ؛ ولكل مقام مقال ، وإيس بعد الحق إلا الضلال ؛ وإني ^(٦) قمت في مقام كريم ، بين يدي ملك [٤١٥]

(١) في ط : « صتيه » . والنصوب عن م ونفع الطيب

(٢) التسكعة عن نفع الطيب .

(٣) مكان هذه العبارة : « وفصل مصيب » في نفع الطيب ؛ « ونادى من الإحسان في ذلك المقام كل عجيب » .

(٤) في م : « نسجه نجيأ » .

(٥) في ط : « نسجه » . وما أثبتناه عن م ونفع الطيب .

عظيم ، فأصغوا إلى مَرسَر التَّلا بأسماعكم ، وَاقْنُوا ^(١) عني بأفئدكم ؛ إن من الحق أن يقال الحق صدقت ، والباطل كذبت ؛ وإن الجليل تعالى في شأنه ، وتقدس بصفاته وأسمائه ، أمر كلمه موسى صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا وعلى جميع أنبيائه ، أن يُذكر قومه بأيام الله عز وجل عندهم ، وفيه وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أشوة حسنة ؛ وإني أذكرُكم بأيام الله عندهم ، وتلافيه لكم بخلافة أمير المؤمنين ، التي لَمْتُ شَعْسُكُمْ ، وَأَشْنْتُ بِرُسُوبِكُمْ ، ورفعت قُوَّتَكُمْ ، بعد أن كنتم قليلا فسكرتم ، ومُستضعفين فقواكم ، ومستذلين ففسركم ، ولآء الله رعايتكم ، وأسند إليهم إمامتكم ، أيام ضربت الفتنة مُرادقها على الآفاق ، وأحاطت بكم شُمل النفاق ، حتى صرتم في مثل حدقة البعير ^(٢) ، من ضيق الحال ، وتكد العيش والتفتير ^(٣) ، فاستبدلتم بخلافته من الشدة الرخاء ، وانتقلتم بيمن سياسته إلى تمهيد [كذب] ^(٤) العافية بعد استيطان البلاء . أنشدكم بالله معاشر اللأء ، ألم تكن الدماء مسفوكة لحقها ، والشبل خوفة فأمتها ، والأموال مُنتهبة فأحرزها وحصنها ، ألم تكن البلاد خرابا فعمركها ، وثغور المسلمين مُهتزمة غزاها ونصرها ، فاذكروا آلاء الله عليكم بخلافته ، وتلافية جمع كلتكم بعد افتراقها بإمامته ، حتى أذهب الله عنكم غيظكم ، وشق صدوركم ، وصرتم يدا على عدوكم ، بعد أن كان بأسكم بدينكم ، فأُشِدُّكم الله ألم تكن خلافته قُتل الفتنة بعد انطلاقتها من عقالها ، ألم يتلاف صلاح الأمور بنفسه بعد اضطراب أحوالها ، ولم بكل ذلك إلى التواد والأجناد ، حتى يأسره [بالقوة] ^(٥) والمهجة

(١) كذا في م . وفي ط ونفع الطيب : « وأقنوا » .

(٢) في م : « العين » .

(٣) في نفع الطيب : « التفتير » .

(٤) هذه الكلمة من نفع الطيب .

والأولاد ، واعتزل النّسوان ، وهجر الأوطان ، ورفض الدّعة وهي محبوبة ، وترك
 الرّكون إلى الراحة وهي مطلوبة ، بطوّية صحيحة ، وعزيمة صريحة . وصيرة
 نافذة ناقبة ، وريح هابّة غالبة ، ونُصرة من الله واقعة واجبة ، وسلطان قاهر ،
 وجرّد ظاهر ، وسيف منصور ، تحت عدل مشهور ، متحمّلاً للنّصب ، مستقلاً لما
 ناله في جانب الله من التعب ، حتى لانت الأحوال بعد شدّتها ، وانكسرت
 شوكة الفتنه عند حدّتها ، ولم يبق لها غارب إلا جيّتها ، ولا نعيم لأهلها قرّن إلا
 جدّها ، فأصبحتم بنعمة الله إخواناً ، وطمّ أمير المؤمنين استعظمكم على أعدائه أعواناً ،
 حتى توارثت لديكم الفتوحات ، وفتح الله عليكم بحلافته أبواب [الخيرات و] (١)
 البركات ، وصارت وفود الروم وافدة عليه ، وآمال الأقصيين والأذنين
 مُستخدمة إليه وإليكم ، يأتون من كل فجّ عميق ، وبلد سحيق ، لأخذ حبل بينه
 وبينكم ، جملة ونفصيلاً ، « ليقضى الله أمراً كان مفعولاً » ، وأنّ بخلاف الله
 وعده ، ولهذا الأمر ما بعده ، وتلك أسباب ظاهرة بادية ، تدل على أمور باطنة
 خافية ، داليلها قائم ، وجعنها غير نائم : « وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ » الآية .
 وليس في تصديق ما وعد الله ارتياب ، ولِكُلِّ كِتَابٍ مُتَقَرَّرٌ ، ولكل أجل
 كتاب ، فاحمدوا الله ، أيّها الناس ، على آلائه ، واسألوه المزيد من نعمائه ، فقد
 أصبحتم في خلافة أمير المؤمنين ، أيده الله بالصّمة والسّداد ، وألهمه بخالص
 التوفيق إلى سبيل الرشاد ، أحسن الناس حالاً ، وأنعمهم بالاً ، وأعزهم قرّاراً ،
 وأمنهم داراً ، وأكفّهم جمعا ، وأجملهم صنعا ، لا يُهاجون ولا تُذادون ،
 وأنتم بحمد الله على أعدائكم ظاهرون ، فاستميتوا على صلاح أحوالكم ، بالمناسحة

لإمامكم ، والالتزام الطاعة لخليفتمكم ، وابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فإن من
 نزع يداً من الطاعة ، وسعى في تفريق الجماعة ، ومزق من الدين ، فقد خسر
 الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين ؛ وقد علمتم أن في التعلق بعصمتها
 [والتمسك بمرئيتها] ^(١) ، حفظ الأموال وحقق الدماء ، وصالح الخاصة والذمماء ،
 وأن يقوم الطاعة تمام الحدود ، وتوفي الشهود ، وبها وصلت الأرحام ، ووضعت
 الأحكام ، وبها سدد الله الخلل ، وأمن الشبل ، ووطأ الأكناف ، ورفع
 الاختلاف ، وبها طالب لكم القرار ، وإطمانت بكم النار ، فاعتصموا بما أمركم
 الله بالاعتصام به ، فإنه تبارك وتعالى يقول : « أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
 وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ » الآية . وقد علمتم ما أحاط بكم في جزيرتكم هذه من
 ضروب المشركين ، وصنوف الملحدين ، الساعين في شق عصاكم ، وتفريق
 مملكتكم ، الآخذين في مخاذلة دينكم ، وهتك حرمتكم ، وتوهين دعوة نبيكم ،
 صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع النبيين والمرسلين . أقول قولي هذا ، وأختم
 بالحمد لله رب العالمين ، وأستغفر الله الفقور الرحيم ، فإنه خير العافرين .

نفرج الناس يتحدثون عن حسن مقام مُنذر ، وثبات جنانه ، وبلاغه [٤١٨]
 لسانه ^(٢) . وكان الخليفة الناصر لدين الله أشدهم تعجباً منه ، فأقبل على ولي عهده
 ابنه الحَكَمَ يسأله عنه ، ولم يكن يُثبت معرفة عينه ، وقد سمع باسمه ، فقال له
 الحكم : هو منذر بن سعيد البلوطي ^(٣) . فقال : والله ^(٤) لقد أحسن ما شاء ؛
 فَلَئِنْ كَانَ حَبْرَ خطبته هذه وأعدّها ، مخافة أن يدور ما دار ، فيتلاقى الوحي ،

(١) هذه العبارة عن نفع الطيب .

(٢) كذا في م وفتح الطيب . وفي ط : « منطقه » .

(٣) نسبة إلى غص البلوط قرب قرطبة .

(٤) كذا في م وفتح الطيب . وفي ط : « له » .

فإنه لبدیع من قدرته واحتياطه ؛ ولئن كان أتى بها على البديهة لوقتہ ، إنه لأعجب وأعرب ؛ فكان ذلك سبب اتصاله به ، واستماله له .

وذكر ابن أصبغ المحدثاني عن منذر القاضي ، أنه خطب يوماً وأراد التواضع ، فكان من فصول خطبته أن قال :

حَقِّي مَتَى وإلى متى أعظ غيري^(١) ولا أتعظ ، وأُزجر ولا أزدجر ، أدل الطريق على المستدلين^(٢) ، وأبقى مقيماً مع الخائرين ، كلاً ، إن هذا هو البلاد المبين ، « إن هي إلا فنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء » الآية . اللهم فرغني لما خلقتني له . ولا تشغاني بما نكمت لي به ، ولا تحرمني وأنا أسألك ، ولا تعذبني وأنا أستغفرك ، يا أرحم الراحمين . قال :

وكان الخليفة الناصر لدين الله كيثاً بعبارة الأرض ، وإدامة معاملها ، وتخليد الآثار الدالة على قوة الملك ، وعزة السلطان ، فألقى به الإغراق في ذلك إلى أن ابني مدينة الزهراء . البناء الذي شاخ ذكره ، واستفرغ وُسْته في تزيينها ، وإثقان قصورها ، وزخرفة صانعهما^(٣) ؛ فأراد القاضي منذر أن ينفض عنه ، بما يتناوله من الموعظة ، بفضل الخطاب والحكمة ، والتذكير بالإجابة والرجوع^(٤) ، فأدخل في خطبته فصلاً ، مبتدئاً بقوله تعالى : « أَتَنْبِئُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةٌ تَمِيحُونَ . وَتَنْتَهِدُونَ مَصَانِعَ أَعْيُنِكُمْ عَنْ غُلُوبِكُمْ . وَإِذَا بَطَلْتُمْ بِطَلْتُمْ جِبَارِينَ . فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا . وَأَتَقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ . أَمَدَّكُمْ بِأَعْيُنِهِمْ وَبَيْنَ . [٤١٩]

(١) هذه الكلمة سائطة من نفع الطيب .

(٢) كما وردت هذه العبارة في الأصلين ونفع الطيب .

(٣) زاد القرى في نفع الطيب (هنا) العبارة الآتية : « وانتهك في ذلك حتى عطل شهود الجمعة بالمسجد الجامع الذي اتخذه ، ثلاث جمع متواليات » وقد أثمرنا إنباتهما هنا توضيحاً لل مقام .

(٤) في ط : « والرجعة » .

وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ . « وَلَا تَقُولُوا : « سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَصْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ » . « قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ؛ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى » ؛ وَهِيَ دَارُ الْقَرَارِ ، وَمَكَانُ الْجَزَاءِ .

ووصل ذلك بكلام جَزَلٍ ، وقول فَصْلٍ ، ومضى في ذم تشديد البنيان ، والاستغراق في زخرفته ، والإصراف في الإتيان [عليه] ^(١) : فجزى طائفاً ، وانتزع فيه قوله ^(٢) تعالى : « أَقَمْتُ أَسْسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنْ أَلْفِهِ وَرِضْوَانِ خَيْرٍ » الآية ؛ وأتى بما يشاكل المعنى من التخويف بالموت ، والتحذير من فجائته ، والدعاء إلى الزهد في هذه الدار القانية ، والحرص على اعتبارها ، والرفض لها ، والندب إلى الإعراض عنها . والإقصار عن طلب اللذات ، ونهي النفس عن اتباع هواها ؛ فأشبه في ذلك كله ، وأضاف إليه من آى القرآن ما يعاينه ، وجاب من الحديث والأثر ما يشاكله ، حتى أذكر من حضره من الناس ، وخضعوا وركعوا ، واعترفوا وبكروا ، وضجوا ودعوا ، وأعلنوا التضرع إلى الله والتوبة ، والابتهاال في الغفرة ، وأخذ خليفتهم من ذلك بأوفر حظ ، وقد علم أنه المقصود ، فبكى وندم على ما سلف له [من قرطه] ^(٣) ، واستعاذ بالله من سخطه ؛ إلا أنه وجد على منذر بن سعيد ، لفظ ما تترجم به ، فشكا ذلك إلى ولده الحكم بعد انصرافه ، وقال : والله لقد تَمَعَّدَتْنِي منذر بخطيئة ، وما عَنَى بها غيرى ؛ فأسرف على ، وأفرط في تبرئى ، ولم يُحَسِّنِ السياسة في وعظى ، فزعزع قلبى ، وكاد بمصاء يفرغنى ^(٤) ؛ واستشاط غيظاً عليه ، فأقسم ألا يَضَلَّ [٢٠ : ٤]

(١) هذه الكلمة عن نفع الطيب .

(٢) في ط : « بقوله » . وما أجتأه عن م ونفع الطيب .

(٣) الكلمة عن نفع الطيب .

(٤) في ط : « يصرعى » . وما أبتناه عن م والنفع .

خلفه صلاة الجمعة خاصة ، فجعل يلتزم صلاتها وراء أحد بن مطرف^(١) ، صاحب الصلاة بقرطبة ، ويُجانب الصلاة بالزُّهراء ؛ وقال له الحكم : وما الذي يمنعك من عزل المنذر من الصلاة بك ، والاستبدال منه إذ كرهته ؟ فزجره واتهره ، وقال له : أمثل مُنذر بن سعيد في خيره وفضله وعلمه — لا أم لك — يُعزل لإرضاء نفس ناكبة عن الرشد ، [سألكه غير القصد]^(٢) ؟ هذا ما لا يكون ؛ وإني لأستحي من الله ألا أجعل بيني وبينه في صلاة الجمعة شقياً مثل مُنذر ، في ورعه وصدقه ، ولكنه قد أخرجني فأنسنت ؛ وتَوَدِدْتُ أني أجد سييلاً إلى كفارة يميني بملكى ؛ بل يصلى بالناس حياته وحياتنا إن شاء الله تعالى .

خطبة لغير الاستسقاء

وقبِطَ الناس آخر مدة الناصر ، فأمر القاضي المذكور مُنذر بن سعيد بالبروز إلى الاستسقاء بالناس ، فأنهَبَ لذلك ، وصام بين يديه أياماً [ثلاثة]^(٣) ، تنفلاً وإجابة وربة ، فاجتمع له الناس في مصلى الزُّبَيْن بقرطبة ، بارزين إلى الله تعالى في جمع عظيم ، وصعد الخليفة الناصر في أعلى مصانعه المرتفعة من القصر ، ليشرف^(٤) الناس ، ويشاركهم في الخروج إلى الله تعالى ، والضراعة له ؛ فأبطل القاضي حتى اجتمع الناس ، وغَصَّتْ بهم ساحة المصلى ؛ ثم خرج نحوهم ماشياً متضرعاً ، مُخَيَّتاً متخشعاً ، وقام ليخطب ، فلما رأى يدار الناس إلى ارتقائه^(٥) ، واستكاثتهم من خيفة الله ، وإخباتهم له ، وابتهالهم إليه ، رقت نفسه ، وغلبته عيناه ؛ فاستعبر وبكى حيناً ، ثم افتتح خطبته بأن قال :

يأيها الناس ، سلام عليكم . ثم سكت ، ووقف شبيه الحَصِر ، ولم يكُ من

(١) في ط : « متوف » . وما أثبتناه عن م والفتح .

(٢) التكلفة عن فتح الطيب .

(٣) في ط : « ليصرف الناس » . وما أثبتناه عن م والفتح .

(٤) كذا في م . وفي ط : « ارتقائه » . وفي الفتح : « ارتقائه » .

عادته ؛ ففطر الناس بعضهم إلى بعض ، لا يدرون ما عساه ، ولا ما أراد بقوله ؛

ثم اندفع نالياً لقوله تعالى : « كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِعَهْدِي ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » ؛ استغفروا ربكم إنه كان غفّاراً ، استغفروا ربكم ثم توبوا إليه ، وتزلفوا بالأعمال الصالحات لديه .

قال الحاكبي : فضجّ الناس بالبكاء ، وجأروا بالدعاء ؛ ومضى على تمام خطبته ، ففرّخ النفوس ^(١) بوعظه ، وانبعث الإخلاص بتذكيره ، فلم ينقض التهار حتى أرسل الله السماء بماء مُنْهَرٍ ، روى الثرى ، وطرّد التعلّ ، وسكّن الأزل ، والله لطيف بعباده .

وكان له في خطب الاستسقاء استفتاح عجيب ؛ ومنه أن قال يوماً وقد سرح طرفة في ملأ الناس ، عند ما شخّصوا إليه بأبصارهم ، فهتف بهم كلنادى : « يا أيها الناس » ، وكررها [عليهم] ^(٢) ، مشيراً بيده في نواحيهم : « أَنْتُمْ أَلْفَقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ أَلْقَى الْحَمِيد . إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيد . وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ » . فاشتد وجد الناس ، وانطلقت أعينهم بالبكاء ، ومضى في خطبته .

من خطبة له
أخرى في ذلك

قال القاضي أبو الحسن ^(٣) : ومن أخبار مُنْذِرِ المحفولة له مع الخليفة الناصر ، في إنكاره عليه الإسراف في البناء ، أن الناصر كان اتخذ لسطح القُبَيْبَةِ ، المغرة الاسم للخصوصية ، التي كانت ماثلة على الصرح المرعد المشهور شأنه بقصر الزهراء ، قراميد مُغَشَّاة ذهباً وفضة ، أنفق عليها مالا جسيماً ، وقَرَّمَد

بعض أخباره
مع الناصر
وحدث القبيبة

(١) كذا في م . وفي ط والنسخ : « الناس » .

(٢) هذه الكلمة عن نفع الطيب .

(٣) هو القاضي أبو الحسن بن الحسن التباي ، وقد مر التعريف به في صدر هذا الجزء .

سقفها به ، وجعل سقفها صفراء فاقمة ، إلى بيضاء ناصعة ، فتستلب الأبرار بأشعة أنوارها ، وجلس فيها إثر تمامها يوما لأهل مملكته ، فقال لقرايته ومن حضر من الوزراء وأهل الخدمة ، مفتخرا عليهم بما صنعه من ذلك : هل رأيتم [٤٢٢] أو سمعتم مَلِكًا كان قبلي فعل مثل هذا أو قدر عليه ؟ فقالوا : لا والله يا أمير المؤمنين ، وإنك لأوحد في شأنك كله ، وما سبقك إلى مبتدعاتك هذه مَلَك رأيتناه ، ولا انتهى إلينا خبره ، فأبهجه قولهم وسره . فبينما هو كذلك إذ دخل عليه القاضي مُنذِر بن سعيد واجبا ناكس الرأس ، فلما أخذ مجامسه ، قال له كالذي قال لوزرائه ، من ذكر السقف الذهب ، واقتداره على إيداعه ، فأقبلت دموع القاضي تتحدر على خचितه ، وقال له : والله يا أمير المؤمنين ما علمت أن الشيطان آمنه الله يبلغ منك هذا المبلغ . ولا أن تمسكته من قيادك^(١) هذا التمسكين ، مع ما آتاك الله من فضله ونعمته ، وفضلك به على العالمين ، حتى يُنزلك منازل الكافرين . قال : فاتفعل عبد الرحمن لقوله ، وقال له : انظر ما تقول ، وكيف أنزلني منازلهم . فقال له : نعم ، أليس الله تعالى يقول : « وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُفُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ » . فوسم الخليفة ، وأطرق مليا ، ودموعه تنساقط ، خشوعا لله سبحانه . ثم أقبل على منذر ، وقال له : جزاك الله يا قاضي عنا وعن نفسك خيرا ، وعن الدين والسلمين أجل جزائه ، وكثر في الناس أمثالك ، فالذي قلت هو الحق . وقام عن مجامسه ذلك [وهو يستنفر الله

تعالى [١] ، وأمر بنقض سنف القُبَيْبَةِ ؛ وأعاد قريدها (٢) تراباً على صفة غيرها . انتهى .

الناصر وأيام
سرور*

وحكى غير واحد أنه وُجِدَ يَحْفَظُ الناصر رحمه الله : أيام السرور التي صفت له دون تكدير يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا ، ويوم كذا من كذا . وعُدَّتْ تلك الأيام ، فكانت أربعة عشر يوماً .

فأعجب أيها العاقل لهذه الدنيا وعدم صفائها ، وبخلافها بكمال الأحوال لأوليائها . هذا الخليفة الناصر حَافَّ السعود ، للضروب به للثلث في الارتقاء [٤٢٣] في الدنيا والصعود ؛ ملكها خمسين سنة وستة أو سبعة أشهر وثلاثة أيام ، ولم تَصِفْ له إلا أربعة عشر يوماً ، فسبحان ذى العزة القائمة ، والملك الدائمة ، تبارك اسمه وتعالى ، لا إله إلا هو .

إعذار الناصر
لأولاد ابنه وما
كان بينه وبين
الغيبه أبي إبراهيم
تخلقه

وحكى أنه — أعنى الناصر — لما أَعْدَرَ لأولاد ابنه أبي مَرْوَانَ الأكبر عبيد الله ، أَخَذَ لذلك صنيعاً عظيماً بقصر الزهراء ، لم يتخاف عنه أحد من أهل مملكته ، وأمر أن يُنْذَرُ لشهوده الفقهاء المشاورون ، ومن يليهم من العلماء والمُدُول ، ووجوه الناس ، فتخلف من بينهم الفقيه المشاور أبو إبراهيم للذكور الذكور في كتب النوادر (٣) والأحكام ، وافتقد مكانه ، لارتفاع منزلته ، فساء ذلك الخليفة الناصر ، ووجد على أبي إبراهيم ، وأمر ابنه ولي العهد الحكيم بالكتاب إليه ، والتفنيذ له (٤) ، فكتب إليه الحكيم رقعة ، نسختها :

(١) الزيادة عن فتح الطيب .

(٢) كذا في م وفتح الطيب . وفي أعمال الأعلام لابن الخطيب : « وإعادة قريدها تراباً على غير تلك الصفة » . وفي ط : « وأعاد سفنها ... الخ » .

(٣) في ط : « النوازل » . وما أثبتناه عن م .

(٤) في م : « والتفنيذ إليه » .

بسم الله الرحمن الرحيم

حفظك الله وتولاك ، وسددك ورعاك ، لما امتحن أمير المؤمنين مولاى
وسيدى أبقاه الله الأولياء الذين يستعد بهم ، وجَدَّكَ متقدما فى الولاية ، متأخرا
عن الصلَّة ، على أنه قد أنذرك ، أبقاه الله ، خصوصا للمشاركة فى السرور الذى
كان عنده ، لا أعدهم الله توالى المسرة ؛ ثم أنذرت من قبل إبلانا فى التكرمة ،
فكان ، على ذلك كله ، من التخلُّف ما ضاقت عليك فيه العذرة ، واستبلغ أمير
المؤمنين فى إنكاره ، ومعاتبتك عليه ، فأعيت عليك عنك الحجة . فرفقنى
أكرمك الله ، ما العذر الذى أوجب توقُّفك عن إجابة دعوته ، ومشاهدة
السرور الذى سُرِّبه ، ورغب للمشاركة فيه [لنعرِّفه] ^(١) ، أبقاه الله بذلك ،
[٢٤٤] فنسكن نفسه العزيزة إليه ، إن شاء الله تعالى .

فأجابه أبو إبراهيم :

« سلام على الأمير ورحمة الله وبركاته .

رأت ، أبقى الله سيدى ، هذا الكتاب وفهمته ، ولم يكن توقُّفى لنفسى ،
إعما كان لأمر المؤمنين سيِّدنا ، أبقاه الله ولساطعنا ، لعلى يذهب ، واسكونى
إلى تقواه ؛ واقتفاره لأثر سلفه الطيب رضوان الله عليهم ، فإنهم كانوا يستقبلون
من هذه الطبقة بقيَّة ، لا يمتنعونها بما يشينها ، ولا بما يفسد منها ، ويعارضون
إلى تنقُّصها ، فيستعدُّون بها لدينهم ؛ ويتردُّون ^(٢) بها عند رعاياهم ؛ ومن يَفِدُّ
عليهم من قُصَّادهم ، فلهذا تخلَّفت ، ولعلنى يذهب توقُّفت ، إن شاء الله تعالى .
قال : فلبس أقرأ الحَكَمُ أباه الناصر لدين الله جواب أبى إبراهيم إسحاق ،

(١) التسكُّلة عن نفع الطيب .

(٢) فى م وفتح الطيب : « ويتربصون » .

أعجبه واستحسن اعتذاره ، وزال ما بنفسه عليه . وكان الفقيه أبو إبراهيم
المذكور معظماً عند الناصر وابنه الحسك ، وحُقَّ لها أن يعظاه .

بيت الحسك
والفقيه
أبي إبراهيم

وقد حكى الفقيه أبو القاسم مَرْج بن محمد بن مَرْج قال : كنت أختلف
إلى الفقيه أبي إبراهيم — رحمه الله — فيمن يختلف إليه للفتنة والرواية ، فإني
لعنده في بعض الأيام في مجلسه ، بالمسجد المنسوب لأبي عثمان ، الذي كان يصلي
فيه قرب داره ، بجوف قصر قرطبة ، ومجلسه حافل بجماعة الطالبة ، وذلك بين
الصلوتين ، إذ دخل عليه خَصِي^(١) من أصحاب الرسائل ، جاء من عند الخليفة
الحسك ؛ فوقف وسلم ، وقال له : يا فقيه ، أحب أمير المؤمنين ، أبقاه الله . فإن
الأمر خرج فيك ، وها هو قاعد ينتظرك ، وقد أمرت بإحبالك ، فإله الله .
فقال له : سَمْعاً وطاعة لأمر أمير المؤمنين ، ولا عَجَلَة ؛ فارجع إليه — وفقه الله —

وعرفه عن أنك وجدتني في بيت من بيوت الله عز وجل . مع طلاب العلم ، [٤٢٥]
أسمعهم حديث ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم يفتيدونه عنى ،
وليس يمكنني ترك ما أنا فيه حتى يتم المجلس المأمور لم . في رضا الله وطاعته ،
فذلك أؤكد من مسيرى إليه الساعة ، فإذا انتفى أمر من اجتمع إلى من هؤلاء
الحنسيين في ذات الله ، الساعين في مرضاته ، مشيت إليه إن شاء الله تعالى .

ثم إنه أقبل على شأنه ، ومضى الخَصِي يَهْتِمُّ متضاجراً من توقفه ؛ فلم يك
إلا ربنا أدى جوابه وانصرف سريعا ساكن العيش . فقال له : يا فقيه ،
أنهيت قولك على نصه إلى أمير المؤمنين ، أبقاه الله ، فأصغى إليه وهو يقول
[لك]^(٢) : جزاك الله خيراً عن الدين ، وعن أمير المؤمنين ، وجماعة المسلمين ،

(١) في هنا : « الفتي » .

(٢) هذه الكلمة من نفع الطيب .

وأمتهم بك ، وإذا أنت أُوْعِيَتْ ، فامض ^(١) إليه راشدا ، إن شاء الله تعالى ، فقد أمرتُ أن أبقى مَعَكَ حتى ينقضَ شغلك ، وأذكرَكَ تَمَتُّى مَعى . فقال له : حسن جميل ، ولكنى أضْمُفُ عن المشى إلى باب السُّدَّةِ ، ويصعبُ على رُكوبِ دابةٍ لشيخوختى ، وضعفِ أعضائى ، وباب الصنّاعة الذى يقربُ إلى من أبواب القصر للسكرم أحوط لى ، وأرفق بى ؛ فإن رأى أمير المؤمنين ، أَيْدَهُ الله تعالى ، أن يأمر بفتحه ، لأدخلُ إليه منه ، هَوْنٌ عَلَىّ للشى ، وودُّعُ جِسمى ؛ وأحبُّ أن تعود ، فتنهى إليه ذلك عني ، حتى تعرف رأيه فيه ، وكذلك تعود إلى ، فأني أراك فتي شديدا ، فكُنْ على الخير ممينا .

ومضى عنه القتي ، ثم رجع بعد حين ، وقال : يا فقيه ، قد أجابك أمير المؤمنين إلى ما سألت ، وأمر بفتح باب الصنّاعة ، وانتظاركَ من قِبَلِهِ ، ومنه خرجتُ إليك ، وأمرتُ بملازمتِكَ مذكرا بالتهوُّض عند فراغِكَ ؛ وقال : افعل راشدا ؛ وجلس الخَصِيّ جانباً ، حتى أكَل أبو إبراهيم مجلسه ، بأَكَلٍ وأفسح ما جرت ^(٢) به عادته ، غير منزعج ولا قَلْبِي ؛ فلما انقضضنا عنه قام إلى داره ، فأصلح من شأنه ، ثم مشى إلى الخليفة الحَكَم ، فوصل إليه من ذلك الباب ، وقضى حاجته من لقائه ، ثم صرفه على ذاك الباب ، فأعيد إغلاقه على إثر خروجه .

قال مفرّج : ولقد تعمَّدنا في تلك العشيّة ، إثر قيامنا عن الشيخ أبي إبراهيم ، المرور بهذا الباب للمهود إغلاقه ، بدير القصر ، لئلا نرى الذى تجشم ^(٣) الخليفة له ، فوجدناه كما وصف الخَصِيّ مفتوحا ، قد حَفَّه الخدم والأعوان منزهيين ، ما بين

(١) في م : « فانهض » .

(٢) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « كأنسج ما جرت » .

(٣) كذا في ط ونفع الطيب . وفي م : « لئلا نجشم » .

كئاس وفزاش، منهيشين لانتظار أبي إبراهيم؛ فاشتد عجبنا لذلك، وطال نعتنا عنه. انتهى.

هكذا هكذا نكون العالي طرقي الجذ غير طرقي المزاح

وكان الخليفة الحكم المستنصر المذكور قد قام بأعباء الملك أحسن قيام، لما توفي والده الناصر في يوم الأربعاء ثلاث — وقيل لاثنتين — من شهر رمضان، من سنة خمسين وثلاث مئة، واستمرت الخلافة به، حتى لم يعلم من الناصر إلا شخصه، واعتلى سرير الملك ثامن وفاة أبيه، يوم الخميس، وأخذ السكتب إلى الآفاق بتأم الأمر له، ودعا الناس إلى بيعته، واستقبل من يومه النظر في تمهيد سلطانه، وتنقيف مملكته، وضبط قصوره، وترتيب أجناده. وأول ما أخذ البيعة على صقاية قصره، الفتيان المعروفين بالخلفاء الأكبر، كجعفر صاحب الخيل والطرّاز، وغيره من عظامهم، وتكاملوا بأخذها على من وراهم وتحت أيديهم، من طبقتهم [وغيرهم] ^(١)؛ وأوصل إلى نفسه في الليل دون هؤلاء، الأكبر من السكتب والوصفاء، والمقدمين والعرفاء، فبايعوه؛ فلما حلت بيعتهم وبيعة أهل القصر تقدم إلى عظيم دولته جعفر بن عثمان، بالتهوض في أخيه شقيقه أبي سروان عبيد الله، المتخلف لاملته، بأن يلزمه الحضور للبيعة دون مدرة؛ وتقدم إلى موسى بن أحمد بن حذير بالتهوض أيضا في أبي الأصمغ عبد العزيز شقيقه الثاني، فضا إليها، كل واحد منهما في قطيع من الجند، وأتيا بها إلى قصر مدينة الزهراء؛ ونفذ غيرهما من وجوه الرجال في الخيل، للإتيان بغيرهما من الإخوة، وكانوا يومئذ ثمانية، فوافي جميعهم الزهراء في الليل، فنزلوا في مراتبهم

بيعة الحكم
المستنصر

[٤٧]

(١) في م: «دين».

(٢) هذه السكدة عن نفع الطيب.

بِفُصْلان دار الملك ، وقعدوا في المجلسين الشرق والغرب ، وقعد المستنصر بالله على سرير الملك ، في البهو الأوسط من الأبناء المذهب القبلية ، التي في السطح المرد ؛ فأول من وصل إليه الإخوة : فبايعوه ، وأنصتوا لصحيفة البيعة ، والتزموا الأيمان المنصوصة بكل ما انعقد فيها ؛ ثم بايع بعدهم الوزراء وأولادهم وإخوتهم ، ثم أصحاب الشرطة ، وطبقات أهل الخدمة ؛ وقعد الإخوة والوزراء والوجوه عن يمينه وشماله ، إلا عيسى بن فطيس ، فإنه كان قائماً يأخذ البيعة على الناس ؛ وفام الترتيب على الرسم في مجالس الاحتمال المعروفة ؛ فاصطف في المجلس الذي قعد فيه أكابر الفتيان يمينا وشمالا ، إلى آخر البهو ، كل منهم على قدره في المنزلة ، عليهم الظواهر البيض ، شعار الحزن ، قد تقلدوا فوقها السيوف ، ثم تلاهم الفتيان الوُصفاء ، عليهم الدروع السابعة ، والسيوف الحالية ، صفين منتظمين في السطح ، وفي الفصلان المتصلة به ذوو الأسنان من الفتيان المعقابلة الحصيان [١٢٨] لايسين البياض ، بأيديهم السيوف ، يتصل بهم مَنْ دونهم من طبقات الحصيان الصقالية ، ثم تلاهم الرُماة متنكبين قسيهم وجعابهم ، ثم وصلت صفوف هؤلاء الحصيان المعقابلة صفوف العبيد المُجول ، شاكين في الأسلحة الرائقة ، والمدة الكاملة ، وفامت التعبئة في دار الجند والترتيب من رُجالة العبيد ، عليهم الجواشن والأقبية البيض ، وعلى رؤوسهم البيضات الصُقلبية^(١) ، وبأيديهم التُّراس الملوثة ، والأسلحة المزينة ، انتظموا صفين إلى آخر الفصيل^(٢) . وعلى باب الشدة الأعظم البوابون وأعوانهم ، ومن خارج باب الشدة فُرسان العبيد إلى باب الأقباء ، واتصل بهم فُرسان الحشم ، وطبقات الجند والعبيد والرُماة ، موكبا

(١) في م : « الصقلية » .

(٢) الفصيل : واحد الفصلان (انظر الحاشية رقم ٢ صفحة ٢٦٦ من هذا الجزء) .

وفي الأصلين والفتح : « الفصل » . وظهر أنها معرفة عما أتيته .

إثر موكب ، إلى باب المدينة الشارع إلى الصحراء ، فلما تمت البيعة أذن للناس بالانقضاء ، إلا الإخوة والوزراء و [أهل] ^(١) الخدمة ، فأنهم مكثوا بقصر الزهراء ، إلى أن احتُمل جسد الناصر رحمه الله إلى قصر قرطبة ، للدفن هنالك في رُبة الخلفاء .

وفي ذى الحجة من سنة خمسين المذكورة تكاثرت الوفود بباب الخليفة الحكم من البلاد ، للبيعة والتمس المطالب ، من أهل طليطلة وغيرها من قواعد الأندلس وأصقاعها ؛ فتوصلوا إلى مجلس الخليفة ، بمحضر جميع الوزراء والقاضى منذر ابن سعيد واللأ ، وأخذت عليهم البيعة ، ووقعت ^(٢) الشهادات في نسخها .

وفي آخر صفر من سنة إحدى وخمسين أخرج الخليفة الحكم المستنصر بالله موابيه محمدا وزيدا ابني أفلح الناصري ، في كتيبة من الحشم والخدم ، لتلقي غالب ^[٤٢٩] الناصري ، صاحب مدينة سالم ، المورد لاطاغية أردون بن أدفونش الخبيث في الدولة ، للتمكك على طوائف من أُمم الجلائقة ، والمنازع لابن عمه للملك قبله شانهج بن رُدمير ؛ وتبرَّع هذا اللعين أردون بالمسير إلى باب المستنصر بالله من ذاته ، غير طالب إذن ، ولا مستظهر بعهد ، وذلك عندما بلغه من اعتزام المستنصر بالله في عامه ذلك على الغزو إليه ، وأخذ في التأهب له ، فاحتال في تأميل المستنصر بالله ، والارتقاء إليه ، وخرج قبل أمان يُفقد له ، أو ذمة تعصيه ، في عشرين رجلا من وجوه أصحابه ، تسكفهم غالب الناصري ، الذي خرج إليه ؛ فجاء بهم نحو مولاة الحكم ؛ وتلقاهم ابنا أفلح بالجيش المذكور ؛ فأنزلهم ؛ ثم تحركا بهم ثلثي يوم نزولهم إلى قرطبة ، فأخرج المستنصر بالله إليهم هشام بن محمد بن عثمان المصنعي ، في جيش عظيم كامل التعبئة ، وقدموا إلى باب قرطبة ،

وفود أردون
عليه وحديث
ذلك

(١) هذه السكلة عن نسخ الطيب . (٢) في م : « ووقعت » .

فروا بباب قصرها . فلما انتهى أردون^(١) إلى ما بين السدة وباب الجنان ، سأل عن مكان رَمَس الناصر لدين الله ، فأشير إلى ما يوازي موضعه من داخل القصر في الروضة ؛ فخلع قانسوته ، وخضع نحو مكان القبر ودعا ، ثم رد قَلَنسوته إلى رأسه . وأمر المستنصر بأنزال أردون في دار^(٢) الناعورة ، وقد كان تقدّم في فرشها بأنواع القطاء والرحاء ، وانتهى من ذلك إلى الغاية ؛ وتوسّع له في الكرامة ولأصحابه ، فأقام بها الخميس والجمعة ، فلما كان يوم السبت ، تقدم المستنصر بالله باستدعاء أردون ومن معه ، بعد إقامة الترتيب ، وتعمية الجيوش ، والاحتفال في ذلك ، من العدد والأسلحة والزينة ؛ وقعد المستنصر بالله على سرير الملك في المجلس الشرقي من مجالس السطح ، وقعد الإخوة وبنوهم ، والوزراء ونظارهم صفّاً^(٣) في المجلس ، فيهم القاضي منذر بن سعيد ، والحكام والفقهاء ؛ فأتى محمد بن القاسم بن طلاس^(٤) بالملك أردون وأصحابه ، وعلى^(٥) كبوسه ثوب ديباجي رومي أبيض ، وبلّيّوال من جنسه وفي لونه ؛ وعلى رأسه فلنسوة رومية منظلومة بجوهر ، وقد حفّته جماعة من نصارى وجوه الذمة بالأندلس ، يؤنسونه ويبهرونه ، فيهم وليد بن حيزون^(٦) قاضي النصارى بقرطبة ، وعبيد الله بن قاسم مُطران طليطلة ، وغيرهم^(٧) ؛ فدخل بين صفّي الترتيب ، بقلب الطّرف في نظّم الصفوف ، ويميل النظر^(٨) في كثرتها ، وتظاهر أسلحتها ، ورائق حليتها ، فراعهم ما أبصروه ،

(١) تقدم قريبا هذا الاسم مضبوطا (فتح الهزلة) . والصواب (بضها) .

(٢) في م : في منية « الناعورة » .

(٣) في الأصلين : « معاً » . وما أبتداء عن فتح الطب طبعة مصر والمخطوط . وفي فتح الطب طبعة أوربة : « جفا » . أي : جماعة .

(٤) كذا في الاستقصا لاسلاوى (ج ١ صفحة ٨٧) وفيها سيأتي من م . وفي تلخ الطب الطبع والمخطوط : « طلاس » . وفي ط وم هنا : « طلاس » .

(٥) في م : « وعلى » . (٦) كذا في فتح الطب . وفي الأصلين : « خيزران » .

(٧) مكان هذه الكلمة « وغيرها » في م : « وأصبح بن نبيل وعبد الرحمن بن لب » .

(٨) في ط : « الفكر » وما أبتداء عن م والفح .

وصَلُّوا على وجوههم ، وتَأَلَّموا ناكسِي رءوسهم ، غاضِينَ من جفونهم ، قد
 مُكِّرَتْ أَبصارهم ، حتى وصلوا إلى باب الأقباء ، أول باب قصر الزهراء ،
 فترجَّل جميع من كان خرج إلى لقائه ، وتقدم الملك أَرْدُون وخاصة قَوَاسِمِ^(١) على
 دوابهم ، حتى انتهوا إلى باب السُدَّة ، فأمر التَّوَّاس بالترجُّل هناك ، والنَّشَى
 على الأقداء ، فترجَّلوا ، ودخل الملك أَرْدُون ، حده ، وأكَّامع محمد بن طاباس^(٢) ،
 فَأَنْزَلَ فِي بَرْطَل^(٣) البهو الأوسط ، من الأبناء القبلية ، التي يدار الجند ، على كرسي
 مرتفع ، مكسو الأوصال بالفضة ، وفي هذا المسكن بعينه نزل قبله عدوؤه ومناوئنه
 شائخِيه بُرْدَمِير ، الوافد على الناصر لدين الله ، رحمه الله تعالى ، فتقدم أَرْدُون على
 الكرسي ، وقعد أصحابه بين يديه ، وخرج الإذن لأَرْدُون الملك من المستنصر
 بالله ، بالدخول عليه ، فتقدم يمشى وأصحابه يتبعونه ، إلى أن وصل إلى السطح ،
 فلما قابل المجلس الشرقي ، الذي فيه المستنصر بالله ، وقف وكشف رأسه ، وخلع
 بُرْنُسَهُ ، وبقي حاسراً ، إعظاما لما بان له من الدنو إلى السرير ، واستشْتَهَضَ ، فضى
 بين الصَّغِيرَيْنِ المرتبَيْنِ في ساحة السطح ، إلى أن قطع السطح ، وانتهى إلى باب
 البهو ، فلما قابل السرير خر ساجدا سوية ، ثم استوى قائما ، ثم نهض خطوات ،
 وعاد إلى السجود ، ووالى ذلك مرارا ، إلى أن قَدَّمَ^(٤) بين يدي الخليفة ، وأهرى
 إلى يده ، فناله إياها ، وكرَّرَ راجعا ، مَقَهِّمًا على عقبه ، إلى وِسادِ دِيبَاجٍ مُثَقَّلٍ
 بالذهب ، جُعِلَ له هنالك ، ووضع على قدر عشرة أذرع من السرير ، فجلس عليه
 والبهْرُ قد علاه ؛ وأنَّهض خلفه من استندى من قوامسه وأتباعه ، فذَرَوْا مِثْلَينِ

(١) القواسم : الأسراء . الواحد : قومس يوزن جعفر .

(٢) انظر الحاشية (رقم ٤) صفحة (٢٨٩) من هذا الجزء .

(٣) البرطل (كجهر ورتن) : كلفة إسبانية ومعناها : سقيفة عند باب البيت ، أو في

أحد جوانب الداء ، ولا تزال تستعمل في الغرب . (راجع تكملة المعاجم العربية

لدوزي) . (٤) في م : « قام » .

فله في تكرير الخنوع ، وتاولم الخليفة يده . فقبلوها وانصرفوا مُهْتَرِينَ ، فوقفوا على رأس ملكهم ، ووصل بوصولهم وليد بن حَبْرُون فاضى النصارى بقرطبة^(١) ، فسكر الترحمان عن الملك أُرْدُون ذلك اليوم ، وأطرق الخليفة الحكم عن تكليم الملك أُرْدُون إثر فموده [أمامه وقتاً]^(٢) ريثما^(٣) يَبْرِخُ رَوْعُهُ ، فلما رأى أن قد خُفِّضَ عليه ، افتتح تكليمه ، فقال : لَيْسَ بِكَ إِيْدَالُكَ ، وَيُبَيِّطُكَ نَأْيُكَ ، فلدينا لك من حسن رأيينا ، ورُحْب قبولنا ، فوق ما قد طلبته .

فلما تَرُفِعَ له [كلامه]^(٤) إِيَّاهُ ، تَطَلَّقَ وجه أُرْدُون ، وانحط عن رتبه ، فقتل البساط ، وقال : أنا عبد أمير المؤمنين مولاي ، المتوكل على فضله ، المقاصد إلى مجده . المحكم في نفسه ورجاله ، فحيث وضعى من فضله ، وعرضى من خدمته ، رجوت أن أقدم فيه بنية صادقة ، ونصيحة خالصة . [٤٢٢]

فقال له الخليفة : أنت عندنا بمجل من يستحق حسن رأيينا ، وسينالك من تقديمنا لك ، وتفضيلنا إياك على أهل ملتك ، ما يُبَيِّطُكَ ، وتتمتع به فضل جنودنا إِيَّاهُ ، واستظلالك بظل سلطاننا .

فعاد أُرْدُون إلى السجود عند فهمه مقالة الخليفة ، وابتهل داعياً ، وقال : إن شأخة ابن عمى تقدم إلى الخليفة الماضى مستجيراً به منى ، فكان من إعزازه إياه ما يكون من مثله من أعظم الملوك ، وأكّارم الخلفاء ، لمن قصدهم وأملهم ؛ وكان قصده قصد مضطّر ، قد شَتَّاهُ رعيته ، وأنكرت سيرته ، واختارتنى لسكانه ، من غير سعى منى — علم الله ذلك — ولا دعاه إليه ، فخلعته وأخرجته عن ملكه مضطراً مضطهداً ؛ فتناول عليه رحمه الله . بأن صرته إلى ملكه ،

(١) زادت م يده هذه الكلمة : « وعيبد الله بن قاسم مطران طليطلة » .

(٢) هذه الكلمة عن نوح الطيب .

(٣) في ط : « كنها » ، وما أتبعناه عن م ونوح الطيب .

وقوى سلطانه ، وأعر نصره . ومع ذلك فلم يتم بفرض النعمة التي أسديت إليه ، وقصر في أداء المفروض عليه وحفه وحق أمير المؤمنين مولاي من بعده ؛ وأنا قد صدت باب أمير المؤمنين لغير ضرورة ، من قرارة سلطاني ، وموضع احتكاكي ^(١) ، مُحْكَمًا له في نفسى ورجالي ومعافى ، ومن تحويه من رعيى ؛ فشتان ما بيننا من قوة الثمة ، وتطرح الهمة .

فقال الخليفة : قد سمعنا قولك ، وفهمنا مغزاك ، وسوف يظهر من إقراضنا إياك على الخصوصية فوق شأنه ، ويترادف من إحساننا إليك به أضعاف ما كان من أيننا رضى الله عنه إلى نَدِّكَ ، وإن كان له فضل التقدم بالجَنُوحِ إلينا ، والتصد إلى سلطانتنا ، فليس ذلك مما يؤخره عنه ، ولا يَنْقُصُك مما أفلناه ، ومنصرفك مضبوطا إلى بلدك ، [ونشدأ أواخي ملكك] ^(٢) ، ونملكك جميع من انحاش إليك من أمتك ، ونعقد لك بذلك كتابا يكون بيدك ، نُقرر به حدًّا ما يندك وبين ابن عمك ، وتقضيه عن كل ما يُصرفه من البلاد إلى يدك ، وسيرَ أدف عليك من إفضالنا فوق ما احتسبته . والله على ما نقول وكيل .

فذكر أردون الخصوع ، وأسهب في الشكر ، وقام للانصراف متعقرا ، لا يؤلِّ الخليفة ظهره ، وقد تكلفه الحفدة من جِلَّةِ الفتيان ، فأخرجوه إلى المجلس الغربى في السطح ، وقد علاه البُهر ، وأذهله الرُّوع ، من هول ما باشره ، وجلالة ما عابنه ، من نخامة الخليفة ، وبهاء العزة . فلما أن دخل المجلس ، ووقفت عينه على مقعد أمير المؤمنين خاليا منه ، انحط ساجدا إعظامًا له ، ثم تقدَّم الفتيان به إلى البهو الذى يحوى هذا المجلس ، فأجلسوه هناك على وساد مثقل بالذهب ، وأقبل نحوه الحاجب جعفر ، فلما بعُشر به قام إليه ، وخضع له ،

(١) في نفع الطبيب « أحكاكى » . (٢) التكلفة عن نفع الطبيب .

وأومأ إلى تقبيل يده ، فقبضها الحاجب عنه ، وأحنى إليه ، فماتته ، وجلس معه ، ففعلته ، ووعدته من إنجاز عِدَات الخليفة له بما ضاعف سروره ؛ ثم أمر الحاجب جعفر^(١) ، فصَبَّت عليه الحِلْع التي أمر له بها الخليفة ، وكانت دُرَاعَة منسوجة بالذهب . وِرْثُهَا مثلها ، له لوزة مُفَرَّغَة من خالص التَّيْبَر ، مرسعة بالجواهر والياقوت ، ملأت عين العِلْج نَجْمَة ، نَغْرٌ ساجداً ، وأعلن بالدعاء ؛ ثم دعا الحاجب أصحابه رجلا رجلا ، فخلع عليهم ، على قدر استحقاقهم ؛ فشكل جميع ذلك بحسب ما يصلح لهم . وخرَّ جميعهم خاضعين شاكرين ، ثم انطلق الملك [أردون]^(٢) وأصحابه ، وقَدَّم لركابه في أول المهِو الأوسط فرس من عتاق خيل الركاب ، عليه مرج حَلَى ، ولجام حَلَى مَفْرَغ ، وانصرف مع ابن طملس إلى قصر الرُصَافَة ، مكان تَضْيِيفه ، وقد أُعِدَّ له فيه كل ما يصلح لثله من الآلة والقرش والمساكن ، واستقر الملك أردون وأصحابه فيها لا كِفَاء له من سَعَة التضييف ، وإرغاد المعاش ، واستشعر الناس من مسرة هذا اليوم وعِزَّة الإسلام فيه ، ما أفاضوا في التَبَجُّح به ، والتحدث عنه أياما .

شعر للرازي
في هذا القام

وكانت للخطباء والشعراء بمجلس الخليفة في هذا اليوم مقامات حسان ، وإنشادات لأشعار بحكمة مِثَان ، يطول القول في اختياراتها .

فمن ذلك قول عبد الملك بن سعيد الرازي من قصيدة طويلة :

مَلِك الخليفة آية^(٣) الإقبال وسُعوده موصولة بنوال
فالمسلمون بعره وبرفعة والمشركون بذلة وسِفال
أَلَقْتُ بِأَيْدِيهَا الأعاجم بحوه متوقِّعين لَصَوْلَةِ الرِّئَال
هَذَا أَمِيرُهُمْ أَنَامَ أَخَذَا مِنْهُ أَوَاصِرَ ذِمَّةٍ وَحِجَال

(١) هذه السكبة عن فتح الطيب .

(٢) في فتح الطيب : « غاية » .

متواضعا لجلاله متخشعا متبرعا كما يرغ بقتال
سينال بالتأميل لليلك الرضا عزرا بعم عسده بالاذلال
لا يوم أعظم للولاة مسرة وأشد غيظا على الأقبال
من يوم أردون الذي إقباله أمل التمدى ونهاية الإقبال
ملك الأعاجم كاه ابن ملوكها وال تماء للأعاجم وال
إن كان جاء ضرورة فلقد أتى عن عز مملكة وطوع رجال
فالحد لله النبيل إماننا حظ الملوك مقدره التعالى
هو يوم حشر الناس إلا أنهم لم يسألوا فيه عن الأعمال
أنهى الفناء ممتعا^(١) بعبوثة والأفق أقيم أغبر السربال
لا يهتدى السارى لليل فتامه إلا بضو صدارم وعوالى
وكان أجسام الكفاة تمرلت مذ غبرت منه^(٢) جسم صلال^(٣)
وكانما العقبان عقبان القلا منقصة لتخطف الضلال
وكان منتصب القنا مهتره أشطان نازحة بعيدة جال^(٤)
وكانما خيل التجافيف^(٥) أكست نارا توهجها بلا إشعال
وتتبع مثل هذه الأخبار لا آخر له ؛ والله المستعان .

وكان القاضي منذر بن سعيد السابق ذكره ، سمع بالأندلس من عبيد الله [٤٧٥]

عن منفر
ابن سعيد
البوطي

ابن يحيى بن يحيى ونظرائه ، ثم رحل حاجا سنة ثمان وثلاث مئة ، فسمع من
عدة أعلام ، منهم محمد بن المنذر القيسابوري ، سمع عليه كتابه لنواف في

(١) في نسخ الطبع والمخطوط : « غيا » .

(٢) كذا في م . وفي ط : « غيرت » . وفي نسخ الطبع : « حريت عنه » .

(٣) كذا في الأصلين ونسخ الطبع والمخطوط . (٤) يريد بالجلال : فرائد .

(٥) كذا في م . وفي ط ونسخ الطبع : « قبل التجافيف » . والتجافيف : جمع تجاف .

(بالسكر) وهو آلة للحرب يلبسه الفرس والإنسان ليقيه في الحرب .

اختلاف العلماء ، المسمى بالإشراف ، وروى بمصر كتاب العين للخليل ، عن أبي العباس بن ولّاد ، وروى عن أبي جعفر بن النحاس . وكان متقنا في ضروب العلوم ، وغلب عليه التفقه بمذهب أبي سليمان داود بن علي الأصمّاني ، المعروف بـ «بانياسي»^(١) ، وبالظاهرى ؛ فكان منذر بن سعيد يؤثر مذهبه ، ويجمع كتبه ، ويخرج لفائته ، ويأخذ به في نفسه وذويه ؛ فإذا جلس للحكومة قضى بمذهب الإمام مالك وأصحابه ، بالذي استقر عليه العمل في بلدهم ، وحمل عليه السلطان أهل مملكتهم .

وله تاليف مفيدة ؛ منها كتاب أحكام القرآن ؛ والناسخ والمنسوخ ، وغير ذلك في الفقه والكتلام والرد على أهل المذاهب ؛ وكان خطيبا بليغا ، عالما بالجدل ، حاذقا فيه ، شديد المعارضة ، حاسر الجواب ، عتيده ، ثابت الحجة ذا شارة عجبية ، ومنظر جميل ، وخلق حميد ، وتواضع لأهل الطلب ، وانحطاط لهم ، وإقبال عليهم ؛ وكان مع وقاره التأنى فيه دُعابة مستملحة ، وله نوادر مستحسنة ، لولا السامة جالينا منها طرّقا . وكانت ولايته القضاء بقرطبة للناصر ، في شهر ربيع الآخر^(٢) سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة ، ولبث قاضيا من ذلك التاريخ للخليفة الناصر إلى وفاته ، ثم للخليفة الحَكَم المستنصر ، إلى أن توفّي رحمه الله ، عقب ذى الحجة سنة خمس وخمسين وثلاث مئة ؛ فكانت ولايته لقضاء الجماعة ستة عشر عاما كاملة ، لم يحفظ عليه فيها جور في قضية ، ولا قسَم بغير سوية ، ولا ميل هوى ، ولا إصغاء إلى عنابة ، رحمه الله ورضى عنه . ودُفن بمقبرة قریش ، بالربض الغربي من قرطبة ، أعادها الله ، جوف مسجد السيدة السكبري ، بقرب داره .

(١) في م : «بانياسي» . (٢) كذا في ط ونفع الطيب . وفي م : «الأول» .

بمن ماثور
كلامه

قال القاضي أبو الحسن^(١) : كان شيخنا القاضي أبو عبد الله بن عياش الخزرجي يستحسن من كلام القاضي مُنذر قوله في التزكية :

اعلم أن العدالة من أشد الأشياء تفاوتاً وتبايناً ، ومتى حصلت ذلك عرفت حالة الشهود ، لأن بين عدالة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وعدالة التابعين رضى الله عنهم قوتاً^(٢) عظيماً ، وتبايناً شديداً ؛ وبين عدالة أهل زماننا وعدالة أولئك مثل ما بين السماء والأرض ؛ وعدالة أهل زماننا على ما هي عليه بعيدة التباين أيضاً . والأصل في هذا عندي ، والله الموفق ، أن من كان الخير أغاب عليه من الشر ، وكان متفرِّها عن الكبار ، فواجب أن تُعَمَّل^(٣) شهادته ، فإن الله تعالى قد أخبرنا بنص الكتاب أن من تَقَلَّتْ موازينه فهو في عيشة راضية ، وقال في موضع آخر : « فأولئك هم الفلحون » ؛ فن تقلت موازين حسناته بشيء لم يدخل النار ؛ ومن استوتت حسناته وسيئاته لم يدخل الجنة في زمرة الداخلين أولاً ، وهم أصحاب الأعراف ، فذلك عقوبة لهم ، إذ تخلفوا عن أن تزيد حسناتهم على سيئاتهم ؛ فهذا حكم الله في عبادِهِ . ونحن إنما كُلِّفْنَا الحكم بالظاهر ، فن ظهر لنا أن خيره أغلب عليه من شره حكمنا له بحكم الله في عبادِهِ ، ولم نطالب له علم الباطن ، ولا كُلِّفَ محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد ثبت عنه أنه قال : « إنما أنا بشر ، وإنكم تختصمون إلي ، فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، فأحكم له على نحو مما أسمع » . فأحكام الدنيا على ما ظهر ، وأحكام الآخرة على ما بطن ؛ لأن الله تعالى يعلم الظاهر والباطن ، ونحن لا نعلم إلا الظاهر ؛ ولأجل كل بلد قوم قد تراضى عليهم عاداتهم ، فهم تمنع من أحكامهم ويوعهم ، وقد قدمهم في مساجدهم ولجئتهم وأعيادهم ، فالواجب على من استقصى على

(١) هو أبو الحسن البناهي السابق الذكر . (٢) في م : « بونا » .

(٣) إعمال الشهادة : قبولها والعمل بها .

موضع أن يُقَوِّل شهادة أمثالهم وقهائهم ، وأصحاب صلواتهم ، وإلا ضاعت حقوق ضميمهم وقويهم ، وبطلت أحكامهم . ويجب عليه أن يسأل إن استغراب في بعضهم في الظاهر والباطن عنهم ، فمن لم يثبت عنده عليه اشتغال في كبيرة ، فهو على عدالة ظاهرة ، حتى يثبت غير ذلك . انتهى .

قلت : تذكرت هنا ما رأيته بخط الإمام الحافظ سيدي أحمد الونشري رحمه الله على ظهر كتاب ابن الخطيب : « مُثَلَّى الطريقة في ذم الوثيقة » ، وقد مدَّ فيه ابن الخطيب الباع في ذم الموثقين ^(١) ، وذكر مثالبهم ، ونص ما ألبيته بخط المذكور :

الحمد لله . جامعُ هذا الكلام المتَّيد هنا بأول ورقة منه ، قد كدَّ نفسه في شيء لا ينفع الأفاضل ، ولا يعود عليه في القيامة ولا في الدنيا بباطل ، وأقنى طائفة من تقيس عمره في القياس مساوي طائفة ، بهم تُستباح الفروج ، وتُتلك مُسَيِّدات الدور والبُروج ، وجعلهم أخصوكا لندوى الفتنك والمجانة ، وانتزع عنهم جلباب الصدق والديانة ، ساعه الله وغفر له . قال ذلك وخطَّه بيئى يديه غبيد ربه أحمد بن يحيى بن محمد بن علي الونشري ، خار الله سبحانه له . انتهى .

ولترجع إلى ما كنا فيه من أخبار سبِّة ، فنقول :
كان أهل سبِّة في غاية الذكاء والفطنة ، والعلم والمعرفة ؛ وقد حكى الشيخ القنَّار أبو إسحاق الشاطبي في شرحه على ألقية ابن مالك ، عن شيخه أبي عبد الله القنَّار ، عن بعض أهل سبِّة ، أن الشيخ أبا عبد الله بن خيسر التلمساني لما ورد على سبِّة بقصد الإقراء بها ، اجتمع عليه عيون طلبتها ؛ فآلقوا عليه

[١٣٨]

(١) كذا في ط . وقرئ : « الموثقين » .

مسائل من غوامض باب الاشتغال ، غاد عن الجواب ، بأن قال لم : أنتم عندي كرجل واحد . يَتَّبِعُ أَنْ مَا أَقْوَا عَلَيْهِ مِنَ الْمَسَائِلِ إِنَّمَا تَلْقَوَهَا مِنْ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، وهو ابن أبي الربيع ؛ فكَأَنَّهُ إِنَّمَا يُخَاطَبُ رَجُلًا وَاحِدًا ، ازدراء بهم . فاستقبله أصغر القوم سِنًا وَعِلْمًا ، بَأَن قَال لَه : إِنْ كُنْتَ بِالْمَكَانِ الَّذِي تَزْعُمُ ، فَأَجِبْنِي عَنْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ ، مِنْ بَابِ مَعْرِفَةِ عِلَامَاتِ الْإِعْرَابِ ، الَّتِي أَذْكُرُهَا لَكَ ؛ فَإِنْ أَجَبْتَ فِيهَا بِالصَّوَابِ ، لَمْ تَحْطُ ^(١) بِذَلِكَ فِي نَفْسِنَا ، أَصْغَرُهَا بِالْفَخْرِ إِلَى تَعَاطِيكَ مِنْ ^(٢) الْإِدْرَاكِ وَالتَّحْصِيلِ ، وَإِنْ أَخْطَأْتَ فِيهَا لَمْ يَسْمَعْ هَذَا الْبَلَدُ ؛ وَهِيَ عَشْرَةٌ :

أَوَّلُى : أَنْتُمْ يَا زَيْدُونَ تَعَزُّونَ .

وَالثَّانِيَةُ : أَنْتَنْ يَا هِنْدَاتُ تَعَزُّونَ .

وَالثَّالِثَةُ : أَنْتُمْ يَا زَيْدُونَ يَا هِنْدَاتُ تَعَزُّونَ .

وَالرَّابِعَةُ : أَنْتَنْ يَا هِنْدَاتُ تَخْشَيْنَ .

وَالْخَامِسَةُ : أَنْتِ يَا هِنْدُ تَخْشَيْنَ .

وَالسَّادِسَةُ : أَنْتِ يَا هِنْدُ تَرْمِينَ .

وَالسَّابِعَةُ : أَنْتَنْ يَا هِنْدَاتُ تَرْمِينَ .

وَالثَّامِنَةُ : أَنْتَنْ يَا هِنْدَاتُ تَمْحُونَ أَوْ تَمْحَيْنَ [كَيْفَ تَقُولُ] ^(٣)

وَالْتَّاسِعَةُ : أَنْتِ يَا هِنْدُ تَمْحِينَ أَوْ تَمْحُونَ ^(٤) كَيْفَ تَقُولُ .

وَالْعَاشِرَةُ : أَنْتُمْ تَمْحُونَ أَوْ تَمْحِيَانِ ، كَيْفَ تَقُولُ .

(١) كَذَا فِي مَوْضِعِ الطَّيِّبِ . وَفِي ط : « لَمْ تَحْطُ » .

(٢) فِي نَفَحِ الطَّيِّبِ الْمَطْطُوعِ وَالطُّبُوعِ : « تَعَايِكَ عَنْ » .

(٣) التَّشْكِيكُ عَنْ نَفَحِ الطَّيِّبِ .

(٤) فِي هَذِهِ الصِّفَةِ خَطَأٌ سِيرَعِي لَهُ ابْنُ مَرْزُوقٍ (فِي صَفْحَةِ ٣٠٦) مِنْ هَذَا الْجُزْءِ .

عَنْ قَوْلِهِ : « وَلَيْسَ مَا وَفَّقَ فِي السُّؤَالِ ... الخ »

وهل هذه الأفعال كلها مبنية أو معربة ؟ أو بعضها مبنية وبعضها معرب ؟
 وهل كلها على وزن واحد أم على أوزان مختلفة ؟ علينا السؤال ، وعليك التمييز ،
 لنعلم الجواب . فنهت الشيخ وشغل المحل بأن قال : إنما يُسأل عن هذا صغار
 الولدان . فقال له الفتى : فانت دونهم إن لم تحب . فأنزعج [الشيخ] ^(١) وقال
 هذا سوء أدب . ونهض مضرطاً ، ولم يسمع إلا عاتقة ، متوجهاً إلى غرابطة ،
 فلم يزل بها مع الوزير ابن الحكيم ، إلى أن مات . فتمده الله برحمته . انتهى .
 [١٣٩] وأورد هذه الحكاية أيضاً عالم الدنيا ، سيدي أبو عبد الله بن مرزوق ،
 في شرحه على الألفية لابن مالك . وهو شرح متبع جداً ، وقفت منه على بعضه
 يتلوهان ، وكان آخر السمر الأول اسم الإشارة ، وذلك السمر أعظم جرماً
 من جميع شرح المرادى ؛ ونس [محل] ^(٢) الحاجة منه :

وقد حُسِبَ أن بعض طلبة سبّته أورد على أبي عبد الله بن خميس عشر
 مسائل من هذا النوع ، وهي : أَنْتُمْ يَا زَيْدُونَ تَفْرُونَ : وَأَنْتُنَّ يَا هِنْدَاتُ
 تَفْرُونَ ؛ وَأَنْتُمْ يَا زَيْدُونَ يَا هِنْدَاتُ تَفْرُونَ : وَأَنْتُنَّ يَا هِنْدَاتُ تَخْشَيْنَ ؛
 وَأَنْتِ يَا هِنْدُ تَخْشَيْنَ ؛ وَأَنْتِ يَا هِنْدُ تَرْمِينَ ؛ وَأَنْتُنَّ يَا هِنْدَاتُ تَرْمِينَ ؛ وَأَنْتُنَّ
 يَا هِنْدَاتُ تَمْحُونَ أَوْ تَمْحِينَ كَيْفَ تَقُولِ . وَأَنْتِ يَا هِنْدُ تَمْحِينَ أَوْ تَمْحِينَ كَيْفَ
 تَقُولِ ؛ وَأَنْتَا تَمْحَوَانِ أَوْ تَمْحِيَانِ ، على لغة من قال محوت كيف تقول ؟ وهل
 هذه الأمثلة كلها مبنية أو معربة أو مختلفة ؟ وهل وزنها واحد أو مختلف ؟

قالوا : ولم يجب بشيء . قلت : فلهذه استسهل أسرها .
 فأما للشال الأول فعرب ، ووزنه تَفْعُولٌ ^(٣) ، إذ أصله تَفْرُوونَ ،

(١) هذه الكلمة عن نفع الطيب .

(٢) في الأصلين : « تَمْعَلُونَ » وهو ظاهر التعريف .

كتنظرون^(١)، فاستثقلت ضمة الواو، التي هي لام، حذفت، ثم حذفت الواو أيضا، لانتقامها ساكنة مع واو الضمير، وكانت أولى بالحذف، لأن واو الضمير فاعل، ولمير ذلك مما تقدم بعينه.

وأما الثاني فبنى، ووزنه تَفْعُلْنَ، كتَفْعُرْجَنَ.

وأما الثالث فكالأول إعراباً ووزناً، لأن فيه تغليب الذكر على المؤنث.

وأما الرابع فبنى، ووزنه تَفْعُلْنَ، مثل تَفْعُرْجَنَ، لأنه لما احتيج إلى تسكين آخر الفعل، لإسناده إلى نون جماعة النسوة، رُدَّت الياء إلى أصلها، لأنها إنما قلبت ألها لتحركها وانفتاح ما قبلها، والآن ذهبت حركتها لاستحقاقها السكون. [٤٤٠]

وأما الخامس فعرب، ووزنه تَفْعُلْنَ، وأصله تَحْشِيَيْنَ، كتَفْرَحَيْنَ، فقلب الياء ألها، لتحركها وانفتاح ما قبلها، ثم حذفت لانتقامها ساكنة مع ياء الضمير، وترك فتحة الشين دالة على الألف.

وأما السادس فعرب، ووزنه تَفْعُلْنَ. وأصله تَرْمِيَيْنَ، كتَضْرِبَيْنَ، حذفت كسرة الياء لاستثقالها، ثم حذفت الياء لاجتماعها ساكنة مع ياء الضمير.

وأما السابع فبنى، ووزنه تَفْعُلْنَ كتَضْرِبَيْنَ.

وأما الثامن والتاسع، فضارع يحى ورد بالأوزان الثلاثة، فمن قال يَحْمُو [قال في المضارع من جماعة النسوة: تَحْمُونُ، مثله من غزا بناء ووزنا. ومن قال يَحْيى] ^(٢) قال فيه: تَحْيِينُ كتَرْمِيْن، بناء ووزنا. ومن قال يَحْيى قال

(١) وردت هذه الكلمة في الأصاين بعد قوله: «تفمون» على أنها تنظير للوزن. وهكذا جرى المؤلف في التاليف الخامس والسادس. وقد أخرناهما إلى موضعها الصحيح فيما ساقه المؤلف ليستقيم الكلام.

(٢) الكلمة عن نفع الطيب.

فيه تَمَجِّين كَتَحَشَّين ، بناء ووزنا . ويقال في مضارع الواحدة على اللغة الأولى
تَمَجِّين كَتَدْعِين : إعراباً ووزناً وتصريفاً . وقد تقدم في كلام المصنف . وعلى
الثانية ، كما يقال لها من رمى إعراباً ووزناً وتصريفاً . وعلى الثالثة كما يقال لها من
تَحَشَّى أيضاً ، وقد تقدما .

وليس ما وقع في السؤال كما نُقِلَ من خطِّ بعض الشارحين أنه يقال فيها
« تَمَجُّون » كَتَمَرَّحَن بِشئ .

وأمر التثنية ظاهر . انتهى بحروفه .

قلت : وقد جزم غير واحد بأن ابن خنيس لا يجهل مثل هذه المبادئ ، إذ
هو من أكابر الأعلام العارفين بالنحو واللغة وغيرها من أنواع العلوم ؛ وقد نقل
بعض من له خبرة بأحواله أنه كان يُحَسِّن علم السيمياء - والله أعلم .

وهو محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد الحَجَرِي^(١) (بفتح
الحاء وسكون الجيم) ، الرُّعَيْنِي ، نسبة إلى حَجَرٍ ذِي رُعَيْن^(٢) . وهو من أهل
نَلسَان ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن خنيس . [٤١١]

قال ابن الخطيب في «عائد الصلاة» : كان رحمه الله نسيجاً زهداً وانقباضاً
وأدباً وهمة ، حسن الشمية ، جميل الهيئة ، سليم الصدر ، قليل التصنع ، بعيداً
عن الرياء والهوى ، عاملاً على السياحة والعزلة ، عارفاً بالمعارف القديمة ، مضطهما
بتفاريق النحل ، قائماً على البرية والأصليين ، طبقة الوقت في الشعر ، وغل
الأوان في المطول ، أقدر الناس على اجتلاب الغريب .

ثم ذكر ابن الخطيب من أحواله جملة ، إلى أن قال : وبلغ الوزير أبا عبد الله

(١) ف م : « محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد الحَجَرِي » .

(٢) حجر ذي رعين : أبو قبيلة من الجين .

ابن الحسكيم أنه يروم السفر، فشق ذلك عليه، وكلفه نحر بك الحديث بحضرته،
 وجرى ذلك فقال الشيخ: أنا كادتم بطبعي أن تحرك في كل ربيع. انتهى.
 وقال ابن خاتمة في حقه، بعد أن وصفه بالشاعر الجيد: إنه رخل من تلمسان
 بلده إلى سبته، فأقام بها مدة، ومدح رؤساها من بني العزفي، ثم أجاز البحر إلى
 الأندلس، فاحتل بحضرة غرناطة في أواخر سنة ثلاث وسبع مئة، في حوار الوزير
 أبي عبد الله بن الحسكيم، فتقارضا لحل الحد: تباريا في الزهد والحد، فأدى له
 ذو الوزارتين أخلاف برة وإكرامه، وخلع عليه ابن خيس أثواب ثمره ونظامه،
 فله فيه القصائد التي حليت بها ثبات الآفاق. وتنقست عنها صدور الرفاق.

وكان رحمه الله من غول الشعراء، وأعلام الباناء، بُصِّرَ العويس،
 ورتكب مستصعبات القوافي، ويطير في القريض مطار ذوى القوائد الباسقة
 والخوافي، حافظا لأشعار العرب وأخبارها، له مشاركة في العقليات، واستشرف
 على الطلاب^(١)؛ وقعد لإقراء العربية بحضرة غرناطة، وكان ما ينتحله من العلم
 فوق ما يحصله. ومال بأخرة إلى التصوف والتجوال، والتعليل بحسن السمات،
 وعدم الاسترسال، بعد طي بساط ما قرط له في بلده من الأحوال، وكان صنع^[٤١٧]
 اليدين. حدثني بعض من لقينه^(٢) من الشيوخ أنه صنع قدحا من الشمع على أبداع
 ما يكون في شكله، واطافه جوهره، وإتقان صنعته، وكسب بدائرة شفته:

وما كنت إلا زهرة في حديقة تَبَسُّمُ عني ضاحكات الكلام
 فقلبت^(٣) من طور لطور فما أنا أقبل أفواه الملوك الأعظم
 وأهداه خدمة للوزير أبي عبد الله بن الحسكيم.

وأنشدنا شيخنا القاضي أبو البركات ابن الحاج وحكي لنا، قال:

(١) في م: «الطب». (٢) في ط: «لبيت».

(٣) كذا في م. وفي ط: «فقلت».

أنشدني أبو عبد الله بن خميس وحكي لي ، قال : لما وقفت على الجزء الذي
الله ابن سيده ، يعني أبا محمد عبد الحق بن أحمد بن إبراهيم بن نصر ، وهو
الذي سماه بالفقيرة^(١) ، كتبت على ظهره :

الْفَقْرُ عِنْدِي لَفْظٌ دَقٌّ مَعْنَاهُ مِنْ رَأَاهُ مِنْ ذَوِي الْغَايَاتِ عَنَاهُ
كَمْ مِنْ غَيٍّ بِعِيدٍ عَنْ تَصَوُّرِهِ أَرَادَ كَشْفَ مُعْتَاهُ مَعْنَاهُ

وأنشدنا شيخنا الأستاذ أبو عثمان بن ليون غير مرة ، قال : سمعت
أبا عبد الله بن خميس ينشد ، وكان يحسب أنهما له ، ويقال لهما لابن الرومي :

رَبِّ قُوَّةٍ فِي مَنَازِلِهِمْ عُزَّرَ صَارُوا بِهَا عُزْرًا
سَقَرُ الْإِحْسَانِ مَا بِهِمْ سَقَرَى لَوْ زَالَ مَا سَقَرًا

ثم قال ابن خاتمة بعد كلام : وقد جمع شعره ودونته صاحبنا القاضي
أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحضرمي في جزء سماه : « الدر النفيس من شعر ابن
خميس » ، وعرف به صدر الجزء . وقد نقلت منه هنا :

وقدم أبو عبد الله بن خميس الرِّبَّةَ سنة ست وسمعمئة ، فنزل بها في كنف
القائد الحاضر^(٢) بها حينئذ ، أبي الحسن بن كاشة ، من خدام الوزير أبي عبد الله
ابن الحكيم ، فوسع له في الإيثار والمبصرة ، وبسط له وجه الكرامة طلق الأميرة ؛
وبها قال في مدح الوزير أبي عبد الله بن الحكيم قصيدته التي أولها :

الْعُشَى تَغْيَا وَالتَّوَابِغُ عَنْ شُكْرِ أَنْعَمِكَ السَّوَابِغُ
وَوَجْهَ بِهَا إِلَيْهِ مِنَ الرِّبَّةِ . وَمِنْهَا :

وَدَسَائِعُ ابْنِ كَكَاةٍ مَعَ كُلِّ بَازِغَةٍ وَبَازِغِ

(١) في م : « بالفقيرة » .

(٢) كذا في م . وفي ط : « الحافظ » .

تَأْتِي بِمَا تَهْوَى النَّفْسُ نَحْ مِنْ شَهِيَاتِ الْفَلَاحِ
وَيَقَالُ إِنَّ الْوَزِيرَ أَبَا عَبَّاسٍ اللَّهِ بْنِ الْحَكِيمِ اقترح عليه أَنْ يَنْظُمَ لَهُ قَصِيدَةً
هَائِيَةً ، فابتدأ منها مطلعها ، وهو قوله :

لَيْتَ النَّازِلُ لَا تَجِيبُ هَوَاهَا ^(١) مَحِيَّتْ مَعَالِمَهَا رَضْمٌ صَدَاهَا

وذلك في أواخر شهر رمضان من سنة ثمان وسبع مئة . ثم لم يزد على ذلك إلى
أَنْ تَوَفَّى ؛ فكان آخر ما صدر عنه من الشعر ، وقد أشار معناه إلى معناه ، وقد
أَكْنَ أولاده بحضور أخراه ، فكانت وفاته بحضرة غرناطة قتيلا ، نحو يوم القطر ،
مستهل شوال ، سنة ثمان وسبع مئة ، وهو ابن نَيْفٍ وستين سنة ، وذلك يوم
مَقْتَلٍ مَحْدُومِهِ الْوَزِيرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَكِيمِ ، أصابه قاتله لحقه على مَحْدُومِهِ .
ويقال إنه لما هم به قاتله قال له . أنا دخيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم
يُلْتَفِتْ إِلَيْهِ ، وجعل يَهْمُزُ عليه . فقال له : لم لم تقبل الدخيل بيني وبينك ؟ فكان
آخر ما سمع منه : أَتَقْتُلُونِ وَجَلَاءُ أَنْ يَقُولَ رَبِّي اللَّهُ ؟ ثم إنه استفاض بعد ذلك من
حال التنازل أنه هلك قبل أَنْ يَكْمَلَ سنة من حين قتله من فاجل شديد أصابه ؛
فكان يصيح ويستغِيث : ابن خميس بطليبي ، ابن خميس يعذبني ^(٢) ، ابن خميس
يقتلني . وما زال الأمر يشتد به حتى قضى نَحْبَهُ على تلك الحال .

[٤٤٤]

نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْوَرَعَاتِ ، ومواقعات العَمَرَاتِ . انتهى كلام ابن خاتمة .
وحكى غيره أَنَّ مطلعَ تلك القصيدة نظمها ليهيئ بها ابن الحكيم في ذلك
العهد الذي قتل فيه ، فلم يقدر على زيادة شيء . فلما قُتِلَ كتب بعضهم بعد قوله :

• لَيْتَ النَّازِلُ لَا تَجِيبُ هَوَاهَا •

لابن الحكيم .

(١) في م ها وفيه سيأتي : « صداه » .

(٢) في م : « يعذبني » .

ونقل غير واحد في شأن قاتله خلاف ما حكاه ابن خاتمة . والله أعلم .

ومن مشهور نظمه رحمه الله قصيدته التي أولها :

مَشُوقٌ زَارَ رَبِّكَ يَا أُمَامَا مَحَا آثَارَ دِمْنَتِهَا الشَّامَا

تَتَّبِعَ رِيقَةَ الطَّلِّ ارْتِشَافَا فَلَا نَقَمْتُ وَلَا نَقَمْتُ أَوَامَا

وهي طويلة ، ولكنها من غرر القصائد ، يمدح بها أبا سعيد بن عامر
ويذكر الوحشة الواقعة بينه وبين أبي بكر بن خطاب .

ومن بديع شعره قوله مطلع قصيدة :

رُاجِعْ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَنْتَ تَارِكُ وَتَسْأَلُهَا الْمُتَّبِعِي ^(١) وَهَامِي فَارِكُ

تُؤَمِّلُ بَعْدَ التَّرَكِّ رَجْعَ وَدَادِهَا وَشَرُّ وَدَادٍ مَا تَوَدُّ التَّرَائِكُ

خِلَالِكَ ^(٢) يَنْهَا مَا خِلَالِكَ فِي السَّبَا فَأَنْتَ عَلَى خَلَوَانِهِ مُنْهَالِكُ

نَظَاهَرُ بِالسُّلُوفِ عَنْهَا نَجْثَلَا فَتَلْبُكُ مَحْزُونٍ وَتَفْرُكُ ضَالِكُ

تَنْزَهُتُ عَنْهَا نَحْوَةَ لَا زَهَادَةَ وَشَقَرُ عِذَارِي أَسْوَدُ اللَّوْنِ حَالِكُ

وهي من القصائد الطنّانة ، وتركبتها لطلوها ؛ وفي آخرها يقول :

فَلَا تَدْعُونِ غَيْرِي لِذِفْعِ مُلْسِي إِذَا مَا دَعَى مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ دَاهِكُ ^(٣)

فَمَا إِنْ لَنَاكَ الصَّوْتِ غَيْرِي سَامِعُ وَمَا إِنْ لِبَيْتِ الْجِدِّ بَعْدِي سَابِكُ

يَغْفِرُ وَيَسْجِي نَهْشَلُ وَمُجَاشِعُ بِمَا أَوْرَثَنِي رَحِيمُ وَالسَّكَامِكُ

تُعَارِفُنِي الرُّوحُ الَّتِي أَتَتْ غَيْرَهَا وَطَبِيبُ ثَنَانِي لِاصِقٍ بِي صَائِكُ

(١) في ط : « العبي » . وما أثبتناه من م وفتح الطيب .

(٢) كذا في م وفتح الطيب . وفي ط : « خِلَالِكَ » .

(٣) كذا في ط . ودعك (كنه) : طعنه وكسره . وفي فتح الطيب : « داعك » .

وَمَاذَا عَسَى تَرْجُو لِدَائِي وَأَرْجُو
وَقَدْ شَيْطَطَ بَنَى اللَّحَى وَالْأَفَانِكُ^(١)
يَعُودُ لِنَاسِخِ الشَّبَابِ الَّذِي مَضَى
إِذَا عَادَ لَدُنِّيَا عَقِيلٌ وَمَالِكٌ

وعما اشتهر من نظمه قوله :

[٤٤٠]

أَرْقَ عَيْنِي بَارِقٍ مِنْ أَثَالٍ
كَأَنَّهُ فِي جَنَحِ أَيْلِي دُهَالٍ
أَمَارَ شَوْقًا مِنْ صَمِيمِ^(٢) الْحَشَى
وَعَبَّرَنِي فِي صَحْنٍ خَدَى أَسَالٍ
حَكِي فَوَادِي قَلْعًا وَاشْتِمَالٍ
وَجَنَ عَيْنِي أَرْقًا وَنَهْمَالٍ
جَوَانِحُ تَلَفَحُ نِيرَانُهَا
وَأَدْمَعُ تَهَلُّ مِثْلَ الْقِرَالِ^(٣)
قُولُوا وَشَاءَ الْحُبِّ مَا شِئْتُمْ^(٤)
مَالِدَةً الْحُبِّ سَوَى أَنْ يُقَالِ
أَعْذِرُ لَوَائِي^(٥) وَلَا عَذْرَ لِي
قَوْلُهُ الْعَالِمِ مَا إِنْ تُقَالِ
فَمُ تَطْرُدِ إِلَهُمُ بِمَسْمُولَةٍ
تُفَصِّرُ الْبَيْلَ إِذَا الْبَيْلُ طَالِ
وَعَاطِلَهَا صَفْرَاءُ ذِمِّيَّةً
تَمْتَعُهَا الدَّمْعُ مِنْ^(٦) أَنْ تُقَالِ
كَالْمَسْكِ رِيحًا وَاللَّيْ طَعْمًا
وَالْتَبَرُ لَوْنًا وَالْهَوَا فِي اعْتِدَالِ
عَقْفَهَا فِي الدَّنِّ حَارًّا
وَالْيَكْرُ لَا تَعْرِفُ غَيْرَ الْحِجَالِ
لَا تُنْقِبِ الْمِصْبَاحَ لَا وَاشْتِمِي
عَلَى سَبَى الْبَرْقِ وَضَوْءِ الْهَلَالِ

(١) الأَفَانِكُ : جمع إنيك ، وهو جمع اللعين أو طردهما عند العطفة . وفي الأصلين :

« الأَفَانِك » ، نالاه بدل الدن ؟ وفي نصح الطيب : « الأَفَانِك » ؛ وظاهر أن في

كلتا الروايتين تصحيحا .

(٢) في النصح : « صميم » .

(٣) القِرَالِي : جمع قِرَال ، وهي مصب الماء من إراوة ونحوها .

(٤) في ط : « مَا شَأْنُكُمْ » . وما أبتناه عن م ونصح الطيب .

(٥) كذا في م . وفي ط ونصح الطيب : « عذرا لَوَائِي » .

(٦) في النصح المخطوط : « مَا » مكان قوله : « مِنْ » .

فَالْمَبِشُ نَوْمٌ وَالزَّدى بَقْلَةٌ وَالْمَرْءُ مَا بَيْنَهُمَا كَالْحَيَالِ
 خُذْهَا عَلَى تَنْفِيمِ مُسْطَارِهَا^(١) بَيْنَ خَوَابِهَا وَبَيْنَ الدُّوَالِ
 فِي رَوْضَةٍ بِأَكْرَ وَصْفِهَا أَخْلَ دَارِينَ وَأَنْتَى أَوَالِ^(٢)
 كَانَ قَارَ الْمَشْكِ مَمْتُوقَةً^(٣) فِيهَا إِذَا هَبَّتْ صَبَا أَوْ سَمَالِ
 مِنْ كَفِّ سَاجِي الطَّرَفِ الْخَاطِلِ مَفْوَقاتُ أَبَدًا لِلنَّضَالِ
 مَنْ عَازِرِي وَالْكَلِّ لِي عَازِرٍ مِنْ حُلِيِّ الْوَسْطِ كَذَّابِ
 كَأَنَّهُ الدَّهْرُ وَأَيُّ اسْرِي يَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ إِذَا الدَّهْرُ حَالِ
 أَمَا تَرَانِي أَخِيذًا نَاقِصًا عَلَيْهِ مَا سَوَّغَنِي^(٤) مِنْ مُحَالِ
 وَلَمْ أَكُنْ قَطُّ لَهُ عَانِبًا كَمَثَلِ مَا عَابَنِي^(٥) قَبْلِي رَجَالِ
 بَابِي قَرَاءَ السَّالِ عِلْمِي وَهَلْ يَجْتَمِعُ الصَّدَائِ عِلْمٌ وَمَالِ
 وَتَأْنِفُ الْأَرْضُ مُتَمَامِي بِهَا حَتَّى تَهَادَانِي ظُهُورُ الرِّجَالِ
 لَوْلَا بَنُو زَيْبَانَ مَا لَدُنِّي السَّبِشُ وَلَا عَانَتْ عَلَى اللَّيَالِ
 مِمَّ خَوْفُوا الدَّهْرَ وَمِمَّ خَفَفُوا عَلَى بَنِي الدُّنْيَا خُطَاهُ النَّقَالِ
 أَلْقَيْتُ^(٦) مِنْ عَامِرِهِمْ سَيِّدًا عَمَرَ رِدَاءَ الْحَدِيدِ جَمَّ النَّوَالِ

(١) المسطار (بضم الميم) : الحرة الصارعة لشاربها ، لعدة حوضتها .

(٢) دارين : فرسة بالبحرين ، كان بها سوق للسك . وأوال (كسحاب) : جزيرة كبيرة بالبحرين ، عندما مناس المولود .

(٣) في النسخ المطبوع : « ممتونة » .

(٤) في النسخ المطبوع : « سوفى » .

(٥) في النسخ المخطوط : « عابنا ... عاب » .

(٦) في النسخ وم : « لقيت » .

وَكُتِبَتْ لِلجُودِ مَنْصُوبَةٌ ^(١) يَسْمَى إِلَيْهَا النَّاسُ فِي كُلِّ حَالٍ ^(٢) [٤٦]
 خُذَهَا أَمَا زَيَّانٌ مِنْ شَاعِرٍ مُسْتَفْذِبٍ ^(٣) التَّرْعَةُ عَذْبُ الْقَالِ
 يَلْتَفِظُ الْأَلْفَاظَ لَفْظَ النَّوَى وَيَنْظُمُ الْآلَاءَ نَظْمَ اللَّالِ
 مُجَارِيًا رَهْيَارًا فِي قَوْلِهِ «مَا كُنْتُ لَوْلَا طَمَعِي فِي الْخَيْالِ»

وَمَطْلَعُ قَصِيدَةِ رَهْيَارِ الَّتِي عَارَضَهَا ابْنُ خَمِيسٍ هُوَ قَوْلُهُ:

«مَا كُنْتُ لَوْلَا طَمَعِي فِي الْخَيْالِ أَنْشُدْ لِي بَيْنَ طُولِ الْآيَالِ»

وَرَبَّمَا يَهْجِسُ ^(٤) فِي خَاطِرٍ مِنْ بَرَى وَصَفَ هَذُلًا الْأَعْمَةَ لِلْعَمْرِ وَغَيْرَهَا، أَنَّ
 ذَلِكَ مِنْهُمْ عَلَى حَقِيقَتِهِ، حَاشَاهُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا مَقْصِدُهُمْ بِذَلِكَ حِلَافٌ مَا بَتُّوهُمْ،
 فَلَا يُسَاءُ بِهِمُ الْفَلَنُ، فَإِنَّ الْمَذْرُوعَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ بَيْنَ، وَاعْتِقَادُ بَرَاءَتِهِمْ مِنْ
 هَذَا الشَّيْنِ مُتَعَيِّنٌ؛ وَرَحِمَ اللَّهُ شَيْخَ الشَّيُوخِ، وَلِيَ اللَّهُ الرَّبَّانِيَّ الشَّهِيرَ الْبَرَكَاتِ،
 سِيدِي أَمَا مَدِينِ شُعَيْبِيَا، أَفَاضَ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ أَنْوَارِهِ إِذْ يَقُولُ، عَلَى مَا نَسَبَهُ لَهُ
 بَعْضُ الْأَعْمَةِ:

بَكَتِ السَّحَابُ فَأَنْصَحْتُ لِبُكَائِهَا زَهَرَ الرِّيَاضِ وَقَاضَتْ الْأَنْهَارُ
 وَقَدْ أَقْبَلَتْ شَمْسُ النَّهَارِ بِحُلَّةٍ خَضِرًا وَفِي إِشْرَارِهَا أَنْشَارُ
 وَأَنَّى الرَّبِيعُ بِتَحْيِيلِهِ وَجُنُودِهِ فَتَمَتَّتَتْ فِي حُسْنِهِ الْأَبْصَارُ
 وَالْوَرْدُ نَادَى بِالْوُرُودِ إِلَى الْجَنَى قَسَابِقَ الْأَطْيَاسِ وَالْأَشْجَارُ
 وَالْكَأْسُ تَرَقُّصُ وَالْمَقَارُ تَشَفُّعَتْ وَالْجَوْ يُضَحِّكُ وَالْحَبِيبُ يُرَاوِرُ

شعر سوفي
لأبي مدين

(١) كُنَّا فِي النَّعْجِ الْمُخْطُوطِ . وَفِي ط . مِنْ . وَفِي م وَالتَّفْخِطِ الطَّبُوعِ « م » .

(٢) فِي النَّعْجِ الْمُطْبُوعِ وَالْمُخْطُوطِ : « بِال » .

(٣) فِي نَعْجِ الطَّبِيعِ : « مُسْتَفْذِبٌ » .

(٤) فِي م : « يَهْجِسُ » .

والعودُ للغيرِ الحسانِ محبوبٌ والطائرُ أخفى صوتَهُ للزمتِ
لا تحسُّوا الزمَّ الحرامَ مُرادنا مرُّنا^(١) التسبيحُ والأذكارُ
ومرَّابنا من لطفهِ وغناؤنا نعمَ الحبيبِ الواحدُ القهارُ
والعودُ عاداتُ الجليلِ وكلسنا كاسُ الكياسَةِ والقمارِ وقارُ
فنالقوا وتطليُّوا واشتقنوا قبلَ الماتِ قدَّهرُكمُ غدارُ
واللهُ أرحمُ بالفسيرِ إذا أتى من * والدَّيْرِ فإنه غفار
ثم الصلاة على الشفيعِ النصطفى ما رننتُ بلغاتها الأمليار

وقد تذكَّرتُ بلامية ابن خنيسٍ للذكورة ، قصيدة على رويِّها ووزنها ،
أولها قوله :

ما حالٌ منَ طارقِ ذلكَ الجمالِ وذائقِ طعمِ الهجرِ بعدَ الوصالِ

[٤٧] وهي من نظم الشيخ العارف الصالح سيدي إبراهيم النَّازي ، رضى الله عنه ،
رأيت أن أذكرها هنا كفارة لما يتوهَّمه السامع في لامية ابن خنيس ، وقد
كنت رأيت بتلسان تخميساً لبعض الأكار على قصيدة سيدي إبراهيم هذه ،
وأشدته الشيخ مولانا العم ، شيخ الإسلام ، سيدي سعيد بن أحمد المقرئ
رضوان الله عليه ، فأنقل لذلك غايةً واهز ، وهأنا أذكر القصيدة ضمن
التخميس ، وهو :

بدتُ كعُصْنٍ ناعمٍ في اعتدالِ
وأبدلتُ وُصْلي بصادِ ودالِ
فُلْتُ كعُصْبٍ عاشقٍ حيث قالِ

(١) كذا في ط وفتح الطيب . وفي م : « فرادنا » .

ما حال من فارق ذلك الجلال وذاق طعم الهجر بعد الرصال

صب صبا من وجد لحظ الرشا

من حبه عن لبه ينقش^(١)

وسره بدفعه قد فقا

والنقل منه ذاهب والحسى ملتبس والجسم يحسكي الخيال

شأنى بها ما دمت في رقها

راق ولا رغبة في عنقها

دمت لها عبدا ومن حقها

أبيت أرعى النجم في أفقها وليل أهل الحب رغب طوال

جاء بها التضييع في مجلتي^(٢)

أقصى بها فرضي وهي ملتي

نأت بصبري صحت واجلتي

والدفع كاللذازار من مغلتي يجري على الوجنة يا للرجال

ما عمرت لي بالهوى راحة

من بعدها ولا خلت ساعة

من حُسْنها إذ هي وضاعة

وليس لي عيش ولا راحة والحال يعني ذا الحجا عن سؤال

الوشل قد أبدى لنا حسنه

(١) انقش : سكر . وفي الأصلين : « ينقش » . ولله محرف عما أبتناه .

(٢) في م : « التضييع في حلقى » .

والبعد^(١) قد أبدى لنا شينته^(٢)
 قُولُوا لِمَنْ لَيْلُ الْهَوَى جَنَّةُ
 يَا قَبِيحَ اللَّهِ النَّسْوَى إِنَّهُ قَتَلَ بِلا سَيْفٍ وداهِ عُصَالُ
 إِلَيَّ مُذْ حَلَّ بِقَلْبِي قَفَى^(٣)
 أَعَادَهُ اللَّهُ لَنَا^(٤) بِالرَّضَا
 بِطَالِعِ السَّعْدِ وَنُورِ أَصَا
 وَيَا رَحَى اللَّهِ زَمَانًا مَقَى بِالْأَنْسِ فِي وَارِفِ تِلْكَ الظَّلَالِ
 اللَّهُ أَطْلَالَ بِهَا حَيَّتْ
 فَكَمْ بِهَا مِنْ أُمَّةٍ أَحْرَمَتْ
 وَيَا رَحَى اللَّهِ بِهَا مَا حَمَتْ
 ظِلَالُ نَبَاءِ أَلَّتِي تَيَسَّتْ قَلْبِي وَخَلَّتْ مُهَجِّي فِي نَكَالِ
 نِلْتُ لَدَيْهِ الْوَصْلِ فِي رُزْهَا
 لَوْ دَامَ مَا غُيِبْتُ عَنْ قُرْبِهَا
 فَكَيْفَ لَا أُعْلِنُ مِنْ حُبِّهَا
 آهًا لَهَا مَنْ لِي بِأَنْسِ بِهَا خَوْفَ الرَّجَى^(٥) مَا بَيْنَ تِلْكَ الْجِبَالِ
 تِلْكَ رُبُوعٌ فَازَ مَنْ حَلَمَا

[٤٤٨]

(١) في م : « والعد » .

(٢) في الأصلين « سنه » ، والظاهر أنها بحرفه عما أبتناه .

(٣) كذلك في الأصلين ولعلها : « مضي » .

(٤) في ط : « علينا » .

(٥) في ط : « خوف الرجا » وفي م : « حرف الرجا » ، ولعله حرف عما أبتناه .

وَعَفْدَةَ الْإِبَادِ قَدْ حَلَّهَا
 مَنْ لِي بِقُرْبٍ أَجْتَنِي وَمَثَلَهَا
 أَلَزَمَهَا أُبْتُ أُنْزِي لَهَا أَنْتُمْ^(١) الطَّرَفَ بِذَلِكَ الْجَمَالَ
 مَا فَازَ إِلَّا مَنْ غَدَا خِلَهَا
 وَمَنْ أَنَاهَا قَامِدًا أَهْلَهَا
 يَا عَائِقِينَ اسْتَعِطُوا دَلَّهَا
 اللَّهُ مَا أَحْسَنَ خَلَا لَهَا تَقْبِيلُهُ الْخَطُورُ عَيْنُ الْعَلَّالِ
 نَفْسِي فِدَا مَنْ حَلَّ فِي رَكْبِهَا
 وَمَرَّغَ الْعَدْبَيْنِ فِي رُجْبِهَا
 وَنَالَ ظِلَّ الْأَمْنِ فِي حِزْبِهَا
 وَمَا أَلَدَّ الْعِشَّ فِي قُرْبِهَا فِي رِيَّةٍ بَذَلُ^(٢) الْقَعْلَا وَالْتَوَالَ
 بِأَهْلِ ذَلِكَ النَّصِيبِ اللَّوْكَوِي
 عَنْ حُبِّكُمْ قَلْبِي مَا يَرْغَبُ
 لِأَنْفِي مِنْ مَائِكُمْ أَزْتَوِي
 يَا سَادَتِي يَا صَفْوَتِي يَا دَوِي رِيَّيْ وَشُكْرِي يَا كِرَامَ النِّعَالِ
 كَمْ بَتُّ لَيْسِلِي^(٣) بِكُمْ سَاهِرًا
 سَاهَرْتُ فِيهِ كَوْنِكُمَا زَاهِرًا

(١) في م : « وأنتم » .

(٢) كلفا في م . وفي ط : « لجدي بهد » مكان قوله : « في رية بذل » .

(٣) في م : « من ليل » مكان قوله : « ليلي » .

وصيرتُ مِنْ شَوْقِي لَكُمْ ذَاكِرًا
 كَانَ مَرُورِي بِكُمْ وَافِرًا وَبَدْرُ سَعْدِي مُشْرِقًا فِي كَالَن
 فَمَاذَا الْيَوْمَ أَعَانِي الْعَنَاءُ
 وَظِلُّ أُمِّي كَانَ فِي الشُّعْبَةِ
 وَبَدْرُ سَعْدِي نَافِلٌ كَمَلْنَا
 فَانْخَسَفَ الْبَدْرُ وَزَاحَ الْهَنَا [٤٤٩]
 يَا مَنْ عَدَا قَلْبِي يَوْمَ مُغْرَمَاتِي
 مِنْ أَجْلِ خَوْذِ حُسْنِهَا قَدْ سَتَا
 مَنْ لِي بِهَا أَرْشُفُ ذَلِكَ اللَّيْلِ
 يَا جِيرَةَ الْحَيِّ وَأَهْلَ الْجَنَى أَنْتُمْ مَنِي قَلْبِي عَلَى كُلِّ حَالٍ
 كَانَتْ بِكُمْ لِي فِي الْهَوَى زُرْعَةٌ
 فَصِرْتُ^(١) أَبْيَكِي إِذْ بَدَتْ وَحْشَةٌ
 وَهَانَا لَمْ تَرَقِّ لِي دَمْعَةٌ
 وَلَيْسَ بِي صَبْرٌ وَلَا سَلْوَةٌ عَنْكُمْ وَلَوْ شَطَّ السَّيْفُ وَاسْتَعْلَانُ
 يَا مَنْ قَلْبِي عَدَا مُوَلَمًا
 وَحَقٌّ مَنْ طَافَ وَمَنْ قَدْ سَعَى
 مَا الْعَبْدُ إِلَّا صَادِقٌ مَا ادَّعَى
 فَارْعَوْا ذِمَامِي وَاجْهَدُوا فِي الدُّعَا لِدَعْوَتِ الْمُضْطَرِّ عَسَى ذُو الْجَلَالِ
 مَنِّي أَرَى رَكِي يَوْمَ قَافِلًا

(١) في ط : « فسكت » ، وما أيقناه عن م .

وَرَبُّكُمْ أَضْحَىٰ بِهٖ آمِلًا
فَاللَّهُ أَزْجُو دَاعِيَا سَائِلًا
أَنْ يَجْمَعَ الشَّئْلَ بِكُمْ عَاجِلًا فِي ذَٰلِكَ التَّغْنَى الْقَدِيمِ الْمَالِ

ومن نظم ابن خميس التُّنِسَانِي المذكور قوله :

نَظَرْتُ إِلَيْكَ عَيْنِي عَيْنِي جَوْدَرٍ وَتَبَسَّتْ عَنْ مِثْلِ سَمَطِي جَوَاهِرُ
عَنْ نَاصِعٍ كَالدَّرِّ أَوْ كَالْبَزِي أَوْ كَالطَّلَعِ أَوْ كَالْأَفْحَوَانِ مُؤَشِّرُ
تَجَرَّى عَلَيَّ مِنْ لَمَاهَا نُظْفَةٌ بَلْ خَمْرٌ لَكِنَّهَا لَمْ تُفَسِّرْ
لَوْ لَمْ يَكُنْ خَمْرًا سَلَفًا رَبُّهَا تَزْرِي وَتَلْمِزُ بِالنَّهْيِ لَمْ تُحْطِرْ
وَكَذَٰلِكَ سَاجِي جَدِّهَا لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مُهَيِّدٌ لَحْطِهَا لَمْ يُحْذِرْ
لَوْ عُجِبْتَ طَرَفَكَ فِي حَبْدِيَةِ خَدِّهَا وَأَمِنْتَ سَعَاوَةَ صُدْغَهَا الْمُتَمَتِّرِ
لَسَمِعْتَ مِنْ ذَاكَ الْحَمِي فِي جَنَّةِ وَكَرَعْتَ مِنْ ذَاكَ اللَّحْمِ فِي كَوَائِرِ
طَرَفَتِكَ وَهَمًّا وَالنَّجْوَمُ كَأَنَّهَا حَضَبًا دُرٌّ فِي بِسَاطِ الْأَخْضَرِ
وَالرَّكْبُ بَيْنَ مُصْعِدٍ وَمُصَوِّبٍ وَالنَّوْمُ بَيْنَ مُسْكِنٍ وَمُنْفِرِ
بَيْنَمَا إِذَا اغْتَسَكَتْ ذَوَائِبُ شَرِّهَا سَقَرَتْ فَأَزْرَتْ بِالسَّبَاحِ الْمُسْفِرِ
سَرَحَتْ غَلَالِهَا ^(١) قَتَلَتْ سَبِيكَ مِنْ فِصَّةٍ أَوْ دُمِيَّةٍ مِنْ مَرَمَرِ
مَنْحَنِكَ مَا مَنَعَتْكَ بِقَطَانًا فَلَمْ تُخَانِ مَوَاعِدَهَا وَلَمْ تُتَغَيَّرِ
وَمَكَانًا خَافَتْ مَبَاةً وَشَانَهَا فَأَنْتَ مِنْ أَرْدَاهَا فِي عَشْكَرِ
وَيَجِزَعُ ذَاكَ الْمُتَغْنَى أَدْمَانَةً تَعْلُو فَتَسْطُو بِالْهَزِيرِ الْقَشُورِ

[٤٠٠]

(١) سرحت غلالها : أى خرجت منها .

وَتَجِيءُ سَاجِدَةً فِي حُلِيِّ الْعَبَا
جَرَتْ عَلَى وَادِيكَ فَضْلَ رَدَائِهَا
هَاجَتْ بِلَابِلٍ نَازِحٍ عَنِ الْفِي
وَإِذَا نَسِيتَ لَيْلَى التَّهْدِي الَّتِي
رُحْنَا تُفَقِّدُنَا وَتَرْشُفُ نَفْسَهَا
وَالرُّوضُ بَيْنَ مُفَضِّضٍ وَمُسْتَجِدٍ
وَالْجَوْ بَيْنَ مُتَمَكِّكٍ وَمُقَصِّرٍ

وفد تذكرت بهذه القصيدة قول الأديب ابن مَرْجٍ السَّكَل :

عَرَجٌ يَمْتَرِعُ الْكَلْبُ الْكَلْبُ الْأَعْفَرُ
وَلَتَقْتَنِيهَا قَهْوَةٌ ذَهَبِيَّةٌ
وَعَشِيَّةٌ قَدْ كُنْتُ أَرْقُبُ وَقْتَهَا
نَلْنَا بِهَا آمَالَنَا فِي رَوْضَةٍ
وَالدَّهْرُ مِنْ قَدَمٍ يُسْفَهُ زَأْبُهُ
وَالْوُزْنُ تَشْدُو وَالْأَرَاكُ تَنْفَنِي
وَالرُّوضُ بَيْنَ مُفَضِّضٍ وَمُسْتَجِدٍ
وَالنَّهْرُ مَرْقُومُ الْأَبَاطِحِ وَالزَّيَا^(١)
وَكَأَنَّهُ وَكَأَنَّهُ خُفْرَةٌ شَطْلُ
فِيَا مَقَى مِثْلُ بَغْيٍ تَسْكُدُ^(٢)
وَالشَّمْسُ تَرْقُلُ فِي قَيْصٍ أَصْفَرٍ
وَالزَّهْرُ بَيْنَ مُدْرَهَمٍ وَمُدْرَرٍ
بِمَصْنَدَلٍ مِنْ زَهْرِهِ وَمُقَصِّرٍ
سَيِّفٌ يَسْلُ عَلَى بِسَاطٍ أَحْفَرٍ

(١) كذا في ط والإحاطة (ج ٢ ص ٢٥٣) . وفي م : « الدامع » .

(٢) كذا في الإحاطة . وفي الأصاين :

« والدَّهْرُ مِنْ نَدَمٍ ... * فَيَا صَفَا ... الخ »

(٣) في ط : « بالزَّيَا » . وما أبتناه عن م .

وَكَاثَنَا ذَاكَ الْحَبَابُ فِرْدُهُ مَهَابًا طَقَاً^(١) فِي صَفْحِهِ كَالْجَوْهَرِ
وَكَاثَنُهُ وَجَاهَتُهُ^(٢) مُخْفَوَةٌ بِالْأَسْرِ وَالْثَغَابِ خَذُ مَعْدَرِ
نَهْرُ يَهُيمُ بِحُسْنِهِ مَنْ لَمْ يَهَمْ وَيُحِيدُ فِيهِ الشَّعْرُ مَنْ لَمْ يَشْعُرْ
مَا اضْفَرَّ وَجْهَ الشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوبِهَا إِلَّا لَفُرُقَةٍ حُسْنِ ذَلِكَ التَّنْظَرِ

وما أحسن قول ابن مَرْجٍ السَّكَلُ المذكور :

ولان مرج
السكل

رَأَوْا بِالْجِرْعِ بَرَقًا فَلَتَمَتُّوْا وَنَامَ الْمَاذِلُونَ وَلَمْ يَبْنَمُوا
وَعِنْدِي مِنْ مَرَاشِفِهَا^(٣) حَدِيثٌ يُعْبَرُ أَنَّ رِبَقَتَهَا مُدَامٌ
وَفِي أَجْفَانِهَا السَّكْرَى دَلِيلٌ وَمَا دُفِنَا وَلَا زَعَمَ الْهَمَامُ
تَعَالَى اللَّهُ مَا أَجْرَى دُمُوعِي إِذَا عَرَّضَتْ^(٤) لِمُتَلَقِّي الْغِيَامِ
وَأَشْبَجَانِي إِذَا لَاحَتْ بُرُوقُ وَأَطْرَبَنِي إِذَا غَيَّ الْعَصَامُ

{٤٠١}

وكان السلطان أبو عَتَانِ التَّيْبِيُّ رحمه الله كثير الاعتناء بنظم الشيخ
أبي عبد الله بن خنيس وحفظه وروايته . قال رحمه الله : أنشدني بلفظه الشيخ
الفتية القاضي الحذث ، الراوية العالم المدرس ، خطيب حضرنا العلية ، أبو عبد الله
محمد بن الشيخ الأجل ، الصالح المبارك الراوية ، للرحوم أبي الحسن بن عبد الرزاق ،
وذلك بقصر التَّصَاوَرَةِ بِمَنْعَةِ اللَّهِ ، في يوم الاثنين خامس عشر من شهر المحرم
للمبارك ، مفتتح عام خمسة وخمسين وسبع مئة ؛ قال أنشدنا بلفظه شيخ الأدباء ،
وغفل الشعراء ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن خنيس الحِمْيَرِيُّ ، ثم الحَجَرِيُّ :
حَجَرٌ ذِي رُعَيْنٍ ، لِنَفْسِهِ ، رحمه الله تعالى :

السلطان أبو عتاتان
يروى شعر
ابن خنيس

- (١) في الأصلين : « صفا » . والنصوب عن الإحاطة .
(٢) في الأصلين : « وكَاثَنَا وَجَاهَتُهُ » . والنصوب عن الإحاطة .
(٣) في الأصلين : « ممرافقها » ، والنصوب عن الإحاطة .
(٤) في الإحاطة والفتح المطبوع في مصر : « عنت » .

أُنْبِتُ وَلَكِنْ بَدَّ طُولَ عِتَابِ وَفَرَطِ^(١) لِحَاجِرِ ضَاعَ فِيهِ شَبَابِي
وَمَا زِلْتُ وَالْعَالِيَا تُعْقَى غَرِيمَهَا أَعْلَلُ نَفْسِي دَائِمًا بِمَتَابِ
وَهِيَّاتٍ مِنْ بَعْدِ الشَّبَابِ وَشَرَحِي يَلْذُّ طَعَامِي أَوْ يَسُوغُ شَرَابِي
خُدِعْتُ بِهَذَا التَّعَبِ قَبْلَ بَلَائِهِ كَمَا يُخْدَعُ الصَّادِي بِمَقْعِ سَرَابِ
تَقُولُ هُوَ الشَّهيدُ الْمَشُورُ جَهَالَةً وَمَا هُوَ إِلَّا السَّمُّ شَيْبَ بَصَابِ
وَمَا صَحِبَ الدُّنْيَا كِبْرًا وَتَقْلِبِ وَلَا كَسَكَلَيْبٍ رَى فَعَلَى مُرَابِ
إِذَا كَمَّتِ الْأَبْطَالُ عَنْهَا تَقَدُّمُوا أَعَارِبَ غُرًّا فِي مَثَوْنِ عَرَابِ
وَإِنْ نَابَ خَطْبُ أَوْ تَقَامَ مُعْمِلُ نَلْقَاهُ مِنْهُمْ كُلُّ أَصِيدِ نَابِ
تَرَأَتْ لِحَاسٍ بِحِيلَةٍ فَوْصَةٍ نَأَتْ لَهُ فِي جَيْشَةٍ وَذَهَابِ
لَجَاءَ بِهَا شَوْهًا تُنْذِرُ قَوْمَهَا بِتَشْيِيدِ أَرْجَامٍ وَعَدَمِ قِيَابِ
وَكَانَ رُغَاهُ السَّقْبِ فِي قَوْمِ صَالِحِ حَدِيثًا فَأَنَسَاهُ رُغَاهُ سَرَابِ
فَمَا تَسْمَعُ الْآذَانَ فِي عَرَصَاتِهِمْ سِوَى لَوْحٍ تُكَلِّى أَوْ نَمِيبِ غُرَابِ
وَسَلَّ غُرُورَةَ الرَّعَالِ^(٢) عَنْ صِدْقِ بَاسِهِ وَعَنْ بَيْتِهِ فِي جَعْفَرِ بْنِ كَلَابِ

(١) في م : « و طول » .

(٢) هو عمرو بن عتبة بن جعفر بن كلاب ، كان سيد هوازن ، وبالق بالرجال ، وقد قتله البراء بن قيس الضمري ، غرت بين هوازن وقريش حرب الدجار الآخر ، وقد شهدها التي وله من العمر أربع عشرة سنة ، وكان ياتل فيها على أعمامه . وسبب هذه الحرب أن النعمان بن النضر ملك الحيرة ، كان يبعث إلى سوق عكاظ في كل عام ، لطيفة في جوار رجل شريف من العرب يجيرها له ، حتى تباع هناك ، ويشترى له بنتها من آدم الطائف ما يحتاج إليه ؛ فظهر النعمان عبرة لطيفة ، ثم قال : من يجيرها ؟ فقال البراء بن قيس الضمري : أنا أجيرها على بي كفاة . فقال له النعمان : ما أريد إلا رجلا يجيرها على أهل نجد ونهامة . فقال عمرو الرجل وهو يومئذ رجل هوازن كلها : أنا أجيرها لك على أهل الشيع والقبصوم ، في أهل =

وكانت على الأملاك منه وفادةً إذا آت منها آت خير مآب [٤٠٢]
يُجِيرُ عَلَى الْحَيَيْنِ قَدْسٍ وَخِنْدِفٍ بِفَضْلِ بَسَّارٍ أَوْ بِفَضْلِ خُطَّابٍ
رَعَامُهُ مَرْجُو النَّوَالِ مُؤَمِّلٍ وَعِزُّهُ مَسْجُوعُ الدُّعَاءِ مُجَابٍ
قَدَرٌ يَرْجِيهَا حَوَاسِرَ ظُلَمًا بِمَا حَمَلُهَا مِنْ مَنَى وَرَغَابٍ
إِلَى فَدَكَ وَالتَّوْتُ أَقْرَبُ^(١) غَايَةً وَهَذَا الثَّنَى بِنَائِي بِكُلِّ عُجَابٍ
تَبْرُؤُ صَفْوِ الْعَيْشِ حَتَّى اسْتَشْفَى فَدَافَ لَهُ الْبَرَّاضُ قَشَبَ حُبَابٍ
فَانْصَبَّ فِي تِلْكَ التَّعَاطُفِ نُهْرَةً لِنَهْبِ ضِبَاعٍ أَوْ لِنَهْشِ ذَنَابٍ
وَمَا سَهَّمُهُ عِنْدَ التَّعَالِ بِأَهْزَعٍ وَلَا سَيْفُهُ عِنْدَ الْمَصَاعِ^(٢) بِنَائِي
وَلَسَكُنْهَا الدُّنْيَا تَكْرَهُ عَلَى الْفَتَى وَإِنْ كَانَ مِنْهَا فِي أَعَزِّ نَصَابٍ
وَعَادَتْهَا أَلَّا تَوْسُطَ عِنْدَهَا فَأَمَا سَمَاءٌ أَوْ تُخَوِّمُ تَرَابٍ
فَلَا تَرْجِعُ مِنْ دُنْيَاكَ وَدَاوِ إِنْ يَكُنْ فَمَا هُوَ إِلَّا مِثْلُ ظِلٍّ سَحَابٍ
وَمَا الْحَزْمُ كُلُّ الْحَزْمِ إِلَّا اجْتِنَابُهَا فَأَشَقُّ الْوَرَى مَنْ تَصَلَّقِي وَتُحَافِي
أَبَيْتُ لَهَا مَا دَامَ خَفِي أَنْ تُرْمَى تَمُرُّ بِبِائِي أَوْ تَطُورُ جَنَائِي
فَكَمْ عَقَلْتُ مِنْ أَرْبَعٍ وَمَلَاغِبٍ وَكَمْ فَرَّقْتُ مِنْ أُنْشُرَةٍ وَحِجَابٍ
وَكَمْ عَفَرْتُ مِنْ حَامِيرٍ وَمَدَجِّجٍ وَكَمْ أَتَكَلَّتُ مِنْ مُغْصِرٍ وَكَلَابٍ
إِلَيْكُمْ بِنَى الدُّنْيَا نَصِيحَةً مُشْفِقٍ عَلَيْكُمْ بِصِيرٍ بِالْأُمُورِ نِقَابٍ^(٣)

= نعت وتهامة . فدفعها الثمان إلى مروءة ، فخرج بها وتبعه البراض وعروة لا يخفى منه شيئا ، لأنه كان بين ظهوراني قومه من غطفان ، إلى جانب فدك ، إلى أرض يقال لها أوارة ، فنزل بها عروة ، فضرب وغتته فينته ؛ فجاء البراض فدخل عليه وقتله . وإلى هذه القصة تشير الآيات الخمسة التي ابتدأت بهذا البيت . (انظر تفصيل الخبر في القصد الترييد لابن عبدربه في أيام العرب ، عند السلام على يوم «النجار الآخر» .)
(١) في نفع الطيب : « أنرب » . (٢) المصاع : المجاهدة بالسيف . والتي في نفع الطيب : « الصراع » . (٣) النقاب (بالكسر) : الرجل البلامة .

طويل مِرَاسِ النَّهْرِ جَزَلٌ مُجَاحِلٌ عَرِيضٌ تَجَالِ الْهَمِّ حِلْسٌ رِكَابٌ
تَأْتَتْ لَهُ الْأَهْوَالُ أَدَمَ سَابِقًا وَغَشَّتْ بِهِ الْأَيَّامُ أَشْهَبَ كَابِي
وَلَا تَحْسَبُوا أَنِّي عَلَى النَّهْرِ عَاتِبٌ فَأَعْظَمُ مَا بِي مِنْهُ أَيْسَرُ مَا بِي
وَمَا أَسْنَى إِلَّا شَبَابٌ خَلَقْتُهُ وَشَيْبٌ أَبَى إِلَّا نُصُولُ خِضَابِ
وَعُزْرٌ مَضَى لَمْ أَحْلُ مِنْهُ بَطَائِلٌ سِوَى مَا خَلَا^(١) مِنْ لَوْعَةٍ وَنَصَابِي
لِيَالِي شَيْطَانِي عَلَى الْفَقْرِ قَادِرٌ وَأَعْدَبُ مَا عِنْدِي أَلِيمٌ عَذَابِ
عَكْسًا قَضَائِنًا عَلَى حَكْمٍ عَادِنَا وَمَا عَكْسُهَا عِنْدَ اللَّهِ بِصَوَابِ
عَلَى الْمَصْطَفَى الْخِتَارِ أَزْكَى تَحِيَّتِي فَتِلْكَ الَّتِي أَعْتَدَ^(٢) يَوْمَ حِسَابِي
فَتِلْكَ عِتَادِي أَوْ ثَنَاءِ أَمْوَعُهُ كَدَّرَ سَحَابٌ أَوْ كَدَّرَ سِجَابِ

ومن مشهور نظم ابن خميس رحمه الله تعالى :

عَجَبًا لَهَا أَيْذِقُ طَعْمَ وَصَالِهَا [٤٥٣] مِنْ لَيْسَ يَأْمُلُ أَنَّ يَمُرَّ بِبَالِهَا
وَأَنَا الْفَقِيرُ إِلَى نَعْلَةِ سَاعَةِ مِنْهَا وَتَمْنَعُنِي زَكَاةَ جَمَالِهَا
كَمْ ذَادَ عَنِ عَيْفِي الْكَرَى مُتَأَلِّقٌ يَبْدُو وَيَتَغَفَى فِي خَفِي^(٣) مِطَالِهَا
يَسْمُو لَهُ بَدْرُ الدُّجَى مُتَضَائِلًا كَتَضَاوُلِ الْحَسَنَاءِ فِي أَسْمَالِهَا
وَابْنُ السَّبِيلِ يَجِيءُ بِقَيْسٍ نَارَهَا لَيْلًا فَتَمْنَحُهُ عَقِيلَةَ مَالِهَا
يَعْتَادُنِي فِي النَّوْمِ طَائِفُ خَيَالِهَا فَتُصِدِّقُنِي أَلْهَاطُهُمْ بِنْيَالِهَا
كَمْ لَيْلَةٍ جَاءَتْ بِهٍ^(٤) فَكَأَنَّمَا زُفْتُ عَلَى ذِكَاةٍ وَقْتُ زَوَالِهَا

(١) ط و اللّٰهج : « ما خلا » . وما أختناه عن م .

(٢) في م : « أعتدت » .

(٣) في م : « في حبي » . والحي : السحاب .

(٤) كذا في الأصلين . وفي فتح الطيب : « جادت » .

أُتْرِي فمَطَلَمَا وَعَطَلَ شُبُهَهَا بِأَبِي شَذَا لِمِطَارٍ مِنْ مِطَالَمَا
وَسَوَادَ طَرَفِهِ كَكُجْنَحٍ غَلَايَهَا وَبَيَاضُ غُرَّتِهِ كَكُضْوَةٍ هَلَايَهَا
دَغَى أَشِيمٍ بِالْوَهْمِ أَذَى كَنَعَةٍ مِنْ تَفَرُّهَا وَأَشَمٍ مِشْكَةٍ خَلَايَهَا
مَا زَادَ طَرَفِي فِي حَقِيقَةِ خَلْهَا إِلَّا لِفَيْفَتِهِ ^(١) بِحَسَنِ دَلَايَهَا
أُنْسِبَ شِعْرِي رِقٍّ مِثْلَ نَسِيمِهَا فَشَمُولُ رَاحِكَ مِثْلُ رِيحِ شَمَالَمَا
وَانْقَلِ أَحَادِيثَ الْهَوَى وَاشْرَحْ غَرِيْبَ لُغَاتِهَا وَأَذْكُرْ ثِقَاتِ رِجَالِهَا
وَإِذَا مَرَزَتْ بَرَامَةً فَتَوَقَّ مِنْ أَطْلَالِهَا وَأَطْلَالِهَا وَتَمَشَّ فِي أَطْلَالِهَا
وَانصِبْ لِقُرْأَتِهَا ^(٢) حِبَالَةَ قَانِصٍ وَدَعْ السَّكْرَى فَرَّ كَالْفَصِيدِ غَرَامَا
وَأَسِلْ جِدَاوَلَهَا بِفَيْضِ دُمُوعِهَا وَانصَحْ جَوَانِحَهَا بِفَعْدِلِ سِجَالَمَا
أَنَا مِنْ بَقِيَّةِ مَغَشَّرِ عَرَكَتِهِمْ هَذِي النَّوَى عَرَكَ الرَّحَى يَشْفَالَمَا
أَكْرِمْ بِهَا فِتْنَةَ أَرِيْقَ نَحِيْمِهَا بَغْيًا قِرَاقَ الْعَيْنِ حُسْنُ مَالَمَا
خَلَّتْ مُدَامَتُهُ وَضَلِيلًا وَخَلَّتْ لَهُمْ فَإِنْ انْتَشَرُوا فَيَحِلُّوْهَا وَخَلَالَمَا
بَلَقَتْ بِهِرْمُسَ غَايَةً مَا نَالَهَا أَحَدٌ وَنَاءَ لَهَا لِبُعْدِ مَنَالَمَا
وَعَدَّتْ عَلَى سُقْرَاطَ سُورَةَ كَالْبِهَا فَهَرِيْقَ مَا فِي الدَّنِّ مِنْ جَرِيَالَمَا
وَسَرَتْ إِلَى قَارَابِ مَنَاهَا نَفْحَةً ^(٣) قُدْسِيَّةً جَاءَتْ بِمُخْبِئَةِ آلَمَا
لِيَصُوغَ مِنْ أَلْحَانِهِ فِي حَانِهَا مَا سُوِّغَ الْقَيْسِيُّ مِنْ أَرْمَالَمَا
وَتَقَلَّلَتْ فِي سَهَرٍ وَرَدَ فَأَشْهَرَتْ عَيْنَنَا يُوْرَفَهَا طُرُقُ خَيَالَمَا

(١) في الأصلين : « لَفْتَتِهِ » . وما أثبتناه عن نفع الطيب الطبع .

(٢) كَذَا فِي م . وَفِي ط وَنَفَحَ الطَّيْبُ الطَّبِيعُ : « لَمَرَّهَا » . وَفِي الْخَطُّوطِ : « بَعَثَهَا » .

(٣) كَذَا فِي ط وَنَفَحَ الطَّيْبُ . وَفِي م : « نَفْعَةٌ » .

[١٠٤]

غبا شهاب الدين لما أشرقت
ما جنَّ مثل جنونه أحد ولا
وبدت على الشوذي^(١) منها نشوة
بطلت حقيقته وحالت حاله
هذي صبايتهم ترقى صباية
اعلم أبا الفضل بن يحيى أنني
فاذا رأيت مدأها مثلي فخذ
لا تمنعني لما ترى من شأنها
فصلاحها بفسادها ونعيمها
ومن العجائب أن أقيم ببلدة
شغلوا بدنيهم^(٢) أما شغلهم
حجروا بجهلهم فإن لاحت لهم^(٣)
وإن اتسبت فأنني من دوحه
من خير من ذي رعين من ذوي
وإذا رجعت إيطيتي معني فما
له ذلك أي نجل كريمة
وخوى^(٤) فلم يثبت لنور جلالتها
سمحت يد بيضا^(٥) بمثل نوالها
ما لاح منها غير كعكة آله
فما بعبء عن حقيقة حالها
فبروق شاربها صفاء زلالها
من يمشيها أخرى على آسائها^(٦)
في عدل إن كنت من عذائها
في حلها إن كان أو ترحالها
بمذاها ورشادها بصلاحها
يوما وأسلم من أذى جهالها
عنى فكهم صيغت من أشغالها
شمس الهدى عيشوا بصوة ذوالها
ينفيا الإنسان^(٧) برودة ظلالها
حجر من العظام من أقبالها
سلساله بأرق من صلصالها
ولدته فاس منك بعد حيالها

(١) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « وضوى » .

(٢) في ط : « سمحت به أيضا » . وفي م : « سمحت يد أيضا » : وما أيتناه
عن النفع الطوبوع .

(٣) كذا في الأصلين ، وهو تحريف . وفي نسخة من نفع الطيب : « للشود » .
وله يعرف أيضا عن : « ممشاد » ، وهو ممشاد الديبوري ، صوفي مشهور ،
توفي سنة ٢٩٩ هـ .

(٤) كذا في ط . وفي م : « آسائها » . وله يعرف عن « أمثالها » .

(٥) كذا في ط . وفي م : « تنفيل الأنساب » .

وَأَنْتَ لَا عَدِيَّتَكَ وَاللَّهُ نَفَرَهَا وَجَمَّكَ سُوْدُودَهَا وَبَدَّرُ كَالهَا
أَغْلَطَ عَلَى مَنْ تَلَّكَ مِنْ أَنْذَالِهَا وَاشْخَعُ لِمَنْ تَلَقَّاهُ مِنْ أُنْدَالِهَا
وَالْبَسَ بِمَا أَوْلَيْتَهَا مِنْ نَعْمَةٍ حُلَّ الشَّاءِ وَجَرَّ مِنْ أَذْيَالِهَا
خُذَهَا يَا الْفَضْلُ بِنَ يَحْيَى نُحْفَةً جَاءَ نَكَ لَمْ يُنْسَجِ عَلَى مَنَوَالِهَا
مَا جَاءَ فِي مِضَارِهَا شِعْرٌ وَلَا سَمَحَتْ قَرْبُجَةً شَاعِرٍ بِمِثَالِهَا
وَأُنْزِلَ يَا الْبَرَكَاتِ مِنْ بَرَكَاتِهَا وَادْفَعْ بِحَالِ شُكُوكِهِ مِنْ آلِهَا^(١)

منزلة ابن خيس
عند علماء الشرق

قال السلطان أبو عنان رحمه الله : أخبرنا شيخنا الإمام العالم العلامة ،
وحيد زمانه ، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي رحمه الله ، قال :

لما توجه الشيخ الصالح الشهير أبو إسحاق التَّنَاسِي من نَلسَانَ إلى بلاد
الْمَشْرِق ، اجتمع هناك بقاضى القضاة تقي الدين بن دَقِيق العيد ، فكان من [٤٥٥]
قوله له : كيف حال الشيخ العالم أبي عبد الله بن خيس ؟ وجعل يُحَلِّيه بأحسن
الأوصاف ، ويُطَنِّب في ذكر فضله ؛ فَبَيَّنَ الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ مُتَعَجِّبًا ، وقال :
من يكون هذا الذى تَلَيَّنْتُمُوهُ بهذا الحَلَّى ولا أعرفه ببلدى ؟ فقال له هو القائل :
« عَجَبًا لَهَا أَيْذُوقُ طَعْمَ وَصَالِهَا »

قال : فقلت له : إن هذا الرجل ليس هو عندنا بهذه الحالة التى وَصَفْتُمْ ،
إنما هو عندنا شاعر فقط . فقال له : إنكم لم تُنْصَفُوهُ ، وإنه لَحَقِيقٌ بما وَصَفْتُمْ .
قال السلطان أبو عنان : وأخبرنا شيخنا أبو عبد الله المذكور أن قاضى القضاة
ابن دَقِيق العيد كان قد جعل القصيدة المذكورة بِخِزَانَةٍ كانت له ، تَعْلُو مَوْضِعَ
جُلُوسِهِ لِلْعَاطَلَةِ ، وكان يُخْرِجُهَا مِنْ تِلْكَ الْخِزَانَةِ ، وَيَكْثُرُ تَأَمُّلُهَا وَالنَّظَرُ فِيهَا .

ثم قال السلطان أبو عنان : قال لنا شيخنا أبو عبد الله الآبلي المذكور :

(١) كذا في م . وفى ط : « بِمِثَالِهَا » . مكان قوله : « مِنْ آلِهَا » .

ولقد تعرّفت أنه لَمّا وصلت هذه القصيدة إلى قاضي القضاة تقي الدين المذكور ، لم يقرأها حتى قام إجلالاً لها انتهى .

وقد وصل ابن خميس رحمه الله هذه القصيدة إلى قاضي القضاة بنظر لم أثبتته هنا لطوله ، ولما قيل إن هذا الرجل مَرَّئِي النَّزْعَةِ ، أي نظامه أحسن من نثره ؛ وقد أوردتها ابن الخطيب في الإحاطة ، وأوردتها السلطان أبو عنان في مَرَوِيَّاتِهِ .

وكان ابن خميس بعد مصادفته لهذه زُلْمان ، سقى الله أرجاءها أبواء زُلْمان^(١) ، كثيرًا ما يتشوق لمشاهدتها ، ويتأوه عند تذكره لمعاهدها ، وهي شيمة الأحرار في حنينهم إلى أوطانهم ، ولدهم إجلال وإصرار .

شوق ابن خميس
إلى بلده زُلْمان

فإن ذلك قوله رحمه الله تعالى :

[٤٥٦]

زُلْمانُ لو أن الزمان بها يسخو
منى النفس لدار السلام ولا الكرخ^(٢)
ودارٍ بها الأولى التي حبل دُونها
منارُ الأمل لو أمكنَ الحقيقُ اللبثُ^(٣)
وعهدى بها والعمرُ في عنفوانه
وماء شباي لا أجبن ولا مطخ^(٤)
قواراة شبايم ومغنى صبابة
ومفهد أنس لا يلد به لطخ^(٥)
إذ الدهر متي العنان مَهْمَة
ولا رَدْع يثني من عني ولا رَدْع^(٦)
ليالى لا أضفى إلى عدل عاذل
كأن وقوع العدل في أدنى صمخ^(٧)
معاهد أنس غطلت مكانها
ظواهر أقاطر تعمدها القشخ
وأربع ألاف عفا بعض أيها
كما كان يغرو بعض الفواحين الطلخ^(٨)

(١) كذا في فتح الطب . وفي الأصلين . « الزلجان » .

(٢) اللبث : الاحتيال .

(٣) القطع : ما بقي في الحوس والفدير من الماء الذي فيه الدغابيس ، لا يقدر على غيره .

(٤) الردخ : الردع .

(٥) الصمخ : الضرب في صاخ الأذن .

(٦) اللطخ : التلويث .

فمن بك سكراناً من الرُّجْدِ مرّةً فلنّ يسه طولَ دهرى كملتج^(١)
 ومن يفتدح زُنْدًا لَمَوْقِدَ جَذْوَةٍ فزَنَدُ اشتدّاقى لا عَفَارَ ولا مَرْخ^(٢)
 أأنسى وقوفى لاهياً في عِراضها ولا شاغلٌ إلا التودُّعُ والسَّبِخ^(٣)
 وإلا اختبالي ماشياً في سباطها رَحِيًّا كما يمشى بَطْرَنَه الرُّخ^(٤)
 وإلا فعدوى مثلُ ما ينفرُ الطَّلَا وليدًا وحجلى مثلُ ما ينهضُ القَرْنُخ^(٥)
 كائنٍ فيها أزدشسيرُ بنِ بابك ولا مُلْكٌ لى إلا الشَّبيبَةُ والشَّرِخ^(٦)
 وإخوان سِنْدِي من لباني كأنهم جاذرُ رملٍ لا عِجافٌ ولا بُرْخ^(٧)
 وعلة لما بُلقى إليهم من الهدى وعن كلِّ فَحْشَاءٍ ومُنْكَرَةٍ صُلُخ^(٨)
 هم القومُ كُلُّهم سَيِّئَانِ في العِلا شَبَابُهُمُ القُرَاعَانُ والشَّيْخَةُ الشَّلُخ^(٩)
 مَضَوْا ومضى ذاك الزَّمانُ وأنسه ومَرَّ الصَّبَا والمِثَالُ والأهلُ والتَّدْخ^(١٠)
 كأن لم يكن يوماً لأفلامهم بها صريرٌ ولم يُسمعَ لأَكْثَمِهِمُ جَمِخ^(١١)
 ولم يرك في أرواحها^(١٢) من ثنائهم تكبهم ولا فى القُصْبِ مِنْ لِينِهِمْ مَلْخ^(١٣)
 ولا فى مُحْيَا الشَّمْسِ من هُذُنِهِمْ سَتَى ولا فى جَمِينِ البَدْرِ مِنْ طِينِهِمْ ضَمَخ^(١٤)

(١) يقال سكران ملتج : إذا كان لا يهيم شيئاً ، لاختلاط عقله .

(٢) العفار والرخ : نوعان من الشجر يسرع اشتغالهما .

(٣) السبخ : الفراغ .

(٤) الرخ : طائر كبير ، يرد ذكره في القصص والحرافات .

(٥) البرخ (بالتحريك) : خروج العبد ودخول الطهر ، ومنه رجل أبرخ ، وامرأته زخاء ، والجمع بزخ .

(٦) صلخ : جمع أصلخ ، وهو الأسم جدا ، لا يسمع ألبنة .

(٧) السلخ : جمع أصلخ وهو الأصابع الشديدة الحفرة .

(٨) الجبخ : إحالة السكعاب في اللبس .

(٩) في نفع الطيب المخطوط : « في أرواحها » .

(١٠) اللخ : الثقب والتكسر .

(١١) الضمخ : لطخ الحسد بالطيب .

سَعَيْتُمْ بَنَى عَمُورٍ فِي شَتِّ تَحْمُلِنَا فَمَا تَجَرُّكُمْ رَنْجٌ وَلَا عَيْشُنَا رَنْجٌ^(١)
دُعَيْتُمْ إِلَى مَا يُرْتَجَى مِنْ صَلَاحِكُمْ فَرَدَّكُمْ عَنْهُ التَّعَجُّرُفُ وَالْجَمْعُ^(٢)
تَعَالَيْتُمْ غُجْبًا فَلَمْ عَلَيْكُمْ عُبابٌ لَهُ فِي رَأْسِ عَلَيَانِكُمْ جَلْبُجٌ^(٣)

وهي طويلة جدا ، ألم فيها بلدح سبنة وملوكها بنى القَرْفُ ، فقال :

[٤٠٧] تَرَكْتُ لِمَيْنَا سَبْنَةً كُلُّ نَجْمَةٍ كَمَا تَرَكْتُ لِلْعِزِّ أَعْصَابَهَا الشُّمُخُ^(٤)
وَأَكَيْتُ أَلَّا أُرْتَوَى غَيْرَ مَا نَهَا وَلَوْ حَلَّ لِي فِي غَيْرِهِ لِلْنَّ وَالْمُدُخُ^(٥)
وَأَلَّا أُحْطُ الدَّهْرَ إِلَّا بِعُقْرِهَا وَلَوْ بَوَّأَنِي دَارَ إِعْرَاسِهَا بَلُخُ^(٦)
فَكَمْ نَقَعْتُ مِنْ غَلَّةِ تِلْكَ الْأَصَا وَكَمْ أَبْرَأْتُ مِنْ عِلَّةِ تِلْكَ الْأَشْيُخُ^(٧)
وَحَسْبِي مِنْهَا عَدْلُهَا وَاعْتِدَالُهَا وَأَعْرِضْهَا الْعُطَى وَأُرِيافُهَا الشُّفُخُ^(٨)
وَأَمْلَاكُهَا الصَّيْدَ التَّفَاوُلَةَ الْأَلَى إِعْزَاهُمْ تَعْنُو الطَّرَاخَةَ الْبُلُخُ^(٩)
كَوَاكِبُ هَدَى فِي سَمَاءِ رِيَاسَةٍ تُفْضِي فَمَا يَذْجُو ضَلَالٌ وَلَا يَطْلُخُو^(١٠)
نَوَاقِبُ أَوَارٍ تُرَى كُلُّ عَامِضٍ إِذَا النَّاسُ فِي طَلْحِيَاءَ غَبِهُمُ التَّخُخُ^(١١)

(١) رنج (كسرح ومع) : وقع في الشدائد .

(٢) الجمع : التكبر .

(٣) حليج السيل الوادي جلجا : قطع أجزائه وملاؤه .

(٤) كفا في الأصلين وفي فتح الطيب : ... المعز أعضائها فتح .

(٥) المدح : نوع من المال يظهر في حنار الرماز البرى ، ينصبه الناس .

(٦) البليج (بحركة) : اسم حنس لشجر معروف . واحده : لجة (بالتحريك) وسكن
الاء لصورة الشعر .

(٧) الشبخ : جمع نعماء . وهي الأرض المرتفعة للسكرمة ، ليس فيها رمل ولا حجارة ،

أو هي الأرض اللينة فيها ارتفاع . وجهه : تقاضى ، كصاعدي ، لكن الشاعر
راعى هنا ما فيه من الرصيدة ، شمه على دمل ، تكبراء وحز .

(٨) الطراخه : جمع مطرخم ، وهو للتكبر . والبليج جمع أبلج ، وهو للتكبر أيضا .

(٩) يطلخو تشدد طلفته .

(١٠) الطلحيا : الطلعة الشديدة . والتلخوا : حاروا والتبس عليهم الأمر .

وَرَوَّضَاتُ آدَابٍ إِذَا مَا تَأَرَّجَتْ تَضَاهَلُ فِي أَقْبَاءِ أَفْنَانِهَا الرِّمْنُجُ (١)
 تَجَامِيرُ نَدَى فِي حَدَائِقِ زُرْجِسٍ تَتَمُّ وَلَا أَمْعُ يُصِيبُ وَلَا دَخُ (٢)
 وَأَبْحَرُ عِلْمٍ لَا حِيَاضُ رَوَايَةِ فَيَكْبُرُ مِنْهَا التَّضَعُ أَوْ يَغْطُمُ التَّنْفُخُ
 بَنُو الْقَرْفَتَيْنِ الْآلَى مِنْ مُدَوِّرِهِمْ وَأَيْدِيهِمْ تُثَلِّلُ الْقِرَاطِيسُ وَالطَّرُخُ (٣)
 إِذَا مَا فَتَى مِنْهُمْ تَصْدَى لِنَايَةِ تَأَخَّرَ مَنْ يَنْحُو وَأَقْصَرَ مَنْ يَنْبُخُو (٤)
 رِيَاسَةِ أَخْبَارٍ وَمُلْكٍ أَهَاضِلٍ كِرَامٍ لَمْ فِي كُلِّ صَالِحَةٍ رَضُخُ (٥)
 إِذَا مَا بَدَأَ مِثْلًا جَفَاءَ تَغَطُّوْا عَلَيْنَا وَإِنْ حَلَّتْ بِنَا شِدَّةَ رَحُوْا (٦)
 تَزَوَّرُهُمْ حُذًّا نَحَاطُ فَتَنْثِي وَأَجَالُنَا دُلُجٌ وَأَبْدَانُنَا دُلُجُ (٧)
 يَرْوُونَنَا بِالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالْهَيِّ فَمَا خَرَجْنَا بَرًّا وَلَا خَدْنَا بَرُخُ (٨)
 وَمَا الزُّهْدُ فِي أَمْلَاكَ لَخْمٍ وَلَا التَّقَى بِيَدُوعٍ وَلِلذَّنْبِ لَزُوقٍ عَمَّنْ يَرْخُو (٩)
 وَإِلَّا فَنِي رَبِّ الْخَوَّزَنِيِّ غَنِيَّةٌ فَمَا يَوْمُهُ سِرٌّ وَلَا صِلَتُهُ رَضُخُ (١٠)

(١) الرمح : الشجر المجنح .

(٢) الدخ (بفتح الدال وضمها) : الدخان .

(٣) الطرخ : اسم جنس جمي ، وأحدته طرخة ، وهي حوس واسعة يعمل عند مخرج القناة ليجتمع فيه الماء ، ويصب منه إلى للزرعة .

(٤) ينخو : يفتخر ويتعظم .

(٥) أصل الرضخ : المطاء اليسير . والمراد هنا : المطاء مطلقا ، كما يفهم من السياق . رخوا : لاؤوا .

(٦) هنا : جمع أخذ ، وهو الضامر . والدخ : جمع الدلوخ ، وهو الذي يعنى بحمله مفيض المظفر لثقله ، وأصله : دح (ضم اللام) ، وسكن للوزن . ودخ : جمع دلوخ ، أي صمين ، وأصله بضم اللام كذلك .

(٨) البر والابتزاز : أخذ الشيء بحياء وفهر . والبرخ : الفهر .

(٩) أملاك لهم : يريد ملوك المؤمنين . والمراد (هنا) بنو الخزرج أصحاب سبحة ، لأنهم تجلبون في أنسابهم . ويرخو : يلين .

(١٠) الخوزني : قصر بحيرة الكوفة ، بناه النعمان بن أمية الفيس بن عمرو بن عدي الهلبي ، وهو الذي ليس السوح ، وساح في الأرض . والرضخ : خبر تصدعه ولا تفتيقه .

تَطْلَعُ يَوْمًا وَالسَّدِيرُ أَمَاتَهُ وَقَدْ نَالَ مِنْهُ الْمُجَبُّ مَا شَاءَ وَالْجَفْنُجُ^(١)
وَعَنْ لَهُ مِنْ شَيْمَةِ الْحَقِّ قَانِمٌ بِحِجَّةٍ صِدْقٍ لَا عَابَمَ وَلَا وَشْعٍ^(٢)
فَأَصْبَحَ يَجْتَابُ الْمُسُوحَ زَهَادَةً وَقَدْ كَانَ يُؤْذِي بَطْنَ أَحْمَصِهِ النَّحْجُ^(٣)
وَقَى وَاحِدَ الدُّنْيَا أَبِي حَاتِمٍ لَنَا دَوَاهٍ^(٤) وَلَكِنْ مَا لَأَدَوَانَا نَنْتَحِ^(٥)
تَخْلِي عَنْ الدُّنْيَا تَخْلِي عَارِفٍ يَرَى أَنَّهَا فِي ثَوْبٍ نَغْوَةٍ كَتَفِ^(٦)
وَأَعْرَضَ عَنْهَا مُسْتَمْتِنًا بِقَدْرِهَا فَلَمْ يَنْتَهَ مِنْهَا اجْتِنَابٌ وَلَا مَضْغُ^(٧)
فَكَانَ لَهُ مِنْ قَلْبِهَا الْحُبُّ وَالْهَوَى وَكَانَ لَهَا مِنْ كَفِّهِ الطَّرْحُ وَالطَّلْحُ^(٨)
وَمَا مُعْرِضٌ عَنْهَا وَهِيَ فِي طَلَابِهِ كَمَنْ فِي يَدَيْهِ مِنْ مَعَانِيهَا تَنْتَحِ^(٩)
وَلَا مُدْرِكٌ مَا شَاءَ مِنْ شَهَوَاتِهَا كَمَنْ حَفَظَهُ مِنْهَا التَّمَجُّعُ^(١٠) وَالتَّجَجُّعُ^(١١)
وَلَسَكُنَّا نَعْمَى مِرَارًا عَنْ الْهَدَى وَنَصْلَجُ حَتَّى مَا لَأَذَانُنَا ضَمَجُ^(١٢)

(١) السدير : نهر بناحية الحيرة . والحفن : القفر .

(٢) العيام : العمى الثقيل . والوشع : الردى الضعيف .

(٣) المسوح : جمع مسح ، وهو ثوب من الشعر عبط ، يلبسه الزهاد والمتشفون . ويجتاب : يتبعها ملبسا ، والنحج : صرب من البسط .

(٤) كذا في م . وفى ط : « بلاغ » .

(٥) نتح الفى : انزعه .

(٦) نتح الثوب (كنع) : لطمه أو شقه .

(٧) كذا فى نطق الطيب ، والمصح انزع الفى . وجذبه عن جوف شيء آخر . وفى م : « فضخ » وهو كسر شيء أجوف . وفى ط : مضغ ، وفيه تحريف .

(٨) كذا فى ط . وفى م « طرفه » بدل : « كفه » . والطح : رى الفى . وإساده .

(٩) التبع : فروج فى اليد بسبب القمل تعلق ماء ، فإذا تفتأت أو ببت مجلت اليد ، هصلبت .

(١٠) كذا فى ط . وفى م « التمتع » الاكتفاء بالقليل من الثمر اليابس واللين . وفى م : « التمتع » وهو النوم الحفيف .

(١١) التبع : التبعة والسأم ؛ يريد أنه زاهد فيها .

(١٢) نصلج : نضم . والنصع : جمع صباغ ، وأصله صمغ (نضم الميم) .

وَمَا لِأَمْرِي عَمَّا فَصَلَ اللَّهُ فَزَلَ وَلَا نَنْتَهِجُ (١) وَلَا اقْضَاءَ اللَّهِ تَقْضَى وَلَا نَسْخَ (٢)
 أَبَا طَالِبٍ لَمْ يَتَّقْ شَيْعَةَ سُودْدٍ يُسَادُ بَيْتَهَا إِلَّا وَأَنْتَ لَهَا سَيْنَحُ
 لَسَوْغَتِ أَبْنَاءَ الزَّمَانِ أَيَادِيَا لِدِرَّتِهَا فِي كُلِّ سَامِعَةٍ شَخْخَ (٣)
 وَأَجْرِيَتِهَا فِيهِمْ عَوَالِدُ سُودْدٍ فَمَا لَمْ يَكْسِبْ سِوَاهَا وَلَا نَخْ (٤)
 غَدَّتْهُمْ غَوَادِيهَا فِيهِمْ فِي عُرُوفِهِمْ دِمَاءُ وَفِي أَعْمَاقِ أَعْظَمِهِمْ مُخْخَ
 وَعَثَّتْهُمْ حَزَنًا وَتَهَلَّلَا فَاصْبَحُوا وَمَرَعَاهُمْ وَزَخْ وَمَرَعِيَّتُهُمْ وَلَخْ (٥)
 بَنَى الْقَرْفَيْنِ أَبْلَقُوا مَا أَرَدْتُمْ فَمَا دُونَ مَا تَبْتَغُونَ وَخَلْ وَلَا زَلْخَ (٦)
 وَلَا تَقْعُدُوا عَنْ أَرَادِ سِجَالِكُمْ فَاعْرِضْكُمْ جَفْ (٧) وَلَا غَرْفَكُمْ وَضَخْ (٨)
 وَخَلُّوا وَرَاءَ كُلِّ طَالِبٍ غَابِخَ وَتَبْهُوا عَلَى مَنْ رَامَ شَأَوْكُمْ وَانْخُوا (٩)
 وَلَا تَذَرُوا الْجُوزَاءَ تَقْلُو عَلَيْكُمْ فِي رَأْمِهِمَا مِنْ وَطْءِ أَشْلَافِكُمْ شَذْخَ
 لِأَفْوَاهِ أَعْدَائِي وَأَعْيُنِ حُسْدِي إِذَا جُلِيَتْ خَائِبِي الْقَصْصِ وَالْفَضْخِ
 دَعْوَاهَا تَهَادَى فِي مُلَاةٍ حُسْنِهَا فِي نَفْسِهَا مِنْ مَدْحٍ أَمْثَلِهَا مَدْحُ (١٠)

(١) كَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ . وَفِي نَجِّ الطَّيِّبِ : « فَسَخ » .

(٢) الشَّيْخ : صَوْتُ الشَّخْبِ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْفَرْعِ .

(٣) النَّخْ : السَّيْرِ الْمُنِيفُ ، وَسُوقُ الْإِبِلِ وَزَجْرُهَا وَاجْتِنَابُهَا ؟ يَرِيدُ أَنَّ الْقَدِيمَ عَوْدُهُ عَادَاتُ كَرَمِهِ لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى الرَّحَلَةِ لَا تَجَاجُ غَيْرَهُ .

(٤) الْوَزْخُ : شَجَرٌ يَشْبَهُ الْمَرْخَ فِي نَبَاتِهِ غَيْرَ أَنَّهُ أَغْبَرُ لَهُ وَرَقٌ دَقِيقٌ . وَالْوَخْ مِنْ النَّعْبِ : الطَّوِيلُ .

(٥) الْوَزْخُ : لِلزَّلْفَةِ تَزَلُّ مِنْهَا الْأَقْدَامُ لِنَدَاوَتِهَا ، لِأَنَّهَا صِفَاةٌ مِلْهَاءُ .

(٦) الْغَرَبُ : الدَّلَالُ الْعَظِيمَةُ . أَمَّا الْخَفْ فَهُنَّ مَعَابِيَةُ الدَّلَالِ الْعَظِيمَةِ ، وَاعِلُ الْمُرَادَةِ (هَذَا) : الشَّنُّ الْبَالِي يَفْطَحُ مِنْ صَفَةِ ، فَيَجْمَلُ كَالدَّلَالِ .

(٧) كَذَا فِي نَجِّ الطَّيِّبِ . وَالْغَرْفُ : أَخَذَ الْمَاءَ مِنْ بَيْتِهِ أَوْ نَحْوِهَا . وَفِي الْأَصْلَيْنِ « مَرْفَكٌ » .

(٨) الْوَضْخُ : الْمَاءُ الْقَلِيلُ .

(٩) انْخُوا : مِنَ التَّخَوُّةِ ، وَهِيَ الْإِفْتِخَارُ وَالتَّعَظُّمُ . (١٠) الْمَدْحُ : الْمَغْطَاةُ .

بِمَانِيَةٍ زَارَتْ سِيَمَانِينَ فَانْتَبَتْ وَقَدْ جَدَّ فِيهَا الزُّهُوْ وَاسْتَحْكَمَ الرِّمْحُ ^(١)

ومن مطلع قصيدة لأن خميس رحمه الله في مدح بلده تلسان — حاطها الله تعالى — قوله :

تِلْسَانُ جَادَتْهَا ^(٢) الْقَوَادِي الرِّوَاغُ وَأُرْسَتْ بِوَادِيهَا ^(٣) الرِّيَاحُ اللُّوَاقِعُ
وَسَحَّ عَلَى سَاحَاتِ بَابِ جِيَادِهَا مِلْثٌ يُصَافِي تَرْبَهَا وَيُصَافِحُ
يَطْلِيهِ قَوَادِي كُلَّمَا لَاحَ بَارِقُ وَيَرْدَادُ شَوْقَ كُلَّمَا مَرَّ سَارِحُ

ولم يتفق بحفظي من هذه القصيدة سوى ما ذكرت . وكنت تركتها بـتِلْسَانِ ، ولم أرها الآن بـبَاسَ ، حماها الله .

و « باب جِيَاد » التي أشار إليها هي إحدى ^(٤) أبواب تِلْسَانِ المحروسة ، وفيها يقول الفقيه العلامة الناظم الناثر ، أبو عبد الله محمد بن يوسف الثغراني ، من قصيدة رقعها للسلطان أبي حمو ، رحم الله الجميع :

أَيُّهَا الْخَافِظُونَ عَهْدَ الْوِدَادِ جَدِّدُوا أَنْسَنَا بِسَابِ الْجِيَادِ
وَصَلُّوْهَا أَصْلًا بِلِيَالٍ كَلَالٍ نَفْطِينَ فِي الْأَجِيَادِ
فِي رِيَاضِ مُنْصَدَاتِ الْحَيَانِ بَيْنَ تِلْكَ الرُّبَا وَتِلْكَ الْوِهَادِ
وَبُرُوجِ مُشَيَّدَاتِ التَّمَانِ بِأَدِيَابِ السَّيِّ كَشْمَمِ بَوَادِي
رُزْقٍ فِيهَا التَّسْبِيْمُ مِثْلَ تَسْبِي ^(٥) وَصَدَا النُّهْرِ مِثْلَ صَفْوِ وَدَادِي
وَزَهَا الزُّهُرِ وَالْفُصُونِ ثَلَاثُ وَتَفَتَّتْ عَلَيْهِ وَرُزْقُ شَوَادِي

[٤٥٨]

(١) الرمح : السكبر . زعم بأنه زعمًا (كعب) : ضبع .

(٢) في ط : « جادتك » .

(٣) في م : « عفاها » .

(٤) كذا في الأصناف . والمعروف أن الباب مذكر ، ولكن الغاربة يؤثرونه في لسانهم العامي .

(٥) في ط : « تسبي » .

وانبرى كلُّ جدولٍ كغمامٍ عارى النعمد سُندسٍ النجادِ
 وظلالُ النُصُونِ تَكْتُمُ فيه آخرُنا سَطُرَتْ بِفِيرٍ مِدَادِ
 نَذْكُرُ الوَثَمَ في معاصمِ حَوْدِ قُصْبُ فَوْقَهُ ذَوَاتُ امْتِدَادِ
 وَكُثُوسُ الدُّنَى تُدَارُ عَلَيْهَا بِجَنَى عِفَّةٍ وَنَقْلِ اعْتِقَادِ
 واصفرارُ الأصْبِلِ فيها مُدَامٌ وصَفِيرُ الطُّيُورِ نَفْثَةُ شَادِي
 كَمْ غَدُوْنَا بِهَا لَأَنَسٍ وَزَحْنًا جَادَهَا رَانَحٌ مِنَ الثُّزْنِ غَادِي
 وَلَكَمْ رَوَّحَتْ عَلَى النَّوْحِ كَادَتْ أَنْ تَرْجِعَ السَّبَابُ لَنَا وَهُوَ غَادِي
 رَمَتْ الشَّمْسُ في عَشَائِهِ حَتَّى أَحْدَثَتْ^(١) مِنْهُ رِقَّةً فِي الْجَادِ
 جَدَّدَتْ بِالْغُرُوبِ شَجْوً غَرِيبَ هَاجَهُ الشُّوقُ بَعْدَ طَوْلِ الْيَمَادِ
 يَا حَيَّا الثُّزْنَ حَبَّهَا مِنْ بِلَادِ^(٢) غَرَسَ الْحُبُّ غَرَسَهَا فِي فَوَادِي
 وَتَعَاهَدُ مَعَاهِدَ الْأَنَسِ مِنْهَا وَعُهُودَ الْعَمِيَا بِصَوْبِ الْعِيَادِ
 حَيْثُ مَفْتَى الْهَوَى وَمَلْهُى الْغَوَايِ وَسَرَادِ^(٣) الْمَتَى وَنَيْلُ الْمُرَادِ
 وَمَقَرَّ الْعَمَلِ وَسَرَفَى الْأَمَانِي وَتَجَرَّ الْقَدَا وَتَجَرَّى الْحِيَادِ
 كُلُّ حُسْنٍ عَلَى زِلْفَانِ وَقَفَ وَخَصَّوصًا عَلَى رُبَا الْعُبَادِ^(٤)
 ضَحِكَ الثُّورُ فِي رُبَاهَا وَأَرْبَى كَهْفُ ضَحَّاكِهَا عَلَى كُلِّ نَادِي^(٥)
 وَسَمَا تَاجُهَا عَلَى كُلِّ تَاجِرٍ وَسَطَا سَيِّمُهَا^(٦) عَلَى كُلِّ وَادِي

(١) في م : « حدث » .

(٢) في م : « عراس » .

(٣) في ط : « ورمال » .

(٤) في م : « واه العاد » .

(٥) في ط : « ناد » .

(٦) في ط : « فيقها » .

يَدْعِي غَيْرُهَا الْجَمَالَ فَيَقْضِي حَسْبُهَا أَنْ تِلْكَ دَعَايَ زِيَادٍ^(١)
وَيُسْغِرِي فِيمَتْ مَتْنَى عَلاَهَا مِنْ حِلَاهَا فَوَيْتُ فِي كُلِّ وَادِي
حَضْرَةُ زَانِهَا الْخَلِيقَةُ مُوسَى^(٢) زَيْنَةُ الْحَلِيِّ عَاطِلُ الْأَجْيَادِ
وَحَبَابَهَا بِكُلِّ بَذَلٍ وَعَسْدَلٍ وَحَمَاهَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَعَادِي
تِلْكَ جَاوَزَ التَّدَى فِي التَّمَالِي فَالْتِهَاتِ عَنْهُ كَالْتِهَادِي
مَثْقِلٌ لِلْهَدَى مَنِيْعُ النَّوَاحِي مَظْهَرٌ لِلْمُضِلِّ رَفِيعُ الْعِيَادِي
فَاقْبَلِ التَّحْلِيَّ وَالْأَعَادِي جَمِيعَا بِفِرَارِ الْقُطْبَا وَغُرَّةِ^(٣) الْأَيَادِي
كُلَّمَا صَدَّتِ السَّحَابُ أُغْنَتْ رَاحَتَاهُ عَنِ السَّحَابِ التَّوَادِي
كَمْ هَبَاتٍ لَهُ وَكَمْ صَدَقَاتٍ عَائِدَاتٍ عَلَى الْمُنَاةِ بَوَادِي
فَأَيَادِي خَلِيفَةِ اللَّهِ مُوسَى أَبْجَرُ عَذْبَةٍ عَلَى الْوَرَادِي
رُكَبَ الْجُودِ فِي بَسِيطِ يَدَيْهِ فَتَلَقَّى بِهِ تِلَافَ الْعَبَادِي
جَلَّ بَارِيهِ مَلَجًا لِلْبَرَايَا كَالْحَيَا ضَامِمًا حَيَاةَ الْبِلَادِي
جَلَّ مَنْ خَصَّهُ تِلْكَ التَّرَايَا بِأَهْرَافٍ مِنْ طَارِفٍ وَتِلَادِي
شَرِّمْ حُلُوهُ الْجَنَى وَسَجَّيَايَا يَشْهَدُ^(٤) الْمَجْدُ أَنَّهَا كَالشَّهَادِي
يَا إِمَامَ الْهَدَى وَشَمْسَ الْمَعَالِي وَغَمَامَ التَّدَى وَبَذْرَ التَّوَادِي
لَكَ بَيْنَ الْمُلُوكِ سِرٌّ خَفِيٌّ لَيْسَ مَعْنَاهُ لِلْعُقُولِ بِيَادِي

[٤٦٠]

(١) يريد أنها دعوى كاذبة ، كدعوى زياد بن أبيه النسب إلى أبي سفيان .
(٢) موسى : هو أبو هو موسى بن يوسف الزينى ، من بني عبد الواد ، كانت بينه وبين بني مرين منافات وحروب ، أدت إلى استيلائه على نلسان وغروجه عنها عدة مرات (انظر الاستنصاف للسلاوى ج ٢ ص ١٠٣ وما بعدها) .

(٣) ق م : دوين .

(٤) ق م : دشهد .

فَكَانَ الْبِلَادَ كَفَكَ مَهَا كَانَ فِيهَا مِنْ بَنَتِي لِلْإِبَادِ^(١)
 قَبِضَتْ كَفَكَ الْبَنَانِ عَلَيْهِ فَأَنْتَنِي بِالْإِذْعَانِ حَلْفَ انْقِيَادِ^(٢)
 وَبِكُمْ قَسْلُحَ الْبِلَادُ جَمِيعًا إِنْ أَرَأَيْكُمْ صَـلَاحَ الْبِلَادِ
 لَمْ تَزَلْ دَائِمًا نَحْنُ إِلَيْكُمْ كَحَنَيْنِ السَّقِيمِ لِلْمَوْتِ
 لَوْ أُعِينَتْ بِمَنْطِقٍ شَكَرْتُمْ مِثْلَ شُكْرِ الْعَفَاةِ لِلْأَحْوَادِ
 قَدْ أَطَاعَتْكُمْ الْبِلَادُ جَمِيعًا طَاعَةً أَرَعَتْ أَنْوَفَ الْأَعَادِي
 فَأَرْبَحُوا الْحِيَادَ أَنْتَبَهْتُمْ بِهَا وَأَقْرِؤُوا الشُّيُوفَ فِي الْأَغْدَادِ
 وَأَهْنُتُوا خَالِدِينَ فِي عِزِّ مَلِكٍ فَأَيْمُ السُّعْدِ دَائِمِ الْإِسْمَاعِدِ
 وَإِلَيْكُمْ مِنْ مُذْهِبَاتِ الْقَوَائِي حِكْمًا مِهْلَةً^(٣) رِيَانِ السَّادِ
 كُلُّ بَيْتٍ مِنَ النِّظَامِ مَشِيدٍ عَقَرُ الْأَفَقِ بِالثَّنَاءِ الدُّشَادِ^(٤)
 ذُو ابْتِسَامٍ كَزَهْرِ رَوْضِ مَحُودٍ وَانْتِظَامٍ كَسَيْلِكَ دُرِّ مَجُودِ

ومن قول الشُّعْرَى المذكور في رَمْلَسَانَ وسُلْطَانَهَا أَيْضًا :

نصيدة أخرى
 للشُّعْرَى في
 رَمْلَسَانَ

تَاهَتْ رَمْلَسَانُ بِحَسَنِ شَأْنِهَا وَبَدَا طِرَارُ الْخُسْنِ فِي حِلْبَانِهَا
 فَالْبُشْرُ يَبْدُو مِنْ حَبَابِ ثَعُورِهَا مَتَسِّيًا أَوْ مِنْ ثَعُورِ حِلْبَانِهَا
 قَدْ قَابَلَتْ زُهْرَ النُّجُومِ بِزَهْرِهَا وَبَرُوجَهَا بِوُجُوهِهَا وَقِيَابَهَا
 حَسُنَتْ بِحَسَنِ تَمَلُّكِهَا لِلْوَلِيِّ أَيْ حَمُوَ الَّذِي يَحْتَمِي رَحَى أَرْيَابَهَا
 مَلِكٌ شَمَائِلُهُ كَزَهْرِ رِيَانِهَا وَنَدَاهُ فَاضٍ بِهَا كَفَيْضِ عُبَابِهَا

[٤٦٦]

(١) كَذَا فِي ط . وَفِي م : « لِبَاد » ، وَلَعَلَّهَا : « لِعَاد » .

(٢) كَذَا فِي م . وَفِي ط : « مَا نِي بِالْإِذْعَانِ » . وَلَعَلَّهَا : « فَأَنْتَنِي مُذْعِنًا حَلْفَ انْقِيَادِ » .

(٣) فِي م : « كَلَامًا مِهْلَةً » : مَكْنَى قَوْلِهِ : « حِكْمًا مِهْلَةً » .

(٤) كَذَا فِي ط . وَفِي م : « السَّادِي » .

أَعْلَى^(١) الْمَلُوكِ الصَّيْدِ مِنْ أَعْلَامِهَا وَأَجْلَهَا مِنْ صَقُوقِ^(٢) وَلِبَاسِهَا
 غَارَتْ بِغُرَّةٍ وَجْهَهُ شَمْسُ الضُّحَى وَتَنَقَّبَتْ^(٣) خَجَلًا بِثَوْبِ ضَبَابِهَا
 وَالْبَدْرُ حَيْثُ بَدَتْ أَشْعَتْهَا لَهُ حُسْنًا نَضَائِلَ نُورِهِ وَخَبَا بِهَا
 قَلْبُهُ حَصْرَتُهُ الَّتِي قَدْ شَرَقَتْ خُدَامَتُهَا فَمَسُوا بِغِدْمَةٍ بِأَيْهَا
 فَالَاقُوا فِي يَمِينِهِ يُبْلِغُهَا الْمَتَى وَالْمَدْحُ فِي عَظِيمِهِ مِنْ أَسْبَابِهَا
 وَتَذَكَّرْتُ بِقَوْلِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

أَيُّهَا الْخَافِظُونَ عَهْدَ الْوِدَادِ جَدِّدُوا أَنْسَنَا بِيَابَ الْجِيَادِ

قصيدة منديل
 ابن أجروم في
 ذكر فاس

قصيدة أبي المكارم منديل بن أجروم ، في ذكر فاس المحروسة وباب
 الفتوح منها ، ومواضع من منتهاتها ؛ ولا شك أن كل واحدة من هاتين
 القصيدتين تنظر إلى الأخرى ، وناظهما متعامران ، فإله أعلم أيهما أخذ من
 الآخر ؛ على أن الروي مختلف ، وقد يقال إن^(٤) ذلك من باب توارد الخطوط .

ونص قصيدة ابن أجروم المذكور :

أَيُّهَا الْعَارِفُونَ قَدَّرَ الصَّبُوحَ جَدِّدُوا أَنْسَنَا بِسَبَابِ الْفُتُوحِ^(٥)
 جَدِّدُوا تَمَّ أَنْسَنَا تَمَّ جَدُّوا نَشْرَحِ الطَّرْفَ فِي مَكَانٍ فَسِيحِ
 حَيْثُ شَابَتْ مَفَارِقُ اللَّوْزِ نَوْرًا وَتَسَاقَطْنَ كَاللَّجَيْنِ^(٦) الصَّرِيحِ
 وَبِذَا مِنْهُ كُلُّ مَا احْمَرَّ يَحْكِي شَفَقًا مَرَّقَتْهُ أَيْدِي الرِّيحِ

(١) في ط : « أعلى » .

(٢) في م : « صقوها » .

(٣) في م : « وتنبئت » .

(٤) في الأصاين : « لئان » ، ولعلها عرقة عما أبتناه .

(٥) باب الفتوح : أحد أبواب فاس .

(٦) في ط : « كاللجين » .

وكان الذي تساقط منه
وإذا ما وصلتُمُ للمصلى
ويعطينوها فطوفوا بها
ولتقيموا هناك لكمة طرفة
ثم خلّوا رجالكم فوق نهر
فوق حافاته حدائق خضر
وكان الطيور فيها قيان
وهي تدعوكم إلى قبة الجن
فيه ما تشتهون من كل نور
وغصون تهيج رقصا متى ما
فأجيبوا دعاها أيها الشر
واجنحوا للمجنون فهو جدبر
واخلعوا ثم للتصابي عذارا
وإذا شئتم مكانا سواه
فاجمعوا أمركم لنحو أني^(١)
عطرت جانبيه كف الفوادي
قل للميسار إن شئتم شذاها
أين هذا الشذا الذي من القيصوم
حظا ذلك المهاد مهادا
ثم من ذلك المهاد أفيضوا
نحو هضب من الهموم مريج

نقط لحن من دم مسوح
فلتخلّوا بموضع التسبيح
تبصروا من ذراه كل سطوح
اتردوا بها ذماء الروح
كل في وصفه لسان المديح
أيس عنها عاشق من زوج
هفت بين أعجم ونصيح
ز هلموا إلى مكات مابح
مفلق في الكلام أو مفتوح
سمت صوت كل طير صدوح
ب واخلوا مقال كل نصيح
وخليق من مثلكم بالجنوح
إن خلغ العذار غير قبيح
هو أجل من ذلكم في الوضوح
جاء كالصل من قفار فيح
بشدا عرف زهرها للمنوح
قول مستخير أخى تهرج
بين دار من الربا وزوج
نحو هضب من الهموم مريج

[١٦٢]

فيه لأعشن دَوْحَة وزه إيا^(١) وانشرائح لئرى فؤاد قريح
وحجار تَدْعَى حِجَار طَبُول غير أن التطبيل غير صحيح
تَشْرُ الشمسُ ثمَّ كُلُّ غُدُو زَعْفَرَانًا مُبْتَلًا بِنُضْوَوح
وسُيُو^(٢) من هُنَاكَ يَسْنِي عقولا ويَجَلِّي إِيحَاظ طَرْفِ طَمُوح
رُغْيُونُ بها تَقَرُّ عُيُونُ وَكَلَامُ بَاسُو كُلُّوَمِ الْجَرِيمِ
فُرِشَتْ فَوْقَهَا طَنَافِسُ زَهَر لَيْسَ كَالْعَيْنِ تَسْجُهَا وَالْمُسُوح
كُلَّمَا مَرَّ فَوْقَهَا طَلَبُجْ عَادَ مِنْ حُسْنِهَا غَيْرَ طَلَبُجْ
فَانْهَضُوا أَيُّهَا الْحَبِيبُونَ مِثْلِي لَتَرَى ذَاتَ حُسْنِهَا الْمَلُوح^(٣)
هَكَذَا يُرْتَجِّحُ الزَّمَانُ وَإِلَّا كُلُّ عَيْشٍ سِوَاهُ غَيْرُ رَيْحِ

رجع إلى نظم ابن خميس رحمه الله

ومن بديع نظمه قصيدة مدح بها الوزير ابن الحكيم .

ولابن خميس
يصف تلسان
وعند ابن
الحكيم

قال ابن الخطيب : وهي من مشاهير أمداحه فيه ، وكعب بها إليه من
الترية ، وألم فيها بذكر بلده تِلْمَسَان ، وما حل بها من البلاء والحصار^(٤) في
ذلك التاريخ ، من قَبْلِ السَّاطِرَانِ أَبِي يَعْقُوبَ يَوْسَفَ ابْنَ السَّاطِرِ الْجَاهِدِ الْكَبِيرِ

(١) كذا في الأصلين . وفي البوغ للبرقي لعبد الله كنون « روايا » جمع راوية .

والراوية : مزادة للاء ، أو الدابة التي تحملها . ولعل المراد بها : الناعورة التي
يرفع بها للاء .

(٢) « سيو » : نهر معروف في المغرب (قرب فاس) في شرقها .

(٣) في ط : « الملوح » .

(٤) في ط : « والصار » .

أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق^(١) ، نَعَمْنَا اللهُ بِرُكَاثِهِ ، فِي أَهْلِ تَلْسَانَ
 الْخَصُورِ ، فَلَمْ يَقْبَلْ شَفَاعَتَهُمْ ، فَقَالَ الشَّيْخُ سِيدِي أَبُو زَيْدٍ كَلَامًا مَعْنَاهُ :
 إِنَّ سَمَادَةَ يَقْضِي هَذَا ، وَرَجَعَ الشَّيْخُ إِلَى فَاسَ ، فَأَتَفَقَ أَنَّ هَذَا الْعَبْدَ^(٢) كَانَ
 مَعَ السَّلْطَانِ فِي الْحَمَامِ ، وَكَانَ لَهُ عَلَيْهِ حَقْدٌ ، فَاتَّهَزَ فِيهِ الْفُرْصَةُ ، وَوَجَّاهُ بِخَنْجَرٍ ،
 فَكَانَ فِي ذَلِكَ حَتْفُهُ ، فَغَسَّ اللهُ عَنْ أَهْلِ تَلْسَانَ بَعْدَ حَصَارِهَا نَحْوَ الْعِشْرِ سَنِينَ .
 وَلَمَّا وَصَلَ الْخَلِيفَ إِلَى سِيدِي أَبِي زَيْدٍ بِمَوْتِ السَّلْطَانِ قَالَ : وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ يَكُونُ ،
 يَعْنِي نَفْسَهُ : وَ « يَكُونُ » : بِتَشْدِيدِ اللَّيْمِ ، عَلَى لُغَةِ الْهَرِيرِ ؛ فَتَوَقَّى رَحِمَهُ اللهُ ،
 وَدُفِنَ بِمَسْجِدِ الصَّابِرِينَ^(٣) ، وَقَبْرُهُ مَشْهُورٌ مَقْصُودُ الْإِجَابَةِ ، نَعَمْنَا اللهُ بِهِ ؛ وَقَدْ
 زَرَنَاهُ سِرَارًا لَا أَحْصِيهَا ، وَدَعَوْتُ اللهُ عِنْدَهُ بِمَا أَرْجُو قَبُولَهُ .

وَقَدْ أَشَارَ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنِ خُوَيْسٍ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ إِلَى ذَلِكَ الْحِصَارِ ؛ وَكَانَ
 مِنَ الْإِتِّفَاقِ الْغَرِيبِ ، سُرْعَةَ وَقُوعِ مَا تَحْقَاهُ ابْنُ خُوَيْسٍ تَلْسَانَ هَذِهِ مِنَ الْخَلِيفِ ،
 بَعْدَ طَوْلِ الْحَنَةِ ، وَاشْتِدَادِ الْبَلَاءِ ، وَلَمْ يَتَأَخَّرْ ذَلِكَ عَنْ تَارِيخِ الْقَصِيدَةِ غَيْرَ
 أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ .

وَنَصَّ الْقَصِيدَةُ :

سَلِّ الرِّيحَ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ السَّفْنَ أَوَّاهَ فَعِنْدَ صَبَاهَا مِنْ تَلْسَانَ أَنْبَاهُ

(١) كَذَا فِي الْأَسَاسِينَ . وَالطَّاهِرُ أَنَّ فِي الْعِبَارَةِ سَفْطًا ، وَلَوْلِ الْأَصْلُ : « وَقَدْ رَجَلَ
 الشَّيْخُ الَّذِي أَبُو زَيْدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْهَزْمِيُّ » ، نَعَمْنَا اللهُ بِرُكَاثِهِ مِنْ بِلَدِهِ أَنْهَامَاتٍ
 مَعَ جَمَاعَةٍ ، لِقُدْرَتِهِ عِنْدَ السَّلْطَانِ أَبِي يَحْيَى فِي أَهْلِ تَلْسَانَ الْخَصُورِيِّينَ . . . الخ .
 (أَطْرَافُ تَرْجُمَةِ الْهَزْمِيِّ فِي تَبِيلِ الْإِبْتِهَاجِ بِتَفْصِيلِ الدِّيَاجِ لِأَحْمَدَ بَابَا التَّنَبُّكِيِّ
 بِهَامِشِ صَفْحَةِ ١٦٤) .

(٢) يَرِيدُ بِهِ الْخَصِي « سَمَادَةُ » لِتَقْدِيمِ الذِّكْرِ ، وَكَانَ مِنْ مَمَالِكِ السَّلْطَانِ يَوْسُفَ
 « أَطْرَافُ خَبْرِهِ فِي الْأَسْتَنْصَا لِلْمَلَاوِي ج ٢ ص ٤١ » .

(٣) كَذَا فِي م . وَفِي ط : « الصَّابِرِ » . وَفِي تَبِيلِ الْإِبْتِهَاجِ لِأَحْمَدَ بَابَا : « الصَّابِرِينَ » .

وفى حَفَقَانِ الْبَرْقِ نِيهَا إِشَارَةً
تَمَرُّ اللَّيَالِي لَيْلَةً بِسَدِّ لَيْلَةٍ
وَإِنِّي لِأَصْبُولُ لِلصَّبَا كَلَمًا سَرَتْ^(١)
وَأَهْدِي إِلَيْهَا كُلَّ يَوْمٍ تَحِيَّةً^(٢)
وَأَسْتَجِلُّ النَّوْمَ الْفَرَارَ وَمَضْجَعِي
لَعَلَّ خَيَالًا مِنْ لَدُنْهَا يَمُرُّ بِي
وَكَيْفَ خُلُوصُ الطَّيْفِ مِنْهَا وَدُونَهَا
وَإِنِّي لَشَتَائِقُ إِلَيْهَا وَمُنِيَّ^(٣)
وَكَمْ قَائِلُ نَفَقَى^(٤) غَرَامًا بِجَهَنَّا
لِعَشْرَةِ أَعْوَامٍ عَلَيْهَا تَجَرَّمْتُ^(٥)
يُطَلَّبُ فِيهَا عَاشُونَ وَخُرَبٌ^(٦)
كَأَنَّ رِمَاحَ الْفَاهِشِينَ لِمُسْكِمِهَا^(٧)
قِدَاحٌ وَأُمُومَالُ النَّازِلِ أَبْدَاءُ^(٨)

[١٦٤]

- (١) في م : « تنهي » .
(٢) كذا في م . وفي ط : ونفع الطيب : « إليها » .
(٣) أكلا بصرة في النسيء : ردها فيه مصوبا ومصمدا .
(٤) كذا في م ونفع الطيب . وفي ط : « صبت » .
(٥) في ط : « إصبا » . وما أُنبتاه عن م ونفع الطيب .
(٦) كذا في ط . وفي م : « وفي ردها بعد التحية إهداء » .
(٧) كذا وردت هذه الكلمة : « داء » في نفع الطيب . وفي الأصلين : « داء » .
ورواية هذا الشعر في م : « حياة لها من كل طالعة داء » .
(٨) كذا في ط . وفي م والنسخ : « يغي » .
(٩) أخلفت : نفرت . ولللاء : جمع ملء والأملاء : جمع ملأ ، وم أشرف الناس
وعليتهم .
(١٠) هرباه البرد وأهرأه : اشتد عليه حتى كاد يمتله .
(١١) في نفع الطيب : « وأحياء » .
(١٢) الأبداء : جمع بدء ، وهو التصيب من الجوزور .

فلا تَتَّبِعِينَ فِيهَا مُنَاخَاً لِرَاكِبٍ فقد قَلَصْتُ مِنْهَا ظِلَالاً وَأَفْيَاءَ
 وَمَنْ عَجَبٍ أَنْ طَالَ سَمْتِي وَتَرَعُهَا وَقُسِّمَ أَضْيَاءُ عَلَيْنَا وَأَطْنَاءُ^(١)
 وَكَمْ أَرْجَفُوا غَيْظًا بِهَا نَمَّ أَرْجَتُوا فَيَكْذِبُ إِرْجَافٌ وَيَصْدُقُ إِرْجَاءُ
 يُرَدُّهَا غَيَابُهَا الدَّهْرَ مِثْلَهَا^(٢) يُرَدُّ حَرْفُ التَّاءِ فِي النُّطْقِ كَأَفَاءَ
 نِيَامَتِ لَأَنَالَ الرَّدَى مِنْهُ مَا اشْتَى تُرَى هَلْ لَمُرِّ الْأَنْسِ بَعْدَكَ إِنْ سَاءَ
 وَهَلْ لِلظَى الْحَرْبِ الَّتِي فِيكَ تَلْتَلِي إِذَا مَا انْقَضَتْ أَيَّامُ بُوْسُكَ إِطْفَاءُ
 وَهَلْ لِي زَمَانٌ أَرْجِي فِيهِ عَوْدَةً إِلَيْكَ وَوَجْهَ الْبُشْرِ أَزْهَرُ وَضَاءُ
 قِيَامَتِي مَالِي^(٣) إِنْ هَلَسْتُ لَمْ أَقُلْ لَصَحِيحِهَا الدَّرُّ الْكَرَامُ أَلَا هَاؤِ
 وَلَمْ أَطْرِقِ الدَّرْبَ الَّذِي كُنْتُ طَارِقًا^(٤) إِعَادِ وَبَذْرِ الْأَفْقِ أَسْلَعُ^(٥) مِشْنَاءُ^(٦)
 أَطِيفُ بِهِ حَتَّى سَهَرٍ كِلَابُهُ وَقَدْ نَامَ غَسَّاسٌ وَهُومٌ سُبَّاءُ
 وَلَا صَاحِبٌ إِلَّا حَسَامٌ وَلَغَدَمٌ وَطَرَفٌ لَحْدَ اللَّيْلِ مُذْ كَانَ وَطَاءُ
 وَأَسْحَمُ قَارِيٍّ كَسَعَرِي خُلْسَكَةً تَلَاؤًا فِيهِ مِنْ سَنَى الصَّبِيحِ أَضْوَاءُ
 فَمَا لَشَرَابِي فِي سَوَالِكِ^(٧) مَرَاةٍ وَلَا لِيَطْعَامِي دُونَ مَا نَلَكَ إِسْرَاءُ

- (١) الْأَشْيَاءُ : جمع شئ ، وهو الرِّس . وَالْأَطْنَاءُ : جمع طنء ، وهو الداء .
 (٢) كَذَا فِي مَوْجِعِ الطَّبِيبِ الْمُطْبُوعِ . وَفِي ط : « يَرُدُّهَا غَيَْابُهَا الدَّهْرَ بَعْدَ مَا » .
 (٣) يُقَالُ : يَا هَيْهَ مَالِي ، وَيَا فِي مَالِي ، وَيَا شَيْءَ مَالِي ، تَهْمَزُ وَلَا تَهْمَزُ . وَهِيَ :
 اسم فعل أمر فتنجب ، أو للأسف والحزن والظنوف على ما فات ، بمعنى نفيه
 واستيفظ ، ودخل عليه حرف النداء كما دخل على قول الأعرس ، وبين على حركة
 فتعاجس من التفاء الساكنين ، وخس بالفتحة طابا للفتحة . وقولهم : « مَالِي »
 يعني : أَي شَيْءٍ لِي ؟
 (٤) فِي الْأَصَابِتِ : « الدِّين » ، وَلَمْ يَحْفَظْ عَمَّا أَهْبَتَاهُ .
 (٥) كَذَا فِي ط : وَفِي م : « لَعَادِي » . وَلَمْ يَحْفَظْ : « كَعَادِي » ، جَمْعُ عَادَةٍ .
 (٦) الْأَسْلَعُ : الَّذِي فِيهِ الرِّس . وَالْمِشْنَاءُ : الَّذِي يَفْقَهُ النَّاسُ .
 (٧) كَذَا فِي م . وَفِي ط : « مَوَالِك » .

وما دارى الأولى بدرب مَعِيَلَةٍ وقد جَدَّ عَيْثٌ فِي بِلَاهَا وَإِرْدَاهَا
 أَمَا أَنَّ أَنْ يُحْيَى رِجَاكَ كَهَيْدِهِ وَيَحْتَالُ أَفْهَامُ عَلَيْهِ وَأَسْمَاءُ ^(١)
 أَمَا أَنَّ أَنْ يَعْشُو لِنَارِكَ طَارِقُ ^(٢) جَنْبُ لَهْ رَفَعُ إِلَيْكَ وَدِدْنَاهُ ^(٣)
 بُرْجِي نَوَالًا أَوْ يُؤْمَلْ دَعْوَةٌ فَمَا زَالَ قَارٍ فِي ذَرَاكَ وَقَرَّاءُ
 أَحْرَنُ لَهَا مَا أُطْلَتْ النَّبُّ حَوْلَهَا وَمَا عَاقَهَا عَنْ مُورِدِ الْمَاءِ أَطْلَاءُ
 فَمَا قَاتَهَا مِنْ بَزَاعِ قَلَى النَّوَى وَلَا فَاتَى مِنْهَا عَلَى الْقُرْبِ إِجْشَاءُ ^(٤)
 كَذَلِكَ جَدَّى فِي صِبَابِي وَأُسْرَتِي وَمَنْ لِي بِدَرٍ مِنْ أَهْلِ وَدَيِّ إِزْفَاءُ ^(٥)
 وَلَوْلَا جَوَارُ ابْنِ الْحَكِيمِ مُحَمَّدٍ لَمَّا كَلَّتْ نَفْسِي مِنْ بَنِي الدَّهْرِ إِفْقَاءُ ^(٦)
 حَتَّى قَلِمٌ تَنْبُتُ مَحَلِّي نَوَائِبُ ^(٧) بِسَوْءٍ وَلَمْ تَزَلْ أَوْأَيَّ أَرْزَاءُ
 وَأَكْفَأُ بَيْتِي ^(٨) فِي كَفَالَةِ جَاهِهِ فَصَارُوا عَقِيدًا لِي وَهُمْ لِي أَكْفَاءُ
 يُؤْمُونَ ^(٩) قَسْدِي طَاعَةً وَحُبَّةً فَمَا عَقَّقَهُ عَافُوا وَمَا شَتَّتَهُ شَادَا
 دَعَانِي إِلَى الْمَجْدِ الَّذِي كُنْتُ آمِلًا فَلَمْ يَكْ لِي عَنْ دَعْوَةِ الْمَجْدِ إِبْطَاءُ
 وَبَرَّأَنِي مِنْ هَضْبَةِ الْعِزِّ تَلَعَةً ^(١٠) يُنَاجِي السُّهَاءَ مِنْهَا صَمُودٌ وَطَاطَاءُ ^(١١)

[٦٠]

(١) الأحماس : جمع حمى (ككسكف) ، وهو الشجاع . والأحماء : جمع حم (حمى) ،
 ومع الأفارب والأسمهار .

(٢) الرفع : المبالغة في السير ؛ والشداء : أشد العدو .

(٣) الإجشاء : مصدر أجتأ . يقال : اجتأت نفسه من حزن أو فزع : ثارت وياشت .

(٤) كذا في ط . والإرفاء : الجروح والفتور . وفي م وتفتح الطبيب المطبوع : « إن فاء واء » .

(٥) الإلقاء : التصغير والإذلال .

(٦) أكفأ البيت : جعل له سقفة من أعلاه إلى أسفله . يريد أن م ابن الحكيمة
 شملت أهل بيته .

(٧) الشمبر في : « صاروا » يعود على بني الدهر .

(٨) في م : « يرومون » . (٩) الطاماء : للتبسط من الأرض . والصمود : صده .

يُسْمِعُنِي مِنْهَا إِذَا سِرْتُ حَافِظٌ وَيَكْلُونِي مِنْهَا إِذَا نَمْتُ كَلَامٌ
وَلَا يَمِثْلُ نَوْبِي فِي كِفَالَةِ غَيْرِهِ وَلِلذَنْبِ إِلْسَامٌ وَلِلصِّلِ إِلْسَامٌ
بِفَيْضَةِ آيَتِهِ أَوْ بِمَرْقَبِ حَارِبٍ مُبَرِّئُ كُفَا فِيهِ وَتُقَطَّعُ أَكْسَامُ
إِذَا كَانَ لِي مِنْ نَائِبِ الْمَلِكِ كَافِلٌ فِي حَيَاتِي هَوَمْتُ كَرْنٌ وَإِذَا فاء
وإِخْوَانُ صِدْقٍ مِنْ صَنَائِعِ جَاهِهِ يَتَبَادَرُنِي مِنْهُمْ قِسَامٌ وَإِيْلَاءُ
سِرَاعٍ لَمَّا بُرِّجَتِي مِنَ الْخَيْرِ عِنْدَهُمْ وَمِنْ كُلِّ مَا يُخْشَى مِنَ الشَّرِّ أَمْرٌ
إِلَيْكَ أَمَا عَبْدُ الْإِلَهِ صَنَعْتُهَا لُزُومِيَّةً فِيهَا لِيُجِدَى إِفْشَاءُ
مُبَرَّاةٌ مِمَّا يَغِيبُ لُزُومَتَا إِذَا عَلَبَ إِكْفَالُ سِدَاحِهَا وَإِيْطَاءُ
أَذَعْتُ بِهَا السَّرَّ الَّذِي كَانَ قَبْلَهَا عَلَيْهِ لَأَخْنَاءُ الْجَوَانِحِ إِضْنَاءُ^(١)
وَأَعْوَرَ إِكْلَاءُ فَمَا عَارَ إِكْلَاءُ^(٢) وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كُلُّ الَّذِي كُنْتُ آمِلًا
وَمَنْ بِكَ كَلَّفَ مُفْجَأَ شُكْرِ مَنَّةٍ فَا لِي إِلَى ذَلِكَ التَّكْلِيفِ الْجَاءُ
إِذَا مُنِيتُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَكَ وَمَنْشِيٌّ فَلَا كَانَ إِنْشَاءٌ وَلَا كَانَ إِنْشَاءُ

وابن الحكيم المذكور : هو ذو الوزارين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
ابن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن سعد^(٣) بن محمد بن فتوح بن محمد بن أيوب بن
محمد القضي، من أهل رندة، الكاتب الأديب البليغ، الشهير بالذكر بالأندلس، [٤٦٦]
ويُعرف بابن الحكيم.

التعريف بابن
الحكيم

- (١) يريد بالإضناء : كتم السر : ولعله محرف عن : « الإضناء » . يقال : أضبا على
الشيء . إضناء : سكت عليه وكتمه .
(٢) يقال : أكلأت الأرض : إذا كثر سكانها ، وأكلأت : إذا كثرت سكانها . يريد :
إذا لم أجد السكان أجرواني السكاة .
(٣) في م : « سعيد » .

أصل سلفه من إشبيلية ، من أعيانها ، ثم انتقلوا إلى رُنْدَة ؛ وأول من انتقل منهم إليها جده محمد بن فُتُوح ، في دولة بني عُبَّاد ، ويحيى جد والده هو المعروف بالحُكَيْم لَطِيبه ، وكانوا قديما يُعرفون ببني فُتُوح .

قدم ذو الوزارتين أبو عبد الله على حضرة غرناطة أيام السلطان أبي عبد الله محمد بن محمد بن نصر ، إثر قُتُوله من الحج ، فألحقه بكتابه ، وأقام^(١) يكتب له في ديوان الإنشاء ، إلى أن تُوُفِيَ هذا السلطان في ثامن شعبان سنة إحدى وسبع مئة ، وتقلد الثُلُث بعده ولئ عهده أمير المؤمنين ، أبو عبد الله محمد الخُلُوع ، فقلده الوزارة والكتابة ، وكان مشركا معه في الوزارة الوزير الجليل التَّحِيّ ، أبا سلطان عبد العزيز بن سلطان الدَّائِي ، فلما تُوُفِيَ الوزير أبو سلطان الدَّائِي ، أفرده سلطانه بالوزارة ، ولقبه بذى الوزارتين ، وصار صاحب أمره ونهيه ، إلى أن توفى بحضرة غرناطة قتيلا ، غُدوة يوم الفطر ، مُسْتَهْلَ شوال سنة ثمان وسبع مئة ، وذلك لتاريخ خلع سلطانه ، وخلافة أخيه أمير المؤمنين^(٢) أبي الجيوش مكانه ؛ ومولده ببِلْدَة رُنْدَة في شهر ربيع الأول سنة ستين وست مئة .

وكان رحمه الله علما في العِصْلَة والسَّراوة ومكارم الأخلاق ، كريم النفس ، واسع الإيثار ، متين الخُزْمة ، عالى المهمة ، كاتبا بليغا ، أديبا شاعرا ، حَسَنَ الخط ، يكتب خطوطا على أنواع ، كَلِمًا جليل الانطباع^(٣) ، خطيبا فصيح القلب ، زاكى الشيم ، مُؤَثِّرًا لأهل العلم والأدب ، بَرًّا بأهل الفضل والحسب ، نَدَّتْ في مدته للفضائل أسواق ، وأشرقت بإمداده للأفاضل آفاق .
ورحل إلى المشرق ، وكانت إجازته البحر من التَّريّة ، ففغى فريضة الحج ،

(١) في م : « وكان » . (٢) في ط : « المؤمنين » .

(٣) في م : « على الأنواع كلها جميل الانطباع » .

وأخذ عن أبي هنالك من الشيوخ ، فشيخته متوافرة^(١) . وكان رفيقه في هذه
الوجهة الخطيب أبو عبد الله بن رُشيد ، فتعاونتا على هذا الغرض ، وقنّيا منه [٤٦٧] -
كل نفل ومقتضى ، واشتركا فيمن أخذنا عنه من الأعلام ، في كل مقام .
وكانت له عناية بالرواية ، وكُلوع بالأدب . وصّابة باقتناء الكتب ، جمع من
أمّتها العتيقة ، وأصولها الرائقة الأنيقة ، ما لم يجمعه في تلك الأعصر أحد
سواه ، ولا ظفرت به يده .

أخذ عنه الخطيب الصالح أبو إسحاق بن أبي العاصي التَّنُوخِي ، والخطيب
أبو عبد الله بن رُشيد تَدَبَّع^(٢) معه ، وابنه الوزير الكاتب الأدب الفاضل
أبو بكر محمد بن محمد بن الحكيم ، وغيرهم .

تلاميذه

ومدحه الكاتب العلامة أبو الحسن بن الجيّاب ، ومن يديع ما مدحه به
قصيدة رائية رائقة ، يهنته فيها بعيد القطر ، وهي قوله :

قصيدة ابن
الجيّاب في مدحه

يا قَادِمًا عَتَّتِ الدُّنْيَا بِشَاوَرُهُ أَهْلًا بِمَقْدَمِكَ الِیَمِينِ طَائِرُهُ
وَمَرْحَبًا بِكَ مِنْ عَيْدٍ تَحْفُفُ بِهِ مِنْ السَّعَادَةِ أَجْنَادُ تَغَاوَرُهُ
قَدِمْتَ فَالْحَلَقُ فِي نَعْمَى وَفِي جَذَلٍ أَبْدَى بِكَ الْبُشْرَ بِأَدِيهِ وَحَاضِرُهُ
وَالْأَرْضُ قَدِ امْتَلَأَتْ أَثْوَابَ سُنْدُسِهَا وَالرُّوضُ قَدْ بَسَمَتْ مِنْهُ أَزَاهِرُهُ
حَاكَّتْ يَدُ الْغَيْثِ فِي سَاحَاتِهِ حُلُلًا لَمَّا سَقَاهَا دِرَاكًا مِنْهُ نَاكِرُهُ
فَلَاحَ فِيهَا مِنَ الْأَنْوَارِ بَاهِرُهَا وَفَاحَ فِيهَا مِنَ الثُّوَرِ عَاطِرُهُ
وَقَامَ فِيهَا خَطِيبُ الطَّيْرِ مَرْتَجِلًا وَالزَّهْرُ قَدْ رُصِّعَتْ مِنْهُ مَنَائِرُهُ
مَوْثِقِي ثَوْبٍ طَوَاهُ الدَّهْرُ أَوْنَةً فَمَا هُوَ الْيَوْمَ لِلْأَبْصَارِ نَاشِرُهُ

(١) كذا في ط وضع الخطيب طبعة الأزهرية . وفي م : « وإفارة » .
(٢) من التدبّيع : أن يروي كل واحد من الفريقين عن صاحبه . وسيأتي شرح هذه
الكلمة قريباً في كلام المؤلف .

فَالْمُشْنُ مِنْ نَشْوَةِ يَتْنِي مَعَاظِفَهُ وَالطَّيْرُ مِنْ طَرَبٍ تَشْدُو مَزَاهِرُهُ
وَاللَّسْكَامُ انْشِقَاقٍ عَنْ أَزَاهِرِهَا كَمَا بَدَتْ لَكَ مِنْ خَلٍّ ضَاهِرُهُ
لَهُ يَوْمُكَ مَا أَزَكَى فَصَالِهِ فَامْتُ لِدَيْنِ الْهُدَى فِيهِ شَعَاهِرُهُ
فَكَمْ سِرِيرَةٍ فَضْلُ فَيْكِ قَدْ خُبِنَتْ وَكَمْ جَمَالٍ بَدَا لِلنَّاسِ ظَاهِرُهُ
فَافْخَرْ بِحَقِّ عَلَى الْآيَامِ قَاطِبَةً فَمَا لَفَضْلَكَ مِنْ نَذْرٍ يُنْتَاطِرُهُ ^(١)
فَأَنْتِ فِي عَصْرِنَا كَابِنِ الْحَكِيمِ إِذَا فَيَعِستُ بِفَخْرٍ أُولَى الْعَلِيَا مَفَاخِرُهُ
يَلْتَنَحُ مِنْهُ بِأَفْقَى الْمَلِكِ نُورُ هُدَى تَضَالُّ الشَّمْسُ مِمَّا لَاحَ زَاهِرُهُ ^(٢)
تَجِدُ صَحْبِهِ عَلَى عَرْشِ السَّامِكِ سَمَا طَالَتْ مَبَانِيهِ وَاسْتَعْلَتْ مَظَاهِرُهُ
وَزَارَةُ الدِّينِ وَالْعِلْمِ الَّتِي رُفِعَتْ أَعْلَامُهُ وَالنُّدَى الْغِيَاضِ زَاخِرُهُ
وَلَيْسَ هَذَا بِيَدْعٍ مِنْ مَكَارِمِهِ سَاوَتْ أَوَائِلَهُ فِيهِ أَوَاخِرُهُ
يَلْتَقِي الْأُمُورَ بِصَدْرِ مِنْهُ مُنْشَرَحٍ بِحَرْقٍ وَأَرَاؤُهُ الْعَظْمَى جَوَاهِرُهُ
رَأَى أُمُورَ الرُّعَايَا مُعْمِلًا نَظَرًا كَثُلَ عَلَيْهِ مُعْدُومًا نَظَارُهُ
وَالْمَلِكُ سَيَّرَ فِي تَدْبِيرِهِ حِكْمًا ^(٣) تَنَالُ مَا عَجَزَتْ عَنْهُ عَسَاكِرُهُ
سِيَّاسَةَ الْحِلْمِ لَا بَطْلَاشَ يَكْذُرُهَا فَهُوَ لِلْمُهَيْبِ وَمَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ
لَا يَصْدُرُ لِلْمَلِكِ إِلَّا عَنْ إِشَارَتِهِ فَالزُّشْدُ لَا تَتَمَدَّاهُ مَصَايِرُهُ
تَجْرَى الْأُمُورُ عَلَى أَقْصَى إِرَادَتِهِ كَأَنَّمَا دَهْرُهُ فِيهَا يَشَاوِرُهُ
وَكَمْ مَقَامٍ لَهُ فِي كُلِّ مَكْرُمَةٍ أَنْتِ مَوَارِدُهُ فِيهَا مَصَادِرُهُ
فَقَضَلُهَا طَلَّقَ الْآفَاقَ أَجْمَعَهَا كَأَنَّهُ تَمَثَّلَ قَدْ سَارَ سَائِرُهُ
فَلَيْسَ يَجْعَلُهُ إِلَّا أَخُو حَسَدٍ يَرَى الصَّبَاحَ كَيْمَعَتِي مِنْهُ نَاطِرُهُ

[٤٦٨]

(١) كَذَا فِي م . وَفِي مَا . وَالتَّحْقِيقُ وَالْإِجَامَةُ : « بَظَاهِرُهُ » .

(٢) فِي ط : « لِأَلَا لَاحَ ظَاهِرُهُ » :

(٣) كَذَا فِي التَّحْقِيقِ وَالْإِجَامَةِ . وَفِي الْأَسْلِينَ : « كَلَامُهُ » .

٧ مُلْكٌ أَكْبَرُ مِنْ مُلْكٍ يُدْرَرُهُ لَا مُلْكَ أَسْعَدُ مِنْ مُلْكٍ يُؤَارِزُهُ
 يَا عِزُّ أَمْرٍ بِهِ اشْتَدَّتْ مُضَارِبُهُ يَا حُسْنَ مُلْكٍ بِهِ ازْدَانَتْ مُحَاضِرُهُ
 تُنْفِي الْبِلَادَ وَأَهْلُهَا بِمَا عَرَفُوا وَيَشْهَدُ الدَّهْرُ آتِيَهُ وَغَابِرُهُ
 بُشِّرْ لَأَمِلَهُ الْمَوْصُولُ مَا مَتَلَهُ تَمَسَّ لِحَاسُهُ الْقَطُوعَ دَابِرُهُ
 فَالْعِلْمُ قَدْ أَشْرَقَتْ نُورًا مُطَالَعُهُ وَالْجُودُ قَدْ أَسْبَلَتْ سَخَا مَوَاطِرُهُ
 وَالنَّاسُ فِي يُسْرٍ وَالتَّلَكُّ فِي ظَفَرِهِ عَالٍ عَلَى كُلِّ عَالٍ الْقَدَرُ قَاضِرُهُ
 وَالْأَرْضُ قَدْ مُلِئَتْ أَمْنًا جَوَانِبُهَا بَيْنَ مَنْ خَلَصَتْ فِيهَا سِرَارُهُ
 وَالْيَ أَيَادِيهِ مِنْ تَمَتُّى وَمَوْحَدَةٍ تَسَاجِلُ الْبَحْرُ إِنِ فَاضَتْ زَوَاحِرُهُ
 فَكُلُّ يَوْمٍ تَلَقَّانَا عَوَافِرُهُ كَسَاهُ أَمْوَالُهُ الطُّلُوكَى دِفَافِرُهُ
 فَمَنْ يُوَدِّى لِمَا أَوْلَاهُ مِنْ نِعَمٍ شَكَرًا وَلَوْ أَنَّ سَخْبَانَا يُظَاهِرُهُ^(١)
 بِأَيْشِهَا الْعِيدُ بَادِرُ أَتَمِّ رَاحَتِهِ فَلَتَنُهَا خَيْرُ مَا مَوَّلُ ثُبَادِرُهُ
 وَانْغَرَبَ أَنْ قَدْ لَقِيتَ ابْنَ الْحَكِيمِ عَلَى عَصْرِ^(٢) يَبَارِكُ أَوْ دَهْرُ تَفَافِرُهُ
 وَلَى الصِّيَامِ وَقَدْ عَظُمَتْ حُرْمَتُهُ فَاجِرُهُ لَكَ وَافِيهِ وَوَافِرُهُ
 وَأَقْبَلَ الْعِيدُ فَاسْتَقْبِلْ بِهِ جَدًّا لَا وَأَهْنَأُ^(٣) بِهِ قَادِمًا مَحْتٌ بِشَائِرُهُ

أبيات في رثائه ومن أحسن ما رُئي به رحمه الله تعالى ، ثلاثة أبيات لبعض الأعلام من

أهالى ذلك الزمان ، وهى :

[٤٦٩]

قَتَلُوكَ ظُلْمًا وَاعْتَدَوْا فِي رِفْعِهِمْ حَسَدَ الْوُجُوبِ

(١) كَذَا فِي الْإِحْلَاطَةِ ، وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « بِطَافِرِهِ » .

(٢) كَذَا فِي التَّنْفِيزِ وَالْإِحْلَاطَةِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « عَهْد » .

(٣) كَذَا فِي مَوْلَا الْإِحْلَاطَةِ . وَفِي ط : « وَامْتَن » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وَرَمَوْكَ أَشْـلَاءَ وَذَا أَمْرُ قَضَتُهُ لَكَ الْغُيُوبُ

إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ سَيِّدِي قَبْرٌ قَصِيرُكَ فِي الْقُلُوبِ

قال ابن خاتمة : ومن شعره ما أنشدني ابنه الوزير أبو بكر ، مَقْدَمُهُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ شَعْرِهِ
الرَّيْحَةُ ، غَازِيَا مَعَ الْجَيْشِ النَّصُورِ ، قَالَ أَنْشَدَنِي أَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ حُلًّا بِمَهْرِي نَذِيرًا بِتَرْحَالِ الشَّبَابِ الْمَفَارِقِ

رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي قَتَلْتُ لَهَا أَنْظَرِي إِلَى مَا أَرَى ، هَذَا ابْتِدَاءُ الْحَقَائِقِ

وَأَنْشَدَنِي شَيْخُنَا الْخَطِيبُ أَبُو إِسْحَاقَ بْنِ أَبِي الْعَاصِي إِذْنَا ، قَالَ أَنْشَدَنِي
الْوَزِيرُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَكِيمِ إِنْ لَمْ يَكُنْ سَبَاعًا فَاجَازَةً :

فَقَدْتُ حَيَاتِي بِالتَّرَاقِ وَمِنْ غَدَا بِجَالِ نَوَى عَنْ يُحِبُّ فَقَدْ فَقَدْ

وَمِنْ أَجْلِ يُبْـمَدَى عَنْ دِيَارِ أَلْقَتْهَا جِجَمِ فَوَادَى قَدْ تَلَطَّى وَقَدْ وَقَدْ

وَقَدْ سَبَّهَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى الْقَائِلُ :

أُوَارِي أُوَارِي بِالْذَمِّوعِ تَجَسَّدَا وَكَمْ رُمْتُ إِطْفَاءَ الْهَيْبِ وَقَدْ وَقَدْ

فَلَا تَعْدُلُوا مَنْ غَابَ عَنْهُ حَبِيبُهُ فَمَنْ قَدَّ الْحَبِيبِ مِثْلِي فَقَدْ فَقَدْ

هَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ خَاتِمَةَ ، وَرَوَاهُ غَيْرُهُ هَكَذَا :

أُوَارِي أُوَارِي وَالذَّمِّوعِ تُبَيِّنُهُ وَمَنْ لِي بِإِطْفَاءِ الْقِرَامِ وَقَدْ وَقَدْ

وَهُوَ الصَّوَابُ .

قال ابن خاتمة : وَأَنْشَدَنِي رَئِيسُ الْكِتَابِ الصَّدْرُ الْبَالِغُ الْفَاضِلُ ، أَبُو الْقَاسِمِ

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَوْسَفَ بْنِ رِضْوَانَ النَّجَّارِ ، قَالَ : أَنْشَدَنِي رَئِيسُ الْكِتَابِ

الْجَلِيلُ ، أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْهَيْمِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْخَضْرَى ، قَالَ : أَنْشَدَنِي رَئِيسُ الْكِتَابِ

ذُو الْوَزَارَتَيْنِ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكِيمِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

سَجَّ السَّكَنَابَ وَعَسَّهٖ وَاخْتَمَّ عَلَى مُسَكَّنَتِهِ^(١)
 وَاحْذَرْ عَلَيْهِ مِنْ مُخَا لَسَقَرِ الرُّقِيبِ بِحِفْظِهِ
 وَاجْعَلْ لِسَانَكَ سِجْنَهُ كَى لَا تُرَى فِي سِجْنِهِ

[٤٧٠]

قال ابن خاتمة : وفي سند هذه القطعة نوع غريب من التسلسل . انتهى .
 ومن بدیع نظم ذی الوزارتین ابن الحکیم قوله رحمه الله :

يَا أَيَّتَ شَعْرَى هَلْ تَطُولُ حَيَاتِي حَتَّى أَرَى هَذَا الزَّمَانَ الْآتِيَّ ؟
 يَا رَبِّ إِنْ قَدَّرْتَ لِي بِيَلْوَعِهِ فَاجْعَلْهُ عَصْرًا بِالسَّرُورِ مُوَاتِيَّ
 وَإِنْ انْقَضَتْ أَيَّامُ عَمْرِي قَبْلَهُ فَاجْعَلْ عَلَى مَا تَرْضَاهُ تَمَاتِيَّ
 لَا شَيْءَ لِلدُّنْيَا وَالْآخِرَى مَعَا أَرْجُو إِذَا ضَاوَتْ عَلَى جِهَانِي
 إِلَّا بَقِيَّتِي أَنْتُ جَوْدُكَ فَوْقَ مَا يُرْجَى وَأَنْتَ غَافِرُ الزَّلَّاتِ

ومن نثره آخر فصل خاطب به الشيخ أبا علي عمر الجراوي ، رحمه الله ،
 قوله :

وَهَذَا أَجْرِي مَعَهُ عَلَى حُسْنِ مُعْتَقَدِهِ ، وَأَكَلُهُ فِي هَذَا الْفَرَضِ إِلَى مَا رَأَى
 بِمُقْتَضَى تَوَدُّدِهِ^(٢) ، وَأَجْبِزْ لَهُ وَلَوْلَدَيْهِ ، أَقَرَّ اللَّهُ بِهِمَا عَيْنَهُ ، وَجَمَعَ بَيْنَهُمَا
 وَيَدَيْهِ ، رَوَايَةً جَمِيعَ مَا حَمَلْتَهُ وَتَقَلَّلْتُهُ ، وَحُسْنِ إِطْلَاعِهِ يُفَضِّلُ مِنْ ذَلِكَ مَا أَجْلَسْتُهُ ،
 فَقَدْ أَطْلَقْتَ لَمْ الْإِذْنَ فِي جَمِيعِهِ ، وَأُبْحَثَ لَمْ الْحَمَلَ عَنْهُ وَلَمْ الْاِخْتِيَارَ فِي تَنْوِينِهِ ،
 وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُخَلِّصُ أَعْمَالَنَا لِلدَّائِمَةِ ، وَيَجْعَلُهَا فِي ابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ .

قال هذا وكتبه محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن محمد النخعي بن

(١) سَجَّ السَّكَنَابَ : شدة إسحاقية ، وهي قطعة من الورق تلف حول الرسالة ونظم عليها ، وهي السَّكَنَابُ : كُتِبَ عَنَوَانُهُ .

(٢) كَذَا فِي طَوَائِفِ الْإِسْطِطَاعَةِ وَفِي طَبِيعِ الطَّبِيبِ ، وَفِي م : « تَرَدَّدَهُ » .

الحكيم ، غفا الله عنه ، حامداً لله عز وجل ، ومصلياً على رسوله المصطفى ،
ومسلماً عليه وعلى آله ، في منتصف محادى الآخرة ، عام ثلاث وسبع مئة .

وحكى غير واحد أن ذا الوزارتين ابن الحكيم المذكور لما اجتمع مع
الفقيه الجليل الكاتب ابن أبي مدين أنشد ابن أبي مدين ، رحمه الله تعالى :
عَشَقْتَكُمْ نالِمْ قَبْلَ لِقَائِكُمْ وَسَمِعُ الْهَيَّ وَهَيَّ لَعَمْرِي كَطَرْفِهِ
وَحَبَبَنِي ذَكَرَ الْجَلِيسَ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا التَّفِينَا كُنْتُمْ فَوْقَ وَصِفِهِ
فأنشده ذو الوزارتين :

(٤٧١)

ما زلت أسمع عن عَالِيكَ كُلِّ سَيِّئٍ أَسْبَى مِنْ الشَّمْسِ أَوْ أَخْلَى مِنَ الْقَمَرِ
حَتَّى رَأَى بَصْرَى فَوْقَ الذِّى سَمِعْتُ أَذْنِي فَوْقَ بَيْنِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ
وَبَذَلْتُ هُنَا قَوْلَ الْحَاجِّ الْكَاتِبِ أَنَّى إِسْحَاقُ الْحَسَنَآوَى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :
سَجَرَ الْبَيَانِ بِنَافَى صَارَ بَقْعَةً وَالنَّفْثُ فِي عَقْدِهِ مِنْ مَنَاطِقِ الْحَسَنِ
لَا أَتَشَدُّ الرِّءْ بِلِقَائِي وَيُبْصِرُنِي : أَنَا الْمُتَعِدِّيُّ فَاسْمَعْ لِي وَلَا تَرْنِي
وكان الوزير ابن الحكيم المذكور كما أسلفناه رفيق ابن رشيد الفهرى في
رحلته الحجازية ، وقد اشتملت رحلة ابن رشيد على ما رأى وروى .

وهو محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن عبد الله بن سعيد^(١)
ابن مسعود بن حسن^(٢) بن محمد الفهرى ، من أهل سبته ، يكنى أبا عبد الله ،
ويعرف بأبن رشيد ، — وكأبه تصغير رُسْد — الخطيب الحداث الشهير .
رحل إلى الشرق لأداء فريضة الحج ، ولقاء أهل العلم ، سنة ثلاث وثمانين

التمريض باب
رشيد
رحلته وما أنا
منها

(١) كذا في بقية الوعاة للسيوطي ، وجنوة الانقباس لابن النحاس . وفي الأصلين :

« مسعد » .

(٢) كذا في الأصلين والبدور الطالع للشوكاني . وفي جنوة الانقباس : « حسين » .

وسِت مَسَّة ، وكانت إجازته البحر من التريسة ، فتلافي بها هو وذو الزارنين
أبو عبد الله بن الحكم المذكور ، وكان قصدهما واحدا ، ومساهاهما متعاضدا ؛ فترافقا
في السفر ، كما ترافقا في الزمر . فدخل إفريقية ومصر والشام والحجاز ، وأخذ عن
أبي من الأئمة الأعلام ، وأكثر من ^(١) هذا الشأن ، وأجاد فيه الضبط ^(٢) والافتان ،
وتوسع في الرواية ، وذهب في ذلك إلى أبعد غاية . وكان له تحقّق معلوم الحديث
وبرجاله ، وبضبط أسانيد ، ومعرفة انقطاعه وأتصاله ، إماما في هذا الشأن ،
مشارا إليه في هذا الفن ، معتمد عليه ، مع كمال الثقة ^(٣) ، وشهرة العدالة .

شمس الله

قال القاضي أبو البركات ابن الحاج في حقه : ابن رُشيد ثقة عدل ، من أهل
هذا الشأن للتحققين به ، وكان أيضا من أهل المعرفة بعلوم القراءات ، وصناعة
العربية ، وعلم البيان ، والآداب ، والعروض والتوقي ، مشاركا في غير ذلك من
الفنون ، من خدام الكتاب والسنة ، حسن العهد ، كريم العشرة ، برّا
بأصدقائه ، فاضلا في جميع أمثاله ، أدبيا حطيبا بليغا ، ذا كرا ، متأدبا ^(٤) ،
يقرض الشعر على تكلف ، ويجود النثر ويُبصّر مواقع حسنه ، وأعظم عنايته
بعلم الحديث : متنه وسننّه ومعرفة رجاله ، ولذلك كان جُلّ أشغاله ، وفيه
عُظم احتفاله ، حتى حصل منه على غاية قصده ومنتهى آماله .

شيوخه

قرأ بسبته بلده على الأستاذ أبي الحسن بن أبي الربيع القرآن ^(٥) العزيز
بالتراءات السبع ، بمضمن كتاب التيسير ، وتفق عليه في العربية ، وقيد عنه ^(٦)

(١) كذا في ط وجذوة الانقباس . وفي م : « في » .

(٢) كذا في ط . وفي م : « الحفظ » .

(٣) كذا في جذوة الانقباس . وفي الأصلين : « المينة » .

(٤) هذه العبارة : « أدبيا متأدبا » زائدة في م .

(٥) في م : « القرآن العظيم العزيز » .

(٦) كذا في جذوة الانقباس . وفي م : « منه » . وفي ط : عليه .

تقييدا حسنا على كتاب سيبويه ، وأخذ عنه غير ذلك . وقرأ أيضا الكتاب العزيز على الأستاذ أبي الحسن علي بن محمد الكنتامي ابن الخضار ، بالمقاري السبعة ، وأخذ بالتربية ، في اجتيازه عليها ، عن الخطيب أبي عبد الله محمد بن محمد بن الصالح ، والوزير الأديب أبي جعفر أحمد بن محمد ابن سبطور ، قيد عنه ^(١) شعره . ورحل فأخذ ببجاية عن الحافظ ^(٢) أبي محمد عبد العزيز بن عمر القيسي ابن كحيل نزيلها . وبتونس عن قاضي الجماعة بها ، أبي القاسم بن أبي بكر بن زيتون . وأخذ بإسكندرية عن القُدس المبرز ، سراج الدين أبي بكر بن أحمد بن إسماعيل ابن فارس النخعي ، والعدل الصالح أبي عبد الله محمد بن عبد الخالق بن طرخان القرشي . وبالقاهرة عن الحافظ أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المُنذري ، والأديب الصوفي شهاب الدين أبي عبد الله محمد بن عبد المنعم بن محمد بن يوسف ابن أحمد الأنصاري ، ابن الحليمي ، نزيل أبواب الحسين رضى الله عنه من القاهرة . وبدمشق عن شيخ الشيوخ عز الدين أبي العز عبد الله بن عبد المنعم ابن علي الحراني ^(٣) ، وبقية المسنين نحر الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي ، والسند أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الملك المقدسي . والحرم الشريف عن المحدث الأديب مقيم الحرم الشريف أبي إسحاق عبد الصمد بن عبد الوهاب بن عساكر الدمشقي ، وبقية المحدثين مقيم الحرمين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن خليل بن إبراهيم المسكي . وبالمدينة المشرفة المنورة عن الشيخ الإمام النحوي عفيف الدين أبي محمد عبد السلام بن محمد

(١) زيادة عن حذوة الاقتباس .

(٢) كذا في الأصلين ؟ وفي حذوة الاقتباس : « الخطيب » .

(٣) كذا في الأصلين وحذوة الاقتباس . وفي فتح الطيب والإحاطة : « أبي العز عبد العزيز ابن عبد المنعم الحراني » .

ابن سدرود البصري وغيرهم . وفي أشياخه كثرة ، وقد أودعهم رحلته الحافلة التي سَمَّاها : « مَلءُ العُتْبَةِ ، فَيَا مُجِيعُ بطول القَيْبَةِ ، في الوجهين السَّكْرِيَّيْنِ إلى مكة وطَيْبَةِ » . وهي أربعة أسفار ، وَقَفْتُ عليها بِلِسَانٍ ، وقد جمع فيها من القوائد الحديثية ، والقوائد الأدبية ، كلَّ عربية وعجمية .

تأليفه

ومن تَأْلِيفِهِ « ترجمان التراجم » ، في إبداء وجه مناسبات تراجم صحيح البخارى لما تحتها ، مما تَرَجِمَتْ عليه . ومنها « السَّيْنُ الأَبْيَنُ ، في السَّنَدِ المَعْنَنِ » ، و « المقدمة المعروفة ، لعلم السافة والصفة » ، و « المحاكاة بين البخارى ومسلم » ، و « أحكام التأسيس في أحكام التجنيس » ، و « الإضاءات والإنارات » في البديع ، المسماة : « بإيراد المرتع المربع ، لرائد التسجيع والترصيع » ، و « وصل القوائد بالخوافي » ، شرح فيه كتاب القوافي لشيخه أبي الحسن حازم القَرَطَائِي . وجزء مختصر في العروض ، وتقييد على كتاب سيبويه .

مذهبه

وذكر بعضهم أن الإمام ابن زُشَيْد كان ظاهرياً للمذهب ، والمعروف أنه كان [١٧٤] مالئياً ، والله أعلم .

شرحه للبخارى

وكان يعتمد في شرح كلام البخارى على « المُجَبَّرِ الفَصِيحِ » ، في شرح البخارى الصحيح « لأبي عمرو ^(١) الصَّفَّارِيِّ » ، المعروف بابن التَّيْنِ ، لأجل حضور التَّبَرُّر في مجلسه ، ومعتمدُهم المَدُونَةُ ، وأبو عمرو في هذا الكتاب ينقل المَدُونَةَ وكلام شراحها عليها .

اجتهاده في فهم الحديث

وتكلم يوماً بعد فراغه من إسماع الشائيل ، وكانت بالمغرب فتنة ، على قوله عليه الصلاة والسلام : « بِحَسْبِ أَصْحَابِي الْقَتْلُ » ، فقال : معنى الحديث أنه من عذاب الله تعالى ، كما قالوا : بحسبك زيد ؛ ثم قال : على أنه منجهم ^(٢) من عذاب الله تعالى ، كما قالوا : بحسبك زيد ؛ ثم قال : على أنه (١) كُفَا في مِثْلِهِمَا سَيِّئِي . وفي ط : « عمر » . (٢) في م : « ملجؤم » .

رَوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ فِتْنَةً ، فَعَظَّمَ أَمْرَهَا ؛ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَنْ أَدْرَكَهَا هَذَا الزَّمَانُ لَنْهَالِكُنَّ^(١) ؛ فَقَالَ : كَلَّا ، إِنْ يَحْسِبُكُمْ الْقَتْلُ .

وَيَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ هَذَا التَّأْوِيلِ مَا حَرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أُمِّي [هَذِهِ]^(٢) أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ ، لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَابٌ فِي الْآخِرَةِ ، عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا الْفِتْنَةُ وَالزَّلَازِلُ وَالْقَتْلُ » . وَتَرْجَمَ عَلَيْهِ أَبُو دَاوُدَ : « بَابُ مَا يُرْجَى فِي الْقَتْلِ » ، ثُمَّ أَدْخَلَ الْحَدِيثَ تَحْتَ التَّرْجُمَةِ .

وَقَالَ تَلْمِيزُهُ أَبُو إِسْحَاقَ إِبرَاهِيمَ بْنِ يَحْيَى : إِنَّهُ تَكَلَّمَ يَوْمًا عَلَى قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » . فَقَالَ : رَوَاهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوُ مِثْقَلِ نَفْسٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ، فِيهِمُ الْعَشْرَةُ الْمَشْهُودُ لَهُمُ بِالْجَلَّةِ ، وَلَا يُعْرَفُ حَدِيثٌ مِثْلُهُ ، وَإِنْ كَانَتْ أُنَاقِلُهُ تَخْتَلِفُ ، لَسَكُنَ هِيَ مَتَوَاتِرَ الْمَعْنَى .

وَفِي رِسْمِهِ مِنْ حَرْفِ الْمِيمِ مِنْ إِحَاطَةِ ابْنِ الْخَطِيبِ مَا نَعْنَاهُ :

حَدَّثَنِي بَعْضُ شَيْوَخِنَا قَالَ : قَعَّدَ يَوْمًا عَلَى اللَّيْلِ ، فَقَالَ أَنَّ الْمُؤَذِّنَ الثَّلَاثَ قَدَفَرَعَ ، فَقَامَ يَخْطُبُ وَالْمُؤَذِّنُ قَدْ رَفَعَ صَوْتَهُ بِأَذَانِهِ ، فَاسْتَقَطَعَ^(٣) ذَلِكَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ ، وَهُمْ آخَرُ بِاشْعَارِهِ وَنَتِيبِهِ ، وَكَلِمَةُ آخِرَ ، فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عَمَّا شَرَعَ فِيهِ ، وَقَالَ بِدِيهَةِ : أَنَّهَا النَّاسُ ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ ، إِنْ الْوَاجِبُ لَا يُبْغِطُهُ الْمُنْدُوبُ ، وَإِنْ الْأَذَانُ الَّذِي بَعْدَ الْأَوَّلِ غَيْرُ مَشْرُوعِ الْوَجُوبِ ، فَتَأَهَّبُوا [اَطْلُبِ الْعِلْمَ]^(٤)

(١) كَذَا فِي الْأَصَابِينَ . وَالَّذِي فِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ ، فِي كِتَابِ الْفِتَنِ : هَ لَنْ أَدْرَكَنَا هَذِهِ لَتَهْلِكُنَا » .

(٢) زِيَادٌ عَنْ سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ ، آخِرُ كِتَابِ الْفِتَنِ .

(٣) فِي مِ غَنَصَةِ الْإِسْلَامَةِ الْخَطُوطُ وَالْمَحْطُوطُ بِدَارِ الْكُتُبِ لِلصَّرِيَةِ بِرَقْمِ (٥٥١٨) تَارِخٌ : « فَاسْتَقَطَعَ » .

(٤) زِيَادَةٌ عَنْ مَخْصَرِ الْإِسْلَامَةِ ، وَجُذُودِ الْاِقْتِبَاسِ .

وتنهي^(١) ، وتذكروا قوله تعالى : (وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) ، فقد روينا عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قال لأخيه والإمام بخطب أنصت فقد ألقا ، ومن ألقا فلا جمعة له »^(٢) . جعلنا الله وإياكم ممن علم فعيل ، وعمل فقيل ، وأخلص فتحلّص .

تطبيق للمؤلف
على موقف ابن
رُشيد

فكان ذلك مما استدل به على قوة جنانه ، وانقياد اسانه لبيانه . انتهى . وتذكرت بهذه القضية من قام من الثنتين ولم يترك حتى استقل ، ومن نسي المصنعة والاستنشق حتى شرع في غسل الوجه ، وراجع شرح ابن ناجي على المدونة ، فإنه ذكر أن بعض شيوخه لم يرجع من الخطبة كما^(٣) فعل ابن رُشيد ، وبعض الأشياخ رجّع لما سمع المؤذن ، وقيل الأول أصوب . والله أعلم .

شهادة ابن رُشيد
لبعض العلماء

وكان رحمه الله تعالى (أعني ابن رُشيد) يقول : ليس بالمغرب عالم إلا ابن البنا براكش ، وابن الشاطب يسبته ، والقاضي أبا عبد الله محمد بن محمد اللخمي القرطبي . ومن المشاركة خلق كثير ، كابن دقيق العيد ، والشريف أبي الحسين العراقي ، وأخيه أبي إسحاق ، وجماعة .

تقرىظ لبعض
تأليفه

وفي تأليف ابن رُشيد في التجنيس يقول صاحبه الفقيه الأدب البارع الفاضل أبو بكر محمد بن محمد القائلوني^(٤) من نظمه حين طالعه بفرناطة :

(١) في م : « وانتهوا » .

(٢) لفظ حديث أبي هريرة في الوطأ وفي السنن إلا سنن ابن ماجة : « إذا قلت لصاحبك أنصت والإمام بخطب يوم الجمعة ، فقد لموت » . وفي حديث آخر عن علي : « من دنا من الإمام فلقا ولم يستمع ولم يصمت كان عليه كمثل من الورر . ومن قال : صه فقد ألقا ، ومن ألقا فلا جمعة له » . وظاهر من هذا أن ابن رُشيد قد اتفق روايته من حديث أبي هريرة وعلى .

(٣) في م : « حتى » .

(٤) كذا في م . وفي م : « أبو بكر محمد القائلوني » .

(١٧٦)

أَبْدَعَ فِي التَّجْنِيسِ إِِنْشَاءً فَلْيَحْوَ فَضْلَ السَّبْقِ إِنْ شَاءَ
إِذْ كُلُّ مَنْ أَلْفَ مِنْ قَبْلِهِ مَا جَاءَ فِيهِ بِالَّذِي جَاءَ

ن. من أشعاره

ومن شعر ابن رُشيد رحمه الله تعالى (ولنا فيه أسانيد) قوله :

صِيَامُ عَاشُورَا أُنَى نَذْبُهُ فِي سُنَّةِ حِكْمَةِ قَاضِيهِ
قَالَ الرَّسُولُ الْمُصْطَفَى إِنَّهُ تَكْفِيرُ ذَنْبِ السَّنَةِ الْمَاضِيهِ
وَمَنْ يُوَسِّعْ يَوْمَهُ لَمْ يَزَلْ فِي عَامِهِ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيهِ

ومن ذلك قوله :

تَغْرِبُ وَلَا تَحْفَلُ بِفُرْقَةِ مَعْشَرٍ^(١) تَفْزُ بِالْمَنَى فِي كُلِّ مَا شِئْتَ مِنْ حَاجِرٍ
فَلَوْلَا اغْتِرَابُ الْمَسْكِ مَا حَلَّ مَتَرَقًا وَلَوْلَا اغْتِرَابُ الثُّرَى لَمْ يَحْطَ بِالتَّاجِ

وقوله رحمه الله تعالى في البحر وقد انبسط عليه ضوء القمر في ليلة البدر :

أَنْظَرَ إِلَى الْبَدْرِ قَدْ مُدَّتْ أَشْعَتُهُ عَلَى خُضَارَةٍ^(٢) حَتَّى ابْيَضَّ أَزْرَقُهُ
وَالرِّيحُ قَدْ صَنَعَتْ دِرْعًا مَسَامِرُهَا حَبَابُ مَاءٍ يَرُوقُ الْعَيْنَ رَوْثَقُهُ

وذكر رحمه الله عن أبي الخير الفضل بن علي بن نصر بن عبد الله بن زواحة

الأنصاري الخزرجي أنه أُملى عليه بمدينة بُكْبَيْسٍ بمصر حرسها الله تعالى :

وَأَرْجُو إِنْ عَجَزْتُ عَنْ الْأَمَانِي أَمَانًا مِنْ ذِمَامِكَ يَا أَلْمِي
فَلِي ظَنٌّ أَحَقُّهُ بِقَيْنَا بِرَحْمَتِكَ الَّتِي كُلُّ لَنَى هِيَ
وَأَسْأَلُ مِنْكَ عَوْنًا لِي عَلَى مَا أَمَرْتَ بِهِ ، وَتَرْكِي لِلْفَسَاحِ

(١) في جفوة الانقباس : « موطن » .

(٢) نارة : من أسماء البحر .

إشارته إلى بعض
الرواة في
الحديث

وقال رحمه الله : من محمد إلى أحاديث خراش^(١) ودينار^(٢) وأبي هذبة^(٣)

وشبههم ، الذين يسميهم أهل الرواية والنقل طيور أنس ، فمثل هؤلاء لا يعرفهم
عليهم ، ولا يُفْرَحُ بعلومهم^(٤) ، وروايتهم شبه الريح ، وإنما يُكْتَبُ حديثهم

للتعريف به . وقد جمع الحافظ أبو الطاهر الأصبهاني جماعة منهم في بيتين ،
فأحسن ، أحسن الله إليه . أنشدني المكتسب الخير ، المقيد ، أبو عبد الله محمد

ابن أبي العباس أحمد بن حنبل الشاطبي ، صاحبنا بتونس ، قال أنشدنا الشيخ [٤٧٧]

الخطيب أبو محمد بن بركات رحمه الله ، قال : قرأت على الحافظ أبي عمر بن
عات ، قال : سمعت فيما قرئ على السلفي رحمه الله تعالى من نظمه :

حديث ابن أسطور^(٥) وقبس ويغم^(٦) وبعد أشج الغرب^(٧) ثم خراش
ونسخه دينار ونسخة زب^(٨) أبي هذبة القيسي شبه قرّاش

قال لي أبو عبد الله : قال لنا أبو محمد ، قال لنا أبو محمد : كان الحافظ
السلفي رحمه الله إذا فرغ من إنشاده لها ينفخ في يديه . فمثل هؤلاء لا يلتفت

إليه ، ولو بلغ أقصى الممكن في القرب . انتهى .

(١) خراش بن عبد الله الذي يروي عن أنس رضى الله عنه : كذاب لا يجوز كتابته

حديثه . وحديثه خراش بن محمد بن خراش : متروك أيضا (انظر تاج العروس) .

(٢) دينار بن عبد الله مولى أنس بن مالك : منكر الحديث ضعيف ذاهب شبه المجهول .

وهو حيوي . (راجع تاريخ الخطيب ص ٣٨٢ ج ٨) .

(٣) أبو هذبة : هو إبراهيم بن هذبة أبو هذبة الهارسي ، كان بالبصرة ، ثم خرج إلى

أصبهان والري ، ووافى بغداد ، وحدث بها عن أنس بن مالك بالأطاليل .

(٤) كذا في ط . وفي م : « بعلومهم » .

(٥) ابن أسطور : هو حمزة بن أسطور الرومي .

(٦) كذا في المتن في أسماء الرجال وتاج العروس . وهو يغم بن ساء بن قنبر ،

قال ابن حبان : يضع الحديث على أنس . وجدده قبر مولى على رضى الله عنه .

وفي الأصلين : « يغم » . وفي نسخ الطيب : « يغم » .

(٧) الأشج الغرب : كذاب مازق ، كان بعد الثلاث سنة ، وادعى السماع عن علي بن

أبي طالب ؟ واسمه غناب بن خطاب أبو عمرو ، وبهضم صحابه أبا الحسن علي بن

عنان الجبلي . (انظر لسان الميزان لابن حجر) .

ووجد بخط القاضي البرناتسي^(١) ما نصه :

الحمد لله . وقفت على إجازة أبي عبد الله بن رُشيد لست العرب بنت عبد المهيم الحضرى ، مؤرخة بغرة محرم عام إحدى وعشرين ، التى توفى فيه ، وقال أحسن الله افتتاحه واختتامه : ومن لم يكن يعرفنى فإنى : أنا المذنب الخطأ والعفو واسع ولو لم يكن ذنب لما عُرف العفو انتهى .

إجازته لبنت
عبد المهيم
ووفاته

حالته بعد عودته
من الشرق

ولما تمل الشيخ ابن رُشيد من المشرق عاد إلى بلده سبتة ، فلم يساعده فيها المقدور ، ولم يعرف له بها مقدار ، فكتب إليه رفيقه الوزير ابن الحكيم يستدعيه إلى حضرة غرناطة ، ويعدّه ببل كل أمنّيه ، رعيًا لما سلف له معه من الصدقة المزعّية ، فأعمل الرحلة إليه ، حتى قدم الحضرة الغرناطية عليه ، فألّاه من عناية السلطان تحت جاه واسع ، فأهلّه^(٢) من مواليه وقرب إليه من أمانيه كل شاسع ، وأكرم مَنّواه ، وسجد له به مَنّبه سُراء ، وتقدم حينئذ للصلاة والخطبة بالجامع الأعظم بغرناطة ، وسُؤل كل كرامة ومَنّبة . ثم لما توفى الأستاذ أبو جعفر بن الزبير عن قضاء المناكح خلّقه عليها ، فانصابت له الأثرة بالأثرة ، ولم يزل مقبلاً بحضرة غرناطة ، منتصباً للإقراء ، ومركزاً لدائرة القراء ، إلى أن قتل^(٣) الوزير أبو عبد الله بن الحكيم ، فرحل من غرناطة ، ولحق بحضرة فاس ، فخلق بها تحت عنايه ، وفى كنف رعايه ، وجعل له الأمر السلطاني الاختيار حيث اختار ، أو الاستقرار^(٤) ، فاختر التحول إلى صرّاكش ، إذ كان قبل قد سكناها ، واستحسنها ، فورد عليها ورود الإمام ، ونزل بها نزول البر والكرامه ، وقدم للصلاة والخطبة بجامعها العتيق ، وأقام بها سنين يث بها

[٤٧٨]

(١) فى الأساسين : « البرناتسي » ، وهو تحريف . (٢) كذا فى ط . وفى م : « فأهلّه » . (٣) فى م : « اغتيل » . (٤) كذا فى م . وفى ط : « حيث اختار الاستقرار » .

العلم ، ليس له شغل غير التدريس والتحقيق . ثم إن للقائم السلطاني استدعاء منها بعد مدة إلى حضرة فاس ، فانتقل إليها انتقال الإيثار والإناس ، فلهج بمحاضرة السلطان ، وألتحف من الوجاهة والنباهة^(١) برداء سابغ الأردان ، وصار في عداد خواصه وآكل مجلسه من الخلفاء^(٢) ، إلى أن توفى رحمه الله بفاس ، في الثالث والعشرين من شهر المحرم ، سنة إحدى وعشرين وسبع مئة ، وقيل ليلة الاثنين الرابع والعشرين من شهر المحرم . وأما قول من قال إنه توفى ثامن المحرم فغلط . وذيقن خارج باب القنوج ، بالروضة المباركة ، المعروفة بمطرح الجنة^(٣) ، حيث تُدفن العلماء والصلحاء ، الواردون على فاس من الغرباء . ومولده بسبقة في شهر رمضان سنة سبع وقيل تسع وخمسين وست مئة .

وروى عنه الجُمّ الفقير ، كآبي البركات بن الحاج ، والأستاذ الخطيب أبي عبد الله بن أبي العاصي التَّنُوخِي ، وآخرين رحم الله جميعهم ، ونفعنا بهم . وقد قدمنا أن ابن الحكيم تدبج معه ، ومعنى التدبجج : أن يروى كل واحد من القرينين^(٤) عن صاحبه .

كتاب الإشادة
لقرني

وكان ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الحكيم المقدم الذكر محط رحال الأفاضل ، وكل للناس فيه من أمداح وتآليف ، وله ألف الشيخ الفقيه المحدث [٤٧٩] الحافظ ، أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي طالب عبد الله القرني ، كتاب « الإشادة ، بذكر المشتهرين من المتأخرين بالإفادة »^(٥) . وكان أبو القاسم هذا سمع من

- (١) في ط : « من الوجاهة والتفامة والنباهة » . (٢) في ط : « الحضر » .
(٣) قال السكتاني في سلوة الألفاس : نقلنا عن نصر الثاني : إنها تسمى : (مطرح الحلة) ، باللام ، جمع جابل . ثم قال : ويقال فيه اليوم : الجنة بالنون ، وهو تفاؤل حسن .
(٤) في الأصلين : « القرنيين » ، ولعلها معرفة عما أبتناه ؛ قال في شرح التاموس : « التدبجج : رواية الأقران ، كل واحد عن صاحبه » .
(٥) اسم هذا الكتاب في م : « الإشادة بذكر المشهورين من المتأخرين بالإفادة » .

أبي جعفر بن الزبير ، وثوَّقِي رحمه الله يوم الأربعاء الثالث عشر من رجب القُرْد ،
 من عام سبعة عشر و سبع مئة ، قرب الزوال ، بالدرب الطويل من فاس المحروسة ،
 وثوَّقِي أخوه الشاعر الجليل أبو العباس أحمد بقرناطة في ذى الحجة من عام ثمانية
 وسبع مئة^(١) .

ومن إنشادانه في كتاب «الإشادة» ، من شعر أخيه أبي العباس المذكور ،
 رحمه الله تعالى :

مُسَكَّتَ^(٢) رَقِي بِالْجَلالِ فَاجْلِ
 وَحَكَمْتُ فِي قَلْبِي بِجَوْدِكَ فَاعْدِلْ
 أَنْتَ الْأَمِيرُ عَلَى الْمَلِاحِ وَمَنْ يَخْتَرْ
 فِي حَكْمِهِ إِلَّا جُفُونَكَ يُفَسِّرُ
 إِنْ قِيلَ أَنْتَ الْبَسْدَرُ فَالْفَضْلُ الَّذِي
 لَكَ الْكَالُ وَتَقْصُهُ لَمْ يُجْهِلْ
 لَوْلَا الْحُفُوظُ لَكُنْتَ أَنْتَ مَكَانَهُ
 وَلَكِنْ دُونَكَ فِي الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ
 عَيْنُكَ نَازِلَتَا الْقُلُوبَ فَكَلِمَا
 إِمَّا جَرِيحٍ أَوْ مُصَابِ التَّقْنَلِ
 هَزَّتْ ظُلُمَاتُهَا بَعْدَ كَسْرِ جَفُونِهَا
 فَأَصِيبُ قَلْبِي فِي الرَّعِيلِ^(٣) الْأَوَّلِ
 مَا زِلْتُ أَغْدَلُ فِي هَوَاكَ وَلَمْ يَزَلْ
 سَمِعِي عَنْ الْمُدَّالِ فِيكَ بِمَعَزَلِ
 أَصْبَحْتُ فِي شُغْلٍ بِحَبِّكَ شَاغِلٍ
 عَنْ أَنْ أَصْبِحَ إِلَى كَلَامِ الْعَدَلِ
 لَمْ أَهْمِلِ السَّكِينَانَ لَكِنْ أَدْمَعِي
 تَهَمَّلْتُ وَلَوْ لَمْ تَعْرِضْ لِي لَمْ تَهْمَلْ
 جَمَعَ الصَّحِيحِينَ الْوَفَاءَ مَعَ الْهَوَى
 قَلْبِي وَأُمِّي الدَّمْعُ كَشَفَ الشَّكْلَ
 وَهِيَ طَوِيلَةٌ ، مَدَحَ بِهَا الْوَزِيرَ ابْنَ الْحَكِيمِ الْمَذْكُورِ ، وَأَجَادَ .

(١) كَذَا فِي ط وَبِهَوَاءِ الْاِتِّبَاسِ . وَفِي الْإِطَاعَةِ : « سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِ مِائَةٍ » .

وَفِي م : « ثَمَانِيَةِ عَشَرَ وَسَبْعِ مِائَةٍ » .

(٢) كَذَا فِي م وَالْإِطَاعَةِ . وَفِي ط وَجُودَةِ الْاِتِّبَاسِ : « حَلَّتْ » .

(٣) كَذَا فِي الْإِطَاعَةِ وَجُودَةِ الْاِتِّبَاسِ . وَفِي م : « وَأَصِيبُ قَلْبِي بِالرَّعِيلِ » . وَفِي

ط : « وَأَصِيبُ قَلْبِي بِالرَّعِيلِ » .

وله من مدحه أيضا

وله من مطلع قصيدة فيه أيضا :

هذا الصباح ففادني بصبح
لا تكترث لخطوب دهرك واسقني
وامرأح سوام اللفظ بين حدائق
ففتنت زهرة زهرها قنابلت
شقت شقائقها جيبوب كائنم
وعيون رجبها تلوح^(١) شواخصا
والورد تحجله أنامل سوسن
وأنى الزرع ربوعها^(٢) بسواجع
سجعت تبشرها بعود^(٣) شهابها
مالى والأطلال أسأل صامتا
في الراح^(٤) والريحان شغل شاغل
وأهم في وزد الحدود وآمها
وأصون سمى عن مقالة عاذل
كم عرّضوا لى بالملام وصرّحوا
ومنها أيضا :

عجباً لهم يلقوننى بلامهم في حب من يلقون بالتسبيح

(١) في م : « وأسأم في تحيلها جريج » . وله عرف عما أثبتناه . ولم يرد من هذا الشطر ط غير : « في مثنا جريج » .

(٢) كذا في م . وفي ط : « أسف على ردى بعد جريج » .

(٣) كذا في ط . وفي م : « تحيل » .

(٤) في ط : « ريبها » . (٥) كذا في ط . وفي م : « يهد » .

(٦) كذا في م . وفي ط : « في الروح » . (٧) في م : « في الحب » .

إِن صَوَّحَ الرُّوضُ النَّصِيرَ نَفَذَهُ أَزْهَارُهُ أَمِنَتْ مِنَ التَّصَوُّجِ
وَنَحَارَ أَعْيُنُ مَبْصَرِهِ إِذَا بَدَا فِي ثِقَلِ أُرْدَافٍ وَخَفَةِ رُوحِ
قَلْبِي بِمَذْلُومٍ بَزِيدٍ تَوَقُّدًا لَا غَرَوَ فِي نَارِ تَشْبِ بَرِيجِ
وهي طويلة (١).

ومما أوردته في «الإشادة» لبعض الأعلام، وأظنه قاضى الموحدين أبا حفص
ابن عمر رحمه الله تعالى، في وصف الدنيا، كلام بديع نصه :

هذه الدنيا — حفظك الله — كما قد علمته ، فأعرض بحملك عن جهاتها ،
وارغب بنفسك عن أهلها ، واذكر قبائح أنبيائها ، واضرم وصل أنبيائها ؛
لا ترتع في رؤسهم ، ولا تكثرع في حوضهم ، وقُلْ اللهُ نَمِ ذَرَمٌ فِي حَوْضِهِمْ ،
وإذا مررت باللائع (٢) بذكر محاسنها ، اللاهين بحسن ظاهرها عن قبح باطنها ،
فأله عن طوم ، ومزكريما ببقوم ، مر المهتدى في سيره ، وأعرض عنهم حتى
يتوضوا في حديث غيره ، فالسيادة والسعادة في نبذها ، لا في أخذها ، وفي
تركها ، لا في دَرَكها ، وإليك عن وصلها إليك ، وعليك بهجرها عليك ، وانل
قوله تعالى : « وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ » ، وقوله تعالى : « وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ » ،
واحرص أن تكون منهم ؛ فزخرُف الدنيا في نظر العين زين ، وفي نظر العقل
شين ؛ فقمض عينيك تبصر ، ولا تمدّها وأقصِرْ ؛ جملنا الله بمن نظر بقلبه ،
وأبصر بقلبه ، فأولو الأبواب والفتكر ، المحصوصون بالذكر ، والعلم أرفع المزايا ،
وأوسع العطايا ، هو غاية المال والمذكور ، من ناله أى شيء فاته ، ومن فاته أى
شيء أدرك ؟ ولا علم إلا علم الكتاب والسنة ، هما أفضل العطايا واللثة ، فمن

[٤٨١]

(١) إل هنا ينهى المجلد الثاني من النسخة التيمورية (رقم ٨٩٤ تاريخ) .

(٢) في ط : « بالمولين » .

عليهما ، ونظر فيهما ، وعمل بهما ، نال غاية السعادة ، وأدرك منتهى السيادة ؛ قال الله تعالى لنبيه الكريم : « وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ التَّائِي وَأَقْرَأَ أَنْ تَقُلِّمَ » . هذه المزايا العالية ، والمطايا الواسعة الباقية ، لا ما نهت عنه الآية الثانية^(١) ، جعلنا الله ممن أبصر رشده ، وذكر مراده ، ووجه إليه قصده ، ورأى في أول أمره آخره ، وابتنى فيها آناه الله الدار الآخرة ، بمنته وفضله . آمين .

(٢) يارا كضا في طلاب دُنيا ليس لمن تَصْرَع انتماش
تَنْحَ يا عَرْضَةَ لرام أَنَّهُم بِالرَّدى تَرَّاش
تَحْشُ^(٣) نازا هوى لظاها بمن له حوَلًا فحياش
أَعْذَرُ مِنْكَ الْفَرَّاشُ أَلَّا عَلِمْتَ مَا يَجْهَلُ الْفَرَّاش
تَطْلُبُهَا لَا تَنْسَامُ عَيْنُ عَنْهَا وَلَا يَسْتَقِرُّ جِاش
مَنْ لَكَ بِالرَّوى مِنْ شَرَابٍ يَسْتَنْدُ مِنْ شُرْبِهِ الْعِطَاشُ^(٤)
دَعَا فَطْلَانُهَا رَعَا طاشت بألبابهم فطاشوا
واظْأَ لَتَزْوَى وَكُنْ كَقَوْمٍ مَاتُوا بِهَا عِفَّةً فعاشوا
لَمْ يَرِدُوهَا فَضْمَ رِوَا وَوَارِدُوهَا هُمُ الْعِطَاشُ
كَأَنَّ آمَالَنَا ظِلْبَا وَنَحْنُ مِنْ حَبْرَةِ خِرَاشِ^(٥)
لَا لَأَتْنِ بِهَا انْبِساطا بِهِ لأَعَارِنا انْكَاشِ^(٦)

(١) يريد قوله تعالى : « وَلَا تَعْدِنْ عَيْنُكَ إِلَى مَا مَتَّعَا بِهِ أَنْفُسَهُمْ مِنْهُ ... الخ » .

(٢) من هنا إلى قوله : « جواد مالك والنصور عديم » ص ٣٦٢ ساقط من نسخة ط .

(٣) تحش : توند . وفي م : « تحش » وظاهر أنه محرف عما أبتناه .

(٤) يريد بالعطاش : مصدر عطش .

(٥) في الأصل : « خطاش » ، وظاهر أنه محرف عما أبتناه . وهو يشير إلى البيت المشهور :

تَكَاثَرَتِ الظِّبَاءُ عَلَى خِرَاشٍ فَمَا يَدْرِى خِرَاشُ مَا يَصِيدُ

(٦) في م : « لَا يَأْتُنَا » ، وهو محرف عما أبتناه .

كَأَنَّ أَجَالَنَا صُفُورٌ وَنَحْنُ مِنْ تَحْتِهَا خَشَاشٌ
اتَّهَى .

وأبو حفص بن عمر هذا ، هو القاضي الجليل أبو حفص عمر بن القاضي
الجليل أبي محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر الشُّلَمِي . وذكر الحافظ ابن
الأثير أن أصله من جزيرة شُقْر^(١) . قال : وولد بأثبات ، وسكن مدينة فاس .
رَوَى عن جده لأمه ، أبي محمد عبد الله بن علي اللُّخْمِي ، أجاز له في صغره ؛
وعن أبي سروان بن مَسْرَّة ، وأبي عبد الله بن الرامة ، وأخذ عن أبي بكر بن
طاهر كتاب سبويه تفهما ؛ وكان من أهل المعرفة واليقين ، أدبها شاعرا ، مجيدا ،
غلب عليه الأدب ، حتى عُرف به وشهر ، مع جودة الخط ، وبراعة الأدوات .
وولي قضاء زَلَّسَان ، ثم نقل إلى قضاء فاس بعد أبيه بزمن ، وولي قضاء
إشبيلية وغيرها ، ونال دنيا عريضة .

وَحُكِيَ عَنْ أَبِي الرَّبِيعِ بْنِ سَالَمٍ أَنَّهُ تَوَفَّى بِإِشْبِيلِيَّةٍ فَنَجَاةً ، فِي الْخَامِسِ مِنْ
رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسِتِّ مِائَةٍ . وَمَوْلَاهُ فِي حُدُودِ الثَّلَاثِينَ وَخَمْسِ مِائَةٍ .
وَقَدْ غَلِطَ ابْنُ فَرَقْدٍ ، فَذَكَرَ أَنَّهُ وَلِدَ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ ، وَرَوَاتِهِ عَنْ جَدِّهِ
أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ ، مَعَ صَحَّتِهَا ، تَقْضِي بِطِلَالِ
ذَلِكَ . قَالَ ابْنُ فَرَقْدٍ : وَتَوَفَّى عَامَ اثْنَيْنِ وَسِتِّ مِائَةٍ بِإِشْبِيلِيَّةٍ وَهُوَ يَتَوَلَّى قَضَاءَهَا ،
بَعْدَ صَرَفِ مُحَمَّدِ بْنِ حُرُوطٍ اللَّهِ ؛ وَكَانَ أَبُو حَفْصٍ قَدْ صَرَفَ بِأَبِي مُحَمَّدٍ ، بَعْدَ ذَلِكَ
بِعَامٍ أَوْ أَزِيدٍ .

ومن مشهور نظمه رحمه الله تعالى يمدح أمير المؤمنين أبا يعقوب يوسف بن
عبد المؤمن بن علي [الموحدي] ^(٢) رحمه الله تعالى :

(١) في جنوة الانقباس : « أشقورة » . (٢) زيادة عن جنوة الانقباس .

اللهُ حُسْبُكَ والسَّيْعُ الحَوَامِيمُ
سَمِعُ الثَّانِي الَّتِي لَلَّهِ قَتَّ بِهَا
وَأَنْتَ بِالسُّورِ السَّيْعِ الطَّوَالِ عَلَى
وَالذَّهْرِ سَمِعْتَهُ وَسَبْعَةَ جَمَلَاتِ
وَسَبْعَةَ الشُّهْبِ لَمْ تَحْفَلْ بِهَا ثَمَّةً
تَسْمُو بِنَفْسٍ عَلَى السَّيْعِ الشَّدَادَتِ
أَنْوَارِ عَدْلِكَ فِي الْآفَاقِ دَاعِيَةً
أَعْلَى بِكَ اللَّهُ أَعْلَامًا هَدَيْتَ بِهَا
عَلَيْكَ أَهْلُ الْهُدَى وَالْحَقُّ مُتَّفِقٌ
وَمِنْهَا أَيْضًا .

فَوَادِهِ بَضِيَاءُ الْعِلْمِ مَنُشَرِّحُ
وَكَفُّهُ بَطْنُهَا بِالْخَيْرِ مِنْهُمِ
الْعِلْمُ قِيَمَتُهُ (١) وَالْحِلْمُ شِمَّتُهُ
لَطَائِي الْعِلْمِ مَا شَاءَ وَابْخَدَمَتُهُ
سُحْبُ الْعِلْمِ عَلَيْهِمْ مِنْ سَمَاحَتِهِ (٢)
الْعَيْنُ مِنْ نَظَرٍ وَالْأُذُنُ مِنْ خَبَرٍ
يُقَضَى أَنَاةً وَحِدَا عَالِمًا وَلَهُ
وَوَجْهَهُ بِجَمَالِ السُّورِ مُوسَمِ
وَوَظَرُهَا أَمُودُ اللَّهِ مَلْثُومِ
طَابَتْ أَرْوَمَتُهُ وَالنَّفْسُ وَالْخَلِيمِ
غَفَى وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلِ
تَهَيَّئْ فِي بَحْرِهَا هُمْ شَرَعٌ هَيْمِ
لَا تَشِيمَانِ وَبَاغِي الْعِلْمِ مِنْوَمِ
فِي مَوْضِعِ الْحَقِّ إِقْدَامٌ وَتَصْمِيمِ

[٤٨٢]

(١) رواية هذا الشطر في جذوة الانقياس : « عليك من سرها منى وتقديم » .
(٢) في جذوة الانقياس : « حاكم لله ... » .
(٣) كذا بالأصل . وفي جذوة الانقياس : « ... جئت وجود » .
(٤) إلى هنا ينتهي الجزء السابق من نسخة ط . (٥) كذا بالأصلين .
(٦) كذا في ط . وفي م : « سماوته » .

تشند فيمن عصى أو خان وطلأته
إرادة فوق إدراك العقول لها^(١)
حتى إذا ما بدا منها النجاس بدت
انظر خواتمها تفهم مبادئها
والخلف سماء^(٢) غلاها عبرة وكفى
إن^(٣) الخليفة يسر الله ظاهرة
فسلموا واخضعوا والآراء واتبعوا
الشرق والغرب من غرب ومن عجم
والبحر والبر من سهل ومن جبل
ومنها أيضا .

وكل جسد مفاد من علائك من
المسلمين أمير المؤمنين رحى
الدهر في أنفسه من حكمه بررة
العلم والدين والدنيا وسأكنها
جزا سعيدك عند الله مدخر
عطفا على حسن أمداحي وإن عززت
تسبيحه نفس العلياء مسموم^(٤)
يحلله من صروف الدهر تحريم
مها الزمان على الأبرار تحزوم
في سلك رأيك يا وسطاه منظوم
هذا كتابك في الأبرار مرقوم
إن الجلال على العلات مرحوم

(١) في ط : « آراءه فوق آراء العقول لها » .

(٢) في ط : « تنسيم » وفي م : « تقسيم » ولعلهما محرفتان عما أبتناه .

(٣) في ط : « سماء » . (٤) كذا في ط : وفي م : « إذ » .

(٥) في ط : « بالعيش » .

(٦) كذا في ط . ورواية هذا البيت في م :

وكل مجد مفاد من علامك من حية نفس العلياء مسموم

ما علقوا لورأوا هذا قفا وألا هي ولو جاءهم حُجْرٌ وكُنُومٌ^(١)
 إذا نسال لراويه غليظة : «هل ما علمت وما استودعت مكتوم؟»
 يا سامعين أمدح الإمام ألا فاجشوا على الركب الأعظام أوقوموا
 خذكأس لفظي دهاقا من مدائحها فيها الخفاق لا لقو وأنائم
 ندعو له بدلا من مدحه اقضو رالدح عنه وفيه العذر معلوم
 عز^(٢) الإمام فلا تضرب به مثلا من ذا يقاسُ به والمثلُ ممدوم [٨٣ :
 أعطى الوري فضل ما أعطاه خالقه عليه من ربه بُشْرَى وتسلم
 صل بالصلة عليه صدق مدحته ذاك الرحيق بهيذا السك مخنوم
 وحكي أنه لما قال :

هو وأبو العباس
 الجراوى

«يا سامعين أمدح الإمام ألا فاجشوا . . . البيت

قام جميع من في المجلس وكان فيهم الشاعر الملقب أبو العباس الجراوى ، فاحتاج
 إلى مشايبتهم لذلك ، وثقل عليه اضخماته ، فجعل وهو يحاول القيام يسب القاضى
 أبا حفص محمّر ، ويشير إلى أنه انتصف منه .

وحكى أيضا أنه لما أنشد القاضى أبو حفص هذه القصيدة ، قال فيه الجراوى
 المذكور ، وكان شديد الحسد له والإذابة لعسفه ، وكان له تقدم في تلك الدولة :

نَبَتْ عَمْرَةٌ بَنْتُ ابْنَ عَمْرٍ هَذِهِ فَلْتَمَجَّبُوا أُمَّ الْعَبْرِ
 قُلْ لَهَا عَمْرِي إِذَا لَا قِيَّتْهَا قَوْلَةٌ تَتْرِكُ فِي الصَّخْرِ أَثْرَ

(١) رواية هذا البيت في ط :

« ما علقوا لو رأى هذا قفا ... ولو جاءهم حجر وكُنُوم »

وفي م :

« ما علقوا لو رأوا ... هي »

وقد أسلغناه على النحو الذى أتينا به ، ولعله أقرب إلى ما يريد الشاعر .

(٢) كذا في م . وفي ط : « عن » وهو مخربف .

هيك كالخفساء في أشعارها أو كليلي هل تجارين الذكر
 فقال أبو حفص حينئذ :

نهائي حلى فلا أعظم وعز مكاني فلا أعظم
 ولا بد من حاسد قلبه بنور ماثرنا مظلّم
 رحمت حسودي على أنه يقاسي العذاب وما يترحم
 بفانا الحسود ولسنا كما يقول ولكن كما ينلم

وكان أبو العباس الجراوي المذكور ههنا حاضر البادرة ، سريع الجواب .
 ومن أغرب ما صدر عنه في ذلك أنه هاجم قبيلة بني غفجوم^(١) ، استطادا بهجو
 أهل فاس وقاضيه ابن للججوم ، الكبير البيت ، الشهير الأصالة ، فقال :

يا بن السبيل إذا نزلت بتادلا^(٢) لا تنزلن على بني غفجوم
 أرض أغار بها العدو فلن ترى إلا مجاورة الصّدى لليوم
 قوم طوّروا ذكر السباحة بينهم لسكرتهم نشروا لواء الأثوم
 لا يعلكون إذا استبجح حريمهم^(٣) إلا الصياح بدعوة المظلوم
 لا حظ في أموالهم ونوالم للائل السافي ولا المحروم
 يا ليتني من غيرهم ولو أني من أرض فاس من بني للججوم

ومن نظم القاضي أبي حفص المذكور ، من مطلع قصيدة يمدح أبا يعقوب بن
 عبد المؤمن ، ويهينه بتيغته الثانية :

ألا هكذا تُنفى السلا والمآثر وتسمو إلى الأمر الكبير الأكابر

من شعر القاضي
 أبي حفص يمدح
 أمير المؤمنين

(١) في ط : « بني مقجوم » هذا وفي سياتي . ولعله محرف عما أبتناه .
 (٢) كذا في ط . يريد : تادلة (بفتح الدال واللام) وهي من جبال البربر بالقرب قرب
 تلسان وماس . (انظر معجم البلدان لياقوت) . وفي م : « ... إذا صرحت منازل » .
 (٣) في ط : « ... إذا استباح خديهم » .

وله في الغزل

نَوْمٌ لِبَيْعَاتِ الرَّحْمَا مَطْلَعُ الْهَدَى
وَمِنْ غَزَائِيَّاهُ قَوْلُهُ :

لَا هُمْ نَظَرُوا لِوَاحِظَهَا فَهَاوُوا
يَخَافُ النَّاسُ مُقَلَّتَهَا سِوَاهَا
وَتَحْتَ الشَّمْسِ يَنْسَكِبُ الْغَامُ
وَأَذْكَرُ قَدْهَا فَأَنُوحُ تَوْفَا
وَأَعْقَبَ يَدَيْهَا فِي الصَّدْرِ عَمَّا
وَقَوْلُهُ أَيْضًا رَحِمَهُ اللَّهُ :

مَهَا الْقَفَرُ لَا دُمِيَّةُ لِلرَّوْمِ
بِنَفْسِي يَعِيفُ تِلْكَ الْإِطْيَامُ
مَلَاعِبُ يَصْبُو إِلَيْهَا الْحَكِيمُ
وَفِيهَا الطَّيَابُ بَنَاتُ الْأَسْوَدِ
رَغِيصُ الْخَزَرِ كِنَاسُ الْغَزَالِ
تَخَالِصُهَا تَقَارًا تَحْتَهُ
وَبِالْإِظْهُ يُنْصَدَحُ زَنْدُ الْهَوَى
وَكَقْرَهَا يَقُولُهُ :

بِقَلْبِكَ يَا غَافِلًا فَانْظُرْ
إِذَا أُرْسِلَ الْعَارِفُ هَامُ الْقَوَادِ
وَأَقْفَ قَلْبِ الْفَتَى عَيْنُهُ
وَمِنْ قَوْلِهِ :

أَغَارَ عَلَى الصَّبِّ مِنْ أَنْبَهٍ
هُوَ الْحُبُّ مَنْ يُطْفِئُهُ أَهْبَهَ

(١) كذا ورد هذا الشطر في الأصاين .

نَأَى الْقَلْبُ عَنِّي وَشَوْقِي مَعِي فَلَا أَمْرِي مَا أُعِيبُهُ !
 يَحِينُ فُؤَادِي إِلَى قَاتِلِي كَذَلِكَ الْهَوَى عِنْدَ مَنْ جَرَبَهُ
 تَرَقَّى شِمَائِلُ مَنْ ذَاقَهُ وَتَلَطَّفَ شِمَائِلُ مَنْ هَذَبَهُ
 بِجُودِ لُحْظِهِ بِالرِّضَا وَيَطْلُبُ رَاحَةً مِنْ أُنْمِهِ
 إِذَا شَفَّ قَلْبِي غَرَامُ الْهَوَى دَعَا بِالنَّعِيمِ لِمَنْ عَزَبَهُ

لابن شكيل في
مدح النمامي
أبي حفص

وكان القاضي أبو حفص هذا كريماً مُدَّحاً ، ومن أجاد فيه الشيخ الأديب
 الفقيه أبو العباس أحمد بن أبي العتكم بعيش بن علي بن شكيل الصَّدِّيقِ ، من
 أهل شَرِيش ، المتوفى سنة خمس وست مئة ، ومولده سنة ثمان وسبعين وخمس
 مئة ، وأمداحه فيه كثيرة ، قدَّم قفاها كلاماً نضَّه :

فيه استغرقتُ مَجْهُودِي ، وإليه جلبتُ غَدِّي وعديدي ، لأنه كان آدِبَ
 أهل زمانه غير مُدَّافِع ، وأولام بالفضل غيرَ مُنَازِع ، لتجاليه بالتواضع في الجلاله ،
 والبشاشة في الجزالة ؛ ووردتُ عليه غلاماً ، أحسب زُنْدِي سُخَاماً ^(١) وحَسْدِي
 كُهاماً ، فتلَّقَى تَرْزِي بالاستكثار ، ونسب بحري إلى الاستبحار ^(٢) ، وأولَى — تَفَرَّ
 اللهُ وجهه — من البرِّ لجانبِي ، والاستطراف لذهابي ، والثناء على في أُنْدبته الآلهة ،
 وبجالس الحافلة ، ماشهدتُ له بالتبريز ، وخلص معه فسكري من تخوف النَّدَّة
 الحسدة خلوص الإبريز ، فقدحت فيه زُنْدفسكري فَوَرَّى ، وفجرت فيه يَفْبُوع
 شعري جَرَّى ، وأطلت فيه إطالة المُفَتَّن للغرب ، وجعلت أمداحه نُقْلَةً للشرق
 والغرب ، ومع ^(٣) ذلك لم أنهض إلى عزه أعزّه الله حياً وهابطاً إلى خُطَّة القضاء ،
 فأَتَى مع ^(٣) سن الشَّيْبَةِ إلى رتبة مشيخة العلماء ، فإِرساة منه وتوشماً ، واسترواحا

[٤٨٦]

(١) كذا في م . والسام : الرش اللين تحت ريش الطير . وفي ط : « سجاما » .

(٢) كذا في ط . وفي م . « ونسب غدي إلى الاسجار » . وهو تحريف .

(٣-٣) في الأصلين تحريف طاعن في هذه العبارة ، ولم يوفق إلى تصحيحه .

للنجابة وتوتها ، إلا أن البلد التي استعمل^(١) فيها كانت خشنة المبارك ، فسكنت
أنتقى فيها على جمر النقص ، وأخاطبه بما لو ألقى على الحجر لا تقبر ، وكانت
الأناة غالبية على طبايعه ، وجائلة على نظره وسماعه ، وكان مع ذلك مكدودا
بالشغافات ، ومضييقا عليه في الجهاد والطاعات ، فخلعت عن عاتق نجاد تلك الخطئة ،
ودار فلآك أمرى على غير تلك النقطة ، وهو — عفا الله عنه — يقابل تموي^(٢)
بالانبطاط ، وفترقى بتجديد الإنشاط ، انبطاطا للأمكنة والأزمنة ، فقطع عليه
غرضه تأخره عن الخطئة ، فما قطعت عنه امتداحا ، ولا نسبت أيامه حينئذ
وارتياحا . ثم أعيد إلى الولاية ، فمدت إليه ، وقد أتى الحرم والسقم عليه ،
فماقت منيته عن بلوغ الآمال ، وسلبتنيهِ علقا نفيسا لما تخلفه الأيام والآيال^(٣) :

يا من لصبح الشيب كيف تنفسا في لئتي فأجابه ليسل الأسى
لا تحسبن سواد شعري زعمه لكن كسته هموم قلبي حندا
إلا يكن شاب العذار ولا انحنى ظهري فقد شاب القواد وقوسا
إني لا أغضى مقلتي عن لأعنى وأرى ابتساجي من ضميري عبسا
ويلين قلبي للخليل مودة فإذا أحس هضيمة يوما قسا
وأجبل لحظي في المني شغفا بها وأجل شوق عن لعل وعن عسى
مالي أرى الحالات عدن هودجا ولهذا الأضلاع صارت مكنسا
طوبيت على بيض الدمي فتكانست فيها ظباء يرتعفت الأنسا
فهي الدار في المواجر خنسا وهي الجوارى في المودج كنسا
يطرفن أمواة الفسلة نربا وبردن نيران الضلوع تمجسا

(١) في العبارة محوس وتحريف كثير . (٢) التعوق : التنبط عن الأمور .

(٣) زادت ط بعد هذا : « فقال » ولله يريد : « فقلت » .

(٤) كذا في م . وفي ط : « المدي » .

فبين جائله الرشح تدهست فزها النسيم أريجها فتفتسا
زارت كما زار الجبال تسترا وعطت كما يعطو الغزال ووجسا
خذرت من الرقبة^(١) حول طرفها فأنت تعبر على القراب الشندسا
ملكت بطاريق الرجال وشاقها ضلوك حتى ليس يبقى منفسا
زحمت فشاء الحق أني تملق أرايت إملاق لجدي مزيكا
باتت تهيجها وساوس حليها حتى إذا الصبح المنير تنفسا
بكرت تلومك في الندى كندية صدفة تنمى السكون وأشرسا
يا بنت عمي هل سمعت بما حذر يسكين أوني الدم أطمع أو كسا
لا تحسي أكل المرار عميدنا غرنا ولكن عزة وتقطرنا
أذهلت عن عبقى الندى إن الندى ليرد وحنى السنى متانسا
عقر المطية لأمزازي ربها فأبيع نقرأ من عنبرة أومسا^(٢)
لم ينس^(٣) ميتا بالسكالب وربما قد ضاق ذرعا أن يفوه فيلبسا
ونسيت خجرا يوم هيج بالعصا أسدا ومن هاج الأسود تفرسا
هبطت كواهل ملسه من كاهل أبدا أصابت منه يوما أنحسا
فلئن أبيت مالك أو كاهل فلقد أبارت منه قرما أحسا
قد كان ملك في كنودك والندى في ظبيسة فتفردا وتقيسا
كذكك جبتي^(٤) كلما وطئوا النرى وأظن^(٥) أن لها الترى والأشمسا
وطئوها السلى فاضبها الرضا كرم وجود يُعطقان الآخرسا

[٤٨٧]

(١) في الأصلين : « الرجاء » ، ولعله محرف عما أثبتناه .

(٢) يقال أومس لمن يريد : إذا لان وسهل . وفي ط : « ألسا » . وفي م « أوتسا »
والرواية أن حرفين عما أثبتناه . (٣) في ط : « لم ينس » .

(٤) كذا في ط . وفي م : « فيس » .

(٥) كذا في م وفي ط بياض موضع : « وأظن » . وفي هذا البيت والذي قبله غموض .

شَهِدَتْ لَهُ أَهْبَابُهُ وَعِصْدَانَهُ حَتَّى الْغَمَامُ إِذَا هَمَى وَنَبْجَسَا
 قَسَمًا لَا نُدَى بِالنَّدَى وَاعْتِصَادَهُ ^(١) فِينَا فَصَارَ مَعَ الرِّكَابِ وَعَرَمَتَا
 وَكَسَا الْوَرَى الْعَدْلَ لِلْبَيْنِ ^(٢) وَقَبْلَهُ سَلُّيُوا بِجَوَّارٍ وَلَا تَهْمُ تِلْكَ السَّكَنَاتَا
 وَأَعَدَّ أُنْدَارَ الْأُمُورِ بِحَزْمِهِ ^(٣) وَرَمَى بِهِ غَرَضَ الْخَطُوبِ فَفَرَّطَسَا
 وَأَتَتْهُ ^(٤) لَلْبَيْتِ الرَّفِيعِ عِمَادُهُ عَدَدٌ لَهُ مَجْدًا وَعِزًّا أَفْعَسَا
 قَالُوا بَنُو ثَعْلٍ : نَفِثْتَ مَكَارِمًا تَعُزِّي لِحَاتِمَاءَ قَفْلَتِ : وَمَا عَسَى ؟
 جِيثُوا بِوَاحِدَةٍ لِحَاتِمِ طَيِّبِهِ مِنْ هَذِهِ وَعَلَى أَلَا أَنْفَسَا
 أَوْ سَائِلُونِي فِي الْأَنَامِ سِوَى أُنَى حَقِصْ فَوَلَّ تَجِدُونَ عَنْهُ تَمَلُّسًا ^(٥)
 أَوْ فَاحِلُوا بِعُضِّ الذِّى هُوَ حَامِلُ لِيُرِدَّكُمْ مِنْهُ يَمَلِّمْ قَدْ رَسَا
 النَّاسُ أَشْبَاهًا وَلَكِنْ بَيْنَهُمْ فِي الْفَنَلِ مَا بَيْنَ الذُّؤَابَةِ وَالنَّسَا
 أَحْسِبْتُمْ كُلَّ امْرِئٍ عَمَرَ النَّدَى مَا كُلُّ بَيْتٍ بِالشَّامِ الْمَقْدَسَا
 يَا خَجَلَةَ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ وَقَدْ رَأَى عُمَرَا بِأَنْوَاعِ الْجِلَالَةِ مُلْدَسَا
 لَوْ يَسْتَطِيعُ لَجَاءَ مُقْتَبَسَا مِنْ أَفْقِهِ وَإِذَا لَصَادَفَ رَيْبَسَا
 خَابَ امْرِئٌ يَرْجُو نِدَاءَ غَضَاضَةٍ إِلَّا الْكَفُورُ فَإِنَّهُ قَدْ ابْلَسَا
 طَيِّبَتْ أَفْوَاهُ الرُّؤَاةِ بِمَذَاحِهِ فَسَكَانَ عَطَارًا يَضْمَخُ مُعْرِسَا
 وَعَلَوَتْ قَدَرِ الْبَاطِلَيْنِ بِشُكْرِهِ وَأَمِنْ تَمَادَى فِي نِدَاءِهِ لِأَخْرَسَا
 يَا وَاحِدَ الْعُرُبِ ^(٦) الَّتِي لَوْ صُورَتْ طَرَفًا عَتِيقًا كَانَ مِنْهُ الْقَوْنَسَا
 إِنِّي دَعَوْتُكَ لِلْأَمَانِ الْعُرِّيِّ فِي ظَلَمِ الزَّمَانِ السَّوِّءِ أَخْشَى بُونَسَا

(١) في م : « قسم الأيدي » . ولعله محرف عما أثبتناه . وإليس في ط من هذا الشطر غير كلمة « قسما » .

(٢) هذا الشطر في الأصلين : « وأعد أفران الأمور بخدمة » . ولعله محرف عما أثبتناه .

(٣) في م : « وأنه » ... البيت . ولعله محرف عما أثبتناه . وصدر البيت ساقط في ط .

(٤) يريد : مذعبا . وفي ط : « عدسا » . وهو تحريف . (٦) في م : « القرب » .

إن يلقم نون^(١) الحوادث مطلي فامدّد له يفتلين جودك تليسا
أنت الرواء^(٢) إذا تمدّر موزد والماء إن كدر الرجاء فأمبأ^(٣)
والعجز أن يرحى سواك وإنما أحشى نبات الروضة المتخلصا^(٤)
فلأنت أنفس عُدّة مذحورة لم لا أصون عن استدالي الأنفسا
انتهى .

قال صاحب الإفادة العزفي المذكور :

القاضي أبو حمص من متأخري الغرب ، لم يذكره أحد من أئمة^(٥) القاضيين
وتعرض لذكره ، إلا أطنب في الثناء عليه ، ووصفه بالعلم والفضل ، والعدل في
القضاء ، مع براعة النظم . النثر : ويكفي من ذلك ثناء المحدث أبي عبد الله محمد
ابن عبد الرحمن الشحبي ، نزيل تليسان عليه ، وقد ذكره في شيوخه فقال :
وتقلته من خط الشيخ الفقيه الأجل ، الكاتب المجيد ، الحبيب الأديب ،
الأرفع الأكل ، القاضي المسدد ، للوفق الأعذل ، أبي حمص . ثم قال :
لقيمته بتليسان حرمها الله ، قدّمها علينا قاضيا ، فشمّل أهل البلد كلهم أجمعين
بعضه^(٦) وأدبه وعدله ، وإجلاله وإكباره وحسن خلقه ، لا سيما مع طائفة
الطلب ، وأهل الأدب والحب ، فجزاه الله عن نفسه وعنهم أفضل الجزاء ،
فلا يعرف الفضل إلا فاضل ، ولا يكرم الناس إلا كريم ، وكلّ يميل إلى
جنسه ، وما هو من طبعه ، كما قال بعض الأدباء ، وأجاد في مقالته ، وأحسن

(١) في م : « حوت » .

(٢) في ط يباس في موضع هذه الكلمة . والرواء : الماء . السكتير .

(٣) في ط يباس في موضع هذا النظم .

(٤) في القاموس : أخلى النبات إذا اختلط رطبه بياسه . غول : له أراد تشبيه أولاده بنبات جف بفضله وبفضله لا يزال غصنا .

(٥) في م : « أئمة » . (٦) في م : « فضله » .

القول : « ما عَبرَ الإنسانُ عن فضله ، بمثل ميله إلى أهله . »

وذلك منظوم في قول الشاعر :

وما عَبرَ الإنسانُ عن فضل نفسه بمثل اعتقاد الفضل في كل فاضل [٤٨٩]

وإن أخسَّ النَّقص أن بنى الفنى قدَى النَّقص عنه بانقضاء الأفاضل

وأمثال رضى الله عنه قول الآخر : « اصحبوا الناس صحبة إن عشم | معها ^(١) »

حنوا عليكم ، وإن يمُّ بكوا عليكم . واستعمل ما قاله الشاعر ^(٢) في كلمته ،

ونظمه في فافيته :

وإنما المرء حديثٌ بعده فكأن حديثاً حسناً لمن وعى

فَقَلَّ والله ذلك أيام كونه بتهلسان ، واستعمله بطبعه وطبيعته ، وخَلَقَه

وخليفته ، إلى أن نقله الخليفة إلى قضاء فاس ، فلا تسأل عما أصاب الناس

والإخوان من فقدته ، وقد أدبه وعلمه ، فَلَدَّ كَرَمُ الطَّيِّب ، والثناء الجليل ، باقيان

عليه إلى الآن بتهلسان . وهو مستقرٌّ في غيرها من الأوطان .

وكان أبو حفص رحمه الله حسن الخَلْقِ والخُلُقِ ، مليح الخطِّ ، فصيح الخطابة

والكتابة ، وكنتُ إذا رأيته تَمَلَّتْ عند رؤيته والنظر إليه ، بما أشدنا شيخنا

الحافظ أبو طاهر السَّكَنِيُّ الأصبهاني ، رضى الله عنه ، في مدح هادى بن إسماعيل :

لهادى بن إسماعيلَ خَلَّتْ أَرْبَعُ بهنَّ غداً مستوحياً للإمامة

خطاب ابن عَنَادٍ ، وخط ابن مقلَّة وخَلَقَ ابن يعقوب ، وخَلَقَ ابن مامة ^(٣)

(١) زيادة تحتاج إليها الجملة الوصفية ، ولعلها سقطت من ظم التاسع .

(٢) البيت من مقصورة أبي بكر بن دريد . (٣) ابن عماد هو صاحب إسماعيل

ابن عماد وزير آل بويه ، كان من رموس البلاغة في عصره . وابن مقلَّة من أشهر

وزراء الدولة العباسية ، وبخطه يضرب للثل في المجلس . وابن يعقوب : سيدنا

يوسف عليه السلام ، وهو مثل جبال الصورة ، وكب بن مامة : أحد أجواد العرب .

وأنشدته رضى الله عنه البيهقي ، فاستحسنهما وشكر لى ذلك ، وكان لى من
برّه وتأنيسه وبشره حفظ جزيل ، وقسم كبير ، ورغب إلى أن أكتب له بخطى
بعض ما عندى من أخبار الصالحين . وأئمة المتقين ، وأولياء الله الطيبين ،
فكتبت له من الأحاديث العظيمة العلية ، والأشعار الحسكية ، ما أمكننى ،
فسرّ بذلك ، وشكر عليه ؛ ولما أتى مدينة فاس ، صار يرى ذلك أوداهه وأحبابه ،
ويشكر عليه ، ويُبقي خيرا ، بارك الله تعالى فيه . ثم قدّر الله تعالى بوصولى بعد
انقضاءه عن مدينة فاس ، وتوليت له قضاء أغنام ، إلى حضرة مَراكش ، حرسها
الله تعالى ، وكان بالحضرة المذكورة ، فسمع بذلك ، وكنت نزلت بفندق من
فنادقها ، يقال له فندق الشكر ، فوصل إليه ، واجتمع بى ، فدعوت له وشكرت ،
ثم أولانى من برّه وتأنيسه ما عهدت قبل منه ، وزاد عليه ، ورغب فى الوصول
إليه إلى أغنام ، فوصلت إليه بعد ذلك ، فرحب وبهّل وأزكّل ، وأثنى على
عند الأنحاب والإخوان حورا ، وقال ما يصدر عن مثله ، فالتصغر الطيب لا يخرج
منه إلا طيب ، وكنت معه فى داره فى خصب وسعة ، وطلاقة وجه ، وحسن
خلق ، وطيب حديث ، وكرّم مشاهدة ومناشدة ، لنفسه وأغيره .
انتهى ما قصدت جَلْبِهِ من كلام صاحب الإشادة : المنقول عن الشيخين
نزيل نلسان ، رحم الله الجميع .

من نظم القاضى
أبى حفص

ولتجعل آخر نظم القاضى أبى حفص رحمه الله قوله :

العلم يكسو الخلل القاخرة والعلم يُحيى الأعظمُ الناخرة
كم ذابَّ أصبحُ رأساً به ومذنبٌ أبهرهُ زاخرة^(١)

(١) كذا فى جذوة الاقتباس . وفى ط م : « ومذنب أبهره آخره » . وهو
تحريف .

ما شَرَفَ النَّسَبَ إِلَّا الثَّقَى ابن تميم الأنسُ الفاخرة
 مَنْ يَطْلُبُ الْعَرْزَ يَغَيِّرُ الثَّقَى ترجعُ عنه نفسه دَآخِرُهُ^(١)
 أَعْرِضْ عَنِ الدُّنْيَا تَكُنْ سَيِّدًا بل مَلِكًا فِيهَا فِي الْآخِرَةِ
 وَبَيْتُ الْعَرْزَيْنِ^(٢)، الَّذِينَ مِنْهُمْ صَاحِبُ الْإِشَادَةِ بِسَبْتَةِ — أَعَادَهَا اللَّهُ^(٣) —
 مشهور، وكانت لهم الرياسة بها مدة، ثم أعقب الدهرُ جدَّتها باليلي، ثم كل
 شيء. فإن، ولا يبقى إلا الواحد الذي ليس معه في ملكه ثان.

بيت العززين
 أصحاب سبته

وأبو القاسم منهم هو الذي تأمَّرَ ورأس سبته. وهو أبو القاسم محمد بن القاضي
 المحدث أبي العباس أحمد بن محمد بن الحسين، بن الفقيه الإمام علي (المعاصر لابن
 أبي زيد)، بن محمد بن سليمان بن محمد، الشهير بابن أبي عَرَفَةَ اللُّخَمِي. ينتهي نسبهم
 إلى فَاوُسَ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ الْمَذَرِ. وكان قيامه بسبته ليلة سبع وعشرين من رمضان،
 من عام سبعة وأربعين وست مئة، في دولة المُرْتَضَى الخليفة بِمَرَاكُشَ، وقَتَلَ
 وإلى سبته أَبَا عَمَّانَ بْنِ خَالِدِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وملك طنجة، ودخل أَصِيلاً^(٤)، وهدم
 سورها، وتُرُقِيَ بِسَبْتِهِ يَوْمَ الْخَمِيسِ الثَّالِثَ عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ عَامِ سَبْعَةٍ
 وَسَعِينَ وَسِتْ مِئَةٍ وَلِهَ سَعُونَ سَنَةً. وكانت دولته ثلاثين سنة وشهرين
 وستة عشر يوما، من شَهَدَةِ^(٥) بين كنفه، مرض بها واحدا وعشرين يوما،
 وكان مولده بسبته في منتصف شوال عام سبعة وست مئة.

أبو القاسم العزقي

- (١) كذا في م. وفي ط وجذوة الاقياس: «دائرة».
- (٢) ضبط اللفظ «العزقي» في الجزء الأول يسكون الزاى. والصواب فتحها،
 فإبصح.
- (٣) يدعو المؤام لمدينة سنة أن تعود إلى يد المسلمين، لأنها كانت قد سقطت في يد
 الأسيان عد تأليفه هذا الكتاب.
- (٤) مدينة بالقرب قرب طنجة، ويقال فيها أيضا: أزبلا. وليس بعد الهزنة ألف
 (انظر كتاب العروس في مادة أسبل).
- (٥) الصيغة بلسان المغاربة: دمل كبير، ولعله ما يسمى الآن في مصر بحجرة السكر.

بعض تأليف أبي
القاسم العزفي

وهو الذي أكل « الدر المنظم » ، في مولد النبي للعظم ، من تأليف أبيه أبي العباس رحمه الله .

ورأيت على نسخة كتبت في حياته أول الكتاب المذكور ما نصه :
قال سالك سنن الشئنة ، القائم من أعمال البر بما يضيق عنه وسع المنة ، المعتصم
بجبل الله القوي المتين ، المعتمد على لطفه الشامل وفضله العميم المبين ، الشيخ
الفقيه الأجل ، العلم الأكل ، أبو القاسم بن الشيخ الفقيه الإمام ، العارف العالم ،
علم العلماء العاملين المتقين^(١) ، ونخبة الفضلاء الصالحين المتقين ، أبي العباس
أحمد بن الشيخ الفقيه القاضي العالم الحديث ، أبي عبد الله اللخمي ، ثم العزفي ،
من أهل سبته حرمها الله ، وأجزل قسمه من عفوه ورضاه ، وأنجح عمله وقوله
وقصده . وجعل في ذاته وسبيل مرضاته صدوره وورده . انتهى .

وفي موضع آخر من هذه النسخة ما نصه :

السفر الأول من كتاب « الدر المنظم » ، في مولد النبي للعظم ، صلى الله
عليه وسلم ، وشرف وكرام .

لتأثير في تأليفه ، ومات ولم يكمله الشيخ الفقيه الصالح ، علم العلماء ، ونخبة
الصالحين الفضلاء ، أبو العباس أحمد ، بن الشيخ الإمام الفقيه ، الصالح القاضي ،
العالم الحديث ، المقدس المرحوم ، أبي عبد الله اللخمي ، ثم العزفي السبتي ، رحمه الله ،
ورضى عنه ، ونشر وجهه ، وأجزل ثوابه ، أكمله بعده ، وأوضح فيه قصده ، ابنه
الشيخ الفقيه الأفضل ، العلم الأوحد ، السقي السبتي ، المبارك الأكل ، أبو القاسم ،
أدام الله عافيته ووقفه ، وشرح صدره ، وختم بالكتاب والسنة ديوان عمله [١٩٧]
الصالح وعمره ، يذكر فيه بعض ما خص الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وس .

(١) في ط : « السندين » .

وفضله على كل من تأخر من خلقه أو تقدم ، وما امتن به عليه وعلى أمته ، في أن جعله أفضل الأنبياء ، وجعلهم أفضل الأمم ، من بين ولد آدم ، ليتخذوا مولده الكريم موسماً ، يتركون^(١) به ما كانوا يقيمونه من أعياد النصارى وعوالمهم ، التي يجب لغانيها أن تمطّل ، ولبيانها أن تهتّم . انتهى .

وكان الرئيس أبو القاسم المذكور كتب خطه بالإجازة في هذا الكتاب للخطيب أبي علي ، بن الخطيب أبي فارس بن غالب الجُمُحِيّ ، مع جماعة من أهل سبّنة وأعيانها ، حين قرءوه عليه بالجامع الأعظم من سبّنة ، في شهر ربيع الثاني ، من عام سبعة وخسين وست مئة ، فائلاً :

أُجِزَتْ له بحق روايتي لما فيه عن أبي ، ومشاركتي له في تأليفه ، على حكم الإجازة وشرطها ، وصحة الرواية ، عاشرَ الربيع المذكور . انتهى ، وبعضه بالمعنى . ونسبتهم إلى لُحْم لا تدفع فيها عند الثقات ، وبذلك وصفهم الأكابر ، غير أن ابن الخطيب في الإحاطة ، نقل عن « الكتاب المؤمن » ، في أنباء أبناء الزمن « مانصه : وتزعم بعض أهل سبّنة أن أصلهم من محكة من البربر ، فيقولون : ما للُحْم ومحكة ؟ وهذا موكول إلى فائله ، إذ لا نعلم حقيقة الأمر فيه . نعم ، الإنصاف في المسألة أن كل من عُرف بالأصالة في المغرب الأقصى ، ولم يُعلم لآبائه قدوم من التشريق ، حيث جرائم العرب ، ولا قدوم من الأندلس ، حيث أبناء العرب ، وانتسب مع ذلك إلى قبيلة^(٢) ، فلا بد له من الاستظهار على ذلك ، وإلا كان ما أتى به مَظَنَّة لأحد أمرين : إما لكون سلفه من الموالي ، فانتسبوا إلى ساداتهم ، إذ يجوز لمن كان مَوْلَى عَرَبِيٍّ أن ينتسب إلى قبيلة سيده ؛ وإما للكذب . وهذا أعدل ما يقال . انتهى .

[٤٩٣]

نسبة الغزيين
إلى لُحْم

(١) في ط : « يتركون » . (٢) في الأصلين : « قبيلة العرب » ، وظن أن كلمة العرب هنا زيادة من النساخ ، أو أن الأصل « قبيلة من العرب » .

وقوله في الإحاطة في ترجمة الفقيه الم شارك في الطلب والأدب ، أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن أبي عزقة الأحمسي ^(١) . وإلى الله ترجع الأمور .

وكان الرئيس الفقيه أبو القاسم القزقي المذكور فقيها أصوليا ، نحويا ، لغويا ، محدثا ، عارفا بالرواية ، شاعرا ، مجيدا .

فمن نظمته في آل بيت المصطفى صلى الله عليه وسلم :

ذُرِّيَّةُ المصطفى إِنِّي أَحِبُّكُمْ وَحُبُّكُمْ واجب في الدين مُتَعَرِّضُ
فليس يُبْغِضَكُمْ ، لا كان ياغُضُّكُمْ ، إلا اسرُّ مارق في قلبه سررض
وحُبُّكُمْ شرفاً في الدهر أنسِكُمْ خَيْرُ البرية هذا ليس يُعْتَرَضُ
وَأَنْتَ ^(٢) أطلب من حبى لكم ثمنا إلا الشفاعة فهي السؤل والغرض

ولما توفى رحمه الله تعالى قام بعده بالأمر ابنه أبو حاتم أحمد ، ثم خُلع
وتولى أخوه أبو طالب عبد الله ، في سنة ثمان وسمعين وست مئة ، وخُلع ليلة
الأربعاء السابع والعشرون من شوال سنة خمس وسميع مئة ؛ فكانت دولته
سبعاً وعشرين سنة ، وتوفى بهاس مخلوعاً عام ثلاثة عشر وسميع مئة ، وله خمس
وسبعون سنة . والذي خلعه الأمير فرج بن إسماعيل بن يوسف بن الأحمر ^(٣) ،
دخل عليه سبعة عتوة في الليلة المذكورة ، وقبض عليه .

ثم تولاها الأمير يحيى بن الأمير أبي طالب ابن أبي القاسم ، ويكنى أبا عمر ،
ويوبع بسبقة عام عشرة وسميع مئة ، وخُلع في سنة إحدى عشرة وسميع مئة ،
وكانت دولته الأولى هذه سنة وستة أشهر . ويوبع ثانياً بسبقة في سنة أربع

(١) بحثنا عن هذه الترجمة في جزأى الإحاطة المطبوعين بمصر سنة ١٣١٩ فلم نجد
فيها ترجمة لأبي إسحاق إبراهيم القزقي .

(٢) في الأصلين : « وليس » .

(٣) في ط : « أحمد » وهو تحريف (انظر الاستقصا لسلوى ص ٥٤ ج ٢) .

عشرة وسبع مئة ، وتُوُفِّيَ بها في ظهر يوم السبت السادس لشعبان سنة تسع عشرة وسبع مئة ، وكانت ولادته بها في رمضان سنة سبع وسبعين وست مئة . وكان قتيها فاضلاً ، جميل الوجه ، شجاعاً ، بطلاً ، عارفاً بالأصول ، والفقه ، والمنطق ، والعربية ، واللغة ، والحديث ؛ وقيل أنه أول من ركب بالرمح والسيف من بني العزقي ، [٤٩٤] وجند الجنود .

محمد بن يحيى
العزقي

ثم ولي بعده ابنه أبي القاسم محمد بن يحيى ، ويومع بعد أبيه في شعبان ، من عام تسعة عشر وسبع مئة . وخُلِعَ في صفر سنة عشرين وسبع مئة ، فكانت دولته سنة أشهر ، وتُوُفِّيَ بفاس وهو كاتب الحفصة الترينية ، ليلة السبت حادي عشر صفر ، عام ثمانية وستين وسبع مئة ، وله ثمان وستون سنة . وولد بسبعة في شوال ، عام تسعة وتسعين وست مئة . وكان قتيها شاعراً مكثراً ، مليح الفكاهات ، وشاحاً ، وقد تَرََّاهُ أهل رماه في الموشحات ؛ وقد حُكِيَ عنه أنه أراق الدواة في محفل جليل ، فقال بديهة :

ألا يا كرام الناس غصوا بجمونكم فأنى من العمل القبيح مُرِيبٌ
هَرَفْتُ دَوَاةً وهي كالنكاس بينكم والأرض من كأس الكرام نصيبٌ
وكان مؤامراً في نظمها بالقورية .

وعزم السلطان أبو عنان لما أخذ قسطنطينة على استعماله بها ، فبكي لبعد الشقة عن ولده وبلده ، فتركه . وهو آخر المذكورين من هذا البيت . رحم الله الجميع . وصاحب الإشادة المتقدم الذكر ، هو عم أبي القاسم محمد بن يحيى هذا ، لأن صاحب الإشادة كما أسلفنا ، هو عبد الرحمن بن أبي طالب عبدالله بن محمد بن أحمد ابن محمد بن أحمد ، وهذا محمد بن يحيى بن أبي طالب عبد الله بن محمد بن أحمد . وقد عَرَفَ في إشادته بابن حَبَّازة ، ورأيت أن أذكر بعض ذلك ، فنعول :

صاحب الإشادة
من بني العزقي

تعريف الإشادة
بابن حَبَّازة الشاعر

هو أبو عمرو ميمون بن علي بن عبد الخالق الخطاطي ، نسبة إلى قبيل من صنهاجة ،
الذي مقطر فاس ، ويعرف ابن خبّازة ، نسبة إلى خاله الشاعر المشهور بابن خبّازة .
عرف به أبو عبد الملك الراكشي فقال : كان بارع الخط ، وكان من أكبر
أعاجيب الدهر في سرعة البديهة ، ناظما أو ناثرا ، مع الإجابة التي لا تجارى ،
والضغن في أساليب الكلام ^(١) مغرّبه وهزله ^(٢) ، على اختلاف اللغات . تطوّر ^(٣)
كثيرا وتوصف ، ونسك ووعظ ، وكان في آخر عمره جانحا إلى امتداح ملوك
عصره ، فكان يأتي في ذلك بما لم يُسمع بمثله ، ولا يُطمع في لحاقه ، بسرعة
ارتجال ، وحسن افتنان ، ومُترعة امتثال ، وله في ذلك ^(٤) أخبار غريبة عريقة . [٤٩٥]
وولي بأخرة حشبة ^(٥) الطعام بمراكش .

وذكره أبو عبد الله بن الأثير ^(٦) في التذخنة ، فيمن لم يجد له غير الهباء ،
وغله ، كما أثبت أبو بكر بن رفاعة الشريشي ، وقد شهد فيه في كتاب التكملة له ،
بما يخالف ذلك ، وكناه أبا سعيد ، وذكر أنه لقيه بأشبيلية ، وسمع منه بعض
كلامه في غير ذلك بمآله ، وتوفّي برباط الفتح ، في أول سنة سبع وثلاثين
وست مئة .

وأنشد له من قصيدة :

وَجَسَدُ الثَّبَوَةِ خُلَّةٌ مَطْوِيَةٌ لَا يَسْتَطِيعُ الْخَلْقُ نَسْجَ مِثَالِهَا
فَأَسْرَّ حَسَوًا فِي ارْتِقَادٍ يَبْتَنِي بِمَجَالِهِ نَسْجًا عَلَى مِثْوَالِهَا
وذكر أنه قالها بمراكش . انتهى .

- (١ - ١) كذا في ط . وفي م : « مرة وهزلية » ، وفي حدوده الاقياس والنبوغ
المفرق : « هزله وحده » . (٢) في الأصلين « تطورا » .
(٣) في ط : « أمثاله في ذلك » . وفي م : « أمثال في ذلك » ولعله عرف مما أثبتناه ،
يريد أنه سريع تصور المعاني
(٤) كذا في حدود الاقياس والنبوغ . وفي م : « مشبعة » ، وفي ط يابض في
هذا الموضع . (٥) كذا في م ، وفي ط « أبي » ثم يابض بعدها بسم كلمتين .

قال صاحب الإشادة: قال هذه القصيدة^(١) في المأمون بن المنصور ، حين
تبرأ من إمامهم المهدي ، وأبدى مساوية^(٢) ، وأسقط اسمه من الخطبة ، وهو المعنى
بقوله : « وَجَدَ الدُّيُوتُ حُلَّةَ مَطْوِيَّةٍ » .

وقد كتب عن أبي عمرو هذا كثيراً من شعره أبو عمرو بن سالم بن صالح
النهرواني الساقى ، الأديب المقيد الضابط ، وتاريخ إجازته إياه سنة أربع
وست مئة ، ومات ابن سالم قبله بست عشرة سنة .

ومن شعره ، أى أبي عمرو المذكور ، يرى أبا محمد عبد الله بن أحمد بن محمد
ابن عبد الملك ، بن الحافظ أنى بكر بن الجعد ، ويعزى إياه عنه ، وهو يومئذ وزير
إشيعيلية وعظيما ، وكانت حينئذ حاضرة الأبداس :

أصيده في رثاء
ابن الجعد

أرَجَّه الصَّعَقُ يَوْمَ النَّفْخِ فِي الصَّوْرِ أَمْ دَكَّةُ الطُّوْدِ يَوْمَ الصَّعَقِ فِي الطُّوْرِ
أَمْ هَذَبَتِ الْأَرْضُ إظهاراً لِمَا زَجَرَتْ به الخليفة من إيقاع محذور
أَمْ السَّكْوَاكُ فِي آفَاقِهَا انْتَثَرَتْ وبانت الشمس في طلي ونكوير
مَا لِلنَّهَارِ تَعَرَّى مِنْ ثِيَابِ سَقَى وَأَشْبَهَ اللَّيْلَ فِي أَنْوَابِ دَجْجُورِ
قَدْ كَانَ لِلشَّمْسِ طَرْفُ زَاوَاهِ بَلَقَ فَتَقَسَّمَ الْخَلْقَ بَيْنَ الدَّجْنِ وَالنُّورِ
فَمَا الدُّيُوتُ الَّذِي غَشَى بِدُمُومِهِ أَدْبَاهُ عَنْبَرًا مِنْ بَعْدِ كَافُورِ
أَصْبَحَ لَتَسْمَعَ مِنْ أَنْبَاهِهَا نَبَأً يَطْلُو مِنْ الْأُنْسِ فِيهَا كُلُّ مَنْشُورِ
وَانْظُرْ فَإِنَّ بَنَى عَدْنَانَ مَا حُسِرُوا إِلَّا لِرُزْهِ عَظِيمِ الْقَسْرِ مَشْهُورِ
وَأَقَى مَعَ الْعَمِيدِ لَا عَادَتُ مَنَاضِيهِ فَشَابَ سَلْسَالَهُ الْأَصْفَى بِتَكَدِيرِ
وَأَعْتَمَ دَارًا لَهَا فِي السَّبْقِ جَهْرَةً مِنْ لِلْفَاخِرِ أَرْزَتْ بِالْجَاهِشِيرِ

[٤٩٦]

(١-٢) تكرر ذكر هذه العبارة في طها وقبل البيتين مباشرة ، فأبينا العبارة
مرة واحدة كما في م .

رى قُرَيْشًا فَأَصْنَى سَهْمُ حَادِثِهِ
أَبْنَاءَهُ فَيُفَرِّقُ بِتَفْرِيقِ الْمَقَادِيرِ
نَغَانِهَا الْعَدَى فِي ابْنِ الْجَدِّ حِينَ فَضَى
وَأَثَرُ الْخُطْبِ فِيهَا أَيْ تَأْثِيرُ
لِلَّهِ وَالْجَسَدِ مَا أَبْقَاهُ مِنْ أَنْزَرِ
أُخْرَى الْآيَالِي بِطَيْبِ الذِّكْرِ مَا نُورِ
نُورُهُ عِنْدَمَا رَأَتْ بِدَوْحَتِهَا
أَهْوَتْ إِلَى الْقَرَبِ مِنْ بَيْنِ الدَّوَابِرِ
جَارِ الدُّوَلِ عَلَيْهَا بَعْدَمَا مَلَأَتْ
مَعَاطِسُ الدَّهْرِ مِنْ طَيْبٍ وَتَعَطِيرِ
وَسِيءِ بَأْسِ الْكُسْرِ الْخُطْبِ أَغْدَهُ
صَرَفُ الْحَوَادِثِ فِيهَا بَعْدَ تَكْسِيرِ
قَضَى فَوَافَقَ شَهْرَ الصَّوْمِ سِرْحَلَا
وَوَافَقَ الشَّهْرَ فِي فَصْلِ وَتَطْهِيرِ
وَاخْتَارَهُ خَاطِبُ الْخُطْبِ لِلْمَلِكِ بِهِ
لِلصَّهْرِ كُفْتًا فَأَمَضَى الْعَقْدَ لِلْحَوْرِ
فَسَارَ لِلْحَيِّينِ مَسْرُورًا وَخَلَفْنَا
لِلْحُزْنِ قَاعِجِبَ لِحُزُونٍ بِمَسْرُورِ
نَادَتْهُ أُنْجَشَةُ الْأَحْزَانِ يَوْمَ حِدَا
أَطْلَعَتْ قَلْبِي رِقْقًا بِالتَّوَارِيرِ
فَالْوَجْدُ وَالْدَمْعُ مِنْ حُزْنٍ قَدْ انْقَسَا
قَلْبِي وَجَنَيْتِي بِمَنْظُومٍ وَمَنْشُورِ
فَاتَّقِيبُ بِالْفَيْظِ فِي تَصْعِيدِ مُسْتَعْرِ
وَالْجَفْنُ بِالْأَيْضِ فِي تَصْوِيبِ مَعْلُورِ
وَسَائِقُ الْخُطْبِ يَشْدُو الْخَامِلِينَ بِهِ
يَسُوقُهُمْ سَوَاقِ حَادِي الْغَيْرِ لِلْعِيرِ
وَالْعَمَلَانِ فِي آفَاقِهِمَا زَجَلِ
قَدْ شَبَّعْتَهُ بِتَهْلِيلِ وَتَكْسِيرِ
أَثْنَى الْمَصَابِ عَلَى شَيْخِ الْجَزِيرَةِ فِي
عَقْدٍ وَحَلٍّ وَتَقْدِيمِ وَتَأْخِيرِ
وَهِيَ طَوِيلَةٌ جِدَا ، وَمِنْهَا :

مُقَدَّمَاتُ الْآيَالِي طَالَمَا نَسَحَتْ
نَفَاحُ الْقَدْرِ مِمَّا كُلُّ مَغْرُورِ
جَمْعُ السَّلَامَةِ مَعْدُومُ الْوُجُودِ بِهَا
وَكَمْ بِهَا لِلرَّذَى مِنْ جَمْعِ تَكْسِيرِ
وَعَامِلُ الْمَوْتِ قَدْ أَحْصَى مَهْنَدُسُهُ
مَنْزِلُ الْعَمْرِ عَدَا دُونَ تَكْسِيرِ^(١)
وَالْأَرْضُ طَرَسَ وَهَذَا التَّخَلُّقُ أَحْرَفُهُ
وَالْحَرْفُ مَا بَيْنَ مَحْوٍ وَمِيتُورِ

(١) لم نجد هذا البيت في جذوة الانقباس ، مع أنه روى اللعبيدة كاملة .

والدهر يُعْرَبُ بالأفعال يُظهرها طَوْرًا وَيُعْجِمُ منها كل مسطور [٤٩٧]
 وإِنَّمَا الخلقُ أَسَاءُ تعاوَرَهَا إِعْرَابُهُ بَيْنَ مَرْفُوعٍ وَمَجْرُورٍ
 وكلهم في مَدَى الأعمار تحسبهم كَحَالِهَا بَيْنَ مَمْدُودٍ وَمَقْصُورٍ
 والموتُ مِثْلُ عَرُوضٍ يَنْقَطِعُ مِنْ أَيْدِي الْفَاسِدِينَ مِنْ إِبْرَامٍ تَقْدِيرِ
 يَأْمَنُ يَوْمَلُ أَنْ يَبْقَى وَقَدْ نَفِصَتْ^(١) هَذِي الْحَقِيقَةُ لَا مَا حَذَّنْتُكَ بِهِ
 لَا تَحْذَرْنَكَ الْآلِيَالِي إِنْ فَتَنَتْهَا كَادَتْ فَكَادَتْ تَرِينَا كُلَّ مَحْدُورٍ
 كَمَا بَادَتْ^(٢) بَعُيُوسِ الْخَطْبِ مِنْ تَلَكَّ قَدْ^(٣) بَاتَ بِالْبُشْرِ وَضَاحَ الْأَسَارِيرِ
 سَائِلُ بِكُسرِي مَلِيكَ الْفَرَسِ هَلْ تَرَكْتُ لَهُ الْغَايَا حَنَاحًا غَيْرَ مَكْشُورٍ
 وَأَنْزَلَ بِصَنْعَاءٍ فِي قَصْرِ إِبْنِ ذِي بَرَزَيْنٍ تُلْهِمُ بِقَهْرِ عَلَى الْأَغْيَارِ مَنُصُورٍ
 وَاعْبُرْ عَلَى حَسِيرَةِ الدُّعْمَانِ مَمْتَبِرًا تَعْبُرُ بِأَطْلَالِ نَعْمَى ذَاتِ تَغْيِيرِ
 وَأَيْنَ مِنْ كَانَ سَجْنُ الْجِنِّ فِي يَدِهِ وَالْإِنْسُ وَالْجِنُّ فِي قَهَرٍ وَتَسْخِيرِ
 وَأَيْنَ تَحْتَرِقُ الدُّنْيَا بِعَزْمَتِهِ يَطْلُوِي السَّلَادَ بِهَا طَلَى الطَّوَامِيرِ
 بَادُوا فَلَيْسَ بِهَا بَادٍ يَحْسُ بِهِ مَهْمٌ وَأَفْزَاهُمْ رَيْبُ الدَّهَارِيرِ
 هُوَ التَّضَاءُ أَبَا بَكْرٍ أُصِيبَتْ بِهِ فَاصِرٌ وَسَلَّمَ لَهُ تَسْلِيمَ مَاجُورِ
 وَاللهُ يَحْرُسُ دُنْيَاكُمْ وَيُدْفَعُ عَنْ سَامِي مَعَالِيكَ أَنْوَاعَ الْخَازِيرِ

وله في لحي بن الناصر للوحدي
 وحكي أن العتصم يحيى بن الناصر بن المنصور الموحدي ، ضرب بظاهر
 مراكش قبة حراء ، فبادر إليها العرب والنصارى من عسكره المأمون ؛
 فتنطقوا أطناها ، فسقطت ، فقال في ذلك أبو عمرو هذا من قصيدة :

(١) كُفَا فِي م وَجُذُوءِ الْإِنْتِبَاس . وَفِي ط : « وَكَمْ » .

(٢) فِي ط : « بَاكَرَتْ » . (٣) فِي ط : « وَكَمْ » .

أُنْظِرْ إِلَى الْقَبْصَةِ الْحَرَاءِ ساقطةً لما رَأَتْ مُضَرَّ الحَرَاءِ عَنْ كَثْبِ
 مِنْ كَانَ أَوْلى بِهَا إِنْ كُنْتَ ذَا بَصَرٍ الْعُجْبُ أَوْ مُعَدِّنِ الْعُلْيَا مِنَ الْعَرَبِ
 وَإِنَّمَا سَجَدْتُ لِمَا سَمِعْتُ وَغَدْتُ فَوْقَ الضَّلَالِ وَكَانَتْ أَعْجَبَ الْعَجَبِ
 وَمَنْ رَاقٍ نَظْمُ أَبِي عَمْرٍو قَوْلُهُ :
 هَبِ التَّسْبِيحَ ضَعْنِي فَفَاحَ الْمَسْدَلُ وَتَأَزَّجْتُ مِنْهُ الْقَبَا وَالشَّمَالُ
 أَسْرَى عَلِيًّا^(١) فَاسْتَحَثَّ إِلَى الصَّبَا صَبًّا بِأَنْفَاسِ الصَّبَا يَتَعَلَّلُ
 يَهْوِي التَّذِيرَ^(٢) وَسَاكِنِيهِ وَمَنْ لَهُ لَوْ كَانَ يَدُونُ مِنْهُ ذَاكَ الْمَنْزِلُ
 مَا شَامَ بَرَقًا بِالْفَضَا إِلَّا أَنْبَرَى شَوْفًا عَلَى جِوَارِ الْقَضَى يَتَمَلَّلُ
 وَالْبَرْقُ فِي تَفْعِ السَّحَابِ سَيْفُهُ سَيْفُ السَّكِيِّ إِذَا بَكَرُ وَبَحِيلُ
 فَكَأَنَّ ذَاكَ الْبَرْقَ وَاشِيَ قَدْ مَشَى بَغِيْمَةً وَالرَّعْدَ لَاحِ يَفْزِلُ
 وَأَنَا الْفِدَاءُ لَجِيرَةٍ نَزَلُوا الْحِمَى وَرَحِمَى الْقُلُوبِ هُوَ الْحِمَى وَالْمَنْزِلُ
 وَتَحَلَّلُوا يَوْمَ الْفِرَاقِ وَإِنَّمَا بَقُلُوبِنَا يَوْمَ الْفِرَاقِ تَحَلَّلُوا
 قَبَسُوا وَمِنْ قَلْبِ الْمَذْذَبِ مَوْقِدُ وَرَدُّوا وَمِنْ جِفَنِ الْمَقَى مَهَلُ
 مَا ضَرَمَهُمْ إِذْ أَعْرَضُوا لَوْ عَرَضُوا لِلْوَصْلِ أَوْ ذَكَرُوا الْعَهْدَ فَأَقْبَلُوا
 كَحَلُّوا الْجَمَالَ عَلَى الْجَمَالَ كَأَنَّمَا أَفْلَاكُهَا مِنْهَا الْأَهْلَةُ تَسْكُمُ
 أَبَدْتُ لَنَا حَلِّيَ الطَّلَى وَتَبَسَّمْتُ زَهْرًا فِرَاقٍ مُقْلَدٌ وَمُقْبَلُ
 وَمِنْ الْعَجَائِبِ أَنْ أَهْمِمَ بِجَنَّةٍ حَاطَتْ بِقَابِي وَهُوَ نَارٌ تُشْمَلُ
 وَبِهَانَ مُرُوسْلٍ نَاظِرِي فِي حَبَا وَمِنْ التَّنَاصُفِ أَنْ يَبْعَثَ الْمُرْسَلُ

[٤٩٨]

ومن شعره رحمه الله تعالى هذه القصيدة الفريدة ، التي مدح بها المصطفى
 صلى الله عليه وسلم ، وأشار إلى جملة من مناقبه الزبانية ، ومآثره العرفانية ، وآياته

(١) في جفوة الانقباس : « أبرا عليلا » . (٢) مكان نز .

الباهرة، ومعجزاته الظاهرة، صلى الله عليه وسلم، وشرف وكرم، ومجد وعظم، وبارك وأنتم، ونحن وترحم، وهي قوله:

حَقِيقٌ عَلَيْنَا أَنْ نَجِيبَ الْمَعَالِيَا ^(١) أَنْفَعِي فِي مَدْحِ الْحَبِيبِ الْمَعَالِيَا
وَنَجْمِ أَشْتَاتِ الْأَعَارِضِ حِسْبَةً وَنَحْشُدَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ الْقَوَائِيَا
وَنَقْتَادَ لِلْأَشْعَارِ كُلِّ كَتِيبَةٍ لِنُصْرَ الْهَدَى وَالَّذِينَ رُئِيَ الْأَعَادِيَا
فَالْنُّ أَرْيَابَ الْبَيَاتِ صَوَارِمِ مَضَارِبُهَا تُنَمِّي السُّيُوفَ لِلْوَأَصِيَا
لِنُطْلِعَ مِنْ أَمْدَاحِ أَحَدٍ أَحْمَدًا تَلُوحُ قَتْلُوهُ مِنْ سَنَاءِ الْبَيَاجِيَا
كَوَاكِبَ إِيْمَانٍ تُغَيِّرُ قَبِيهَتُنِي بِأَضْوَائِهَا مِنْ بَاتٍ لِلْحَقِّ ^(٢) سَارِيَا
سَهَوْتُ بِمَدْحِ الْخَلْقِ دَهْرِي فَهَذِهِ سُجُودِي لِحَبْرِي كُلِّ مَا قَلَّتْ سَاهِيَا
فَلَا مَسْذُحَ إِلَّا لِلَّذِي بِمَدْحِهِ تُطْعِمُ إِذَا مَا كُنْتُ بِالْمَدْحِ عَاصِيَا
رَسُولِ بَرَاهِ اللَّهِ مِنْ صَفْوِ نُورِهِ وَأَلْبَسَهُ بُرْدًا مِنَ الثَّوْرِ ضَافِيَا
وَمَا زَالَ ذَاكَ النُّورُ مِنْ عَهْدِ آدَمَ يُبَيِّرُ بِهِ اللَّهُ الْعُصُورَ الْخَوَالِيَا
قَرَى فِي ظُهُورِ الطَّيِّبِينَ بِصُورِهِ وَدَبَّعَ سَرَّ صَارَ بِالْبَعَثِ فَاشِيَا
وَحَصَنَ بَطُونَ الطَّيِّبَاتِ بِحِمْلِهِ لِيَحْمِلَنَّ قَرْعًا بِالسِّيَادَةِ زَاكِيَا
بِهِ وَزَنَ اللَّهُ الْخَلَائِقَ كُلَّهُمْ فَأَنَاءَ فِيهِمْ رَاجِحَ الْوِزْنِ وَافِيَا
وَأَنَّهُ—ذَنَا مِنْ نَارِهِ بِظُهُورِهِ وَلَوْلَاهُ كَانَ الْكُلُّ بِالْشَّرْكِ صَالِيَا
وَأَدَمَ لَمَّا خَافَ يُعْزَى بِذَنْبِهِ تَوَسَّلَ بِالْخُتَارِ قُدَّ دَاعِيَا
فَنَابَ عَلَيْهِ اللَّهُ لَمَّا دَعَا بِهِ وَأَذْنَاهُ مِنْهُ بَعْدَ مَا كَانَ نَائِيَا
وَقَدْ يَهْجُرُ الْحُبُوبَ فِي حَالَةِ الرِّضَا وَيَأْبَى الْهَوَى أَلَّا يُصَدِّقَ وَاشْيَا

[٤٩٩]

(١-٢) كذا في جفوة الانقباس. وفي ط: «لنفي في حق» وفي م: «لنفي من

حق». (٢) كذا في الأصلين. وفي جفوة الانقباس: «بالجد».

«وعين الرضا عن كل عيب كليله ولكن عين السخط تبدي المساويا»^(١)
 وأدرك نوحا في السفينة رعيه نخله إذ كان في الموج داعيا^(٢)
 وما زال سام وهو ناو بظهره على أخويه بالفضائل ساميا
 فخصص حتى بالمكان كرامة وأسكن في أعلى البلاد مراقيا
 وأنزل حام بالجنوب مجانيا^(٣) وبافت في أقصى الشمال مؤازيا
 وأنزل سام للفضيلة^(٤) وحده بأوسط معمر البلاد الأعاليا
 وبأدر جبريل الخليل لأجله ليحميه إذ أبصر الجمر حاميا
 ويخبر في وقت البلا بقمته فصادف وزد الخلة القذب صافيا
 فقال له : هل أنشأتني كفاية فجابه حشى بربي كافيا
 فكانت عليه النار بزدا كما أنى به وسلاما وهي نار كما هيا
 وجازاه في الإسماء عنها نبينا وألهمها فوق السموات ساريا
 فلما انتهى جبريل عند مقامه بحيث تلقى الأمر ألا تباديا^(٥)
 أشار على المختار أن سير فانه مقيم لأعدوه مادمت باقيا
 فناده يا جبريل : هل لك حاجة إلى الله فأسألك^(٦) لتعلمني الأمانيا
 فقال له : سله لأبسط رغبة على النار متى للمصاة جناحيا
 فدلني في أفق المهامه رفرف وزجج براق البرق في النور راقيا
 ومن أجله حصن الذبيح فداؤه وفي ظهري المختار أصبح ثاويا
 فداه بذبح عظم الله شأنه لأن كان دعرا في القرايس راعيا

(١) هذا البيت من مقطوعة لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، رواها البرد

في الجزء الأول من السكامل . (٢) في جدوة الانقباس : « جاريا » .

(٣) في ط : « مجانيا » . (٤) كذا في الجدوة ، وفي الأصلين : « ذو الفضيلة » .

(٥) في جدوة الانقباس : « بحيث يرى نورا وحجيا عواليا » .

(٦) كذا في جدوة الانقباس : وفي الأصلين : « نسألك » .

وَنَقَى بِعَبْدِ اللَّهِ حَامِلٍ فَضْلَهُ
لَدَيْكَ مَا قَالِ الرَّسُولُ مِنْهَا :
وَعَفَّ أَبُوهُ إِذْ دَعَتْهُ لِنَفْسِهَا
مَضَى وَلَتَاكَ النُّورَ بَيْنَ جَبِينِهِ
فَأَعْرَضَ عَنْهَا ثُمَّ سَارَ لِنَاسِهِ
وَعَادَ وَقَدْ أَدَّى أَمَانَةَ رَبِّهِ
وَمَرَّ عَلَى حَيٍّ الْفَتَاةَ فَنُودِبَتْ
فَقَالَتْ لِمَ قَدْ كَانَ ذَلِكَ مَرَّةً
أُرِدْتُ بِأَنْ أُعْطِيَ سَنَاءٌ وَقَدْ قَضَى
وَكَمْ طَالِبٍ مَا لَا يُنَالُ وَقَاعِدٍ
وَكَمْ شَاهَدْتُ مِنْ آيَةٍ أَمُّهُ بِهِ
رَأَتْ فِي مَعَالِيهِ مِرَافِقَ جَنَّةٍ
وَقِيلَ لَهَا بِشْرَاكِ فَرَبَّ بِخَيْرٍ مَن
وَحَفَّتْ بِهِ الْأَمْلاكَ فِي حِينٍ وَضَعَهُ
وَبَشَّرَ رِضْوَانُ الْجِنَانِ بِخَلْفِهِ
وَنَادَى مِنْ أَدَى الْعِزِّ طُوفُوا بِأَحْمَدٍ
بَدَا وَاضِعًا كَفِّهِ بِالْأَرْضِ رَافِعًا
وَأَعْوَلَ إِبْلِيسُ الْأَمِينُ وَقَالَ قَدْ
وَصَارَ إِلَى صَنْعَاءٍ شَيْبَةً جَدُّهُ

فَكَانَ بِذَلِكَ الْفَرَعِ الْأَصْلَ رَاقِبًا^(١)
أَنَا ابْنُ ذُبَيْحِيهَا يَعُدُّ الْعَالِيَا
فَتَاةً رَأَتْ نَوْرَ النُّبُوَّةِ غَادِيَا^(٢)
شُعَاعُ سَنَى يُغْنِي الْعَيُونَ الرَّوَانِيَا
وَكَانَ لَهُ الرَّحْمَنُ بِالْحِفْظِ وَاقِيَا
لَأَمْنُهُ وَعَسَدًا مِنَ اللَّهِ مَاضِيَا
هَلُمَّ تَصَادَفُ لَدَعُهُ الْحَيِّ رَاقِيَا
لَأَمْرٍ عَصَيْنَا فِي هَوَاهُ النُّوَاهِيَا
أَمِيرِي^(٣) بِهِ مِنْ كَانَ بِالْحَقِّ قَاضِيَا
سَعَادَتُهُ تُبْدِي لَهُ السُّؤْلَ دَانِيَا
يَصِيرُ بِهَا جِيدُ الدِّيَانَةِ حَالِيَا
فَصَدَقَتْ الْأَثَارُ مِنْهُ الْمَرَانِيَا
يُرَى فَوْقَ أَكْنَافِ الْبَسِيطَةِ مَاشِيَا
بَلِيلَةً إِفْضَالَ تَزِينِ اللَّيَالِيَا
فَفَتَحَ^(٤) جَنَاتِ النِّعَمِ الثَّمَانِيَا
جِهَاتِ الدُّنَا طُرًّا وَمُحْمُوا النُّوَاهِيَا
بِمِيزَانِهِ نَحْوِ الْأَفْقِ بِالطَّرْفِ سَامِيَا
يَنْسَتُ وَقَدْ مَا كُنْتُ لِلْكَفَرِ رَاجِيَا
خَلَّ مَحَلًّا لِلْوَفَادَةِ قَاضِيَا

(١) كَذَا فِي الْجُذُوءِ . وَفِي ط : « وَأَيَا » . وَفِي م : « بَابِيَا » .

(٢) كَذَا فِي الْجُذُوءِ ، وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « غَادِيَا » .

(٣) فِي جُذُوءِ الْاِقْتِبَاسِ : « لَمِيرِي » . (٤) فِي ط : « يَفْتَحُ » .

وَحَيًّا بِمَدَنَ ابْنِ ذِي يَرْزَنَ بِهَا
قَصْرُهُ دُونَ الْوُفُودِ وَحَصْرُهُ
وَقَالَ لَهُ إِنَّا وَجَدْنَا بِكُنْتِنَا
يَمُوتُ أَبُوهُ ثُمَّ تَهَلَّكَ أُمُّهُ
وَقَالَ لَهُ وَالْبَيْتِ ذِي الْحُجُبِ زَارُهُ
لَأَنْتَ عَلَى مَا يَقْتَضِي الْوَعْدُ جَدُّهُ
وَقَالَ لَهُ احْفَظْ مَا أَقُولُ فَإِنَّهُ
وَقِيلَ هِرْقَلٍ إِذْ أَظْلَمَ زَمَانُهُ
وَطَالَعُ فِيهِ مُضْحَكُ الْأَفْقِ نَاطِرًا
فَلَمْ تَمُتْ فِي الْأَيَّامِ حَتَّى أَتَى لَهُ (١)
فَبَايَعَ عَنْهُ أَهْلَ مَكَّةَ سَائِلًا
وَأَتَى الْهَدْيَ لِمَا دَعَاهُ جَاهُهُ
وَوَزِدَ الرِّضَا لَا يُهْتَدَى لِسَبِيلِهِ
وَأَيُّوَانُ كَسَرَى أَرْتَجَ لَيْلَةً وَضَعَهُ
وَزَادَ بَرْوِيَا الْمُوَبَّدَانِ ارْتِيَاغَهُ
وَفَسَّرَهَا شِقِّ وَشَقِّ غُبَارَهُ
فَنَصَّا عَلَى إِرْسَالِ أَحْمَدَ مُنْعِيَتًا
وَأَتَّخَذْتَ النَّبِيرَانُ نِيرَانُ فَارِسَ
وَمَحَلَّ ذَاكَ الْحِلْمَ حِجْرَ حَلِيمَةٍ

وَهَمَّ بِالْمَلِكِ إِذْ عَادَ وَالْيَا
لِيَسْمَعَ قَوْلًا فِي الرِّسَالَةِ شَافِيَا
نَبِيًّا يُرَى مِنْ نَحْوِ أَرْضِكَ آتِيَا
وَيَكْفُلُهُ بَعْضُ الْعُمُومَةِ حَانِيَا
وُفُودَ الْوَرَى جَاءُوا إِلَيْهِ الْغِيَا
فَشَيْدَ بِهِ الْمَجْدَ مَا كُنْتَ بَانِيَا
سَيِّمَكَ أَرْضِي إِذْ رَأَى الْمَلِكُ وَاهِيَا
فَقَالَ أَرَى مُلُكَ الْخِطَانِ مُدَانِيَا
كَأَنَّ زَعْمَهُ يَسْتَشِيرُ الدَّرَارِيَا
كَتَابُ رَسُولِ اللَّهِ لِلْحَقِّ دَاعِيَا
وَكَانَ بِأَوْصَافِ النَّبِيِّينَ دَارِيَا
وَهَامَ قَلِيلًا ثُمَّ أَلْفَى سَالِيَا
فَقَرَّوَى بِهِ مَنْ كَانَ فِي اللَّهِ صَادِيَا
وَبَاتَ عَلَيْهِ قَصْرُهُ مُتَدَاعِيَا
فَأَذْهَلَهُ أَنْ يَسْتَبِينَ الْمَسَاعِيَا
سَطِيحٌ لِسَجْمِ قَصْرِ (٢) مَا كَانَ رَائِيَا
لَدَيْنَ الْهَدْيِ بِالرَّغْمِ لِلْكَفْرِ مَاحِيَا
وَكَانَتْ تَلْطَفُ أَلْفَ عَامٍ تَوَالِيَا
لَتَرْصَمَهُ دَرَّ الْفَضَائِلِ صَافِيَا

[٥٠١]

(١) كَذَا فِي جَدْوَةِ الْاَنْبِيَاءِ ، وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « حَتَّى أَهْبَهُ » .

(٢) كَذَا فِي جَدْوَةِ الْاَنْبِيَاءِ . وَفِي « فِيهِ » . وَالْكَلِمَةُ سَائِقَةٌ فِي ط .

أَبَى حَمَلُهُ النِّسْوَانُ لِلْيَمِّمْ وَأَنْبَرَتْ
فَعَلَّزَتْ بِهِ السَّبَقَ الْإِثْنَانُ كِرَامَةً
وَشَارِفُهَا إِذْ لَا تَبْيَضُ بِقَطْرَةٍ
وَفِي حَيْثُهَا وَأَمَّا جَبْرِيلُ فَاصْدا
فَشَقًّا بِهِ صَدَرَ النَّبِيِّ لَشَرْحِهِ
وَرَدَّاهُ فِي الْحَيْنِ التَّثَامَا فَمَا تَرَى
وَجَاءَ بِمَنْدِيلٍ وَطَسَّتْ لِيَفْضَلَا
وَعَادَ أَخُوهُ جَازِعًا مَخْبِرًا بِمَا
فَصَارَتْ بِهِ مِنْ حَيْثُهَا نَحْوُ أَثَمَةٍ
وَمَا زَالَ مَحْرُوسًا أَمِينًا . وَثَمَنَا
حَبِيبًا ^(١) وَفِيَّهَا خَاشِعًا مَتَوَاضِعًا
وَفِي سَيْرِهِ لِلشَّامِ شَامٌ بِقَرَبِهِ
أَكْبَرُ عَلَيْهِ فِي طَرِيقِ سَيْرِهِ
وَلَمَّا رَأَى تِلْكَ الْعَلَامَةَ لَمْ يَزَلْ
وَكَانَتْ بِهِ مِنْ غَلَّةِ الشُّوقِ عِلَّةٌ
وَقَصَصَتْهُ فِي ذِي التَّجَازِ وَعَمَّتْهُ
فَأَهْوَى وَلَا مَاءَ إِلَى الْأَرْضِ رَاكضًا
وَكَمْ بَانَ مِنْ مُسَرٍّ لِمُسَرٍّ بِهِ
فَكَانَ إِذَا اشْتَدَّ الْمَجِيرُ أَظْلَهُ

لَهُ فَرَأَتْ مِنْ حَيْثُهَا الرُّزْقُ نَامِيًا
وَأَخْضَبَ مِرْعَاها فَفَسَّاقُ الْمِرْعَايَا
فَصَارَتْ بِهِ نَجْمًا تَرَوَّى الصَّوَادِيَا
وَأَقْبَلَ مِيكَائِيلُ بِالْأَمْرِ تَالِيَا
فَكَانَ لَمَّا يُبْلَقُ لَهُ اللَّهُ وَاعِيَا
سِوَى أَثَرٍ مَا زَالَ لِلشَّرْحِ بَاقِيَا
بِمَاءِ الرِّضَا قَلْبًا عَنْ اللَّهِ رَاضِيَا
جَرَى مِنْ خَوْفٍ كَانَ لِلْأَمْرِ جَارِيَا ^(٢)
تَخَافُ عَلَيْهِ إِنْ أَقَامَ الْعَوَادِيَا
سَبِيحًا صَدُوقًا سَابِيحَ الْقَدَرِ عَالِيَا
كَرِيمًا حَلِيمًا يَسْتَفِيزُ الرُّوَاسِيَا
بُرُوقُ الْهُدَى مِنْ لَمْ يَكُنْ قَطُّ رَائِيَا
إِلَيْهَا بِحَيْرٍ لَهْلَهَى مَتَرَامِيَا
لَمَّا وَافَقَ السُّكُتَ الْقَدِيمَةَ بِأَكْيَا
فَسَاقٍ لَهُ اللَّهُ الطَّبِيبَ الْمُدَاوِيَا
بِهِ ظِلٌّ قَدْ صَيَّرَ السَّيْرَ قَانِيَا
فَقَبَّرَ يَنْبُوعًا مِنَ الْمَاءِ جَارِيَا
يَرُدُّ أَخَا مُسَكَّرِ الْقَوَايَا صَاحِيَا
تَحْمَامٌ عَلَيْهِ لَا يَزَالُ مَمَاسِيَا

(١) كَذَا فِي ط وَجُفُوهُ الْإِتْبَاسِ . وَفِي م : « رَاجِيَا » .

(٢) كَذَا فِي ط وَجُفُوهُ الْإِتْبَاسِ . وَفِي م : « حَبِيبًا » .

وَأَخْبِرُهُ تَسْطُورُ بُصْرَى بَيْمَتِهِ
وَبَغَضُ الْأَصْنَامِ الصُّلْطَى فُلْمِ
وَكُنْ بَرَى ضَوْأَ بُلُوحِ لَعِينِهِ
وَيَأْتِي حِرَاءَ لِلتَّعِيدِ^(٢) قَاصِدًا
وَيَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الْبَيُوتِ لَعْلَهُ
وَكُنْ رَأَى^(٣) اللَّهُ أَكْرَمَ خَلْقَهُ
وَأَسْرَى بِهِ لَيْلًا إِلَى حَضْرَةِ الْعُلَا
وَسَارَ عَلَى ظَهْرِ الْبُرَاقِ كَرَامَةً
وَلَمَّا أَنَاهُ الْوَحَى وَارْتَاعَ قَلْبَهُ
فَضَارَتْ بِهِ عَدَا خَدِيجَةَ زَوْجَهُ
وَكَانَ امْرَأً قَدِ مَارَسَ السُّكُتَ قَارِنًا
فِي شَرِّهِ أَنْ سَوْفَ يَطْلُعُ صُحْبُهُ
وَقَالَ لَهُ يَا لَيْفَى كُنْتُ حَاضِرًا
وَوَقْتُكَ إِنْ يَدْرُكَ زَمَانِي يَوْمَهُ
وَأَيَّتُهُ فِي النَّارِ إِذْ نَزَلَا بِهِ
وَقَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ الْحَسَامَ لِبَابِهِ
فَبَاضَ عَلَى الْقَوَارِ الْحَامُ وَشَدِيدَتْ
فَدَافِعَ عَنْ صَدِّيقِهِ وَرَسُولِهِ
وَكَمْ أَقْبَرُ خَصَتْ سُرَاقَةً إِذْ مَشَى

(۳) هذا البيت مأخوذ من قول مجنون ليلي :
وأخرج من بين البيوت ليلي
(۴) كذا في م وجفوة الاقتباس . وفي ط : « براه » .

فشاهد آثاراً من الخسف كاذ أن يكون لقارون السقام مؤاخيا
ولما دعا بالهـاشمي أجاره فأبصره في الحين من ذاك ناجيا
وأحبه منه ظهيرا مكرما بخط أبن بكر يخيف الدواخيا
وأخبره أن سوف يفتح أمره مدائن كسرى والبلاد الأفاصيا
ويجعل في كعبه من بعد فتحها سيواراه مما يحرز الدين ساميا
فأنجزها القاروق في حين فتحها له عدة بالصدق فيها مباحيا
وأبته في خيمتي^(١) أم معبد وفي الشاة إذ لم تبقى تصحب راعيا
وفي الذنب إذ أنعم وأخبر منفيها عن المصطفى والذنب ما زال عاويا
وفي الصب لما أن دعاه أجابه وقال له كئيبك كئيبك داعيا^(٢)
وأبته إذ فارق الجذع فضله فحن إليه الجذع في الحال شاكيا
وإن انشاق البدر أعظم آية ترد على من كان للدين زاريا
وفي الجمل الآتي بحضرة محبه ليشكوا نكاي الشفة راعيا
وقصته في الجمل لما دعا لهم فأبصرت سحبا كالجبال هواميا
وسال به وادي قناة^(٣) لأجله ثلاثين يوما لم يزل متواليا
وفي قصة الزوراء^(٤) للخلق آية وذكري لمبد كان للذكر ناسيا
دعا بإناء ليس ينقع مأوه لقلته بالرعي من كاف صاديا
ففاض نهر الماء بين بنائه وكان وضوءا للكتيبة كافيا
وذكرونه يوم الحديبية التي أفاض بها الله التبان سواقيا^(٥)

(١) ق م : « جهن » . (٢) هذا البيت والذي قبله سافطان في ط .
(٣) وادي قنات : من أودية المدينة . وفي حديث أنس بن مالك (أن النبي صلى الله عليه وسلم لما استنقى سال وادي قنات نهرا ، ولم يأت أحد من تابعه إلا حدث بالهود) .
(٤) الزوراء : موضع بالمدينة قرب للسجد ، استنقى النبي عنده .
(٥) في جذوة الانقياس : « سوانيا » .

وإشباعه الجفم الغنير بقبضة
من التمر حتى شاهدوا التمر باقيا
وإخباره بالشيء من قبل كونه
فيأتي على النص الذي قال حاكيا
فأخبر ذا النورين أن سئديه
على الأمر بلوى تُعقِب الأجر وأفيا
وأخبر عَمَّا رَأَى بأن حياته
سَيَقْطَعُها بالقتل من كان باغيا
وقال لدى السَّطِينِ أَشَقَى الْوَرَى الَّذِي
سَيَخْضِيها من هامة الرأس عاصيا
بُصَادِفٌ^(١) تَوَالِثَ شَيْبَ أبيض ناصعا
فيسقيه صَوْبَ الْحُفِّفِ أَحْمَرَ قَانِيا
ونصر على السَّطِينِ الشَّهِيدَ بِكَرْبَلَا
فقام له الدين الحنيفة ناعيا
وفي الحسَنِ الزَّاكِي أَبَانَ بِأَنَّهُ
سَيُضْلِحُ بين الناس لِلْأَجْرِ نَاوِيا
وقال لقوم إِنِّ آخِرَكُمْ بِهَا
ثَمَانَا سَيَعْلَى جَائِمٍ الْجَرِّ حَامِيا
وقال إِذَا مَا مَاتَ كَسَرَى فَا تَرَى
سَمِيَّا لَهُ أُخْرَى اللَّيَالِي مُسَامِيا
وأخبر عن موت النجاشي حينه
ويبينها بحر من الموج طامِيا
وقال على قُرْبِ الْحِمَامِ لِبَنِيهِ
تَمُونِينَ بَعْدِي فَافْرَحِي بِلِقَائِي
وآيَاتِهِ جَلَّتْ عَنِ الْعَدِّ كَثْرَةُ
فَمَا تَبْلُغُ الْأَحْوَالَ مِنْهَا تَنَاهِيا
وأعظمها الوحي الذي خضَّ به
فَبَلَغَ عَنْهُ أَمْرًا فِيهِ نَاهِيا
تَحْدَى بِهِ أَهْلَ الْبَيَانِ بِأَسْرَمِ
فَكَلَّمُهُمْ أَنْفَاءً بِالْعِزِّ وَانِيَا
وجاء به وَحْيًا صَرِيحًا بِزَيْدِهِ
سُرُورَ اللَّيَالِي جِدَّةً وَتَعَالِيَا
نَضَمْنَ أَحْكَامَ الْوُجُودِ بِأَسْرَاهَا
وَحَكَمَ الْقَضَاءَ^(٢) مَثَبَاتٍ فِيهِ نَافِيَا
وأخبر عما كان أو هو كائن
يُرَى مَاضِيَا أَوْ مَا يُسَمَّى بَعْدَ آتِيَا
ووافق أَخْبَارَ النَّبِيِّينَ كُلَّهُمْ
وَتَعَمَّ بِالْفَالِيَاتِ مِنْهَا اللَّبَادِيَا

[٥٠٤]

(١) كَذَا فِي جُذُودِ الْاِقْتِبَاسِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « بُصَادِفٌ » .

(٢) فِي جُذُودِ الْاِقْتِبَاسِ : « وَعَمَّ الْقَضَايَا » .

وما كتبتُ يُعْنَاهُ قَطُّ صَحِيفَةً وَلَا رِيَّ، يَوْمًا لِلصَّحَافِ تَالِيَا
عَلَيْهِ سَلَامٌ اللَّهُ لَا زَالَ رَأَتْهَا عَلَيْهِ مَدَى الْأَيَّامِ مِثًّا وَعَادِيَا

ولتكن هذه القصيدة الفريدة النبوية ، آخر ما أوردناه في روضة الورد ،
فقد طال الكلام واتسع وكثر الشرذ ، على أن ما تركناه أكثر مما جلبناه ، [وقد
انشأت علينا أشغال شاغلة من خطوب الدهر ، والله يبالغنا من رضوانه ما طلبناه] .
ونسأل الله تعالى حسن الختام ، وأن يدفع عن قلوبنا القَتَامَ ، بجاه
سيدنا ومولانا محمد المصطفى خير الأنام ، صلى الله عليه وسلم ، الذي جعلنا مديحه
مِسْكَ الخَتَامِ .

ختم الجزء
الثاني



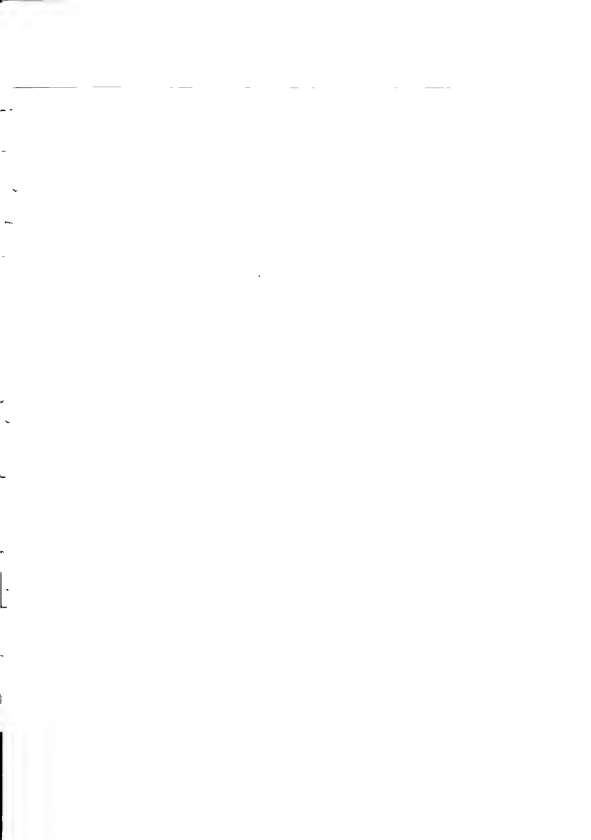
انتهى الجزء الثاني من كتاب أزهار الرياض ، في أخبار عياض
ويتلوه الجزء الثالث وأوله :

روضة الأقبوان

في ذكر حاله في الفتى والعنفوان

أبواب الفهرس

٣٩٦ — ٣٩٥	١ — فهرس الشعراء
٤٠٦ — ٣٩٧	٢ — » الأعلام
٤٠٨ — ٤٠٧	٣ — » القبائل
٤١٣ — ٤٠٩	٤ — » الأماكن
٤١٥ — ٤١٤	٥ — » الكتب
٤١٦	٦ — » الألبام
٤١٦	٧ — » الأمثال
٤٣٠ — ٤١٧	٨ — » النوافي
٤٣٤ — ٤٣١	٩ — » الموشحات والأزجال
٤٢٥	١٠ — » أنصاف الأبيات
٤٢٩ — ٤٢٦	١١ — » الموضوعات



فهرس الشعراء

(١)

أبو إسحاق الحنساوي : ٣٤٧
 أبو إسحاق الدوبي : ٢١٠
 أبو بكر بن باجة : ٢٤٣
 أبو بكر بن زهر : ٢١٠
 أبو بكر بن الصابوني : ٢١٣
 أبو بكر محمد بن فزمان : ٢١٦
 أبو تمام : ٤٨
 أبو الحسن بن جعفر الإشبيلي : ٢١٧
 أبو الحسن بن الجباب : ٣٤٢
 أبو الحسن سهل بن مالك : ٢١١
 أبو الحسن بن الفضل = أبو الحسن سهل
 ابن مالك
 أبو حفص : ٣٦٥
 أبو العباس : ٣٥٧
 أبو عبد الله بن خيس = ابن خيس التلمساني
 أبو عبد الله
 أبو عبد الله القوسي : ٢١٩
 أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الصباغ : ٢٣٠
 أبو عبد الله محمد بن يوسف الثغري : ٣٢٩
 أبو عمرو ميمون بن علي : ٣٨٠ ، ٣٨٣
 أبو العلاء الممرى : ٨١
 أبو القاسم محمد بن يحيى : ٣٧٨
 أبو مدبر شبيب : ٣٠٨
 أبو السكارم مندبل بن أجروم : ٣٣٣
 الأعمى التطيلي : ٢٠٨

(ب)

البيع : ٢٤٨
 بلال (رضي الله عنه) : ٩٨

إبراهيم النازي : ٣٠٩
 ابن أجروم = أبو السكارم مندبل بن أجروم
 ابن باجة = الحكم أبو بكر بن باجة
 ابن بلي = يحيى بن بلي
 ابن هردوس = ابن هردوس
 ابن جعفر = أبو الحسن بن جعفر الإشبيلي
 ابن حزمون : ٢١١
 ابن الحكم : ٣٤٥ ، ٣٤٦
 ابن خرز البجلي : ٢١٢
 ابن خلف الخزازي : ٢١٢
 ابن خيس التلمساني أبو عبد الله : ٣٠٣ ،
 ٣٠٨ ، ٣١٤ ، ٣١٩ ، ٣٣٦
 ابن رشيد : ٣٥٣
 ابن الرومي : ٣٠٣
 ابن زهر : ٣٥ ، ١٥٧
 ابن زهر = أبو بكر بن زهر
 ابن سناء الملك المصري : ٢١٥
 ابن سهل : ١٨٤ ، ٢١٣
 ابن شجاع : ٢٢١
 ابن الصابوني = أبو بكر بن الصابوني
 ابن عمير : ٢١٩
 ابن غنمة الفضي : ١٢
 ابن فزمان = أبو بكر محمد بن فزمان
 ابن مرج الكمل : ٣١٥ ، ٣١٦
 ابن موهل : ٢١٠
 ابن هردوس : ٢٠٩
 ابن هزر = ابن خرز البجلي
 ابن وكيع : ١٩٤

عبد الملك بن سعيد المرادى : ٢٩٣

علي بن المؤذن : ٢٢٢

عنزة الميسى : ٦٥

عباس : ٢٢٧

(م)

محمد بن عبد العظيم : ٢١٨

مدقلبيس : ٢١٨

مهباز : ٣٠٨

(ى)

يحيى بن بلى : ٢٩

(ح)

الحكيم أبو بكر بن باجة : ١٠٩

(ش)

الشعري : ٢١٨

(ع)

عبادة الفزاز : ٢٠٧

عبد الله بن الخطيب : ٢١٣

عبد الله بن معاوية : ٣٨٥

عبد الله بن المعتز : ١٣

فهرس الاعلام

٢٥٧ ، ٢٥٦ ، ٢٥٥ ، ٢٤٨

ابن حيون : ٢١١

ابن خاتمة : ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٠٢ —

٢٤٦ ، ٢٤٥ ، ٢٠٥

ابن خبازة = أبو عمرو ميمون بن علي بن

عبد الحائق ابن خبازة

ابن الخطيب = أبو عبد الله بن الخطيب

ابن خلدون : ٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ،

٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ،

٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ،

٢٥٨

ابن حليس = محمد بن عمر بن محمد بن عمر

ابن محمد بن عمر بن محمد الحجري الرعيبي

ابن دحون القتيبي : ٢٦٩

ابن رشد : ٨٤

ابن رشيد الهوري محمد بن عمر : ٣٤٧ ،

٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٥٥

ابن الزبير : ٢٢٤

ابن زمره محمد بن يوسف : ٧ ، ١١ ،

١٢ ، ١٤ ، ٢٠

ابن زهر = أبو بكر بن زهر

ابن سبعين : ٣٠٣

ابن سعيد : ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ،

ابن السمعاني : ٢٠٧

ابن سبل : ٢٣٠

ابن الشاط : ٣٥٢

ابن شجاع : ٢٢٢

ابن شهيد = أحمد بن عبد الله بن شهيد

ابن شهيد = أحمد بن عبد الملك بن شهيد

ابن شمس : ٢٩٣

(١)

آدم (عليه السلام) : ٣٨٤ ، ١٥٥ ، ٣٤٤٥

إبراهيم (الخليل عليه السلام) : ٢٨٥

إبراهيم بن أحمد الثاني : ٢٥٦

إبراهيم النازي : ٣٠٩

إبراهيم بن هدية : ٣٥٤

ابن أبي الربيع = إبراهيم بن أبي الربيع

ابن أبي عزة اللخمي = أبو القاسم محمد المزيقي

اللخمي

ابن أبي عزة اللخمي = أبو إسحاق إبراهيم

ابن أحمد بن أبي عزة اللخمي .

ابن أبي مدين : ٣٤٧

ابن الأحمر : ٨ ، ٧ ، ٥ ، ٤ ، ١١ ، ٢٨ —

٣٠ ، ٤٢ ، ٦٥ ، ٨١ ، ١٥٨ ،

٢١٩

ابن أرفع رأسه = أبو بكر محمد بن أرفع رأسه

ابن أصبغ الحمصاني : ٢٧٧

ابن بزي : ٨١

ابن علي = يحيى بن علي

ابن بنية : ٢٦٤

ابن البنا : ٣٥٢

ابن بفلويت = أبو بكر بن بفلويت

ابن البين أبو عمرو : ٣٥٠

ابن حبان : ٣٥٤

ابن حزمون : ٢١١

ابن الحسن = النباهي علي بن محمد

ابن الحسك أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن :

٢٠٢ ، ٣٠٩ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ،

٣٠٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٩ — ٣٤١

٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ —

أبو سالم بن أبي الحسن المريني : ١٧٠ ، ١٥٨ ، ١٧٠
 أبو سعيد = أبو عمرو ميمون بن علي بن
 عبد الحافي
 أبو سعيد بن عامر : ٣٠٥
 أبو سعيد بن لب : ٩
 أبو سفيان : ٣٣١
 أبو سلطان عبد العزيز بن سلطان الداني :
 ٣٤١
 أبو سليمان داود بن علي الأصبهاني : ٢٩٥
 أبو طالب عبد الله : ٣٧٧
 أبو الطاهر الباق الأصبهاني : ٣٧٢ ، ٣٥٤
 أبو العباس أحمد بن أبي الحكم عيش بن
 علي بن شكيل انصدق : ٣٦٧
 أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله القاسي :
 ٣٧٥
 أبو العباس بن أبي سالم المريني = أحمد بن
 أبي سالم المريني
 أبو العباس أحمد بابا : ١٧٦
 أبو العباس الحراري : ٣٦٤ ، ٣٦٥
 أبو العباس بن ولاد : ٢٩٥
 أبو عبد الله = ابن الحكيم محمد بن
 عبد الرحمن
 أبو عبد الله = ابن الحكيم محمد بن
 عبد الرحمن
 أبو عبد الله = ابن رشيد الفهرى
 أبو عبد الله = ابن زمرك محمد بن يوسف
 أبو عبد الله = محمد بن عمر بن محمد بن
 عمر بن محمد بن عمر بن محمد الحبري
 الرعي
 أبو عبد الله بن الأبار : ٣٧٩
 أبو عبد الله الأبل = أبو عبد الله محمد بن
 إبراهيم الأبل
 أبو عبد الله بن أبي العاصي التتوشي : ٣٥٦
 أبو عبد الله بن الأحمر = ابن الأحمر

أبو الحسن = التباهي علي بن محمد
 أبو الحسن المريني : ٨١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥
 أبو الحسن بن أبي الربيع : ٢٩٨ ، ٣٤٨
 أبو الحسن بن بسام : ٢٥٣
 أبو الحسن بن جعفر الأشبي : ٢١٦
 أبو الحسن حازم القراطبي : ٣٥٠
 أبو الحسن الداج : ٢١٢
 أبو الحسن سهل بن مالك : ٢١٠ ، ٢١١ ،
 ٢١٨
 أبو الحسن علي بن سعد الخير البغلي : ٢٥٣
 أبو الحسن علي بن سعيد البغلي : ٢٥٣
 أبو الحسن علي بن عثمان البلي = الأشع المغربي
 أبو الحسن علي بن محمد الكتاني : ٣٤٩
 أبو الحسن بن كاشة : ٣٠٣
 أبو الحسن الخروقي : ١٦
 أبو الحسن التباهي = علي بن محمد التباهي
 أبو الحسين بن التلساني : ٩
 أبو الحسين العراقي : ٣٥٢
 أبو حمص = عمر بن الخطاب
 أبو حمص بن عمر : ٣٥٩ ، ٣٦١ ، ٣٦٤ ،
 ٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ،
 ٣٧٢ ، ٣٧٣
 أبو حمو = موسى بن يوسف الزباني : ٣٧ ،
 ٤٢ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٢
 أبو الخير البشل بن علي بن نصر بن عبد الله
 ابن روضة الأنصاري الخزرجي : ٣٥٣
 أبو داود : ٣٥١
 أبو الربيع بن سالم : ٣٦١
 أبو زكريا بن أبي دلالة : ١٧٥
 أبو زكريا البرغواني : ١٦
 أبو زكريا يحيى السراج : ٦ ، ٢٥٦
 أبو زيد بن عبد العزيز المريني : ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٨
 أبو زيد : ٣٧٤
 أبو زيد عبد الرحمن الخزرجي : ٣٣٦

أبو عبد الله محمد بن محمد بن الصائغ : ٣٤٩
أبو عبد الله محمد بن محمد الحمصي : ٣٥٢ .

٣٧٥

أبو عبد الله محمد بن محمد بن يحيى المراج :
٣٥٧ ، ٣٥٦

أبو عبد الله محمد الخلووع : ٣٤١

أبو عبد الله محمد بن يوسف = ابن زمره
محمد بن يوسف

أبو عبد الله بن مرزوق : ٩ ، ١٥ ، ٢٩٨ ،
٣٠١

أبو عبد الله المقرئ : ٩

أبو عبد الملك المراكشي : ٣٧٩

أبو عبيد : ١٨

أبو عثمان بن خالد : ٣٧٤

أبو عثمان بن ليون : ٣٠٣

أبو علي البندادي إسماعيل بن القاسم الثاني :
٢٧٣

أبو علي بن خالد : ٢٥٦

أبو علي بن الخطيب أبو فارس بن غالب
الجبلي : ٣٧٩

أبو علي عمر الجداوي : ٣٤٦

أبو علي منصور الزواوي : ٩ ، ١٥

أبو عمر : ٣٥٤

أبو عمر أحمد بن عبد ربه = أحمد بن
عبد ربه

أبو عمر بن عات : ٣٥٤

أبو عمرو بن عياض = عاصم بن حارثة الأزدي
أبو عمرو ميمون بن علي بن عبد الحائق بن
حبارة : ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠

أبو عمرو بن سالم بن صالح التبرواني الثاني :
٣٨٠

أبو عمرو الصفارسي = ابن التين أبو عمرو
أبو عثمان الربيعي : ٣١٦ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ،

٣٢٨

أبو عبد الله بن بيش البغدادي : ٩ ، ١٥

أبو عبد الله التلساني : ١٥

أبو عبد الله بن الحكم = ابن الحكم

أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن

أبو عبد الله بن الخطيب = لسان الدين بن

الخطيب أبو عبد الله

أبو عبد الله بن جليس التلساني : ٢٩٧ ،

٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣١٦ ، ٣٢٢

أبو عبد الله بن رشيد : ٣٤٢ ، ٣٥٥

أبو عبد الله بن الزماعة : ٣٦١

أبو عبد الله الساجي : ٦

أبو عبد الله الصريسي : ١٥

أبو عبد الله العلوي التلساني : ٩

أبو عبد الله بن عياض الخزرجي : ٢٩٦

أبو عبد الله بن الفخار : ٩ ، ١٤ ، ٢٩٧

أبو عبد الله اللودي : ١٥

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأيلي : ٣٢٢

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحضرمي : ٣٠٣

أبو عبد الله محمد بن أبي بكر : ٣٤٩

أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن بن

عبد الرزاق : ٣١٦

أبو عبد الله محمد بن أبي الدباس أحمد بن

حيان الشامي : ٣٥٤

أبو عبد الله محمد بن الحسن بن مخلوف : ٢٥٧

أبو عبد الله محمد بن عبد الحائق : ٣٤٩

أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن = ابن

الحكم محمد بن عبد الرحمن

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي عيسى :
٢٦٧

أبو عبد الله محمد بن عبد الله : ٣٤٩

أبو عبد الله محمد بن علي بن الشيخ : ٢٥٦

أبو عبد الله محمد بن علي السكوني : ٦

أبو عبد الله محمد بن علي بن علق : ١٥

أبو عبد الله محمد بن عيسى : ٢٥٦

أبو مروان عبيد الله بن الناصر : ٢٨٦
 أبو مروان بن مسرة : ٣٦١
 أبو مهدي بن الزيات : ١٦
 أبو هبة إبراهيم بن هبة : ٣٥٤
 أبو هريرة : ٣٥٧
 أبو يحيى : ٢٢٥
 أبو يعقوب يوسف بن أبي يوسف يعقوب :
 ٢٣٥
 أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن : ٣٦١
 أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق : ٢٣٦
 الحسن بن علي رضي الله عنه : ٣٩١
 أحمد = محمد النبي صلى الله عليه وسلم
 أحمد بن أبي سالم المري أبو العباس : ٢٨
 ١٧٣، ١٣٣، ٨١، ٣٥، ٢٩
 ٣٥٧، ١٧٥
 أحمد بن عبد رب : ٢٠٧، ٢٥٣
 أحمد بن عبد الله بن شهيد : ٢٦٥
 أحمد بن عبد الملك بن شهيد : ٢٦١
 أحمد بن قاسم أبو العباس الصنهاجى : ٢٥٦
 أحمد بن مطرف : ٢٧٩
 أحمد بن يحيى بن محمد بن علي الوائلي :
 ٢٩٧
 أحمد الوائلي : ٢٧٠
 أردشير بن بابك : ٣٢٤
 أردون بن أوفونس : ٢٨٨، ٢٨٩،
 ٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤
 الإسكندر : ٢٢٣
 إسماعيل (عليه السلام) : ٣٨٥
 إسماعيل = ابن عباد
 الأشجع العربي أبو الحسن علي بن عثمان
 البلي : ٣٥٤
 الأصمعي بن الناصر لدين الله : ٢٥٩
 الأعمى البطارىوس : ٢٠٧، ٢٠٩
 الأعمى البطلي : ٢٠٨
 (٢٦ — ٢ — أزهار الرمان)

أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد : ٣٤٩
 أبو الفضل بن يحيى : ٣٢١
 أبو القاسم بن أبي بكر بن زيتون : ٣٤٩
 أبو القاسم بن أحمد الحضرمي : ٦
 أبو القاسم بن سعيد الحمدي : ٦
 أبو القاسم الشريف : ١٤
 أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي طالب عبد الله
 الزكي : ٣٥٦، ٣٧١، ٣٧٥، ٣٧٨
 أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان
 البخاري : ٣٤٥
 أبو القاسم بن محمد = أبو القاسم بن أحمد
 الحضرمي
 أبو القاسم محمد بن أبي العباس : ٣٧٤، ٣٧٥
 ٣٧٦
 أبو القاسم محمد بن أحمد الحسي : ١٦٠، ١٦١
 أبو القاسم محمد المزني : ٣٧٤ — ٣٧٧
 أبو القاسم محمد بن يحيى = محمد بن يحيى
 ابن أبي طالب أبو القاسم
 أبو القاسم مخرج بن محمد بن مفرج : ٢٨٤
 أبو القاسم بن الهادي : ٦
 أبو محمد بن بركات : ٣٥٤
 أبو محمد عبد الحق بن أحمد ابن نصر = ابن
 سجين أبو محمد عبد العزيز بن عمر
 القيس : ٣٤٩
 أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري :
 ٣٤٩
 أبو محمد عبد الله بن أحمد التحبي : ٣٧٣، ٣٧٤
 أبو محمد عبد الله بن جزي : ١٥
 أبو محمد عبد الله بن علي اللخمي : ٣٦١
 أبو محمد عبد المهيمن بن محمد الحضرمي :
 ٣٤٥
 أبو مدين شبيب : ٣٠٨
 أبو مروان الأكبر عبيد الله : ٢٨٢
 أبو مروان بن حبان : ٢٦٨

٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ،

٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ،

٢٩١ ، ٢٩٢

حليمة (الصفوية) : ٣٨٧

(خ)

خالد (القائد) : ٤٠

خديجة (أم المؤمنين) : ٣٨٩

خراش بن عبد الله : ٣٥٤ ، ٣٦٠

الحطاب أبو عبد الله بن أبي العاصي التنوخي =

أبو عبد الله بن أبي العاص التنوخي

(د)

دينار بن عبد الله : ٣٥٤

(ذ)

ذو الرمة : ٤٣

(ر)

ربيع الأسقف : ٢٧٠

ربيع بن مكدم : ٦٢

الرجال = عمروة الرجال

الرسول = محمد الذي صلى الله عليه وسلم

رومانس (ملك الروم) : ٢٦٠

(ز)

زياد ابن أبيه : ٣٣١

زياد بن أفلح الناصري : ٢٨٨

(س)

سام (بن نوح) : ٣٨٥

سبت بن سام بن نوح عليه السلام : ٢٥٦ ،

٢٥٧

ست العرب بنت عبد الله بن الحظري :

٣٥٥

أنس : ٢١٣ ، ٣٥٤ ، ٣٩٠

ياس : ٤٦

(ب)

بجرا (الراهب) : ٣٨٨

البحاري : ٣٥٠

البراض بن قيس الضمري : ٣١٧ ، ٣١٨

بسطام بن قيس : ١٢

بوران : ٥٦

(ت)

التجبي = أبو محمد عبد الله بن أحمد التجبي

تقي الدين بن دلق الميذ : ٣٢٢ ، ٣٢٣ ،

٣٥٢

تمام الحصى : ٢٥٩

(ج)

الجاحظ : ١١

جبريل عليه السلام : ٣٨٥ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩

الجرأوي = أبو العباس الجرأوي

جهموس = النباه على بن محمد

جعفر بن عثمان : ٢٨٦ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣

جعفر بن لسطور الرومي : ٣٥٤

جيل : ٩٧ ، ١٨٠

(ح)

حاتم طي : ٤٦ ، ٦٢ ، ٣٧٠

حام (بن نوح) : ٣٨٥

الحياح : ١٤

الحجاري : ٢٥٣

الحسن البصري : ١٤

حسن بن جعفر الإسكندراني : ٢٧٠

حسين بن قتيب : ٢٥٨

الحكم المستنصر بالله بن الناصر لدين الله :

٣٥٩ ، ٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٣٧١ ،

٣٧٣ ، ٣٧٦ ، ٣٧٩ ، ٣٨٢ ،

(ع)

العاقب = محمد النبي صلى الله عليه وسلم
 عامر بن حارثة الأزدى : ٧٩
 عبادة بن عبد الله بن محمد بن عبادة : ٢٥٣
 عبادة بن محمد بن عبادة الأقرع : ٢٥٤
 عبادة الفزاز : ٢٥٣ ، ٢٥٧
 العباس : ٢٥٧
 عبد الجبار بن الناصر لدين الله : ٢٥٩
 عبد الرحمن = أبو زيد عبد الرحمن المزني
 عبد الرحمن الناصر = الناصر لدين الله
 عبد العزيز بن أبي الحسن المرزبي : ٧ ، ٣٠
 عبد العزيز بن الناصر لدين الله = أبو الأصعب
 عبد العزيز بن الناصر لدين الله
 عبد الله بن أحمد بن محمد : ٣٨٠
 عبد الله بن الحكيم : ٣٥٦
 عبد الله بن علي القحطاني : ٣٦١
 عبد الله بن قاسم : ٢٨٩
 عبد الله بن محمد الرواني : ٢٥٣ ، ٢٥٧
 عبد الله بن الناصر لدين الله : ٢٥٩
 عبد الله بن يحيى بن يحيى : ٢٩٤
 عبد الله بن يونس : ٢٧٠
 عبد الملك بن الناصر لدين الله : ٢٥٩
 عبد المهيمن القواس : ٢٢٤
 عبيد الله بن قاسم : ٢٩١
 عتيق = أبو بكر الصديق
 عثمان بن عفان : ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٥١
 عثمان بن خطاب أبو عمر = الأشعث القرقي
 عمروة الرمال : ٣١٧ ، ٣١٨
 عمروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب =
 عمروة الرمال
 عز الدين أبو عمر عبد الله بن عبد النعم :
 ٣٤٩

سبحان : ٤٦

سحنون : ٢٥٦

سراج الدين أبو بكر بن أحمد : ٣٤٩

سرافقة (بن مالك) : ٣٨٩

سطيع : ٢٢٥ ، ٣٨٧

سماعة (مملوك السلطان يوسف) : ٣٣٦

سعد بن عبادة الأنصاري : ٢٣ ، ١٠٤ ،

١٨٠ ، ١٣٧

سعد بن العتيق : ٦٠ ، ٧٣ ، ١٤٠ ،

١٤١

سعيد بن أحمد الثوري : ٣٠٩

سفرط : ٣٢٠

السائي : ٣٥٤

السلبي : ٣٦٩

سليمان بن الناصر لدين الله : ٢٥٩

(ش)

شاذبة بن رديم : ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩١

شق : ٢٢٥ ، ٣٨٧

شهاب الدين : ٣٢١

الشهيد = عثمان بن عفان

(ص)

صاعد بن عتلة : ٢٦٢

الصاعاني : ٢٠٧

(ط)

الطاطلي = الأعمى التطيلي

طاه = محمد النبي صلى الله عليه وسلم

(ظ)

الظاهري = أبو سليمان بن علي الأصهباني

(ق)

القزاز = محمد بن عبادة القزاز
قس : ٨١
قسططين بن ليون : ٢٦٠ ، ٢٥٨
قنبر : ٣٥٤
القنيس = أبو سليمان داود بن علي الأصماني
قبس بن الملوح : ٤٣ ، ٩٧ ، ٣٥٤

(ك)

الكثاني : ٣٥٦
كسرى : ٣٨٢
كعب بن مامة = ابن مامة

(ل)

لسان الدين بن الخطيب أبو عبد الله : ٥٠
٦٠ ، ١١ ، ٣٠ ، ٣٧
١٦٦ ، ١٦٥ ، ٢١٣ ، ٢١٨
٢٣٠ ، ٢٩٧ ، ٣٠١ ، ٣٢٣
٣٧٦

(م)

ماء السماء = ناصر بن حارثة الأزدى
ماء السماء : ٢١٣
الأمون بن ذنون : ٥٦ ، ٢٠٧
الأمون بن النصور : ٣٨٠ ، ٣٨٢
الساقي = محمد النبي صلى الله عليه وسلم
مالك : ٢١٣ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٩٥
محمد = النبي وآله
محمد بن أبي الفضل بن شرف : ٢٠٩

الزرق = أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي طالب
عبد الله الزرق
المزير بن المزمز القاطلي : ١٢٦
عفيف الدين أبو محمد عبد السلام بن محمد :
٣٤٩
علي بن أبي طالب : ٢٤٧ ، ٣٥٤ ، ٣٧٤
علي بن جعفر الإسكندراني : ٢٧٠
علي بن عبيد الله بن محمد = التباي على
بن محمد
عمار (بن ياسر) : ٣٩١
عمر بن الخطاب : ٢٢٤ ، ٢٤٧ ، ٢٥١
٣٧٠ ، ٣٩٠
عجرو : ٤٦
عبيدة : ٣٦٩
عيسى بن الحسن : ٢٢٥
عيسى بن قطيس : ٢٨٧
عيسى بن صرم : ٤٥٥ ، ١٤٧

(غ)

غالب الناصري : ٢٨٨
الذي بالله محمد : ١١ ، ١٨ ، ٣٠ ، ٣٥
٤٩ ، ٥٧ ، ٧٣ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ١٢٧
١٤٠ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١
١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٦٠
١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٩١
١٩٦ ، ١٩٥
غيلان = ذو الرمة
طارب : ٣٢٠

(ف)

الفاوق = عمر بن الخطاب
فخر الدين أبو الحسن علي بن أحمد : ٣٤٩
فرج بن إسماعيل بن يوسف بن الأحمر :
٣٧٧

لشنتين أبو عبد الله : ١٥٩
المتصرفات = الحكم المتصرف بن الناصر
مسلمة بن عبد الله العريف : ٢٦٩
الشيخ = عيسى بن مريم
المصطفى = محمد الذي صلى الله عليه وسلم
معبد : ١١٩
المتنصم بن مبادح : ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥
المتنصم يحيى بن الناصر : ٣٨٢
مفرج أبو القاسم مفرج بن محمد : ٢٨٥
مقدم بن معاذ القيرى : ٢٥٧ ، ٢٥٨
مشاد الديورى : ٣٢١
منذر بن سعيد البلوطى : ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦
المنذر بن الناصر لدين الله : ٢٥٩
موبار (البيللى) : ٣٣٤
المهدى : ٣٨٠
موسى = أبو جرموسى بن يوسف الزياتى
موسى بن عمران : ٤٥ ، ٢٧٤
موسى بن أبى عنان المربى : ٤٢ ، ٣٠١
موسى بن أحمد بن حدير : ٢٨٦
الميدانى : ١٨
ميكايل (عليه السلام) : ٣٨٨

(ن)

الناصر لدين الله عبد الرحمن : ٢٠٧ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨١ ، ٢٨٧ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٥
نافع : ٢٥٦ ، ٢٥٧

محمد بن أفلح الناصرى : ٢٨٨
محمد بن حسن بن عطية : ٢٥٦
محمد بن حوط الله : ٣٦١
محمد بن عيسى : ٢٩٠
محمد بن عباد الزناز : ٢٥٢ ، ٢٥٤
محمد بن عبد الله الكسباني : ٢٧٣
محمد بن عبد الرحمن = ابن الحكم محمد
ابن عبد الرحمن
محمد بن عبد الله بن أحمد الأزدى : ٢٥٦
محمد بن عمر = ابن رشيد الفهرى
محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن
عمر بن محمد الجرى الرعى : ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣٠٩ ، ٣٣٥
محمد بن قنوج : ٣٤١
محمد بن محمود القيرى الضرير : ٢٥٣
محمد بن المنذر النيسابورى : ٢٩٤
محمد الذي صلى الله عليه وسلم : ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٢ ، ١٠٤ ، ١١٥ ، ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٦ ، ١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٦ ، ١٨٠ ، ٢٠٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٥ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٧ ، ٢٥٦ ، ٢٧٣ ، ٢٨٤ ، ٢٩٦ ، ٣٠٤ ، ٣٠٩ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧ ، ٣٨٣ ، ٣٨٥ - ٣٩٠
محمد بن وضاح : ٢٥٦
محمد بن يحيى بن أبى طالب أبو القاسم : ٣٧٨
محمد بن يوسف بن محمد الصيرمى =
ابن زمرك محمد بن يوسف
الرتضى (صاحب مراکش) : ٢٣٠
مرجانة (أم الحكم) : ٢٦٥
مروان بن الناصر لدين الله : ٢٥٩
مريم : ١٤٧

(و)

وليد بن حيزون : ٢٨٩ ، ٢٩١
وهب بن ميسرة : ٢٥٦ ، ٢٥٧

(ي)

ياسر الحصى : ٢٥٩
يائث (بن نوح) : ٣٨٥
يحيى بن يحيى : ٢٠٨
يحيى الخزرجي : ٢١١
يحيى بن ذي النون : ٢٠٨
يحيى بن محمد بن الميث : ٢٥٨
اليوناني : ٣٥٥
يظن بن سالم بن قير : ٣٥٤
يوسف (عليه السلام) : ٣٧٢
يوسف بن العتي بالله أبو الحاج : ١٥ ،
١٧ ، ٥٩ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٨٤ ، ٨٥
١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٤ ، ١٥٧
يوسف بن القاسم : ٢٣٥

الباهي على بن محمد (القاضي) : ٦٠٥ ، ٦٠٦
٢٨٠ ، ٢٩٦
الذي صلى الله عليه وسلم = محمد النبي صلى
عليه وسلم

فسطور : ٣٥٤

نصر : ٦٠ ، ٧٣ ، ٨٥

النظار أبو إسحاق الشامي = أبو إسحاق
الشامي

العمان بن النضر : ٢١٣ ، ٣١٧ ، ٣١٨

العمان بن امرئ القيس : ٣٢٦

نوح (عليه السلام) : ٢٢٠ ، ٣٨٥

(هـ)

هادي بن إسماعيل : ٣٧٢
هرقل : ٣٨٧
هرمس : ٣٢٠
الهمزيري = أبو زيد عبد الرحمن الهمزيري
هشام بن محمد بن عثمان المصنفي : ٢٨٨

فهرس القبائل

(١)

أهل شربش : ٣٦٧	آل بويه : ٣٧٢
أهل طابطة : ٢٨٨	آل خزرج = الخزرج
أهل فارس : ٢٢١	آل سعد بن عباد = الخزرج
أهل القاهرة : ٢٢٥	آل عدنان : ٤٥ ، ٥٣
أهل مائة : ٢٥٢ ، ٢٥٤	آل النضر (صلى الله عليه وسلم) = آل هاشم
أهل المشرق : ٥٦	آل نصر : ٢٣ ، ٢٤ ، ٥٠ ، ١٠٩ ، ١٦٥ ، ٢٠١
أهل مصر : ٢٢٥	آل هاشم : ٤٥ ، ٩٢ ، ١٥٤
أهل المغرب : ٥٦	أبناء قبيلة = آل نصر
أهل مكة : ٢٨٧	أبناء نصر = آل نصر
أهل نجد : ٣١٨ ، ٣١٧ ، ٥٢	أجود العرب : ٣٧٢
إياد : ٨١	الأسابش : ١٧٠
(ب)	الأسبان : ٣٧٤
البربر : ٥٨ ، ٣٣٦ ، ٣٥٠	الأعاجم : ٢٥٨ ، ٢٨٢ ، ٢٩٤ ، ٣٨٣
البغداديون : ٢٢٦	أعراب إفريقية : ٢٢٥
بنو الأحرار : ١١ ، ٣٣	الإفريقية : ٢٥٨
بنو الأصغر = الروم	أملاك لحم = بنو العزقي
بنو أمية : ٢٥٨	الأنصار : ٣٩ ، ٥٠ ، ٦٣ ، ٧٩ ، ٨٦
بنو تمل : ٣٧٠	١١٥ ، ١١٦ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٥٤
بنو ذى التوت : ٥٦	أهل الأندلس : ١٦ ، ١١٦ ، ٢٢٧
بنو سعد = الخزرج	٢٥٢
بنو عباد : ٣٤١	أهل تازا : ٢٢١
بنو العباس : ٢٥٨ ، ٢٦٢	أهل تلسان : ٣٠١ ، ٣٣٦
بنو عبد الواد : ٣٧ ، ٤٢ ، ٣٣١	أهل تهامة : ٣١٧ ، ٣١٨
بنو عدنان : ٣٨٠	أهل تونس : ٢٢٥
بنو العزقي : ٣٢٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨	أهل سبقة : ٢٥٨ ، ٢٩٧ ، ٣٤٧
بنو عمرو : ٣٢٥	٣٧٦
بنو غنجوم : ٣٦٥	
بنو ماء النساء : ٧٩	
بنو مرين : ٣٠ ، ٣٧ ، ٥٨ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٣١	

(ق)	بنو نصر = آل نصر بنو هلال : ٥٩
قحطان : ٤٦ ، ١١٧ قريش : ٣١٧ ، ٣٨١ قيس : ٣١٨	(ج) الخلافة : ٢٨٨
(ك)	(ح) حبر : ٣٢١
كاهل : ٣٦٩	(خ) الخزرج : ٤٦ ، ٦٨ ، ٢٣ ، ١٠٤ ، ٢٠١ خندف : ٣١٨
(م)	(ر) الروم : ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٣٦٦
مالك : ٣٦٩ المجوس : ٢٥٨ المرينيون = بنو مرين مضر : ٥٣ المثنون : ٢١٦ ملوك الروم : ٢٥٨ ملوك الطوائف : ٥٦ ملوك المدونين : ٢٥٧ ملوك الفساسنة = بنو ماء السباء ملوك النخسين = بنو الخزفي ملوك المغرب الأقصى : ٣٧ ، ٤٢ للوحدون : ٢٠٩	(ز) زناقة : ٥٨
(ن)	(ع) العباسيون = بنو العباس العجم = الأعاجم عرب تهامة : ٢٢٩ عرب دياب : ٢٢٥ العرب : ٦٢ ، ٣٠٢ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٦٦ ، ٣٨٣
(هـ)	(غ) غطفان : ٣١٨
هائم : هوازن : ٣١٧	(ف) الفرس = الأعاجم
(ي)	
الين : ٣٠١	

فهرس الأماكن

(أ)

باب الفتوح : ٢٢٣
باب فرطية : ٢٨٨
باب قصر الزهراء = باب الأقباء
بارق : ٦٦
باريس : ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ... الخ
بجاية : ٢٥٨
بحيرة الكوفة : ٣٢٦
البحرين : ٥٢ ، ٣٠٧
بر المدوة : ٢١٢
بزر هون : ٢٢٢
البصرة : ٥٢ ، ١٠٨ ، ٢٥٤
البيطحاء : ٤٧
بغداد : ٢١٦ ، ٢٢٥ ، ٢٦٢ ، ٣٢٣ ،
٣٥٤
بلاق : ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ... الخ
بلبيس : ٣٥٣
بلاد الإفراج : ٢٧٠
بلاد المشرق : ٣٢٢
البيت العتيق : ٢٧ ، ٦٣ ، ١٤٦ ، ١٥٠
بيت القدس : ٣٧٠
بيروت : ٢٢٦

(ت)

تادل : ٣٦٥
تلزا : ٢٢١
تربة الخلفاء : ٢٨٨
تطيلة : ٢٠٨
تلسان : ١١ ، ٢٢٢ ، ٣٠٢ ، ٣٠٩ ،
٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠

أجرع الفرد : ١٦٨
إسكندرية : ٣٤٩
إشيبيلية : ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٣
٢١٧ ، ٣٤١ ، ٣٦١ ، ٣٨٠
أصلا : ٣٧٤
أصبهان : ٣٥٤
أصمات : ٣٣٦ ، ٣٦١ ، ٣٧٣
أفريقية : ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٧٠
٣٤٨
ألال : ١١١
الأندلس : ٦ ، ٨ ، ٩ ، ١٥ ، ٢٢ ، ٥٠ ،
٦٣ ، ١٥٥ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ،
٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٧ ،
٢٥٨ ، ٢٦٢ ، ٢٦٧ ، ٢٩٤ ،
٣٠٢ ، ٣٤٠ ، ٣٧٦ ، ٣٨٠
أوربة : ٢٦٢ ، ٢٨٩
أواردة : ٣١٨
أوال : ٣٠٧
إبلياء : ٢٧٠
إيوان الحسين : ٣٤٩
إيوان كسرى : ٣٨٧

(ب)

باب الأقباء : ٢٩٠
باب الجنان : ٢٨٩
باب جباد : ٣٢٩ ، ٣٣٣
باب السدة : ٢٩٠
باب الصاعقة : ٢٨٥

دار السكة : ٢٦١
 دار السلام = بعداد
 دار الصناعة بفرطية : ٢٧٠
 دار القى ياقه : ٧٩
 دار السكيب المصرية : ١٦٥ ، ١٨٠... الخ
 دارين : ٢١٠ ، ٣٠٧
 درب معيلة : ٣٣٩
 دمشق : ٣٤٩
 ديار الصناعات بالزهره : ٢٦١
 (ذ)
 ذو الحجاز : ٣٨٨
 (ر)
 رامة : ١٠٨ ، ١١١ ، ٢٣٠
 ريا الدياد : ٣٣٠
 الرياض : ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٩٥
 الرشاد : ١٧٩ ، ١٨٠
 الركن : ٦٣
 رندة : ٣٤٠ ، ٣٤١
 روض نعمان : ٤٢
 رومة : ٢٦٨
 الري : ٣٥٤
 رية = مالفه
 (ز)
 زمزم : ١٤٦ ، ١٥٠ ، ٦٣
 الزهره : ٢٦١ ، ٢٦٥ ، ٢٦٩ ، ٢٧١
 ٢٧٩ ، ٢٧٧
 الزوراء : ٣٩٠
 (س)
 سبته : ٨١ ، ٢١٣ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧
 ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٢ ، ٣٢٥
 ٣٤٨ ، ٣٥٢ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦

٣٣٥ ، ٣٦١ ، ٣٦٥ ،
 ٣٧٢ ، ٣٧٣
 تونس : ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٤٩ ،
 ٣٥٤

(ج)

جامع مالفه : ١٧
 الجامعة المصرية : ٢٥٣
 جبل الشوار : ١٣٩
 جبل الفتح : ٤٠
 جبل فرطية : ٢٦٦
 الجزع : ٢٤٢
 جيان : ٢٦٤

(ح)

حاجر : ١٠٤
 الحجاز : ٢٢ : ٧٣ ، ٩٧ ، ٢٢٣ ،
 ٣٤٨ ، ٢٢٤
 الحديبية : ٣٩٠
 حراء : ٣٨٩
 الحرم الشريف = قبر الرسول صلى الله
 عليه وسلم
 حصن لستيه : ٢١٠
 الحضرة : ١٥٨
 الحيرة : ٣٢٧
 حيرة النعمان : ٣٨٢

(خ)

الخورق : ٣٢٦
 الخيف : ٥٦

(د)

دار إبراهيم الفنى : ٢٦٠

(ع)

العدوتان : ١٧ ، ١٨٣
 العذيب : ٦٠
 العراق : ٩٢ ، ٢٧٣
 عراقات : ١١١
 العقيق : ١٥ ، ٩٧ ، ١٠٨ ، ٢٤٧

(غ)

غمرطلة : ٧ ، ١٤ ، ٢١ ، ٣٠ ، ٣٥ ،
 ٥٩ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ، ١٧٧ ،
 ١٧٩ ، ١٨١ ، ٢٠٣ ، ٢١١ ،
 ٢٩٩ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣٤١ ،
 ٣٥٢ ، ٣٥٧ ،
 غمدان : ٣٨٧

(ف)

فاس : ٦ ، ٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٣٢١ ،
 ٣٣٣ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٥٥ ،
 ٣٥٦ ، ٣٦١ ، ٣٦٥ ، ٣٧٢ ،
 ٣١٨ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ،
 فارس : ٣٨٧
 فحس ربة : ١٦
 فذلك : ٣١٨

(ق)

القاهرة : ٣٤٩
 قبر أحمد = قبر الرسول صلى الله عليه وسلم
 قبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) : ٤٨ ،
 ٩٨ ، ٢٣٥ ، ٢٤٥ ، ٢٥١ ، ٣٤٩ ،
 قبرة : ٢٠٧

٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ،
 ٣٣٥
 البدة : ٢٨٩
 البدير : ٣٢٧
 المغرب : ١٦٨
 سرقسطة : ٢٠٩
 سلا : ٢٣٥
 سلع : ٢٤٢
 سهرورد : ٣٢٠
 سوق عكاظ : ٣١٧

(ش)

الشام : ٢٢٤ ، ٣٤٨ ، ٣٧٠ ، ٣٨٨
 شامة : ٩٨
 شرق الأندلس : ١٤
 شقر : ٣٦١
 شابل : ١٢٢
 شيرة : ٢٦٤

(ص)

الصغراء : ١٣٧
 صنعاء : ٣٨٢ ، ٣٨٦
 صنهاجة : ٣٧٩

(ط)

الطائف : ١٤
 طليل : ٩٨
 طليطلة : ٥٦ ، ٢٠٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩١
 طليجة : ٣٧٤
 طليبة : ٧٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ،
 ٢٥١
 طليهور : ٣٣٤

٣٨٢ ، ٣٧٩ ، ٣٧٣
 مرسية : ٣١١
 المرة : ١٠٧ ، ١١١ ، ٢٥٣ ، ٢٠٧ ، ٣٠٣ ، ٣٤٥ ، ٣٤١ ، ٣٣٥ ، ٣٤٨
 مسجد أبي عثمان : ٢٨٤
 المسجد الجامع : ٢٧٧
 مسجد الحمراء : ١٧
 مسجد الزهراء : ٢٦٧
 مسجد السيدة الكبرى : ٢٩٥
 مسجد الصابر = مسجد الصابرين
 مسجد الصابرين : ٣٣٦
 مسجد الصفاوين = مسجد الصابرين
 المشرق : ٣٤٧
 مصر : ١٦٥ ، ٢٨٩ ، ٣٤٨ ، ٣٥٣
 مطروح الجلة = مطروح الجنة
 مطروح الجنة : ٣٥٦
 المغرب : ٧ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٠١ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢٢٢ ، ٢٥٧ ، ٣٣٥ ، ٣٦٥ ، ٣٥٢ ، ٣٥٠
 المغرب الأوسط : ٣٧ ، ٤٢
 المغرب الأقصى : ٣٥ ، ٤٢
 مكناسة : ٢٢٢
 مكة : ٢٧ ، ٦٣ ، ٩٨ ، ١٠٨ ، ٢٢٢
 المنفى : ٢٣٠
 مي : ١٠٤ ، ١٦٨
 منية الحكم = منية نصير
 منية نصير : ٢٦٠
 ميورة : ٢١٧
 (ن)
 الناعورة : ٢٨٩

فرطاجنة : ٢٧٠
 قرطبة : ٢٠٧ ، ٣٠٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٦ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٩ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٥ ، ٢٩١
 الفريتان : ١٠٨
 الفسطاطية : ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٨
 قصر ابن ذي يزن : ٣٨٢
 قصر الرصافة : ٢٩٣
 قصر الزهراء : ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٨٨ ، ٢٨٠
 قصر شليل : ١٢٣
 القصر الصيادي : ١٠٧
 قصر قرطبة : ٢٥٩ ، ٢٨٤ ، ٢٨٨
 قصر كسرى : ٣٨٧
 قصر مدينة الزهراء : ٢٨٦
 قصر للمصارة : ٣١٦
 قصر الناعورة : ٢٦٦ ، ٢٦٧
 القبروان : ٢٢٤ ، ٢٢٢

(ك)

كاظمة : ٥٢

كنيسة سفاقس : ٢٧٠

(م)

مالقة : ٥ ، ١٧ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٧٠ ، ٢٩٩
 مجنة : ٩٨
 المدينة : ١٣٧ ، ٣٩٠
 مدينة الزهراء : ٢٦٧
 مدينة سالم : ٢٨٨
 مراكنش : ١٩١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٥

(و)	تجد : ٢١ ، ٢٢ ، ٤٣ ، ١٠٨ ، ١٦٨
وادی آسن : ٢١٨	٢٤٥
وادی الشیف : ٢٢ ، ٢٥٠	عمان : ٤٣
وادی قناة : ٣٩٠	نيسان : ٣٢٣
الولجة : ١٥٨	
(ی)	(هـ)
یزرب : ٢٣٨ ، ٢٣٩	الهند : ١٣٦
یلم : ٣٧٠	

فهرس الكتب

تكملة المعاجم العربية لدوزي : ٢٦٨ ، ٣٦

٢٩٠

التكملة : ٣٧٩

التيسير : ٣٤٨

(ج)

جفوة الاقتباس لابن القاسي : ٣٥١ ، ٣٤٧

الخ ... ٣٥٣

(د)

الدر النفيس من شعر ابن خنيس : ٣٠٣

الديباج الذهب في علماء الذهب لابن فزون

ديوان أبي تمام : ٤٨

ديوان الصفي الحلبي : ٢٢٦

ديوان العبر = تاريخ ابن خلدون : ٢٢٧

(ذ)

الذخيرة لابن بسلام : ٢٥٣ ، ٢٥٢

(س)

سأوة الألفاس : ٣٥٦

سنن أبي داود : ٣٥١

السنن الأئمين في السند الممتن : ٣٥٠

السنن لابن ماجة : ٣٥٢

(ش)

شرح ابن تلي على المدونة : ٣٥٢

شرح ألقية ابن مالك لابن مرزوق : ٢٩٩

شرح الحماسة لقتريزي : ١٢

شرح الشفا : ٢٥٧

(١)

الإحاطة : ٦ ، ٧ ، ٩ ، ... الخ

أحكام التأخيس في أحكام التجنيس : ٣٥٠

أحكام القرآن : ٢٩٥

الإحياء للقراني : ٥٠

الاستقصا للسلاوي : ٧ ، ٣٠ ، ٣٧ ... الخ

الإشادة : ٣٥٦ ، ٣٧٣ ، ٣٨٧ ... الخ

الأشرف لعماد الدين النذر التيساري : ٢٩٥

الإشادة والإشارات : ٣٥٠

أعمال الأعلام لسان الدين بن الخطيب : ٢٧١ ، ٢٨٢

ألفية ابن مالك : ٢٩٧

الأمل والنوادر : ٢٧٣

(ب)

بداية الختم : ٨٤

البدع الطالع للشوكاني : ٣٤٧

بغية المتنس : ٢٠٧

بغية الوراق للسيوطي : ٣٤٧

البغية والمدرسة من كلام ابن زمرك : ١٢ ، ١١

(ت)

تاج العروس : ١٤ ، ٣٥٤ ، ٣٠٦ ، ٣٧٤

تاريخ الخطيب : ٣٥٤

تاريخ ابن خلدون : ٣٠ ، ٣٧ ، ٢٢٧ ... الخ

تاريخ ابن الفرس : ٢٦٥

التفتة : ٣٧٩

ترجمان التراجيم : ٣٥٠

التسهيل البديع في اختصار التفرع : ٦

تطريز الديباج لأبي العباس أحمد بابا : ١٧٦

شرح القاموس = تاج المروس
الشفاء : ٦

(ع)

عائد الصلة : ٣٠١
العروديان المتبدأ والخبر = تاريخ ابن خلدون
العناري المسائلات في الأثر والوشحات :
٢١٣
العقد القريب : ٢٠٧ ، ٢٥٣ ، ٢١٨

(غ)

الغريب للمصنف لابن سلام : ١٥١
الغنية لعباس : ٢٥٧

(ف)

الفقرية : ٣٠٣

(ق)

القاموس : ٣٧١
قوت القلوب لأبي طالب للمكي : ٥٠

(ك)

الكامل للمبرد : ٣٨٥
الكتيبة : ١٨٦
كتاب سيبره : ٣٦١ ، ٣٦١
كتاب العين للخليل : ٢٩٥
الكتاب المؤتمن في آباء أبناء الزمن : ٣٧٦
الكتيبة السكينة : ١٨٦ ، ٦
لسان العرب : ٦ ، ١٩ ، ٨١
لسان القرآن لابن حجر : ٣٥٤

(م)

مئى الطريقة في ذم الوثيقة : ٢٩٧
الحاكمية بين البخارى ومسلم : ٣٥٠

المجرب المصنوع في شرح البخارى الصحيح :
٣٥٠

محك الشعر للمعارفى : ٣٥٤
مختصر ابن الحاجب : ٦
مختصر الإحاطة : ٣٥١
المدارك لعباس : ٢٥٧
للدونة : ٣٥٠
الرفقة العليا في مسائل النضا والفتيا : ٧
مزة المربة : ٢٥٢
المسهب في غرائب العرب : ٢٥٣
المتشبه في أسماء الرجال : ٣٥٤
معجم البلدان لياقوت : ٢٠٨ ، ٣٦٥
معجم دوزى : ٦٠
معجم ما استعجم للبكري : ١٠٨
المنطق من أواخر الطرף : ٢٥٣
مقدمة ابن خلدون : ٢٠٨ ، ٢٠٩ ،
٢١٢ ... الخ
القدمة المرفوعة لعلو المسافة والصحة : ٣٥٠
ملء العيبة فيها جمع بطول العيبة في الوجهين
السكرتين إلى مكة وطيبة : ٣٥٠
الموطأ : ٦ ، ٣٥٢

(ن)

الناسخ والمنسوخ
التبوع المغربي لعبد الله كنون : ٣٣٥
نثر الأزهار في القيل والنهار : ١٩٤
نزهة الأعراس وروضة التأمل في نبوغ
أهل الأندلس : ٢٥٣
نصر المتانى : ٣٥٦
نفع الطبيب : ٩ ، ٢٠ ... الخ
نيل الانباج بطريق الدياج لأحمد بابا التنبكى :
٣٣٦ ، ١٠

(و)

وصل القوام بالخواف : ٣٥٠

فهرس الايام

(ف)	(ا)
فتح مكة : ٦٣ ، ٣٣	أحد : ٦٣ ، ٢٧
(ك)	(ب)
السلام : ٣٦٩	بدر : ١٢٤ ، ٦٣ ، ٢٧
(ي)	(ح)
يوم الفجار الآخر : ٣١٨ ، ٣١٧	حرب الفجار الآخر = يوم الفجار الآخر حنين : ٢٧

فهرس الامثال

(ي)	(س)
يكفى من الغلظة ما أحاط بالحق : ١٠	سقط به المشاء على سرحان : ١٨

فهرس القوافي

(ح)

طويل	لك — صلحا : ١٣٥
د	نلسان — المواقف : ٣٢٩
بسيط	مفا — حنى : ٥١
كامل	مالمها — صباها : ١٦٧
د	هذا — روى : ٣٥٨
د	عيا — بالتصريح : ٣٥٨
خفيف	مكنا — المزاح : ٢٨٦
د	أها — الفتوح : ٣٣٣

(خ)

طويل	نلسان — السكرخ : ٣٢٣
------	----------------------

(د)

طويل	ولائمة — مولدى : ١٠
د	هنا — وعده : ١٣٦
د	على — وعد : ١٣٩
د	أها — يستمدى : ١٧٣
د	ألسان — والسعد : ١٧٥
د	فقدت — ففده : ٣٤٥
د	أوارى — وفد : ٣٤٥
واقف	نكاثرت — بعيد : ٣٦٠
كامل	أكتيبة — أحد : ١٧٣
د	هب — النادى : ٢٤٨
د	إن شد أحدا : ٢٣٣
د	أى شد السقاوه : ٢٤٠
خفيف	مزل — الوعود : ٢٥٨

(٢٧-ج-٢ — أزهار الرياض)

(ء)

طويل	سن — أباء : ٣٣٦
د	سن — وساؤعا : ١٤٩
واقف	أنا — السيد : ٧٩
كامل	زار — الظلاء : ٤٧
د	من — بقاء : ١٣٧
د	بأياها — آلاله : ١٣٢

(ب)

طويل	لعل — البان : ٤٢
د	وحفك — بالفرطب : ١٦٩
د	ملاكم — شرب : ١٧٤
د	أنت — شباهي : ٣١٧
د	ألا — مريب : ٣٧٨
بسيط	حبث — منتصبه : ١٦٦
د	أطر — كتب : ٣٨٣
كامل	ناحت — جلبابها : ٣٣٢
د	فتلوت — الوجوب : ٣٤٤
متقارب	نهد — القشوب : ١٠
د	أغار — الهبه : ٣٢٦

(ت)

كامل	كتب — موفوتا : ١٢٦
د	باليث — الآنى : ٣٤٦

(ج)

طويل	تغرب — ساج : ٣٥٣
------	------------------

كامل	نظرت — جوهر : ٣١٤	خفيف	أبها — الجياد : ٣٢٩
»	عرج — الكوثر : ٣١٥	مجت	انظر — تصعده : ١٤٠
»	نفس — خطره : ١٢٢		
»	يايدر — فصره : ١٣٠		
سريع	العلم — النائرة : ٣٧٣	(ذ)	
رمل	رب — مبردا : ٣٠٣	كامل	والبيت — كهذه : ١٢٨
خفيف	ولد — انتقار : ١٦	مجزوء السكامل	يا — ملاذا : ١٣٥
مجزوء الرجز	عليك المطر : ١٩٥		
متغارب	مها — الأصفر : ٣٦٦	(ر)	

(س)

سويل	أدرها — مجلس : ٤٠	طويل	أرقط — جواهرها : ٨٢
»	أبا — القدس : ١٥٩	»	طعامك — أدرى : ١٢٩
»	آتوق — نفسه : ٣٩	»	أمولاي — البحر : ١٣٤
كامل	يامن — الأسي : ٣٦٨	»	نعم — اليدر : ١٣٦
مجزوء السكامل	أهدى — والياس : ١٣٣	»	لك — والأصر : ١٦٤
رمل	غرد — خلس : ١٩٤	»	ذروني — تسير : ١٦٧
		»	ألا — الأكابر : ٣٦٥
		مديد	نبئت — العير : ٣٦٤
		»	حل — عور : ١٤

(ش)

طويل	حديث — حراش : ٣٥٤	»	أعلامك — قدر : ١٣٨
مطلع البسيط	يا — انتماش : ٣٦٠	»	ما زلت — العنيد : ٣٤٧
		»	أرجه — الطور : ٣٨٠
		»	مقدمات — مغرور : ٣٨١
		»	بالأدما — ماثرة : ٣٤٢

(ض)

بسيط	فزة — متترض : ٣٧٧	مطلع البسيط	ريخانة — ترهه : ١٨٦
		كامل	هب — الزهر : ٣٥
		»	هي — الأمصار : ٢٨
		»	مولاي — للشنورا : ٣٩
		»	وجه — ييمار : ١١٢

(ع)

كامل	لك — المطلع : ١٣٨	»	يايها — منشورا : ١٢٨
مجزوء الرمل	من — اليديما : ١٣٩	»	لولا — الدوار : ١٧٠
مجزوء الرجز	مولاي — مجتمه : ١٢٩	»	يايها — التصور : ٢٥٥
		»	بكت — الأنهار : ٣٠٨

كامل	ما لبحول الخالي : ١٠٧
»	بشرى — يتأمل : ١١١
»	علم — وميلل : ١١٦
»	يامن — كالا : ١٢٧
»	ياوارث — المنزل : ١٢٩
»	ملك — بنوال : ٢٩٣
»	ملككت — قاعدل : ٣٥٧
»	هب — الفبال : ٣٨٣
»	لك — كالمها : ١٥٩
»	وجد — منالها : ٣٧٩
»	جبا — يبالها : ٣١٩
»	أنا — جمال : ١٣٩
مجزوء الزمل	أرق — ذبال : ٣٠٦
سريع	ما الهبال : ٣٠٨
»	ما — الوصال : ٣٠٩
»	بدت — اعتدال : ٣٠٩
مجت	رفت — الهلال : ١٤٠

(م)

طويل	هنا — ينضم : ١٤٦
»	لك — دائما : ١٧٥
»	سأظم — نظامها : ٢٤٩
»	دما — السكائم : ٣٠٢
»	نحلى — أديعه : ١٣٤
»	لهادي — للإمامه : ٣٧٢
»	فؤاده — موسوم : ٣٦٢
بسيط	الله — الأقاليم : ٣٦٢
»	وكل — مشوم : ٣٦٣
»	قد — الإمام : ١٩٤
علم البسيط	في — الأمام : ١٩٩
»	مشوق — التاما : ٣٠٥
وافر	رأوا — ينموا : ٣١٦
»	م — للنام : ٣٦٦

(ف)

طويل	كافى — شفى : ١٣٥
»	لعد — التفا : ١٦٩
»	معفتكم — كطرفه : ٣٤٧

(ق)

طويل	ألا — مشوق : ٢٥٠
»	ترك — الوثيق : ٢٥٢
»	ولها — المتعارق : ٣٤٥
بسيط	انظر — أزرقه : ٣٥٣
كامل	أغرى — الآفاق : ١٦٠

(ك)

طويل	أقول — وآلسكا : ١٣١
»	تراجع — فارك : ٣٠٥
كامل	ياخير — الأملاك : ١٢٥
مجزوء الكامل	ياخير — الملوك : ١٢٦

(ل)

طويل	نحوم — شامل : ٧٤
»	ألا — جليل : ٩٨
»	أبحر — الأنايل : ١٣١
»	أمولاي — أولا : ١٣٢
»	أزور — رسالا : ١٧٠
»	وما — فاضل : ٣٧٢
»	أسائل — جلالة : ١٣١
علم البسيط	قد — بالرجيل : ١٨٩
وافر	ظرف — صليل : ١٢
»	بما — الجلال : ١٥٧
كامل	لو — رسولا : ٩٦

وأرجو — يا زلمي : ٣٥٣
ماترى — الياض : ١٤١
خفيف
لن — صداعها : ٣٠٤
كامل
التي — بصطفية : ١٤٠
مجزوء الرمل

(و)

أنا — العدو : ٣٥٥
طويل

(ي)

معاد — باليا : ٥٦
طويل
سل — حاليا : ٦٥
د
كتبت — السوافيا : ١٣٤
د
أنتطش — والدنيا : ١٥٨
د
يكتفى — وماليا : ١٦٧
د
حقيق — المعانبا : ٣٨٤
د
يامن — بواديا : ٢١
بسيط
وإنما — وعى : ٣٧٢
رجز
صيام — فاضيه : ٣٥٣
سريع

ألفمة — باليم : ٦٠
كامل
يأين — بى غفجوم : ٣٦٥
د
وجه — ناسم : ٢٠٠
مجزوء الرمل
نهائى — أظلم : ٣٦٥
متقارب
توجتى — الكرامه : ١٥
الجهت

(ن)

سحر — الحيين : ٣٤٧
بسيط
مالى — الندانى : ١٠
مجزوء البسيط
ياخير — الإيماننا : ١٢٧
كامل
يامن — نيتى : ١٦٠
د
سح — مكنته : ٣٤٥
مجزوء الكامل
الجد — العنا : ١٣٥
سريع

(هـ)

سلام — فيها : ١٥٤
طويل
هذى — الله : ٩٣
بسيط
يى — نقشاه : ٩٥
د
الفقر — عناه : ٣٠٣
د

فهرس الموشحات والأزجال

صفحة	البيت
	(أ)
٢٤٦	أوردت قلبي خبلا
٢١٩	أبكاني بشاطي النهر نوح الحمام
١٨١	أبلغ للزناطة سلامي
٢٤٢	أطلع الصبح راية الفجر
٢٣٠	ألف المضي الشجونا
٢٠٩	أما ترى أحسد
٢١٨	أمزج الأكواس وأملالي نجدد
٢٥٥	انظر إلى البدر الذي لاح لك
٢١١	إن سيل الصباح في الشرق
٢٦٥	أيها القاصد رقا
	(ب)
٢٣٥	شوقى إليه يجدد
٢٠٧	بأرض طيبة معهد
٢١٨	عصن غامسك دم
٢٢٨	بدرتم شمس محي
٢٢٨	أعظم مصابي
٢١٨	البلبل في الرياض لما نشدا
٢١٨	بالقول شدا
٢١٨	بين طلوع وبين نزول
	(ث)
٢١٢	تفر الزمان موافق
٢١٢	حياك منه بابنم
	(ج)
٢١٣	جارك البيت إذا التبت هي
٢١٣	يا زمان الوصل بالأندلس

البيت	صفحة
(ح)	
حيبي ارفع حجاب النور عن المسفار	٢١٥
حل المطون بأهل الشطارا مذ حلت الشمس بالحل	٢١٨
(ز)	
زهر شب المسارق تنفخت عنه الكلام	٢٣٢
(س)	
سبحان مالك خواطر الأعراس مواجها في كل حين وزمان	٢٢٢
(ض)	
ضاحك عن جان سافر عن بدر	٢٠٨
(ط)	
طل الصباح قم يا نديم نديمي ونضحك من بعد ما نظري	٢١٩
(ع)	
المشي تبعا والنوايع عن شكر أعمك السوايع	٣٠٣
العود قد ترم بأبدع تنعيم	٢٠٨
عبي التي كنت أرها كم بها بانت ترمي اللجوم وبالسبيد اختانت	٢٢٦
(ف)	
في كنوس التفر من حر العس راحة الأرواح	١٩٢
(ق)	
قد نظم الشمل أتم انتظام واغنم الأحباب قرب الحبيب	١٩٧

صفحة	البيت
٢٠١	قد نظم الشمل أتم انتظام ولاحت الأقمار بعد للبيب
٢١٢	فسما بالهوى الذي حجر ما لبيل المتوق من بحر
٢٢٧	قل للأحبة والحديث شجون ما خر إن شاب الوفا بمجون
٢٣٧	قم وناج الله في دامي اللبس تنلقى الأرواح
(ك)	
٢١٠	كلل الدمي يجسرى من مقله القبر على الصباح
٢٥٤	كم في القدود القبان تحت اللهم
٢٢٢	كن سرى قل ولا تكن راعى فالراى عن رعيته مشول
٢٠٨	كيف السبيل إلى صبرى وفي العالم أشجان
(ل)	
٢٤٣	لأحمد بهجة كالعمر الزاهر في أبرج السعد
١٤٥	لأحمد نمنو الأقمار فعدد عشاره
٢٤٠	لأحمد المصطفى مقام
٢٠٣	لله ما أجل روض الشباب من قبل أن يفتح زهر الشيب
١٠٥	لو ترجع الأيام سعد القعب لم تفتح الاشواق ذكرى حبيب
(م)	
٢١٢	ما حال صب ذي حسن واكتئاب أصرمه يا ويلقاء الطيب
٢١٠	ما العبد في حلة وطاق وشم طيب
٢٢١	المال زينة الدنيا ومن النفوس يهي وجوهاً ليس هي بأعيا
٢١٠	ما للوله من سكره لا يقيق باله سكران
(ن)	
٢٣٨	نأت في الأوطان عن حضرة الإحسان ولا معين
٢٢٦	ناديتها ومشيى قد طوائى على جودى على بقله في الهوى باى
١٧٩	نسيم غمرانة عليل لكنه يرى الليل
١٧٤	نواسم البستان تنثر سلك الزهر

البيت	صفحة
(هـ)	
هل درى ظلى الحى أن قد حى قلب صب حله عن مكس	٢١٣
(و)	
واحسرتنا لزمان مضى عشية بان الهوى وانقضى	٢١١
وأخضر حمادى فى الورد لائح على صفيح ورد حسنه متناهى	٢٥٥
ورذائف دق ينزل وشعاع الشمس يضرب	٢١٧
وعرش قد قام على دكان بحال رواق	١١٦
(ى)	
يا حدى العيس ازجر بالمطاي زجر وقف على منزل احبائى فيبل الفجر	٢٢٦
يا عريب الحى من حى الحى أتم عيسى وأتم عرسى	١٢٩
يا لئننى إن ريت حبيبى أفل أدنو بالرسبلا	٢١٨
يا ليله الوصل والسعود بالله عودى	٢٠٩
يا حاجرى هل إلى الوصال منك سبيل	٢١١
يد الإصباح قدحت زناد الأنوار	٢١٢

فهرس أنصاف الآيات

(ع)

(أ)

أخرى سرقة الملى بالإطراق : ١٥ رجز | مجباً لها أيتون طعم ومالها : ٣٢٢ كامل.

فهرس الموضوعات

صفحة

- في صنع بعض أمراء بني الأحمر ٨٩
من عبيداته ... ٩٣
عبيد أخرى ... ٩٦
ومن أناشيده في المواسم العتيقة ١١٦
وله في بعض نزه مولا في شقبل ١٢٢
وله في الشكر على شروب من النصف ١٢٥
في هدية من حب للوك ... ١٢٦
في هدية أخرى منه ... ١٢٦
في صيد أهدى إليه ... ١٢٧
في أصناف من الفواكه أهديت إليه ١٢٧
وله في يوم عاشوراء ... ١٢٨
ومن بعض قطعه ... ١٢٨
في ياكور أهداه إليه ... ١٢٩
في جفنة تريد ... ١٢٩
في الفكر عن كتاب ... ١٢٩
في الفكر على خلعة ... ١٣٠
وله في السؤال عن حاله وقد مرض ... ١٣١
بعض أبنائه ... ١٣١
في مثل ذلك ... ١٣١
في التورية باسم هالد ... ١٣٢
في مايس أعظمه ... ١٣٢
في رسم على ثوب مهدي للسلطان ... ١٣٣
أبي اليباس ... ١٣٣
في مثل ما تقدم ... ١٣٣
وله في التي بالله وهو على جواد آدم ١٣٤
وله مع هدية زهرية ... ١٣٤
وله مذكوراً إلى التي بالله ... ١٣٤
ومما كتبه إليه وهو في حال تألم ١٣٥
في مثل ذلك أيضاً ... ١٣٥

صفحة

القاضي البهاهي

- التعريف به ... ٥
من كلام لابن الخطيب عنه ... ٥
من كلام لسراج عنه ... ٦
من تأليفه ... ٧
نسبه ... ٧
بعض ما كتبه ابن الخطيب عنه في الإحاطة ٧
شعر له أورده ابن الخطيب ... ١٠
حظوته عند ابن الأحمر بعد تنسكهم ١١
لابن الخطيب ... ١١
من كتاب بعض بني الأحمر ... ١١
شعر اختاره المؤلف أيضاً من كتاب ٣٤
ابن الأحمر ... ٣٤
في مدح التي بالله وتجدد الدولة الأحمدية ٣٥
في شسكر السلطان للعمة وصلاته في ٣٨
عاشوراء ... ٣٨
في وصف قرغل يميل الفتح ٣٩
في تهنية مولا بوصول القائد خالو ٤٠
من تلمسان ... ٤٠
في مولد عام حجة وستين ... ٤٢
في مولد سنة سبع وستين وسبع مئة ٤٦
ما أنشده في مولد عام ثمانية وستين ٥١
ومن إعدادها سنة أربع وستين ٥٥
وسبع مئة ... ٥٥
ومن شعره في الصنيع المحدث بالأميرين ٦٠
سعد وضرر ... ٦٠
ومنه في صنع الأمير أبي عبيد الله ٦٥
في صليح لفتي بالله لإعذار بعض حدة ٧٤

صفحة

- وله يستنجز كتاب المغرب ميلادياتهم ١٧٣
 وله إليهم أيضا في المعنى للتقدم ١٧٣
 وله في مراجعة الكاتب أبي زكريا { ١٧٥
 ابن أبي دلالة ... }
 وله في السلطان أبي العباس ... ١٧٥
 للذوالف في سبب إقالة الحديث عن { ١٧٦
 ابن زمرك ... }
 من موشحات ابن زمرك ... ١٧٦
 موشحة له في الشوق إلى غرناطة ١٧٧
 ومن موشحاته في وصف مبنى الرشاد ١٧٩
 ومن موشحاته إلى النبي بالله ... ١٨١
 ومن موشحاته معارضا ابن سهل ١٨٤
 ومن موشحاته في الصبوحيات أيضا ١٨٩
 ومن موشحاته في التهنية بالشفاء { ١٩٢
 من مرض ... }
 موشحة له أخرى في الهناء بالشفاء ١٩٤
 موشحة له في وصف مالفقة ومدح { ١٩٥
 النبي بالله ... }
 موشحة له في وصف بناء المحدث { ١٩٧
 بمالفقة ... }
 موشحة له أخرى في الهناء بالشفاء ١٩٩
 موشحة له أخرى في الهناء بالشفاء ٢٠٠
 ومن موشحاته في تهنية السلطان { ٢٠١
 موسى بن أبي عدنان المربني ... }
 ومن موشحاته في وصف غرناطة { ٢٠٣
 والطرود وغير ذلك ... }
 آخر موشحاته وهي في مدح الرسول { ٢٠٥
 صلى الله عليه وسلم ... }
 كلام ابن خلدون في الموشحات { ٢٠٦
 والأزجال ... }
 اعتذار المؤلف عن ذكره الأزجال ٢٢٧
 موشحات غير مفسودتين في مدح { ٢٢٨
 الرسول ... }

صفحة

- في ذلك أيضا ... ١٣٥
 وله في التهنية بالشعاء ... ١٣٥
 في هذا أيضا ... ١٣٦
 في مثل ما سبق ... ١٣٦
 وله يصف البازي ويشكر ما أهدى { ١٣٧
 إليه من صيده ... }
 وله يصف غرباباً ويتغافل ... ١٣٨
 في التهنية بمودة الأمير من جبل الشوار ١٣٩
 فما يرسم بطيخان الأبواب ... ١٣٩
 في مثل هذا ... ١٣٩
 في مبنى للأمير سعد ... ١٤٠
 وله في الشكر عن هدية ... ١٤١
 وله في التذليل على بيت ابن المعتز ١٤٢
 وله في التذليل على بيت ابن وكيع ١٤٢
 وما يرسم للنبي بالله ... ١٤٣
 من مقطوعة ... ١٤٣
 في عبيدة ... ١٤٣
 في وصف جيش ... ١٤٤
 من قصيدة له ميمية ... ١٤٦
 في رثاء النبي بالله ... ١٤٩
 وله على لحد النبي بالله ... ١٥٢
 وفي رثاء النبي بالله أيضا ... ١٥٤
 وله في استعطاف السلطان أبي الحجاج ١٥٧
 وله في خطاب السلطان أبي عبد الله ١٥٨
 ومن شعره في أبي عبد الله ... ١٥٨
 وله في خطاب مولاه الوالد ... ١٥٩
 صرته لأي القاسم الحسي ... ١٦٠
 وله في مدح شبحه ابن الخطيب ١٦٤
 وله مما يخاطب به ابن الخطيب أيضا ١٦٦
 وله في وصف مصباح ... ١٦٩
 وله في صدر رسالة إلى ابن الخطيب ١٧٠
 وله يصف الزرافة ويمدح مدح { ١٧٠
 السلطان أبا سالم ... }

صفحة	موضوعات	صفحة	موضوعات
٢٩٤	ثىء عن منذر ابن سعيد البلوطى	٢٣٠	موشحات لابن الصباغ الجذائى فى مدح الرسول أيضا ...
٢٩٦	بعض مآثور كلامه ...	٢٤٨	نظم للجذائى فى غير الموشحات ...
٢٩٧	تفسد قو نصرى فى تشييع ابن الخطيب على الموتين ...	٢٥٠	ومن نمجسه ...
٢٩٧	رجع إلى سبنة وما كان بين ابن خيس وبعض طلبتها ...	٢٥٢	من نظمه فى مدح النبي ...
٣٠١	التعريف بابن خيس ومفتله ...	٢٥٣	لابن خاعة من الموشحات ...
٣٠٨	شعر صوفى لأبي مدبر ...		رجع
٣٠٩	تحفيس على قصيدة لسيدى إبراهيم التازي ...	٢٥٦	بعض ما ورد من الأثر فى سبته ...
٣١٥	قصيدة لابن صراج السكحل تنبيه قصيدة لابن خيس ...	٢٥٧	أخطبة الناصر وسبته ...
٣١٦	ولابن صراج السكحل ...	٢٥٨	خلافة الناصر ...
٢٣٢	مؤزلة ابن جليس عند علماء المشرق	٢٥٨	رسل ملك الروم إليه ...
٢٣٢	شوق ابن خيس إلى بلدة نلسان	٢٦١	هدية ابن شهيد إلى الناصر ...
٢٣٢	من قصيدة أخرى له فى الشوق إلى نلسان ...	٢٦٥	الناصر وقد أراد التصديق يوما ...
٢٣٢	قصيدة للثعري فى وصف نلسان	٢٦٥	بهاء الناصر جامع الزهراء ...
٢٣٢	قصيدة أخرى للثعري فى وصف نلسان	٢٦٦	بنائوه القافة ...
٢٣٢	قصيدة منديل ابن آجروم فى ذكره	٢٦٧	تشيد الناصر مدينة الزهراء ...
٢٣٣	طس رجع إلى نظم ابن خيس رحمه الله ...	٢٧٢	ثىء عن عمران قرطبة ...
٢٣٥	ولابن خيس وصف نلسان ويمدح ابن الحكيم ...	٢٧٢	احتفال الناصر لتقديم ملك الروم وظهور البلوطى على سائر الخطباء
٢٤٠	التعريف بابن الحكيم ...	٢٧٧	من خطبة لبلوطى ...
٢٤١	سأله ...	٢٧٧	بينه وبين الناصر فى التهديد فى تنبيق النبأ ...
٢٤١	قدومه إلى غرناطة ...	٢٧٩	خطبة لمنقرى الاستسقاء ...
٢٤١	شأله ...	٢٨٠	من خطبة له أخرى فى ذلك ...
٢٤١	رحلته مع ابن رشيد وشيوخها ...	٢٨٠	بعض أنصاره مع الناصر وحديثه البقية ...
٢٤٢	تلاميذه ...	٢٨٢	الناصر وأيام سروره ...
٢٤٢	قصيدة ابن الجباب فى مدحه ...	٢٨٢	اعتذار الناصر لأولاد ابنه وما كان بينه وبين الفقيه أبى إبراهيم لتختلف
٢٤٤	أبيات فى رثائه ...	٢٨٤	بين الحكيم والفقيه أبى إبراهيم
٢٤٥	ثىء من شعره ...	٢٨٦	بيعة الحكيم المستصر ...
٢٤٦	ومن نثره ...	٢٨٨	وقود أردون عليه وحديث ذلك
٢٤٧	بشبهته ...	٢٩٣	شعر للراى فى هذا المقام ...

صفحة	صفحة
٢٦١ ... مولده ووفاته	٢٤٧ ... الشريف بابن رشيد
٢٦١ ... من شعره في مدح أبي بغبوب	٢٤٧ ... رحلته وما أفاضلها
٢٦١ ... يوسف	٢٤٨ ... شبائله
٢٦٤ ... هو وأبو العباس الجراوى	٢٤٨ ... شيوخه
٢٦٥ ... للجراوى يهجو بهى غفجوم	٢٥٠ ... تأليفه
٢٦٥ ... من شعر القاسمى أبي حفص مدح	٢٥٠ ... مذهب
٢٦٥ ... أمير الموحدين	٢٥٠ ... شرحه للبشارى
٢٦٦ ... وله في الزل	٢٥٠ ... اجتماعه في فهم الحديث
٢٦٧ ... لأن شكيل في مدح القاسمى أبي حفص	٢٥١ ... يروى أن الحديث مروى بالمعنى
٢٧١ ... تناء العلماء على القاسمى أبي حفص	٢٥١ ... قدرته على البيان والارتجال
٢٧٣ ... من نظم القاسمى أبي حفص	٢٥٢ ... تعليق المؤلف على موقف ابن رشيد
٢٧٤ ... بيت العراقيين أصحاب نسبته	٢٥٢ ... شهادة ابن رشيد لبعض العلماء
٢٧٤ ... أبو القاسم العزفى	٢٥٢ ... تقرظ لبعض تأليفه
٢٧٥ ... بعض تأليف أبي القاسم العزفى	٢٥٣ ... شيء من أشعاره
٢٧٦ ... لسيرة العزفين إلى حلم	٢٥٤ ... إشارة إلى بعض الوشاعين في الحديث
٢٧٧ ... بعض فضائله وشعره	٢٤٥ ... لجأ إليه لبنت المهين ووفاته
٢٧٧ ... ابنائه : أبو حاتم وأبو طالب في سبته	٢٥٥ ... حاله بعد عودته من المشرق
٢٧٧ ... يحيى بن أبي طالب	٢٥٦ ... كتاب الإشادة للعزفى
٢٨٨ ... يحيى بن يحيى العزفى	٢٥٧ ... لأبي العباس العزفى في مدح ابن
٢٧٨ ... صاحب الإرشاد من بني العزفى	٢٥٧ ... أممكم
٢٧٨ ... تعريف الإشادة بابن خبازة الشاعر	٢٥٨ ... قوله في مدحه أيضا
٢٧٩ ... بعض أشعار ابن خبازة	٢٥٩ ... كلام القاسمى أبي حفص في كتاب
٢٨٨ ... قصيدته في رثاء ابن الجبر	٢٦١ ... الإشادة
٢٨٢ ... وله في فيه لبني بن الناصر الموحدى	٢٦١ ... الشريف بالقاسمى أبي حفص عمر السلى
٢٨٢ ... وله في الحنين إلى أحبائه	٢٦١ ... شيوخه
٢٨٢ ... وله في مدح النبي	٢٦١ ... ولايته

تصويب أخطاء مطبعية

س	ص	خطأ	صواب
٣	٧٠	في الجوّ	في الجوّ
٦	١٠٧	واسحبَ	واسحبَ
٢٢	١٠٨	ورمة	ورامة
٩	١٢٥	والله	والله
١٥	١٣٨	قصيّ	قصيّ
١٧	١٦٠	ترجّى	ترجّى
٨	١٦٦	القَصْبَةُ	القَصْبَةُ
١٩	١٦٧	ذَا مَا طَلَوَى	إِذَا مَا طَلَوَى
١٣	١٦٨	أَكْرِي	أَكْرِي
٧	١٨١	والشَّيب	والشَّيب
٨	١٩١	مَا الزَّهْرُ	مَا الزَّهْرُ
٣	١٩٢	النَّفَر	النَّفَر
٥	١٩٢	مُدَّهَبًا	مُدَّهَبًا
٧	٢٠٥	نَوْمٌ	نَوْمٌ
١٤	٢١٣	رِسْرٌ	رِسْرٌ
١٤	٣٣١	المجدد	المجدد
٤	٣٤٩	محمد ابن	محمد بن
١٠	٣٦٥	غَفْجُوم	غَفْجُوم